

منشورات اتحاد



القاهرة

مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

المحتويات

٧	كلمة الافتتاح. للأستاذ الدكتور حسنين محمد ربيع رئيس الاتحاد
٨	كلمة التحرير. للأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا رئيس تحرير المجلة
١١	د. محمود أبو الحسن أحمد وظيفة الكومارخوس (العدة) في مصر في العصر الروماني.
٢٥	أ. د. أحمد بن عمر الزيلعي الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرى الجاهلي والإسلامي
٤١	د. أماني خليفة محمد علي البحر علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي
٩٧	د. مديحة محمد عبد العزيز الشرقاوي أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري.
١٢٥	د. إبراهيم علي القلا وسائل الدعاية عند الفاطميين ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م
١٦٩	د. حنان عبد الفتاح مطاوع الخنجر نموذج تتطور صناعة السلاح في الأندلس.
٢٠٩	د. عائشة بنت مرشود حميد معركة الصنيرة أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م.
٢٢٥	د. محمد أحمد محمد الكربولي مدارس أسيوط في العصر المملوكي.
٢٦٣	د. محمد أحمد علي بهنساوي الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السلিমانيّة.
٢٨٧	د. محمد سيد كامل محمد التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإلخانيّين.

٣١٧	د. حسام محمود المحلاوي التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر.
٣٣٩	د. محمد أسامة زكي زيد موقف ابن إياس من العثمانيين.
٣٧٨	د. حصة جمعان الهلالي الزهراني فوائد الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية.

وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني (دراسة في النظام الإداري للقرية المصرية)

د. محمود أبو الحسن أحمد (*)

يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت بمصر في النقوش والوثائق البردية اليونانية منذ القرن الثالث ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، وإن لم يكن بشكل متواصل خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة. فكانت أول إشارة لهذه الوظيفة في العصر الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي وبالتحديد في عام ٢٤٧/٢٤٨ م في وثيقة من إقليم أوكسيرنخوس (١)، ثم كانت الإشارة الثانية في وثيقة من قرية ثيانفيا بالفيوم في عام ٢٥٠ م - ٢٥٣ م (٢). ويبدو أن ظهور وظيفة الكومارخوس مرة أخرى خلال القرن الثالث الميلادي بعد أن كانت موجودة خلال حكم البطالمة، يتماشى مع الإصلاحات الإدارية التي حدثت في عهد الإمبراطور فيليب العربي، حيث اختفت وظيفة كاتب القرية التي كانت معروفة من قبل ثم حلت وظيفة الكومارخوس بدلاً منها، فكانت آخر إشارة إليها في وثيقة من أوكسيرنخوس في عام ٢٤٥ م (P.Oxy.xLii,3047)، وفي إقليم أرسنوي اختفى موظف الأمفودرخ كوموجراماتيوس (amphodarch komgrammateus) فكانت آخر إشارة إلى هذا الموظف في عام ٢٣٠/٢٢٩ م (B.G.U , vii, 1634) (٣).

تعيين الكومارخوس :

كان تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) في منتصف القرن الثالث الميلادي، يعد من اختصاص الإستراتيجوس (حاكم الإقليم) ، حيث كان كومارخوس القرية الذي شارفت مدة خدمته على نهايتها، يرفع تقريراً إلى الإستراتيجوس يوضح فيه أسماء الأشخاص المرشحين لتولي هذه الوظيفة بعد انتهاء فترة خدمته ، وكان لابد أن يتوافر فيهم عدة شروط أهمها: الصدق والأمانة وتحمل المسؤولية، وكان من أول الوثائق التي أشارت إلى تعيين أحد الأفراد في وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني، وثيقة من هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م نقرأ منها " إلى بروكليوس procles إستراتيجوس إقليم هيراكليوبوليس من أوريليوس هارمسيس Aurelius Harmasis منكومارخوس هذا المكان، على مسئوليتي و وفقاً لما هو متعارف عليه اخترت من يقوم بهذه المهمة للعام القادم ألا وهو: باكوس بن فيليب Pakoueis philppi وهو مؤهل لتولي أعباء هذه الوظيفة " (٤).

(*) مدرس بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

وفي بداية القرن الرابع الميلادي وبالتحديد عام ٣٠٧ م، ومع التغير الذي حدث في النظام الإداري في مصر، وهو ظهور الباجوس واختفاء التوبارخية من التقسيمات الإدارية داخل الإقليم، وما صاحب ذلك من ظهور وظيفة جديدة هي وظيفة حاكم الباجوس (المركز) *Praepositus pagus* والذي تمثلت مهمته في إدارة شئون المركز، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) من اختصاص هذا الموظف، وذلك من خلال تقرير يرسل إليه من كومارخوس القرية بالأسماء التي تم ترشيحها للوظيفة. فنقرأ في وثيقة من قرية كراتيس بالغليوم، ترجع إلى عام ٣٠٨ م " إلى أوريليوس هيراكليدس حاكم الباجوس الخامس من أوريليوس إزيدورس سراييون وأيون سيرون كومارخوي قرية كراتيس نعلمك ونقدم لك تقريراً عن تم ترشيحهم لتولي منصب الكومارخوس للعام القادم وهم إزيدورس بن بطلميوس وبطلميوس بن باتيستيس " (٥).

ونقرأ في وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٣٢٦ م: من أوكسيرنخوس " إلى أوريليوس خابريمون حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي قرية ثيادلفيا فإنه نظراً لإستكمال مدتنا القانونية لهذا العام في وظيفة الكومارخوس نعلمك ونقدم إليك تقريراً على مسئوليتنا بخصوص اختيار من نرشحهم لشغل وظيفة الكومارخوس للعام الخامس عشر، وسوف تدرج أسمائهم أسفل وهم من ذوي الأملاك ويتمتعون بالصدق والأمانة وقد قبلوا بالقيام بأعباء هذه الوظيفة (٦). وتفيد إشارة أخرى إلى تعيين الكومارخوس من قبل حاكم الباجوس ترجع إلى عام ٣٥٠ م، في وثيقة من هرميوبوليس نقرأ منها " إلى أوريليوس ديوكليس حاكم الباجوس الثاني عشر بالإقليم من أوريليوس بيسيس *Aurelius Pusios* وأوريليوس باسوتيس *Aurelius pasotes* والإثنان كومارخوي قرية أبيون *Apion* في الجزء الأعلى من الباجوس الذي هو تحت سلطتك، نخبرك ونعلمك بأسماء الأفراد الذين سوف يتولوا الوظائف الإلزامية للعام القادم ومنهم ديمتريوس بن بينوتينوس *Demetrius pinoutions* لوظيفة الكومارخوس " (٧).

وهكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق: أن الاستراتيجية (حاكم الإقليم) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس وذلك بعد ترشيح من قبل كومارخوس القرية القائم بالعمل، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدثت التغييرات الإدارية التي شهدتها مصر، وجدنا أن حاكم الباجوس (المركز) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس، وبند ذلك على أن الهدف من هذه التغييرات الإدارية، هو تقليص المركزية في النظام الإداري واعطاء حاكم الباجوس سلطات أكبر مما كانت عليه من قبل .

وفي الغالب الأعم كان منصب الكومارخوس يتولاه إثنان من الموظفين داخل كل قرية (٨)، أما في بعض الحالات النادرة فكان يتم تعيين موظف واحد لهذه الوظيفة، حيث أشارت إحدى الوثائق من إقليم هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م (P.Oxy,xvii,No.3178) إلى تعيين موظف واحد لوظيفة الكومارخوس، بينما أكدت وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نفس

الفترة تقريباً وبالتحديد في عام ٢٤٧م وجود اثنين من الكومارخوس يحكمان قرية نيمسيس Nesmimis بأوكسيرنخوس وهما : أوريليوس ديونيسيوس Aurelius Dionsios وديونيسيوس بن ديونيسيوس Dionysios Dionysio، ومن ثم فمن المحتمل أن يكون زميله في الوظيفة لم يكن أنهى مدة خدمته^(٩).

ومن الجدير بالذكر أن هناك بردية أشارت إلى تعيين ثلاثة أفراد في وظيفة الكومارخوس بقرية ميرميرثا بأوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣٤٦م نقرأ منها " أنه في السابع والعشرين من شهر توت تم إرسال رسالة إلى أوريليوس سارابامون بن أبولوجيوس Aurelius Sarapmon Aulogios حاكم الباجوس الأول بإقليم أوكسيرنخوس كل من أوريليوس حورس بن هوريون Aurelius Horos Hrion وباتيخوتيس بن حورس وبظلميوس بن هرمياس، والثلاثة من قرية ميرميرثا وكومارخوي القرية^(١٠).

بل يمكن القول أيضاً بأن هناك أربعة أفراد قد تولوا منصب الكومارخوس لقرية فيلادلفيا لعام ٣٤٧م وهم : " أوريليوس أمونيوس بن أكويسيس Aurelii Amonianos Ekysis و اللونيوس بن ثيوس Allonios thios وتيماجينيس أسيون Timaggenes Asion وأموس بن هاتريس mous Hatres^(١١).

ولعل السبب وراء تولي أكثر من فرد لهذا المنصب، هو كثرة المهام والأعباء المتعلقة بهذه الوظيفة، فكل الأمور المرتبطة بالدولة داخل القرية كانت تسند إلى من يقوم بهذه الوظيفة، ولعل من يمعن النظر في فلسفة النظام الإداري للدولة الرومانية والحكم الروماني في مصر يجد أن هناك سبباً آخر في غاية الأهمية وهو أن الدولة الرومانية كانت تخشى أن ينفرد شخص واحد بإدارة هذه الحلقة الهامة والرئيسية داخل النظام الإداري، ويؤكد ذلك أن كل قرارات موظفي الكومارخوي كانت يجب أن تتم بالإجماع ولا يحق لفرد واحد من بين المعيّنين بهذه الوظيفة أن يقوم بإصدار القرارات منفرداً.

وكان تعيين الكومارخوس يتم في معظم الأقاليم في شهر مسرى Mesori (أغسطس) قبل بداية شهر توت thoth (سبتمبر) بداية العام الجديد وفيما يلي عرض لبعض الوثائق التي توضح ذلك .

الوثيقة	التاريخ	اسم الموظف	المكان
p.Oxy. 2714	٢٩ أغسطس ٢٥٦م	أوريليوس اجونيس أوريليوس ياتاوريس	أوكسيرنخوس
P.Oxy. 3178.	أغسطس ٢٤٨م	باكوس بن فيليب	هيراكليوبوليس
p.cairo-Isid, 125	١٦ أغسطس ٣٠٨م	(زيدورس بن بظلميوس	كراليس (أرسنوي)
P.Got, 5	١٩ أغسطس ٣١٨م		
p.S.B.vi, 9544	٢٤ أغسطس ٣٢١م	باتيوليوس	
P.sakon52	١٩ أغسطس ٣٢٦م	بينيس بن ساكون	ثيادلفيا

مدة حكم الكومارخوس :

فيما يتعلق بمدة شغل الكومارخوس للوظيفة، في المعتاد كانت تستمر لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد شغلوا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة وفيما يلي عرض لبعض الوثائق :-

** كومارخية قرية فيلادلفيا :

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
أخو ساكون	بايسيس ساتابوس	يوليو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
ابن عم ساكون	أورينيوس ميلاس	يوليو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
	ساكون ساتابوس	٣٠٧/٣٠٦ م	P. Sakon, 13.
	ساكون	٣٠١٢/٣٠١١ م	P. Sakon, 18.
	ساكون	٣٢٢٤/٣٢٣ م	P. Sakon, 51.
ميلاس بن عم ساكون	أوج بن ميلاس	٣٢٢٤/٣٢٣ م	P. Sakon, 51.
	ساكون	٣٢٥/٣٢٤	P. Sakon, 23, 24.
بن ساكون	بينيس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
ميلاس بن عم ساكون	زيثوس بن ميلاس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
بن ساكون	انطونيوس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ميلاس	كونياس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ساكون	بنياس	٣٢٨/٣٢٧	P. Sakon, 25.
بن ساكون	بنياس	نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع	P. Sakon, 29.

** كومارخية قرية فيلادلفيا :

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
بن بكوسيس pekysis	أوريليوس أمونيوس	٣٧٢ م	P. Gen, 70.
بن بكوسيس	أوريليوس أمونيوس	مايو ٣٧٤ م	P. Gen, 66.
بن بكوسيس	أوريليوس أمونيوس	٣٨٢ م	P. Gen, 67.
بن بكوسيس	أوريليوس أنيانوس	٣٨٦ م	P. Gen, 69.

** كوماخية قرية كرانيس :

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
	اوريليوس ازيدورس مرايون وايونيوس سينوس	م٣٠٧ / م٣٠٨	p.Cairo-Isid.125
	اوريليوس ازيدورس بن بالنيوس واوريليوس دولوس	م٣١٤	p.Cairo-Isid.54.
	اوريليوس ارسنون واوريليوس جيرمانوس	م٣١٥	p.Cairo-Isid.57.

** اشارات متفرقة :

المكان	الاسم	التاريخ	المصدر
قرية نيسيميس باوكسيرنخوس	اوريليوس ديونيسيوس وميونيوس بن ديونيسيوس	م٢٤٧	p.oxy,2123
قرية بوتو بمفيس	اوريليوس مرايون واوريليوس ارميدوس	م٣١٤	p.Cairo-Isid.128
قرية سيفو بالاجوس المابع باوكسيرنخوس	ايدايمون بن هيراكس وحستينوس بن بطلميوس	م٣٤١	p.oxy,3774.
قرية ميرمرته بالاجوس الاول باوكسيرنخوس	اوريليوس حورس باتيختوتيس بن حورس بطلميوس بن هرمياس	م٣٤٦	p.oxy,4128.
قرية كيسموخيس بالاجوس الثامن باوكسيرنخوس	اوريليوس باوسيريوس اوريليوس هوريون	م٣٥٠	p.oxy,2232.
قرية ابيون بالاجوس الثاني عشر بهرموبوليس	اوريليوس بيسيس اوريليوس باسوتيس	م٣٥٠	p. Amh, 139.

ومن خلال النظر في هذه الإشارات يتضح لنا أن الكومارخوس كان يشغل هذا المنصب في الغالب لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد قد شغلوا هذا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة، ففي قرية فيلادلفيا في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، نجد أن أوريليوس أمونيوس كان كومارخوس في عام ٣٧٢م، ٣٧٤م، و٣٨٢م فضلاً عن أن أخاه أوريليوس أنيانوس قد تولى ذات المنصب في عام ٣٨٦م.

و في قرية ثيادلفيا نجد أن أفراد عائلة أوريليوس ساكون قد شغلوا منصب الكومارخية في القرية في الفترات ٢٩٨/٢٩٩م، ٣٠٦/٣٠٧م، ٣١١/٣١٢م، ٣٢٤م، ٣٢٥م، ٣٢٦/٣٢٧م، ٣٢٨/٣٢٧م. فضلاً على أن ساكون شغل المنصب لغترتين متتاليتين ٣٢٣/٣٢٤م، ٣٢٤/٣٢٥م، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل ربما على اكتساب بعض موظفي الكومارخوس ثقة حاكم الباجوس مما يؤهله للاستمرار في أداء مهام وظيفة الكومارخية لأكثر من عام.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هناك أشارت إلى أن بعض موظفي الكومارخوس قد عقدوا اتفاقيات فيما بينهم، وذلك لتحديد الأفراد الذين سوف يخلفوهم في القيام بمهام هذه الوظيفة، فهناك وثيقة من قرية فيلادلفيا ترجع إلى عام ٣٨٧م أتفق فيها كل من أوريليوس هول Aureli Hol كومارخوس القرية للعام الثالث من حكم دقلديانوس والثاني من حكم ماكسيميانوس مع كورنوليس Corenelius الكومارخوس لنفس القرية، على أن يتم تعيين الأخير في وظيفة الكومارخوس للعام القادم ومع انتهاء مدة خدمته، يقوم كورنوليس بتعيين ديوسكوروس Dioscorus أخو هول في نفس الوظيفة للعام الذي يليه، وفي حالة نقض أي من الطرفين للاتفاق سوف يقوم بدفع غرامة قدرها ٢٠٠٠ دراهمة فضية العام الثالث من حكم دقلديانوس والثاني من حكم ماكسيميانوس (٢). وتكررت نفس الحالة في وثيقة من قرية ثيادلفيا، حيث أتفق كل من بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي القرية لعام ٣٢٥/٣٢٦ على أن يتولى الوظيفة للعام القادم كل من أطلونيوس بن ساكون وكونياس بن ميلاس (٣). وفي وثيقة ثالثة من أوكسبرنخوس ترجع إلى عام ٢٥٦م قام باتلوريوس بن سارس كومارخوس قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، بترشيح أخوه تاليميهوس Talemaehus بن سارس عن العام الرابع لوظيفة الكومارخوس (٤).

ولعل السبب وراء ذلك كان يتمثل في أن الأفراد الذين كانوا يشغلون منصب الكومارخوس، كانوا يمثلون إلى إسناد الوظيفة للمقربين منهم حيث إن ذلك المنصب كان يعطي شعوراً بالمرودة والفخر، فكل الأعمال داخل القرية كانت تدور من حول هذا الموظف، فهو المسئول عن جمع الضرائب والديون وتأجير أراضي الدولة للأفراد والتعاون مع الشرطة في القبض على الخارجين عن القانون، ويؤكد ذلك أنه على الرغم من أن كثيراً من البرديات أشارت إلى تضائل شعبية الوظائف الإلزامية في مصر في القرن الرابع الميلادي ورغبة الكثير من الموظفين في التخلي عنها بالهروب أو الإبدال، إلا أننا لا نجد مثلاً واحداً لكومارخوس يحاول الهروب من تقلد مهام وظيفته، بل على العكس نجدها مصدراً لكسب المال وإن كانت بطرق غير مشروعة (٥).

مهام ومسئوليات الكومارخوس (عمدة القرية)

تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس، حيث اشتملت على تسيير كل الأعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأشخاص الذين سوف تمسند إليهم الوظائف والأعمال الإلزامية وجمع الضرائب عن القرية بالإضافة إلى سلطات شرطية. وخلال الصفحات التالية سوف نتناول تلك المهام والمسئوليات بشئ من التفصيل وذلك على النحو التالي:

١- المهام المتعلقة بترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الإلزامية:

كان الكومارخوس يرفع قائمة بأسماء الأفراد والمرشحين للقيام بالوظائف والأعمال الإلزامية إلى الأستراتيجوس وذلك منذ بداية ظهور وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي، ومع بداية القرن الرابع الميلادي وحدثت تغييرات إدارية أصبح الكومارخوس يرفع تلك القائمة إلى حاكم الباجوس من أجل التصديق عليها واعتمادها. ونقرأ أولى الوثائق الدالة على ذلك، وثيقة من أوكسيريخوس ترجع إلى عام ٢٤٧/٢٤٨م بخصوص تعيين إثنين من المساعدين لم يتم تحديد المهام التي سوف يقومون بها " إلى أوريليوس فيلوكسينيس أستراتيجوس مدينة أوكسيريخوس من أوريليوس ديونيسيوس الأصغر بن خيراس وديونيسيوس بن ديونيسيوس والإثنان كومارخوي قرية نيمسيس وكاتباً هذه الوثيقة حيث يطلبان تعيين هذين المساعدين خلال العام القادم وهو العام الخامس من حكم فيليب وهذان المساعدان هما: أوريليوس ثيوداس بن هاتريس و....." (٦١).

كما توجد وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٢٥٦م بخصوص ترشيح أفراد في وظائف مختلفة داخل القرية بواسطة الكومارخوس نقرأ منها: " إلى أوريليوس سابينوس Aurelius Sabinos أستراتيجوس إقليم أوكسيريخوس من أوريليوس باجونيس بن Aurelius Pagonis وأوريليوس باتاوريس بن سارس Aurelius Patauris Saras والإثنان كومارخوي قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، نقدم قائمة بأسماء المرشحين لتولي المهام الإلزامية عن العام الرابع من سكان القرية وهم تالميهوس Talemaeheus بن سارس Saras وأمه تسمى هيليني Helene و باتوس Patos بن هيراكليوس Hracleus لوظيفة الكومارخوي وياتارخس Patarchs بن بيكسيس Pekysis لوظيفة الأمن وكاستور castor بن تليماخوس Telemachus لوظيفة حراسة الحقول ويلوتيون بن ديوجاس وأمونيوس بن بيكسيس Pekysis Ammonios وياونتوس بن فالون Papontos phalon لوظيفة حراسة الحنطة المدروسة (٦٧).

وهناك وثيقة من أوكسيريخوس ترجع إلى عام ٣١٦م، نقرأ منها: " إلى أوريليوس هيراس بن ديونيسيوس حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس باتيوس بن منخيس التيسراربيوس وأوريليوس باوسيريس بن فلافيوس وأوريليوس هوريون والإثنان كومارخوي قرية كيسموخيس بالباجوس، نرشح للقيام بوظيفة جامعي اللحوم والقش أشخاصاً مناسبين للقيام بهذه المهمة وهما: أوريليوس ثونيس لجمع اللحوم وأوريليوس باتثيوسين أمونيوس لجمع القش (٦٨).

وكان الكومارخوس مسئولاً عن ترشيح موظف التيسرارايوس حيث يتضح ذلك من وثيقة ترجع إلى عام ٣٢٢م، وهي عبارة عن خطاب موجه إلى حاكم الباجوس الثاني بإقليم من أوريليوس بنوينتيريس Aurelius Pneponteris وأوريليوس بسرنينوثيس Aurelius Pserpnouthes الكومارخوي، حيث نرشح لمنصب التيسرارايوس بسرنينوثيس بن سربايون Pserpnouthes Sarapion في الفترة ما بين شهر قامينوث phamenoth إلى شهر ثوت thot من العام الجاري (٩٠).

وكان ترشيح المسئولون والأبتيائي داخل القرية من اختصاص الكومارخوس، حيث يتضح ذلك في وثيقة من قرية ثيانفيا ترجع إلى عام ٣٤٢م، نقرأ منها: إلى فيلاتاس Philatos حاكم الباجوس الثامن من ساكون بن ساتابوس Sakaon Satabus ورفيقي أوج بن ميلاس Aoug melas والإثنان كومارخوي قرية ثيانفيا، نرفع إليك تقريراً على مسئوليتنا المشتركة بالأفراد المرشحين لتولي منصب المسئولون والأبتيائي بالقرية للعام الثاني عشر واختيارهم على مسئوليتنا المشتركة. وأسماءهم مدرجة أسفل و قد قبلوا القيام بمهام هاتين الوظائفين بكل صدق وأمانة وفقاً لما هو متعارف عليه (٩٠).

ويتضح لنا من خلال العرض السابق أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت ضمن اختصاصات موظف الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها وذلك من خلال اختيار الأفراد ورفع أسمائهم كمرشحين إلى رؤسائه .
٢- المهام المتعلقة بجمع الضرائب عن القرية.

كان من بين المهام والمسئوليات المنوط بها الكومارخوس الالتزام بجمع الضرائب المقررة على القرية، وهذا ما بدا واضحاً في بعض الوثائق البردية، فهناك وثيقة ترجع إلى عام ٣١٥م، هي عبارة عن إيصال يفيد استلام أوريليوس كنثوس قائد المركب واحد وعشرين ونصف أرب من الشعير من أورينيوس أرسستون و أوريليوس جبرماتوس كومارخوي قرية كرائيس (١٠). كما توجد وثيقة أخرى من نفس القرية ترجع إلى عام ٣١٥م تفيد بأن أرسستون وجبرماتوس الكومارخوي قد قاما بتسليم كميات من الخشب للجنود من أجل إيقاد النار وتهيئة الطعام وهي الحصة المقررة على القرية (٢٠).

كما كان الكومارخوس مسئولاً عن توفير الاحتياجات الضرورية للأفراد العاملين بالجهاز الإداري للدولة، وهو ما بدا واضحاً في وثيقة من أوكسيرينخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، هي عبارة عن خطاب موجه من الاستراتيجوس إلى كومارخوس قرية ثيرسيس يأمره فيه بتجهيز حمارين وحارس للشخص الذي سوف يسلمه الخطاب (٢٣).
من خلال العرض السابق يتبين للباحث أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت من بين مهام ومسئوليات الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها، وذلك من خلال إعداد قائمة بالأسماء المرشحة لكل وظيفة ومهمة إلزامية، ثم رفع تلك القائمة إلى رؤسائه.

٣- المهام والمسئوليات الشرطية للكومارخوس:

تعددت المهام والمسئوليات الشرطية التي كانت تعتمد إلى الكومارخوس في العصر الروماني في مصر، وكان من أبرز تلك المهام ضبط الأفراد الخارجين عن القانون، وهو ما ظهر واضحاً وجلياً في وثيقة من أوكسبرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، وهي عبارة عن أمر ضبط موجه من رئيس المجلس التشريعي إلى الكومارخوس بحق رجل يعمل في وظيفة *nomophlaki* (وظيفة شرطية) (٢٤).

ولقد اتسعت سلطات الكومارخوس لتشمل بالإضافة إلى القبض على الأفراد الخارجين على القانون داخل القرية القبض على الأفراد الفارين من القرية إلى قرى أخرى هرباً من الأعباء الإلزامية، ففي وثيقة من منف ترجع إلى عام ٣١٤ م هي عبارة عن تقرير مرفوع من موظفي إحدى القرى إلى موظفي قرية أخرى جاء فيه: "من أوريليوس باكيمنينوس *Pacimnenous* التيسراريوس وأوريليوس سراييون وأوريليوس أرتميدوس *Artemidous* بن باموثيس *Pamuthis*. والإثنان كومارخوي وأوريليوس ناروس *Naraous* مدير مكتب الشرطة والجميع من قرية بوتو *Buto* في إقليم ممفيس إلى أوريليوس إزيدورس التيسراريوس لقرية كرانيس نرسل إليك قائمة بأسماء الأشخاص الذين فروا من قريتنا إلى قريتك، حيث نعلمك بهم لكي تسلمونا إياهم، علماً بأننا لا يمكننا أن نوجه أية اتهامات ضدكم أو ضد قريتك (٢٥).

بعض التجاوزات القانونية الكومارخوس

اتسم سلوك و أداء معظم من شغل منصب الكومارخوس في العصر الروماني بالاستقامة، غير أن الصورة لم تكن دائماً ناصعة البياض، حيث ظهر بعض الانحراف والتجاوزات في سلوك بعض هؤلاء الكومارخوي و يتضح ذلك من خلال ثلاث وثائق وردت في أرشيف أوريليوس إزيدورس رقم 71، 72، 73. والوثيقة الأولى والثانية كانتا عبارة عن مذكرات للوثيقة الثالثة التي تضمنت التماساً تم رفعه إلى والي مصر ضد كل من كومارخوس قرية كرانيس لعام ٣١٤ م وحاكم الباجوس التابعة له القرية ولقد ورد في هذا الإلتماس الأول تقدير الضرائب المفروضة على قرية كرانيس في كومارخية إزيدورس بن بيلنيوس *Isidorus Pelneius* وبياتها كالتالي:

- التقدير الأول ١٠٥ تالنتا.

- التقدير الثاني ٤٠ تالنتا.

- التقدير الثالث ٢٣ تالنتا.

- التقدير الرابع ٧ إرباً من القمح.

- التقدير الخامس ٤٦ تالنتا و ٤٠٠ دراخمة

- التقدير السادس ٣ إرباً *chick peas* و ٢ إرباً فاصوليا و ٢ إرباً من الثوم.

وأشار مقدما الإلتماس أن الكومارخوس قام بفرض هذه الضرائب كما يحلو له ووفقاً لهواه، وذلك دون الرجوع إلى التيسراريوس والكودراي أو الإستفسار منها، وذلك بالتواطؤ مع

حاكم الباجوس، ولم يبد كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس أي اهتمام بحدود سلطاتهم الشرعية والقانونية (٦٦).

كما تضمنت الوثيقة الثانية بعض تجاوزات الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث نقرأ فيها: "لقد قامت القرية بشراء حمارين بمبلغ ٤٠ تالنتا فضية، وتم إرسال هذين الحمارين إلى الإسكندرية للقيام ببعض المهام، وعند عودتهما من الإسكندرية قام حاكم الباجوس ببيع أحدهما لحسابه الخاص بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم استخدم الحمار الآخر في حمل الفاصوليا إلى مسكنه الخاص وذلك بالتواطؤ مع الكومارخوس، وكان ممتلكات القرية وحيواناتها ملكاً خالصاً له دون منازع (٦٧).

أما الوثيقة الثالثة فنقرأ فيها التماساً تم رفعه إلى والي مصر جولياتوس جولياتوس من كل من: إزيدورس التيسراريوس لقرية كراتيس وباليمن الكودري لنفس القرية، يوضحان فيه أن الفلاحين الضعفاء يعانون الكثير على يد كل من: حاكم الباجوس ثيودورس والكومارخوس، فهما يلعبان دور الطاغية، فالكومارخوس بالتواطؤ مع حاكم الباجوس يفعل في القرية مايلحوله فهناك مبالغ كبيرة تم تقديرها بشكل غير قانوني كضرائب تجاوزت ٣٠٠ تالنتا، ولا نعلم أين ذهبت هذه المبالغ، والأثكي من ذلك أنه استولى على حانب من اموال القرية والتي تتمثل في: ثمن جلود بعض الحيوانات ومبلغ ست وخمسون تالنتا هي حصينة بيع جمل وحصان وقارض عشرة إريب من الأرض المنتجة قد اخذها لحسابه الخاص، ثم قام بتخصيص إتاوتين (الإتان هي أنثى الحمار) لصالح منزله كان قد اشتراها باريين تالنتا فضية ثم قام ببيع واحدة منهما دون إبداء الأسباب بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم قام بسرقة ثلاثين خروفاً أيضاً و٤٧ تالنتا فضية والأكثر من ذلك أنه استخدم الحمير المملوكة لقرية بشكل غير قانوني في نقل الفاصوليا إلى منزله، ونحن نأمل بأن تأتي إلى المقاطعة من أجل مواجهة طغيان كل من حاكم الباجوس والكومارخوس " (٦٨). ونرى هنا أن التيسراريوس والكودري قد قاما برفع الالتماس إلى والي مصر مباشرة وتجاوزا حاكم الإقليم، مما يوضح حجم التجاوزات التي تمت من قبل كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث أنهما يطلبان في هذا التقرير من والي مصر الحضور إلى المنطقة لمواجهة هذين الموظفين الفاسدين.

وفي وثيقة رابعة من قرية منديس ترجع إلى الفترة من ٢٤٥ : ٣٠٢ م، هي عبارة عن التماس موجه إلى أورينيوس سرابيون وأبولونيوس أكسجيتيس Exegetes المدينة حيث تضمن هذا الالتماس شكوى ضد كومارخوس القرية وذلك لطلبه رشوة من أجل تسهيل نقل ميراث إلى أصحابه (٦٩).

وهناك وثيقة أخرى ترجع إلى القرن الرابع الميلادي هي عبارة عن أمر ضبط من الاستراتيجوس إلى مسئول الأمن و الموظف العام Demosios يطلب فيه منهما أنه عندما يصلهما هذا الخطاب فعليهما أن يقوما على الفور بإرسال جامع ضريبة الأثونا عن العام الرابع ومعه الإيصالات الخاصة بجمع ضريبة القش وحسابات الإيصالات الخاصة بالشعير كما أن عليهما أن يرسلوا معه أيضاً خايريمون الكومارخوس السابق (٧٠).

وليس بالضرورة أن نفهم من هذه الإشارات أن هناك تجاوزات وانحرافات متعددة لموظفي الكومارخية، وخاصة أن كل الأمور داخل القرية كانت تتم أمام عينيه وبمعرفة، وربما يرجع السبب وراء قلة إنحرافات وتجاوزات الكومارخوس إلى قصر مدة حكمه، وهذا ما كانت تنشده الدولة الرومانية في مصر، وبالتالي لم تكن لديه فرصة للقيام بأية الاعيب، كما أن قضية استقامة الحكم وشفافيته في القرى المصرية إنما هي مسئولية مشتركة بين كافة الموظفين مما دفعهم إلى مراقبة بعضهم البعض .

وفي نفس الوقت كان يتعرض موظف الكومارخوس للعنف والأهانة من بعض الأفراد المتملصين من تأدية الأعمال الألزامية، وهذا يبدو واضحاً في وثيقة من قرية كنليس ترجع إلى عام ٣٥٣م عبارة عن التماس موجه إلى فلافيوس فاوستيانوس حاكم إقليم طيبة من أوريليوس جينا بن أونسيوس كومارخوس قرية كنليس التابعة لإقليم موط، يشكو فيها من تعرضه للأساءة و الأهانة على يد أحد الأفراد الذين تم ترشيحهم للقيام بالأعمال الألزامية ، وذلك بمعاونة عدد من الأفراد داخل القرية (٣١)

ومن خلال العرض السابق يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت في مصر خلال العصر الروماني وبالتحديد في منتصف القرن الثالث الميلادي ، وذلك بعد أن كانت موجودة خلال فترة حكم الملوك البطالمة . وكان الأستراتيجوس هو القائم على تعيين موظف الكومارخوس، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدثت التغيرات الإدارية التي شهدتها مصر وجدنا أن حاكم الباجوس هو القائم على تعيينه . وفي الغالب الأعم كان يتولى منصب الكومارخوس إثنان من الموظفين داخل كل قرية لمدة عام واحد . وقد تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس داخل القرية ، حيث اشتملت على تسيير كل الاعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية ، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الألزامية وجمع الضرائب بالإضافة إلى بعض المهام الشرطية .

الهوامش

- (1) P. Oxy , xvii , No.2123.

Αυρηλιω Φιλοξενω στρατηγος Οξιυρυγχιτου
 παρα Αυρηλιων Διονσιου νεωτερου χαιρα
 τος μητρος ταφιλωνος και Διονυσιος
 Διονυσιου μητρος Θαησιος αμφοτεροι κωμαρχων κωμης
 Νεσμειμεως

- (2) P. S.B , vi , No.9408,9 .

ترجع أول إشارة إلى وظيفة الكومارخوس في العصر البطلمي إلى عام ٢٦٢ ق.م.
 (P.petrie, iii, 89.399) واستمرت الإشارة إليه حتى عام ١١٢ ق.م (P.Tebt , 159)
 ومن الإشارات التي وردت في القرن السادس أنظر : (P.Oxy.no.1835 نهاية القرن الخامس
 م وبداية القرن السادس. م) ، (P.Oxy .no 1930 القرن السادس م).

- (3) Thomas , the introduction of the dekaprotai and comarchos,
 Z.P.E.,19 1975, pp. 114- 115.

للمزيد عن موظف كاتب القرية في مصر في العصر الروماني أنظر رجب سلامة: كاتب القرية في
 مصر في العصر الروماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٩٧، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

- (4) P. Oxy , xvii , No.3178.

Κορνηλι.....καιΠρόληςστρατηγος Ηρακλεοπολειτου Αυρηλιου.....νου
 Αρμυσιος απο επικιου ερημου. .. κωμαρχου του αυτου εποικιου

- (P.Flor,1.2.265 A D (هرموبوليس) - (P.Goth,5 . 318 A.D) -
 (P.S.B.9544.322A.Dباتويوليس)

- (5) P.cairo- Isid , 125 .

Αυρηλιω Ηρακλεδη πραιοσιτω ε παγου παρα Αυρηλιων Ισιδωρου
 Σαραπιωνος και Αιωνεως Συριωνος αμφοτερων κωμαρχων κωμης
 καρανιδος διδωμεν και εισαγγελλωμεν τω ιδιω ημων κινδυνω τους
 εξης ενγεγραμμενους κωμαρχας του εισιοντος ις ετους

كان موظف الديويقتيس هو المسئول الأول عن تعيين العدد في العصر البطلمي .
 حنان محمد اسماعيل : النظام الإداري في القرية المصرية في عصر البطالمة ، رسالة ماجستير
 غير منشورة ، ٢٠٠٥ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ص ١٢٧ .

- (6) P.Sakon , No.52.

- (7) P. Amh, No. 139.

(8) P. Amh, 139 & P. Oxy, 2232.

(9) P. Oxy, xvii, No.2123.

(10)P. Oxy , xvii , No. 4128.

Αύρηλίου Σαραπάμωνα Εὐλογίου πραιποσίτου α πάγου>
νομοῦ Ὁξυρυγχίτου παρα Αύρηλίων Ωορου Ὠρίωνος
καὶ Πανεχώτου Ωορου και Πτολεμαίου Ερμου των τριων απο
κωμης Μερμέρθων α παγου του αυτου νομου γενογομενων
κωμάρχων

(11)P. Gen, 66.

Αυρηλίου Αμωνιανος Εκυσις και Αλωνίου Τ...η θίου και
Τιμαγενοῦ Ασιωνος και Αμουν Ατρη αμφοτεροι κωμαρχαι της
κωμης Φιλαδελφιας

(12)D.Delia- E.Haley , op cit, p 44-45.

(13)P. Sakon,52.

(14)P. Oxy, 2714 .

(15)P.Cairo- Isid, 71 ,72,73 .

D.Delia- E.Haley / op.cit, pl 43.

(16)P. Oxy,No. 2123.

تمثلت مهام الكومارخوس في العصر البطلمي في أربعة أمور وهي العناية بأمور الزراعة والعناية
بالمسود والفتوات وقيامه بتوزيع البذور ومهام تتصل بالأمن العام .
حنان اسماعيل: المرجع السابق ص ١٣٨ .

(17)P. Oxy, 2714 .

(18)P. Oxy, 2232.

παρα Αυρηλίων Πατερεως Μενχητος θεσελαριου και Ωριων
Μενχητος αμφοτερων κωμαρχων της αυτης κωμης κεσμουχεως του
υπο σε παγου διδομεν τω ιδιω ημων κινδυνω προς απετησιν κρεως
και αχυρου

(19)P.gothenurg , 6.

Πραιποσίτου β παγου παρα και Ψηρπνοθου κωμαρχων Νησου απο
.....Αυρηλίου Πνεποντηριος
ηνεσαγγελλομεν και
ο αναδιδ.μενεις τεσσλριον Αυρηλιον ψενπνουθου Σαραπιωνος του νομ..α

μηνος φαμενωθ εως θωθ

(20)P. .Sakon , No.52.

Αυρηλιος χαιρημον πραιποσιτου θ παγου παρα Αυρηλιων πεννιτος
Σακαωνος και Ζωιλου Μελανος αμφοτερων κωμαρχων και
Θεδελφιας

(21)P.Cairo- Isid, , No.57.

(22)P.Cairo- Isid, , No.56.

(23)P. Oxy, 2577 .

(24)P. Oxy,3190.

(25)P.Cairo- Isid, , No.128.

تمتع الكومارخو من في العصر البطلمي بسلطات قضائية وأمنية واسعة ، فكان لديه السلطة
الكافية للقبض والحبس وأجراء تجريات وتحقيقات رسمية تحت اشراف الأيبيستائيس وكانت تقدم
للكومارخوس تقارير مفصلة عن حوادث السرقة وأسماء الممتنبة فيهم
حنان اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(26)P.Cairo- Isid, , No.71.

Πυνθανοται διοτι συνδυαζοσιον μετα του πραιποσιτου

(27)P.Cairo- Isid, , No.72.

(28)P.Cairo- Isid, , No.73.

Ιουλιω ουλιανω διασημοτατω Επαρχων Αεγυπτου παρα Αυρηλιων
σιδωρου πτολεμαιου θεσσαλαριου και παλημονος τβερινου
κουαδραριου αμφοτερων απο κωμης καρανιδος του Αρσιοιτου
νομου ημεις ελαττωναις αγοροικοι τα δινα παρσχομεν υπο τε του
πραιποσιτου του παγου θεδωρου και των κωμαρχων

(29)P. p.s.i, 4, No.303.

(30)P.Turner, 46.

(31)P. kellis , I , No. 23.

الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرها الجاهلي والإسلامي

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي (*)

مقدمة

السوق معروف، وهو بحسب تعريف ابن منظور: موضع البياعات، وفيه يتعامل، والجمع أسواق^(١)، ويعرفه جواد علي بأنه: "المحل الذي يتسوق منه. وهي إما ثابتة مع أيام السنة، يبيع فيها الباعة، ويقصدها المشترون للشراء، وإما موسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا انتهى الموسم رفعت"^(٢). وفي التنزيل: ﴿إلا إنهم لياكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾^(٣)، وفيه: ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾^(٤).

والسوق يذكر ويؤنث، يقول الشاعر في تذكير السوق:

ألم يعظ الفريان ماصار لمتني يسوق كثير رنخه وأعاصره^(٥)

ويقول آخر في التأنيث:

إنني إذا لم يُنَدِ حنقاً رنخة فرغد السبب فقامت سؤفة^(٦)

والسوق لغة فيه، وتسوق القوم: إذا باعوا واشتروا. وفي حديث الجمعة إذا جاءت سوقة أي تجارة، وهي تصغير السوق، سميت بها، لأن التجارة تجلب إليها وتساق نحوها^(٧). وللأسواق أوجه أخرى غير التجارة والبيع والشراء، سنأتي إلى ذكرها بعد بقدرة ما هو متاح من المعلومات التي وصلت إلى أيدينا.

والأسواق معروفة، ومنتشرة في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، وحتى عصر الناس هذا، وهي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أسواق وغدبة أي أسبوعية؛ وهي التي تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع تسمى باسمه، فيقال: سوق السبت، وسوق الأحد، وسوق الاثنين، وهكذا إلى آخر أيام الأسبوع، وهذه منتشرة في مختلف القرى والأرياف، وبعض المدن، وكل أن يخلو قطر من أقطار الجزيرة العربية منها قديماً وحديثاً.

النوع الثاني: الأسواق اليومية؛ وهذه معروفة ومرتبطة بالمدن خاصة، ومن أشهرها سوق أو أسواق مكة المكرمة، وسوق المدينة المنورة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم موضعها بنفسه، بجوار المسجد النبوي الشريف، ثم قال: "هذا سوقكم لا يضرب عليه خراج"^(٨).

(*) عضو مجلس الشورى السعودي.

النوع الثالث: الأسواق الموسمية: وهذه كانت تعقد مرة في السنة، ولها مواسم محددة لاتتعداها، أو تقصر دونها، ولا يقتصر نشاطها على يوم واحد أو يومين، وإنما تقام في عدد متصل من الأيام، تصل مدد بعضها إلى ٢٠ يوماً، وهي معروفة ومشهورة في تاريخ العرب وآدابهم باسم أسواق العرب، وتعود في نشاطها إلى العصر الجاهلي، ثم استمرت في الازدهار في العصور الإسلامية المبكرة، وبعضها ظل عامراً إلى العصر العباسي كما سيأتي. وهي كثيرة ومنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها، إلا أن الذي يعنينا منها، في هذه الورقة المتواضعة، هي تلك التي كانت تقع في البقعة المشمولة اليوم بمسمى منطقة مكة المكرمة. وهي: سوق عكاظ، وسوق مجنة، وسوق ذي المجاز، وسوق خباشة: فالأول وهو سوق عكاظ، غني عن الذكر، فهو من الشهرة والاهتمام به بحيث لم تعد هناك حاجة إلى التعريف به زماناً ومكاناً، في وقتنا الحاضر، فموقع السوق معروف ولم يعد مجهولاً، وعليه منشآت ومعالم وبنية تحتية واضحة وشاخصة للعيان، ومهرجانه السنوي الذي يكبر ويتسع كل عام، ومايصاحبه من فعاليات ومناشط: ثقافية وتراثية واقتصادية ليست بخافية على القارئ الكريم. وهو - دون شك - مقبل على مرحلة تطويرية وتوسعية ستجعله إن شاء الله، واحداً من أهم الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن أهميته بوصفه مكاناً تقام على أرضه أهم المناسبات الثقافية والتراثية والمناشط الاقتصادية الأخرى، في محافظة الطائف. وفي ذلك كله مايفني عن التعريف بمكان السوق وزمانه، وإن كان من المفيد أن نشير إلى أن الأراء تجمع على: أن زمن انعقاد السوق كان في العدة الواقعة من الأول من شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وأنه استمر في البقاء والازدهار حوالي قرنين ونصف القرن^(١).

أما الأسواق الثلاثة الباقية فلا بأس من التعريف بها وبموقعها، وبالمدد التي ينعقد فيها كل منها، وغير ذلك من المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع التي وصلت إلى أيدينا، وذلك على النحو الآتي:

سوق مجنة

لعل أول هذه الأسواق بعد عكاظ، من حيث التسلسل التاريخي أو الزمني لأيام انعقادها، هو سوق مجنة، وهو أحد الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، ويقع على بعد عدة أميال إلى الشمال من مكة المكرمة في مر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة، وهو مشتق من الفعل جنن الذي من معانيه: كثرة المياه والبساتين ذات الأشجار المثمرة من نخيل وأغاب ونحوها، ومنه الجنة^(١)، أي أن تسمية السوق بهذا الاسم (سوق مجنة) له نصيب من طبيعة الموضع الذي كان يقام فيه، وهو أخصب بقعة في وادي فاطمة المعروف بخصبه، وكثرة مياهه، وأشجاره المثمرة، وبساتينه النضرة، وهو الذي داعبت ذكراه الجميلة مخيلة الصحابي الجليل بلال بن رباح، رضي الله عنه، بعد هجرته إلى المدينة، حيث نسب إليه هذان البيتان^(١):

ألا ليت شِعري هل أبيتُ ليلةً بفتح وحسولي إنْ خسرَ وجنيتُ

وهل أردن يوماً مائة مجنّة

وهل ينذون نسي شامة وظفّير

ومع شهرة المكان المنسوب إليه هذا السوق، وهو مجنة بمر الظهران، أو وادي فاطمة سابق الذكر، إلا أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين اختلفوا في المسافة بينه وبين مكة المكرمة، فالأزرقى (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) يشير إلى أن "مجنة سوق بأسفل مكة على بريد منها" (١٦).

وعلى نهج الأزرقى، في تحديد المسافة بين مكة ومجنة، يذهب كل من البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) (١٧)، وياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) (١٨).

ولم يشذ عن هؤلاء سوى الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) الذي يناقش موضع مجنة والسوق المنسوب إليها، في كلام منقول عن القاضي عياض يطول إيراده، ويقدّر المسافة بينها وبين مكة المكرمة بنحو ثلاثين ميلاً (١٩)، ثم يستدرك على الأزرقى في تقريره بأن مجنة على بريد من مكة، ويقول في استدراكه: "ولعل الأزرقى أراد أن يكتب أن مجنة على بريد من مكة، فسها عن الياء والنون، فكتب بريد والله أعلم" (٢٠).

ولم تحدد المصادر المتاحة مكاناً بعينه، لموقع انعقاد السوق، على سبيل الدقة واليقين، وإن كانت قد أشارت إلى مسمى المكان، وهو **مر الظهران** سابق الذكر، وإلى جهته وهي إلى الأسفل من مكة، أي إلى الشمال منها على حد تفسير أحد الباحثين المحدثين (٢١)، وبعضها يربط موقعه بمعلم ثابت هو: **الجبيل الأصفر** الذي يشار إلى أن موقع انعقاد السوق كان بالقرب منه (٢٢).

وتبعاً للمسافة والجهة، وبعض العوامل الطبيعية، أجرى أحد الباحثين المحدثين (وهو من أهل مكة أو من أحوازها القريبة منها) دراسة ميدانية لتحديد موقع السوق، وتوصل في دراسته لمكان السوق، وهو الجهة الغربية للجبيل الأصفر، ولعين الماء التي اشتهرت بها مجنة، على حد رأيه (٢٣)، ويعلّل ترشيحه لهذه الجهة بسبب انبساط أرضها وسعتها، ووضوح رؤيتها من جميع الاتجاهات، بالإضافة لوقوعها مباشرة على خط التجارة الرابط بين مكة والشام وكلها [على حد قوله] تساهم في جدية الموقع (٢٤). وقدم وصفاً لطبيعة المكان الجغرافية بقوله: "من الضروري هنا التعرف على الطبيعة الجغرافية للمكان؛ فموقع السوق الذي حددناه مكسو اليوم برمال متجمدة، مع وجود أشجار صحراوية، وكثبان رملية، ويبدو لي أنها من صنع الإنسان.. وعموم المنطقة تظهر بها مبان حجرية لازالت واضحة المعالم، ويحاط الموقع اليوم بمناطق حاضرة السكان من أغلب الجهات، بل لاحظت منازل محاذة موقع السوق مباشرة، وأخشى أن تظمر تحت الامتداد السكاني المتسارع، وباستطاعة أي فرد أن يرى موقع السوق دون غناء، فالصاعد إلى مدينة الطائف - طريق جدة - الجموم - يستطيع أن يشاهد الجبل الأصفر بعد الجموم مباشرة نحو الشرق، حيث السوق المجاورة له. والخريطة توضح المكان بسهولة" (٢٥).

أما زمن انعقاد سوق مجنة فهو في العشر الأخير من شهر ذي القعدة، وتقوم بعد انقضاء الناس من سوق عكاظ في العشرين من الشهر نفسه، حيث يقصدها العرب من عكاظ،

يقضهم وقضيضهم، ليتنموا فيها جميع مقاصدهم من ارتياد تلك الأسواق الموسمية، بما في ذلك ممارسة التجارة والمفاخرات والغداء، وغير ذلك من المناشط التجارية والأدبية التي كانت تمارس في عكاظ^(٢٢)، وليس الخمر أقلها شأنًا، فقد وجد من الأئمة الشعرية ما يفيد بأن الخمر كانت تجلب إلى سوق مجنة، وربما إلى غيره من الأسواق الموسمية من أمكنة صنعها الأصلية من بلاد الشام، وخصوصاً بصرى وعزة، حتى أشاد شعراء ذلك العصر بذكرها، فهاهو شاعر هذيل المعروف أبو نؤيب الهذلي، يقول^(٢٣):

سـلـاـفـة راح ضـلـلـتـها إداوة مـقـرـرة رنق لمـؤـخـرة الرـخـل
تـرـوـذـها من أهـل بـصـرى وعـزة عـلى جـسـرة مـرقـوعة الذـيل والكـفـل
فـوآفـى بها غـسـفان ثم أتى بها مـجـنة تـصـفـو في القـلـل ولا تـغـلـي

وهذه السوق مثل سابقتها عكاظ، ولاحتقتها ذي المجاز وخياشة، تعقد في الأشهر الحرم التي يأمن الناس فيها، في الغالب، على أنفسهم وأموالهم من مغبة الحروب والاقتتال^(٢٤). ونقدر أن عدد الأيام التي ينعقد فيها هذا السوق هي تسعة أيام إلى عشرة من انقضاء سوق عكاظ، حتى هلال شهر ذي الحجة، حينها ينتقل الناس، يقضهم وقضيضهم، إلى سوق ذي المجاز الآتي ذكره.

ذو المجاز

هذا السوق من الأسواق الموسمية المعروفة باتقرب من مكة المكرمة، قيل إنه لقبيلة هذيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. ربما نوقعه قريباً من ديارهم، ووروده في شعر بعض شعرائهم ومنه قول أبي نؤيب الهذلي:

وراح بها من ذي المجاز غـسـفـة يبادر أولى السابقات إلى الخـبـل^(٢٥)

وقد ورد في تحديد موضعه قولان: الأول، أنه على مسافة فرسخ واحد من عرفة على يمين الموقف، بالقرب من جبل يسمى ككب^(٢٦) قيل إنه خلف الإمام إذا وقف^(٢٧)، والقول الثاني أنها موضع بمنى في منتصف الطريق بين مكة وعرفات^(٢٨). وعلى الرغم من شيوع القول الأول في المصادر المتاحة، وكثرة من قال به من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، فإن الأتقاني يرجح القول الثاني، ويعدّه أنسب إلى القبول^(٢٩). أما تسمية ذي المجاز بهذا الاسم، فذلك لأن إجازة الحاج إلى عرفة كانت منه^(٣٠). وهذا ما يفسر أخذ الأتقاني بالقول الثاني، المشار إليه آنفاً، في تحديد موضع ذي المجاز بمنى وليس بعرفة، ومنه جاء اشتقاق اسمه.

وسوق ذي المجاز يعقد في ذي الحجة من كل عام. يقول الأتقاني: "إذا انقشع الناس عن مجنة حين يهل ذو الحجة ساروا بأجمعهم إلى هذه السوق، وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية، سمي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء، ويملاؤن أوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة. وإلى هذا السوق تتقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ممن

شهد الأسواق قبلها، أو لم يشهدها وأتى للحج خاصة، إذ إن ذا الحجاز من مواسم الحج عندهم^(٣١).

وهي سوق عظيمة، تحفل أيام الحج بجموع العرب وسواهم من الحجاج والتجار وأصحاب المنافع عامة، وهي تلي سوق عكاظ من حيث الأهمية، ويجري فيها ما يجري في سوق عكاظ: من بيع وشراء، وتناشد وتفاخر، وفداء أسرى وطلب ثار. فقد ذكر أن صاحب الثار يقصدها ليتعرف على واتره في ذي قرابته، فيتريص به انقضاء الشهر الحرام إن كان من المحرمين، وإلا عاجله فأخذ بثأره^(٣٢). ويورد اللغثاني بعض الأمثلة لحوادث تتعلق بالأخذ بالثار؛ بطول ذكرها في هذه العجالة^(٣٣).

أما زمن انعقاد هذا السوق فهو - كما أوضحنا سابقاً - من الأول من ذي الحجة حتى الثامن منه، وهو يوم التروية، وعند أيام انعقاده ثمانية أيام، بما في ذلك يوم التروية المذكور^(٣٤). وقد ظلت هذه السوق قائمة ومستمرة بعد ظهور الإسلام مدة طويلة؛ لا نعلم لها نهاية محددة على وجه الدقة واليقين، وإن كان هناك من الإشارات ما يفيد أنها استمرت عامرة إلى ما بعد انتهاء سوق عكاظ، أي بعد عام ١٢٩هـ/٧٤٧م^(٣٥)، وهذا العام هو الذي شهد نهاية سوق عكاظ على أيدي الخوارج.

سوق خباشة

توصف سوق خباشة بأنها من أسواق العرب المشهورة القديمة، في الجاهلية والإسلام... وهي سوق بتهامة، يتاجر فيها أهل الحجاز وأهل اليمن، وكان من جملة من حضرها وتاجر فيها: الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكانت تقام في شهر رجب^(٣٦). وخباشة (بضم الحاء المهملة وفتح الباء المعجمة، والشين المثناة) مشتقة من الفعل حبش أي جمع، والتحبيش: التجميع، وحبش الشيء يحبشه حبشاً أي جمعه، والخباشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة^(٣٧). وعلى نسق التأصيل اللغوي لسوق عكاظ، وأنه من التعكظ أو المعاكظة، وماتدل عليه هذه الكلمة من اجتماع العرب فيه للمفاخرة والمحاجة والبيع والشراء، والفداء، وسائر أمورهم التي تقوم السوق من أجلها ويسببها في كل موسم. من المحتمل - على هذا النسق المذكور - أن لفظ خباشة جاء من التجمع القبلي لمحيطه الممتد إلى أعالي السراة شرقاً، وإلى أغوار تهامة الساحلية غرباً وما بينهما من الأودية والقطاعات الجبلية شمالاً وجنوباً، فيما يعرف بالأصناد والغرضيات التي يتوسطها ذلك السوق المشهور في الجاهلية والإسلام. ويغلب على الظن أنه كان في زمانه موسماً يلتقي فيه التهامي مع السروي، والخبتي مع الجبلي، وأهل يارق وما وراهم إلى اليمن، مع أهل الغرضيات، وما يشاملهم من الديار والقبائل، إلى الطائف ومكة المكرمة وما وراءهما. فلا بد أنها كانت سوقاً عظيمة، ومتجراً رايحاً، يهبط إليه أخلاط شتى من مختلف القبائل التي ترتاده للمتاجرة وفداء الأسرى، ومبادلتهم بأمتالهم، والتقاضي في المنازعات، ومختلف المنافع التجارية، وغير التجارية، التي كانت سبباً في قيام كثير من الأسواق العربية الموسمية في مختلف أرجاء الجزيرة العربية^(٣٨).

هذا الإطار الجغرافي لموقع السوق، ولمرتاديه من القبائل والديار المحيطة به؛ يُستشف من الإشارات البسيطة التي وردت عنه في المصادر العربية، ومنها الأزرقى الذي يقول: «وحباشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال»^(١١). وعن حباشة يقول البكري أيضاً هي: «سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة. قال حكيم بن حزام: وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها، واشتريت منها بزاً من بز تهامة. وهي من صدر قنونا، أرضها لبارق»^(١٢). أما ياقوت فيوصل الاسم ومدلوله اللغوي على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم يقول: «وحباشة: سوق من أسواق العرب في الجاهلية»، ثم يورد حديث عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: «المتضمن قصة متاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، للمسيبة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها»^(١٣)، وهو حديث يطول ذكره ويخرجنا عن سياق هذا البحث.

من هذه الأقوال وغيرها يتضح: أن حباشة من الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، وأنها تقع في ديار الأزد، القبيلة العربية المشهورة، قبل الإسلام وبعده، حتى عصر الناس هذا، وهي (أي سوق حباشة) ناحية، أو عمل من أعمال مكة المكرمة عليها والبعثة أمير مكة في زمان ازدهارها، ولا يزال موضعها، وما يحيط به من قرى وبلدات تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة في وقتنا الحاضر، وهي جزء من محافظة القفزة، بمركز العرضية الذي يشكل أهم قطاع من قطاعات المحافظة كما سيأتي.

ويتضح كذلك أنها تقوم في شهر رجب من السنة، وأن مدتها ثمانية أيام على رأي البكري، وكان يرتادها إلى جانب من حولها أناس من اليمن، ومن مكة المكرمة، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، تاجر إليها، مع رجل آخر من قريش، في بضاعة للمسيبة خديجة رضي الله عنها، ونقّر أن هذين الرجلين - رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرافقه - ما هما إلا دليل على وجود منات من المكين، والحجازيين عامة، الذين كانوا يهبطون إلى سوق حباشة في كل موسم من مواسمها السنوية.

وعلى الرغم من أهمية هذا السوق، وكثرة مرتاديه ممن حوله من القبائل الساكنة في ديار الأزد، بما فيها بارق، وكذا مرتاديه من اليمن والحجاز؛ فإن المصادر التي تحدثت عنه لم تحدد له مكاناً يعينه على وجه الدقة واليقين، وأن الإطار الجغرافي الذي أورثته تلك المصادر طويل وعريض وعاتم، فهي سوق للأزد، وموقعها في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا^(١٤)، وهذا القول يزيد الأمر صعوبة للمتاامل فيه، ومشقة على من يحاول التوفيق بين عباراته؛ بغية الوصول إلى مكان محدد لموقع السوق أو قريب منه؛ فكونه سوقاً للأزد، وفي صدر قنونا فذلك قول أقرب إلى القبول، إلا أن عبارة: «ديار الأوصام من بارق» تدعونا إلى التريث قليلاً، إذا أخضعنا هذه العبارة لمعايير معرفتنا، في الوقت الحاضر، لحدود بارق الواقعة على مسافة (٢٠) كم تقريباً إلى الجنوب، مما يعتقد أنه موقع السوق كما سيأتي، ويفصل بين تلك الحدود والموضع المقترح؛ امتداد قبيلة بني شهر وديارها، وكذا امتداد بعض ديار قبيلة بُلَظَن التي يقع السوق في ديارها، إلا إذا افترضنا أن حدود قبيلة بارق في الماضي غير حدودها

اليوم، وأنها كانت فيما مضى تمتد إلى هذا المكان المقترح للسوق في زمن ازدهاره، خصوصاً وأن حدود القبائل لا تنظر على حالها مدداً طويلة كهذه المدة، فبعضها يتداح ويتسع، وبعضها يتراجع ويتكسح مع الزمن نتيجة لظهور قبيلة على أخرى، أو هجرة إحداها إلى خارج حدودها، مفسحة المكان للقبيلة أو القبائل المجاورة. أما كون هذا السوق للأزد فهو لا يغير شيئاً من وجه الحقيقة؛ لأن باري أزدية، والقبيلة التي يقع موضع السوق الحالي في حدودها بعد تحقيقه (وهي قبيلة بنحارث من بنقرن المعروفة) أزدية كذلك^(١٣).

تحقيق موضع السوق:

سبق هذا البحث محاولتان لتحديد موضع سوق حباشة على الطبيعة: الأولى أجراها حسن بن إبراهيم الفقيه الذي ناقش موضع السوق، ومختلف العوامل المؤدية إلى قيامه في المكان الذي حدده^(١٤)، والثانية أجراها عبدالله أبو داهش، وفيها اتفق مع سابقه، ونقل نصوصاً أكثر دقة وتحديداً عن الباحث عبدالله بن حسن الرزقي، وهو من أبناء المنطقة العارفين بها، والقريبين منها، وله دراسات واجتهادات وتفسيرات على جانب كبير من الأهمية، فهو - كما ينقل عنه أبو داهش - يحدد موضع السوق بأنه: يقع على الضفة الجنوبية لوادي قنونا بالقرب من الفانجة (الفانجة - القرية التاريخية المعروفة) التي يبعد عنها السوق بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي في موقع يعرف باسم الحواري في حداب القرشة المعروفة اليوم^(١٥). ويقول: "هنا في موضع السوق: آثار وردوم وحجارة مركومة، وبعض القبور، وبنائر ظاهرة في الأرض تختلف في سعتها، وكثة مساحتها لعلها حطائر لببيع الأغنام، أو مواضع للنخاسة، وغير ذلك، وفي تلك الأرض الواسعة التي تقدر مساحتها بنحو كيل في نصف الكيل توجد أحجار بركانية سوداء فيها: قطع فخار، وأخرى قطع من الحجارة ذات اللون الأخضر التي يظن بأنها تكوين الأرض نفسها ذات العروق الملونة والغريب السواد"^(١٦). وهذا المكان الذي جرى تحقيقه يعرف بين الأهالي حتى اليوم باسم السوق، ولكن لا أحد منهم يعرف أي سوق هو مما يعزز الاحتمالات عند الباحثين بأنه موضع سوق حباشة^(١٧)، وأنه على الرغم من اندثاره ظل الأهالي يتوارثون الوظيفة التي كان يقوم بها هذا الموضع، وهو انعقاد سوق حباشة على ترابه.

زمن انعقاد السوق ومدة انعقاده وخرابه:

من الثابت أن سوق حباشة كان يعقد في شهر رجب من كل عام، وأنه يبدأ في الأول منه، ولكن مدة انعقاده محل خلاف في المصادر التي عُنيت به؛ فمن قائل إنها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، وهذا القول للأزرقي وتابعه نقي الدين الفاسي^(١٨)، ومن قائل إنها ثمانية أيام على حد ما يورده البكري^(١٩). ويغلب على الظن أن قول البكري هو الراجح، لأن جميع الأسواق الموسمية التي مرت بنا لا تنقل مدد انعقادها عن ثمانية أيام؛ ولأن ثلاثة أيام ليست كافية لسوق موسمي يعقد مرة في السنة، ويفد إليه البائعون والمشترون من مسافات طويلة، وهذه المدة لا تكفي لراحتهن وراحة مطاياهم التي يفدون عليها، فضلاً عن بيع ماعنهم وشراء ما يحتاجون

إليه، وقضاتهم لجميع حوالمهم التي قنعوا من أجلها، هذا إلى أن من الأسواق الوعديّة القريبة من موضع سوق حباشة مايمكث ثلاثة أيام، ومنها على سبيل المثال: سوق المخواة الحالي بمحافظة المخواة، منطقة الباحة المجاورة. ومما يرجح قول البكري أيضاً، أن المتأمل في نص الأزرقي يدرك أن الأيام الثلاثة الواردة فيه هي مدة إقامة الرجل الذي يبعثه والي مكة إليها على رأس جند من قبله، فهو يقول: "وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند، فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية"^(٥٠). وهكذا نلاحظ أن هذه الأيام الثلاثة تخص إقامة هذا الوفد، وليس مدة انعقاد السوق التي يشير إليها البكري صراحة بقوله: "سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"^(٥١) فالتصريح هنا واضح بقوله: "كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"^(٥٢).

أما عن تاريخ خرابها فهو محل اتفاق وإجماع، عند سائر من كتب عن هذه السوق، في القديم والحديث، ولذلك قصة متواترة في المصادر التي أوردها، وهي أن إحدى قبائل الأزد صاحبة السوق: قتلت والياً عليها من قبيلة غني كان قد ولاه عليها أمير مكة داود بن عيسى بن موسى في سنة ١٩٧هـ/ ٨١٣م، فلما وصله الخبر استشار فقهاء أهل مكة، فأشاروا عليه بتخريبها فخرّبها منذئذ وتكرت إلى اليوم^(٥٣) عنى حد قول الأزرقي، أي في زمانه من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، نتيجة لتلك المشورة الظالمة التي لم تكن موفقة بحال من الأحوال، وكان من المفروض أن يأخذ الفاعلين بجريبتهم لا أن يخرّب سوقاً غنم لأكثر من قرنين من الزمان، ويقطع مورداً اقتصادياً لا بد أنه كان يعيش عليه قطاع كبير من الناس، وأنه كان من الممكن أن يتطور مع السنين ويتمتع ويكبر، ويستمر إلى عصر الناس هذا، خصوصاً وأن المنطقة التي كان يقوم فيها منطقة خصب وزراعة، وكثافة سكانية ملحوظة إلى اليوم. ويجربنا خراب هذا السوق إلى تقدير عمرها، الذي لاتعرف عنه شيئاً في المصادر المتاحة على وجه التحديد، ولتحقيق تلك الغاية: لابد من البحث عن بدايتها الأولى التي لاتعرف عنها شيئاً في المصادر المتاحة كذلك، وإما هناك حادثة بتيمة ارتبطت بالسوق في عصر ما قبل الإسلام، تلك هي حادثة مقتل الشاعر والعداء المشهور الشنفرى الأزدي، وهو عائد من سوق حباشة في رواية طويلة يوردها صاحب الأغاني^(٥٤). وحيث إن هناك من الدارسين من يجعل مقتل الشنفرى الأزدي في سنة ٧٠ق. هـ/ ٥٢٥م، وهو عائد من سوق حباشة، التي ربما قدم إليها من ديار قبيلة فهم القاطنة في تهامة بالقرب من مكة المكرمة^(٥٥)، مما يعني أن هذا السوق كان عامراً قبل هذا التاريخ بزمان، بل ربما كان - حينذاك - في أوج عمارته، وقمة ازدهاره. أي أن هذا التاريخ المذكور ليس تاريخ بدنه، وإما هو دليل على أنه كان موجوداً وعامراً قبله، ربما بزمان ليس بالقصير. أما بعد هذا التاريخ فإن المدة التي عاشها السوق حتى خرابه أو تخريبه في عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م فتقدر بأكثر من ٢٦٧ عاماً، وبذلك فإن سوق حباشة يعد من أقدم الأسواق الموسمية العربية في منطقة مكة المكرمة، ومن أطولها عمراً، ومن أجدها بالعناية، ويعودته إلى الحياة كما سيأتي.

سوق حباشة والعمره الرجبية:

من الثابت أن سوق حباشة كانت تعقد في شهر رجب من كل عام، وأن هذا الشهر من الأشهر الحرم التي كانت العرب تحرم فيها الاقتتال، وأن شأنه في ذلك شأن أشهر الحج التي كانت تعقد فيها الأسواق الثلاثة السابقة، وهي عكاظ ومجنة ونو المجاز. فما علاقة موعد انعقاد سوق حباشة، في هذا الشهر، بالعمره الرجبية التي كانت موسماً من مواسم أهل مكة في جاهليتهم وإسلامهم؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال: تجدر الإشارة إلى أن العرب في الجاهلية كانت تحرم العمره في أشهر الحج، وهي شوال والقعدة والحجة، وربما في شهر المحرم الذي يتلوها كذلك، وكانت تقول: "إذا برأ الذبر، وعلى الوبر، وبخل صفر، حلت الغمرة لمن أعتمر"^(٥٦). أي أن العمره كانت تحل عند العرب في الجاهلية بدءاً من شهر صفر، وربما كان شهر رجب من أكثر الشهور تفضيلاً للعمره عندهم. أما عند أهل مكة والجهات المتصلة بها، فهو موسم عظيم لهم في جاهليتهم وإسلامهم، يقول ابن جبير: "وهذا الشهر المبارك (شهر رجب) عند أهل مكة موسم من المواسم المعظمة، وهو أكبر أعيادهم، ولم يزالوا على ذلك قديماً وحديثاً يتوارثونه خلفاً عن سلف متصل ميراث ذلك إلى الحاشية؛ لأنهم كانوا يسمونه مُنْصِلَ الأُسنة. وهو أحد الأشهر الحرم"^(٥٧). ثم استمر الاعتمار في رجب متصلاً في الإسلام، وكانوا يسمون العمره فيه باسم العمره الرجبية. وكانت عند أهل مكة موسماً عظيماً يضاهي موسم الحج. يقول ابن جبير: "والعمره الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية، لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبادر إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل"^(٥٨). ويقول عنها ابن بطوطة: "وأهل مكة يحتفلون لعمره رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله، وهي متصلة ليلاً نهاراً، وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة، وخصوصاً أول يوم منه، ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين، فإتاهم يستعنون قبل ذلك بأيام"^(٥٩).

ويقلب على الظن أن هذه العمره الرجبية، المهمة في الجاهلية والإسلام، التي كان يحرص عليها أهل مكة، وأهل الجهات المتصلة بها، حتى إنهم - على ما يذكر ابن جبير - كانوا يعدونها موسماً يضاهي الوقفة بعرفة على^(٦٠). فمن المحتمل، والحالة هذه، أن لموسم سوق حباشة صلة بها، وأنه كان محطة من محطاتها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الثلاثة الموسمية الأخرى، من أسواق منطقة مكة المكرمة، التي كانت في واقع الأمر محطات ثلاث متتالية، من المحطات التي تسبق الحج إلى مكة المكرمة، وتتصل به، وتفضي إليه. فسوق حباشة يعقد في الأول من رجب، ويستمر ثلاثة أيام أو ثمانية منه، يقدم إليه المعتمرين خلالها من السراة وتهامة واليمن، فيرتاحون فيه من عناء السفر، وترتاح مطاياهم، ويتزودون منه بمؤونة الطريق، ويجلب إليه الجالبون بضائعهم، ويشتري منه الشارون ما يجلبونه إلى مكة من بضائع لبيعها في موسم العمره الرجبية، نلك الموسم الذي يشهد فيه سوق مكة رواجاً لا يقل عن رواجه في موسم الحج. فإذا صح هذا التقدير فإنه يجب على السؤال الذي سبق طرحه من قبل، وهو: ما صلة موعد انعقاد سوق حباشة في هذا الشهر بالعمره الرجبية التي كانت كانت موسماً من مواسم أهل مكة.... الخ؟ فالعمره الرجبية في مكة تعقد في كل أيام رجب، ولكن

أكدها في ثلاثة أيام منه، هي اليوم الأول، واليوم الخامس عشر، واليوم السابع والعشرين، على حد قول ابن بطوطة^(١١). وهذا اليوم الأخير يصادف نكرى ليلة الإسراء والمعراج، بحسب العرف السائد في بعض الأقاليم الجنوبية، وغالباً ما تكون عمرة أهالي جنوب مكة في اليومين الأخيرين المشار إليهما، وهما ١٥، ٢٧ من رجب، بل إن شهر رجب عندهم موسم مهم لزيارة المدينة المنورة، والصلاة في مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم. وقد أدرجت هذا التقليد في صغري، ولأزيت أنكر أن العمرة في رجب، ثم زيارة المدينة المنورة في هذا الشهر؛ تعدّ من أهم القربات، ولا يفتقر عليهما إلا من كان ذا حظ عظيم وعزيمة قوية.

ويفسر هذا القول ما تتحدث عنه بعض المصادر عن يسمونهم: "السرو المانرين" أي الذين يجلبون الميرة إلى مكة من أهل المراة وما حولها، فهم يوصفون بأنهم قوم أشداء فصحاء، يجلبون إلى مكة أصنافاً شتى من منتوجات ديارهم، التي يعتمد عليها المكيون والمجاورون والمعتصرون في غذائهم: يقول ابن جبير: "ومن لطيف صنع الله عز وجل، أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالسراة يستعملون للوصول إلى هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة، وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى التوبيا إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والادام وانفاكية، ويصلون في آلاف من العدد رجالاً وجمالاً مؤفّرة بجميع ما ذكر. فيرغدون معاش أهل البلد والمجاورين فيه، يتقوّتون ويخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق. فيعد الناس منها ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش"^(١٢). ويقول عنهم ابن المجاور: "فإذا دخلوا مكة ملأوها خبزاً من الحنطة والشعير، والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك"^(١٣). وأخيراً نختم بقول ابن بطوطة: "وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يبادرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها"^(١٤).

وعلى الرغم من أن بلاد بجيلة وغامد وزهران؛ هي دون موقع سوق حباشة، مما يلي مكة المكرمة، وأن بعض منتوجاتها ربما كانت تجلب مباشرة منها إلى مكة، فإننا لا ينبغي أن نغفل دور باقي أقاليم السراة، ولا دور أهلها الواقعة ديارهم إلى الجنوب من السوق، وهي ديار أوسع من ديار بجيلة وغامد وزهران، وخيراتهما أكثر، وصلتها بالسوق قوية، لأنها تقع في تهامتهم، وفي طريقهم إلى مكة المكرمة، فضلاً عن مجلويات أهل اليمن إلى سوق حباشة، ثم منها إلى مكة المكرمة، ومن أمثلتها البرز، المشار إليه سابقاً. والبرز كلمة جامعة شاملة لمختلف أنواع الثياب التي كانت تُسج وتُصبغ في اليمن، وخصوصاً في تهامتها، لأن تهامة، المنسوب إليه هذا البرز، ليست ما يعرف بتهامة الشام أو تهامة عسير، وإنما هي تهامة اليمن التي اشتهرت بهذه الصناعة حتى عهد ليمس بالبعيد، وبصورة خاصة مدينتي زيد وبيت الفقيه^(١٥). ومن هنا ينبغي ألا نغفل دور سوق حباشة في إمداد سوق مكة بكثير مما يجلب إليه ويشترى

منه، من منتجات السراة واليمن، وخصوصاً في مواسم العمرة ومنها موسم العمرة الرجبية؛ التي نعتقد أن هذه السوق محطة من المحطات المفضية إليها في مكة المكرمة.

يتضح مما سبق: أن مكة المكرمة كانت منطقة أسواق موسمية قديمة، وأن منها ما ارتبط بالحج، وهي سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز، ومنها ما ارتبط بالعمرة الرجبية، وهو سوق حباشة، وأن هذه الأسواق متقاربة في وظائفها من حيث: المجلوبات وحركات البيع والشراء، ومن حيث: الأغراض الأخرى المتمثلة في المفارقات والتقااضي وفداء الأسرى، وتبادلهم، وطلب الثار وغيره. كما يتضح أن هذه الأسواق الأربعة؛ كلها عمرت مدداً طويلة منذ ما قبل الإسلام، فعصر الخلافة الراشدة، فالعصر الأموي، ثم إلى الشطر الأعظم من العصر العباسي الأول. ولأهمية إعادة إحياء هذه الأسواق، بوصفها موروثة حضارياً وتاريخياً وثقافياً - أجد التزاماً علي في نهاية هذه الورقة المتواضعة: طرح التوصيات الآتية:

التوصيات:

١- تحديد أمكنة هذه الأسواق، وإحاطتها بأسوار من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار، بوصفها أمكنة تاريخية وتراثية، وقد تكون بها معطيات أثرية مدفونة وشاخصة، وخصوصاً موقعي سوق مجنة وسوق حباشة، لأن سوق عكاظ أصبح معلوم المكان، وسوق ذي المجاز في منى التي يصعب إجراء أي نشاط فيها، في الوقت الحاضر، غير ما تختص به من المبيت بها في أيام الحج، فضلاً عما جرى فيها من شق أنطرق، وبناء الجسور والأنفاق، وبعض المرافق والخيام مما يكون قد غطي، عبر التاريخ، على أي أثر لسوق قديم فيها، غير سوقها التي تنشط في يوم التروية، وفي أيام التشريق الثلاثة التي تعقب الوقفة بعرفة.

٢- تشجيع الدراسات والبحوث حول نشاط هذه الأسواق، باستخدام مختلف المناهج والأساليب والأنوات المؤدية إلى زيادة معلوماتنا عن هذه الأسواق، وإلى تقدم المعرفة الإنسانية بها.

٣- توثيق التراث التقليدي في البيئة المحيطة بهذه الأسواق، وخصوصاً سوق حباشة على أن يشمل التوثيق: الأسواق الوعديّة المنتشرة في محيط السوق، ومعرفة جميع المجلوبات إليها، وما يباع فيها ويشترى قديماً وحديثاً، وإجراء مقابلات، مع كبار السن، لمعرفة الصورة التي كانت عليها تلك الأسواق قبل الطفرة الحديثة، وكذلك معرفة القوانين والأعراف القبلية التي كانت سائدة بخصوصها.

٤- إعادة إحياء هذه الأسواق، وتفعيل نشاطها التجاري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتجريتنا في سوق عكاظ تجربة ناجحة، وهي في سبيلها إلى التطور والتقدم والارتقاء كل عام. ومن منطلق هذه التجربة الناجحة في سوق عكاظ: يتعين علينا النظر في تطبيقها على الأسواق الثلاثة الباقية، وهي مجنة وذو المجاز وحباشة، وإنما بدرجات متفاوتة، خصوصاً إذا أخذنا في الحسبان: تشابه طبيعة هذه الأسواق بسوق عكاظ، وقرب أزمان انعقادها، وطبيعة مرتاديها، وبواقعهم من ارتيادها وهكذا. فإذا نظرنا إلى كل هذه العوامل مجتمعة؛ فإننا نلاحظ أن سوق مجنة وذو المجاز هما نسخة من سوق عكاظ، مع فارق الشهرة التي تميز سوق عكاظ

عن السوقين الباقيين، فهما يعقدان على التوالي بعد سوق عكاظ، وفي موسم واحد هو موسم الحج، ودائرة واحدة مسافتها غير متباعدة، ومعظم مرتاديها من الحجاج الذين في سبيلهم إلى تادية شعائر حجهم إلى مكة المكرمة. في ظل هذا التشابه، والتقارب في الزمان والمكان والأهداف والغايات فإن مهرجان سوق عكاظ يقف عن السوقين الباقيتين، وخصوصاً ذي المجاز، لأنه في منى، وفي شهر ذي الحجة، ومنى كلها سوق، والكل مُستنَفَر في خدمة الحجاج والسهر على راحتهم.

أما سوق حباشة، فأولى بأن تعود إليه الحياة، وأن يقام على أرضه مهرجان سنوي نو أغراض متعددة، تأتي الثقافة على رأسها، وذلك لعدة اعتبارات منها.

(أ) أنه كان يعقد في الأسبوع الأول من شهر رجب، متزامناً مع موسم العصرة الرجبية التي سبق ذكرها.

(ب) أن سوق حباشة بعيد زماناً ومكاناً عن سوق عكاظ والسوقين التاليين له (مجنة ونو المجاز) من حيث موضعه وزمن انعقاده، فالفارق بينهما في الزمان حوالي ٥ أشهر، وفي المكان أكثر من ٣٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي. واختيار شهر رجب تاريخاً لانعقاده كل عام سيكون اختياراً موفقاً -دون شك- لأن شهر رجب يقع في منتصف السنة تقريباً، والفارق الزمني بينه وبين تاريخ انعقاد مهرجان سوق عكاظ، حوالي أربعة أشهر، إذا أخذنا في الحسبان أن مهرجان سوق عكاظ يعقد في شهر شوال من كل عام، وهو ما استقر عليه الرأي حتى الآن.

(ج) يمثل موقع سوق حباشة الكفة الثانية لميزان إمارة المنطقة، في مقابل الكفة الأولى التي يمثلها موقع سوق عكاظ، فضلاً عما لمحيط السوق وبيئته من تراث مميز؛ يجمع بين ثقافة تهامة والسرارة، وبين جنوب الحجاز، ومنطقتي عسير والباحة.

(د) ارتبط السوق بحدثين تاريخيين مهمين: أحدهما ديني، ويتمثل في ما سبقت الإشارة إليه من حضور النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى سوق حباشة في تجارة للسيدة خديجة رضي الله عنها. والثاني ثقافي، وهو ما كان سبباً في تأليف واحد من أهم المعاجم الجغرافية، الذي لا يستغنى عنه أي باحث أو دارس على مدى تاريخه، وحتى عصر الناس هذا، ذلك هو: معجم البلدان لياقوت، الذي يسرد قصه تأليفه بقوله: «وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بمرزو الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمئة في مجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين أبي المظفر عبدالرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبدالكريم السمعاتي تفهدهما الله برحمته ورضوانه... عن حباشة بضم الحاء، قياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبائل شتى، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً. فاتبرى لي رجل من المحذنين، وقال: إنما هو حباشة بالفتح. وصمّم على ذلك وكابر، وجاهر بالعداء من غير حجة وناظر، فأريت قطع الاحتجاج بالنقل، إذ لا مغول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي كانت يمزو يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشعب والمراء، وبأس من وجوده ببحث وإفراء، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته، ومكيداً بالصاع

الذي كلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً، وبالاتفاق وتصحيح الألفاظ مخطوطاً، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً، وإلى ضوء الصواب داعياً، ونبهت على هذه الفضيلة النبيلة، وشرح صدرى لنيل هذه المنفعة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون»^(١٦).

كل هذه الأسباب والعوامل التاريخية والجغرافية، والموروث الحضاري والتراثي والثقافي، وظروف الزمان والمكان، تجعلني أتقدم من على هذا المنبر باقتراح: إحياء سوق حياشة ببلاد بالحارث القرنية بمحافظة القنفذة ، وإقامة مهرجان ثقافي تراثي يحمل اسمه في شهر رجب من كل عام.



الإحالات والمصادر والمراجع

- (١) ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (بيروت: دار لسان العرب، د. ت)، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط (١)، (بيروت، دار الملايين، ١٩٧١م)، ج ٧، ص ٣٦٥.
- (٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان.
- (٤) الآية ٧ من سورة الفرقان.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٨) السهمودي، نور الدين علي بن أحمد المصري، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط ٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٧٤٨.
- (٩) الأفغاني، سعيد؛ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ص ٢٨٩، ٣٤٣.
- (١٠) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج ١، ص ٥١٨.
- (١١) ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، ج ٥، ص ٥٩.
- (١٢) الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، ط ٢، (مكة المكرمة: مطابع مكة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥)، ج ١، ص ١٩٠.
- (١٣) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ج ٢، ص ١١٨٧.
- (١٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٩.
- (١٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ج ٢، ص ٤٥٣.
- (١٦) الفاسي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٧) النحائي، البدر بن مستير، 'سوق مجنة في عصره الجاهلي والإسلامي'، في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية، (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٢هـ)، ج ٢، ص ٤٢٣.
- (١٨) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ١١٨٧.
- (١٩) النحائي، 'سوق مجنة'، ص ٤٢٣.
- (٢٠) النحائي، المرجع نفسه، ص ٤٢٤.
- (٢١) النحائي، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢٢) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥.

- (٢٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٩.
- (٢٤) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥.
- (٢٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٥، الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٧.
- (٢٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ١١٨٥.
- (٢٧) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٧.
- (٢٨) الأفغاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٩) الأفغاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٠) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٥٠.
- (٣١) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٨.
- (٣٢) الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٤٩.
- (٣٣) الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٤٩-٣٥٢.
- (٣٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي، كتاب المحبر، تحقيق ابنزهر ليختن شتير، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، ص ٢٦٧، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٥٠.
- (٣٥) الأزرق، أخبار مكة، ج١، ص ١٩٠، الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٥١.
- (٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ الإسلام، ج٧، ص ٣٧٥-٣٧٦.
- (٣٧) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص ٥٥٢.
- (٣٨) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "حباشة"، في حوليات سوق حباشة، (أبها النادي الأدبي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٣٩.
- (٣٩) أخبار مكة، ج١، ص ١٩١.
- (٤٠) معجم ما استعجم، ج١، ص ٤١٨.
- (٤١) معجم البلدان، ج٢، ص ٢١٠-٢١١.
- (٤٢) الأوصام: لا تعرف قبيلة بهذا الاسم في سائر الامتداد الجغرافي المذكور في النص، لا قديماً ولا حديثاً، في حدود علمي، وقد ظننته تصحيفاً تتبعته في ألفاظ كثيرة قريبة لرسم الكلمة، فلم أجد أي دلالة له على قبيلة، أو على وصف جغرافي لطبيعة المكان. إلا أن هناك من الباحثين من يعدّه تحريفاً لاسم (الأواس) القبيلة الأزدية التي تقع هذه السوق في ديارها. انظر: الفقيه، "حباشة"، ٣٩.
- (٤٣) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "أين يقع سوق حباشة؟"، في حوليات سوق حباشة، ط١، (الناشر ومكان النشر لم يذكران، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، العدد ١٥، السنة ١٥، ص ٢٢.
- (٤٤) الفقيه، المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣.
- (٤٥) أبوداهش، حوليات سوق حباشة، ص ٣٨-٣٩. في مهاتفة بيني وبين الأستاذ عبدالله الرزقي أكد لي مكان السوق، وحدد المسافة بينه وبين قرية الفايجة التي ينسب إليها سوق ربوع الفايجة المشهور، بحوالي خمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي عن الفايجة في المكان المذكور في النص، وأجندني مديناً للأستاذ الرزقي في كثير من المعلومات، وتفسير بعض الظواهر الجغرافية والآثارية المحيطة بالسوق، فتمكراً له من الأعماق مع صادق الدعوات له بالأجر والثواب، والتوفيق والسداد.

- (٤٦) أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع ١٥، ص ٤٠.
- (٤٧) الفقيه، أين يقع سوق حباشة؟، ص ٢٢.
- (٤٨) أخبار مكة، ج ١/ ص ١٩٢ شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٤٩) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٠) الأزرقى، أخبار مكة، ص ١٩٢.
- (٥١) معجم ما استعجم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢، الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٥٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٢١، ص ١٩٠-١٩١.
- (٥٥) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٣، ج ٥، ص ٢٥٨، أبو داهش، حوليات سوق حباشة، ع ١٥، ٩١.
- (٥٦) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢. ومعنى النص: أنه إذا برأ دهر الإبل التي كانوا شهدوا الموسم وحجوا عليها، وعفا ويرفأ أما في الإسلام فإن الرسول صلى عليه وسلم أبطل هذا التقليد الجاهلي، وغمراته التي أذاها في حياته كانت كلها في ذي القعدة وهي: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرته من الجعرانة، وأرسل زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع أخيها عبدالرحمن ليلة الحصابة فاعتمدت من التمتع وهكذا انظر: الأزرقى، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٧) أبو الحسين محمد، أحمد الكناسي، رحلة ابن جبير، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص ١٩٦.
- (٥٨) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٥٩) أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ١٦٣.
- (٦٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٠٦.
- (٦١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٣.
- (٦٢) رحلة ابن جبير، ص ١١٠.
- (٦٣) جمال الدين، أبو الفتوح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن المسماة: تاريخ المستبصر، تحقيق أو سكر لوفغرين، (لندن: مطبعة بريل، ١٩٥١م) ص ٢٧.
- (٦٤) رحلة ابن بطوطة، ١٦٤.
- (٦٥) المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، (صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٧٣٤، ج ٢، ص ١٢٢١.
- (٦٦) باقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠.

علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي

د. أماني خليفة محمد البحر (*)

قائمة الاختصارات

أولاً المختصرات العربية

أ- مختصرات الكلمات

ت	تحقيق
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون دار نشر
د.م	دون مكان نشر
د.ط	دون سنة طبع
ق.م	قبل الميلاد
م	ميلادي

ثانياً المختصرات غير العربية

أ- مختصرات الكلمات

BK	Book
Intr.	Introduction
Trans	Translated
Vol	Volume

ب- مختصرات الدوريات

BASOR	Bulletin of the American Schools of Oriental Research
CAH	The Cambridge Ancient History
CHI	The Cambridge History of Islam

(*) أستاذ مساعد بكلية الآداب للينبات - جامعة الدمام.

ظهرت المناطق الحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، واكتسب صفات خاصة بها، وأخرى ورثت إليها من غيرها من المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية، وثقافية، أو حدثت تبادل فيما بينهم.

وفي هذا البحث سوف نسلط الضوء على علاقة اليمن بإحدى أهم هذه المناطق الحضارية وهي الهند التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية نشطة منذ أقدم العصور لما تمتعت به الهند من موقع متميز بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى لذلك تاجر معها أهل جنوب الجزيرة العربية بعد أن اكتشفوا سر الرياح الموسمية التي شجعهم على تنظيم رحلات تجارية بحرية عديدة بين اليمن والهند^(١).

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، وتحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب، ليضم الجزيرة العربية قلب المشرق العربي لما كانت له من اتصالات قوية بالأقاليم المجاورة له منذ القدم^(٢).

مما جعلها تتمتع بموقع استراتيجي، جغرافي، تمر به أقصر الطرق التجارية، من أغنى أقاليم العالم القديم، بفضل عمليات التبادل التجاري، البرية والبحرية التي برع عرب الجنوب في مزاولتها، وذلك بحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية، والمحيط الهندي، والخليج الفارسي من الشرق^(٣).

ويصورة أكثر تفصيلاً فنجد هي لها موقعها الجغرافي الفرصة الكبرى لتطور الملاحة على شواطئ شبه الجزيرة العربية، فهي تمر بخط ساحلي بالغ الطول من ثلاث جهات، يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي.

وتمر بالقرب من هذه المواحل، أخصب بقاع الجزيرة العربية، وهي اليمن وحضرموت وعمان، ولم يكن الاتصال بينهما بحراً سهلاً هولاً من عبور الصحراء والنجال التي تتصل بها براً. وكانت التجارة مع البلاد المجاورة نجد حافزاً إلى الغرب في الشواطئ الطويلة التي تبهر بها شمال إفريقيا الشرقي، وحافزاً إلى الشمال الشرقي في شواطئ فارس. وهذه الشواطئ وتلك تمتد محاذيه للشواطئ الغربي وهي غير بعيدة عنه مما هيئ للعرب اليمنيين سهولة الاتصال عبر المياه المغلفة في البحر الأحمر، والخليج العربي بأهم مراكز التجارة العالمية آنذاك كشمال أفريقيا ومصر وفارس والهند^(٤).

وأخيراً وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي، أصبحت الملاحة في المحيط الهندي في قبضة اليمنيين، والهنود على حد سواء دون منازع في تلك القرون الثلاثة الأولى للميلاد^(٥).

ولكي نكون أكثر تحديداً في حديثنا عن العلاقات التجارية لجنوب الجزيرة العربية بالهند فلا بد أن نشير إلى اليمن^(٦) والتي تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ويتخللها العديد من المناطق السهلية أو الساحلية المطلة على عدن. أطلق عليها اسم العربية السعيدة Arabia Felix، وذلك لشدة ثرائها وخصوبة تربتها وأرضها^(٧).

فهي تقريباً الجزء الوحيد من شبه الجزيرة العربية الذي يتوفر فيه الأمطار مما أدى إلى الزراعة المنظمة أو المطردة بها، فضلاً عما كان لموقعها الجغرافي المؤدي إلى الهند وبفضل منتجاتها التي تستهوي الأسواق في البلدان في العالم القديم كالبخور والأفاويه والبهارات، وأصبح

العرب اليمنيون الجنوبيون من أبرع وأغنى التجار^(٨).

ويفضل هذا الموقع الاستراتيجي لليمن أصبحت أكبر سوقاً تجاري لتبادل السلع والبضائع الهامة، كما أصبح حلقة وصل تجارية هامة بين كلاً من الهند والحبشة، وشرق وشمال أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا^(٩).

وبناءً على ذلك ظهرت في اليمن العديد من المراكز التجارية، واهتمت بشكل كبير بالطرق البرية والبحرية على حد سواء، وكانوا ينقلون البضائع إلى الأمم المجاورة لهم^(١٠). فازدهرت التجارة اليمنية وزادت ثروات الشعب اليمني الذي تمتع بقدر كبير من الرخاء المادي، والنموذ السياسي الذي أعطى للمنطقة وضعاً مسيطراً داخل شبه الجزيرة العربية على نطاق واسع وهذا ما يؤكد لنا سفر الملوك^(١١).

استقرت الدول اليمنية التجارية الجديدة في جنوب الجزيرة العربية وألفت حياة التوطن وعملت في التجارة والزراعة مثل زراعة البخور والتوابل والذي أخذوا يتاجرون به مع العديد من دول العالم القديم مثل الهند كما سيرد بالتفصيل -^(١٢).

وأصبح لأهل اليمن صيت ذائع في الشؤون التجارية لأن قوافلهم التجارية سواء البرية أو البحرية أخذت تتردد وبكثرة في أسواق التجارة الدولية^(١٣) نستخلص هذا من النصوص الواردة في سفر أشعيا وحزقيال الذين قالوا بأن أهل سبا كانوا من أعظم تجار الشرق الأدنى القديم وأغناهم^(١٤).

فمن البديهي أن عرب اليمن الجنوبيين قد كسبوا مكاسب هائلة من هذه السلع التي كانوا يتاجرون بها ويشير بليني Pliny^(١٥) إلى الحجم الهائل التي كانت تستورده الإمبراطورية الرومانية من شبه الجزيرة العربية فقال (إن الهند والصين وشبه الجزيرة العربية تأخذ منا كل عام مليون شركة) ثم ينتقل للحديث عن ثروات العرب الجنوبيين فيقول عنهم «في عمومهم أغنى أجناس العالم لأن ثروات واسعة تجتمع في أيديهم من روما لقاء ما يبيعونه لنا سواء من نتاج البحر (يقصد اللؤلؤ) أو من غاباتهم (يقصد الطيوب) دون أن يشتروا منا شيئاً مقابل ذلك»^(١٦). غني عن البيان أن نقطة الوساطة في طريق التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند كانت تشغلها السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما لم تكن قد وضعت المنطقة بعد تحت نفوذها، ولم تكن قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة في موانئها^(١٧).

وفي هذه الفترة كانت الدولة الحميرية^(١٨) قد ظهرت في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م) وكانت هي المسيطرة على التجارة البحرية مع الهند، وكان التجار العرب يقومون بدور الوسيط التجاري بين التجار المصريين وزملائهم في الهند^(١٩). ان توسط بلاد اليمن بين أمم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينهم فكان بينها وبين الهند علائق تجارية وكان للهنود محاصيل ومصنوعات يحتاج إليها كلاً من المصريين^(٢٠) والآشوريين^(٢١).

والغنيقيين^(٢٢) وغيرهم فكان اليمنيون ينقلون هذه المواد إلى تلك الأمم في سفن البحر أو في قوافل البر، وكان على شواطئ اليمن قرض وموانئ ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو

وادي الفرات^(٢٣).

ومن ثم نشط العرب اليمنيون في التجارة والوساطة بين الأمم المعاصرة لهم وأخذت سواحلهم تلعب دوراً تجارياً هاماً آنذاك^(٢٤) هذه الوساطة التي لغتت نظر بعض المؤرخين الكلاسيكيين أمثال بليني ومولف كتاب الطواف بريبلنس. فتحدثوا باستفاضة عن الثراء اليمني وبالتحديد السبلي والحميري من جراء تملك الوساطة التجارية^(٢٥).

إذا فجميع الشواهد تؤكد أن دول جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن السعيدة) كانت في هذه الفترة مركزاً للتجارة الدولية بين الهند وغيرها من دول العالم القديم^(٢٦). وإن العرب استمروا في لعب دور الوسيط التجاري بين الأمم واستمروا في نقل السلع الهندية التي كانوا يتاجرون فيها مع سلع بلادهم التي ينتجونها مثل اللبان والمر^(٢٧). الذين أخذوا يتاجرون بها على طول الطرق البرية على ساحل البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال واستمر هذا الدور المزدهر الذي كانت بلاد اليمن السعيدة تلعبه ربحاً طويلاً من الدهر^(٢٨).

ومما يجب الإشارة إليه هنا مدى حاجة شعب الإمبراطورية الرومانية لتلك السلع التي أطلق عليها بليني مصطلح (سلع الرفاهية الشرقية) والتي كانت عادةً تكلف الخزائنة الرومانية مبالغ طائلة من المال لدرجة أن الإمبراطور تيريوس ١٤ - ٣٧ م Tiberius^(٢٩) أبدى تخمه من ثروات الرومان التي كانت تنتقل إلى اسم عربية من خلال ثملاس والمجوهرات النسائية والرجالية الباهظة الثمن^(٣٠).

وبالإضافة إلى سلع الرفاهية الشرقية تلك كان هناك الطيب والبخور وهو أحد صادرات اليمن للإمبراطورية الرومانية والعالم القديم. وبطعم مدى أهمية البخور والذي كان يزنوه بميزان الذهب، ويضغطونه في جميع المناسبات الدينية أو الجنائزية أو الأفراح لذا فهو يعتبر على رأس هرم الواردات الرومانية من اليمن والتي كانت تدفع لأجله الأموال الطائلة^(٣١).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل وقفت الأمم الأخرى والتي كانت تستورد المنتجات العطرية والتوابل مكتوفة الأيدي أمام هذا الاحتكار اليمني لإحدى أهم صادرات العالم القديم ؟ والإجابة بالتأكيد لا لم تقف في مكان المتفرج وتترك مسرح التجارة العالمية في يد العرب اليمنيين ولكنها كانت لها محاولات عديدة كان الغرض منها فرض الحماية أو السيطرة الأجنبية على تلك التجارة والبضائع النفيسة^(٣٢).

وتأتي محاولة الإسكندر الأكبر^(٣٣) على رأس تلك المحاولات فمع بزوغ فجر العصر الهلنستي شهد الخليج العربي تقدم ملحوظ لأسطول الإسكندر الأكبر على موانئه التجارية^(٣٤) فلقد غنى الإسكندر غنية فائقة بتنشيط الملاحة في الخليج العربي فستاجر الفنيقيين للملاحة فيه ودخل شواطئه، كما نقل كثيراً من السفن إلى بلاد ما بين النهرين وبين بعض السفن مستعیناً بأشجار السرو وأرسل ثلاث سفن أبحرت جنوباً للاستكشاف، وصلت إحداها إلى البحرين حيث شاهد رجالها مصائد اللؤلؤ هناك^(٣٥).

وأخيراً قرر الإسكندر إرسال حملة بحرية بقيادة نيرخوس انطلقت من مصب نهر السند ماراً بسواحل ماكران، إلا أن هذا المشروع انتهى بوفاة الإسكندر عام (٣٢٣ ق.م) وتعطل تدخل الإغريق في تجارة التوابل والعطور لمدة قرنين من الزمن^(٣٦).

وعندما تقاسم قادة الإسكندر الأكبر الشرق الأدنى بعد وفاته استقر البطالمة في مصر في أواخر القرن الرابع ق.م واستقر السلوقيين في سوريا، إلا أن البطالمة أرادوا أن يحققوا حلم الإسكندر في السيطرة على هذه التجارة اليمنية وكسر الاحتكار اليمني لها^(٣٧). فعملوا على استغلال السواحل الطويلة المطلة على البحر الأحمر إلى أقصى الجنوب وكانت تلك المحاولة البطلمية بهدف السيطرة على تجارة اليمن في عدة مراحل^(٣٨).

أسفرت هذه المراحل الاستعمارية عن بدء رحلة منظمة للسفن البطلمية منذ عام ١٢٠ - ١١٠ ق.م إلا أن ويسبب الفوضى والتدهور السياسي الذي حل بأركان الدولة البطلمية أواخر عصر ملوكها توقفت إلى حد ما تلك التجارة^(٣٩).

وبدأت الإمبراطورية الرومانية تخرج على مسرح الأحداث السياسية والتي تعتبر منافس أشد خطراً منهم، يتمثل هذا النفوذ الروماني واضحاً في عصر الإمبراطور أغسطس Augustus (٢٧ ق.م - ١٤ م) الذي أصبح يسيطر على أغلب مناطق العالم القديم دون منازع منذ أواخر القرن الأول ق.م، ولم يكتفي أغسطس بالنشاط العادي الذي يقوم به أعوانه من الإغريق في تجارة الهند والبحر الأحمر، إنما أراد أن يقضي على العرب اليمنيين ويكسر احتكارهم وسيطرتهم على تجارة التوابل والعطور تماماً، ويحولهم للعمل في خدمة الإمبراطورية الرومانية^(٤٠).

فعمل على حث المصريين على تنظيف القنوات النيلية في زمنه وبذلت الجهود لإتعاش التجارة في البحر الأحمر، ووضعت حاميات مسلحة على السفن التي تسير في ذلك البحر، واستمر هذا الوضع فترة من الزمن، استخدم في سبيل تحقيقه كل الأساليب العسكرية المتطورة آنذاك وظهرت سلسلة من التحصينات الرومانية في جميع أنحاء البحر الأحمر من الشمال إلى شمال الحجاز كل ذلك بغرض فرض السيطرة على طرف التوابل والعطور الثمينة^(٤١).

ومما ساعد على زيادة حركة القرصنة تلك الشعب المرجانية التي كانت منتشرة على طول سواحل البحر الأحمر، ناهيك عن خلو البحر آنذاك من الموانئ الصالحة أو بالكاد يتوفر الملجأ الآمن للبحارة من أخطار العواصف أو من هجوم القراصنة الجياح^(٤٢).

وكانت الصورة البهيمية المشرقة التي أشاعها الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان في عالمهم الغربي عن ثراء بلاد العرب هي الحافز فيما بعد لحكام الرومان على محاولة التدخل في بلاد اليمن ومما قاله استرابون^(٤٣) «أن السبنيين كانوا من أكثر القبائل ثراء نتيجة لتجارتهم في المواد العطرية ولهذا توفرت لديهم كميات من مصوغات الذهب والفضة كالأسرة والموائد الصغيرة والأواني والكؤوس فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها، وجدرانها، وسقوفها بمختلف الألوان».

وليس من الضروري بطبيعة الحال تصديق هذا التصوير المبالغ فيه ومن المحتمل أنه كان كاذباً لأثاره أطماع الرومان الطموحين إلى السيطرة والاستغلال، وهكذا أصدر الإمبراطور أغسطس إلى نائبه الروماني في مصر اليوس جاليوس (Aelius Gallus) بأن كلفه بمهمة إرهاب العرب واحتلال أرضهم^(٤٤).

وبناءً عليه جهز جيشاً كثيفاً وانضم إليه عدد من اليهود المخالفين له وانطلقت الحملة الأولى هذه في عام ٢٤ ق.م على متن أسطول كبير ولكنها باءت بالفشل، وفقدت كثيراً من

سفتها ورجالها ولم تحقق الغرض الأساسي الذي خرجت من أجله وهو السيطرة على تجارة الطيوب في اليمن^(٤٩).

ولم تكن تلك الحملة الأولى والأخيرة التي أرسلتها الإمبراطورية الرومانية إلى اليمن، ولكن تلتها حملة أخرى أرسلها الإمبراطور أغسطس أيضاً عن طريق البحر في وقت لاحق (ربما بعد عشرين عاماً) إلى هذه المنطقة تحت قيادة ابنه بالتبني جايوس قيصر Gaius Caesar ولكن يبدو أن هذه الحملة لم تستغرق وقتاً أو جهداً كبيراً إذ يذكر لنا بليني أن القائد لم يفعل أكثر من إلقاء نظره سريعة على بلاد العرب ثم رحل عنها^(٥٠).

ولما عجز الرومان عن تحقيق ما يصبون إليه من الإشراف على الموانئ العربية بالقوة، بدؤوا في استعمال الطرق الدبلوماسية فأخذت تحالف ملوك اليمن، فحالفت ملك ظفار الحميري على شرط أن يكون ذلك التحالف مقرون بوجود حامية عسكرية رومانية في ميناء عدن^(٥١) بعد أن يمر بواسطة القوات الرومانية لأنه كان يشكل تهديداً كبيراً وخطراً واضحاً على مصالح الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر والخليج العربي على حد سواء^(٥٢).

وأخيراً فلقد كان للنشاط التجاري اليمني دوراً خطيراً في إسالة لعاب كل القوى الطامعة فيه مثل الفرس الذين أخذوا بفرض الضرائب الهائلة على البضائع المارة إلى الإمبراطورية الرومانية^(٥٣) فأصبحت الإمبراطورية بين فكي أسد من الجهة الأولى التجار اليمنيين ومن الجهة الأخرى التجار الفرس مما دفعها إلى عقد تحالف مع الحبشة لمهاجمة اليمن والاستيلاء على تجارتها البحرية مع الهند^(٥٤).

ارتبطت الهند واليمن بصلات تجارية وحضارية قوية فنقد كانت البضائع الهندية تنقل إلى اليمن بحراً وكذا الحال بالنمبية لبضائع ايمينية، التي كانت تصل إلى الهند، وتباع هناك في الأسواق الهندية الدائنة الطنب لبضائع اليمن^(٥٥).

لذا حرص التجار اليمن على إنشاء أسطولاً بحري يغزو ويروح بين الهند وجنوب بلاد العرب بأصناف المتاجر، ومختلف أنواع البضائع وكونوا هناك - أي اليمنيين - سلطة ونفوذ دونه كل نفوذ، وقبضوا على زمام التجارة في الهند واحتكروا غلات البلاد - وسوف يرد تفصيل ذلك لاحقاً -^(٥٦).

من هنا نستطيع القول بأنه كان للتجار اليمنيين الزعامة والسيطرة في الهند مكنتهم من الاستيلاء على عصب التجارة الهندية^(٥٧) فاستقروا بها واستوطنوا أرضها وعمرها^(٥٨).

وبناءً على ماسبق زادت ثروات الشعبين لدرجة دفعت المؤرخين الكلاسيكيين للحديث عنها ويتوسع مما لفت لها أنظار الدول الاستعمارية الطامعة في الثراء والرفاهية^(٥٩). وخصوصاً وأن كلاً من البلدين فرضت ضرائب جمركية على تجارة الترانزيت القادمة من الهند واليمن وإلى غيرها من مناطق العالم المختلفة^(٦٠).

والآن ننتقل للحديث عن المسبب في ازدهار هذه التجارة الهندية اليمنية، والمسبب في نجاحها وتطورها هو اكتشاف الرياح الموسمية، فنقد شهدت تلك القرون الثلاثة الأولى نموذجاً للنشاط التجاري العربي اليمني فلقد كانت موانئ اليمن قبله للسفن القادمة مصر والحبوب من أفريقيا ومن المشرق الهند، وكان اليمنيون والهنود معاً هما أول من تعرف على نظام حركة الرياح الموسمية،

واستفادوا منها في تسيير السفن في الاتجاهين، ونتيجة لذلك زادت أنواع وكميات السلع والبضائع التي كانوا يتاجرون بها^(٥٧).

هذا ولقد سجل لنا التاريخ حركة بحرية نشطة للتجار اليمنيين احتكروا بها تجارة المحيط الهندي - كما أسلفنا - وذلك لأنهم فهموا وعرفوا كيفية الاستفادة من دورة الرياح الموسمية وحركتها في المحيط الهندي، ففي الصيف تكون اتجاهاتها جنوبية غربية تصل بسفنهم إلى ساحل ملبار الهندي ومع الشتاء تكون فيه اتجاهات الرياح شمالية شرقية وتعود سفنهم وقد تزودت بحمولة كبيرة من سلع متنوعة إلى ساحل شرق أفريقيا وخليج عدن^(٥٨).

ويفضل معرفة العرب لتلك الأيام التي تهب فيها الرياح الموسمية وتحديد لهم لأوقات هبوبها فقد عرفوا الأوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي. ويذكر المسعودي أن الفلاحين العرب كانوا يستعينون في أسفارهم بدليل بحري سموه (رهماني)، حتى أن المسعودي ارتحل به بحراً مع جماعة من التجار إلى المحيط الهندي^(٥٩).

وقد حافظ التجار العرب اليمنيين والهنود على سر هذه الرياح الموسمية بغرض الحفاظ على احتكارهم للتجارة الدولية في المحيط الهندي آنذاك حتى القرن الأول الميلادي إلى أن اهتدى البحار اليوناني هيبالوس Hippalos إلى سر هذه الرياح ومواعيد هبوبها فوصلت السفن اليونانية والرومانية إلى شبه الجزيرة الهندية مباشرة عبر المحيط الهندي فزاد إقبال مكان الإمبراطورية الرومانية على طلب السلع الشرقية وليس معنى ذلك هو ضياع النفوذ اليمني الهندي بل على العكس فقلد استمر هذا النشاط اليمني التجاري إلى القرون الثلاثة السابقة لظهور الإسلام^(٦٠).

وبهذا الاكتشاف من قبل هيبالوس شارك اليمنيين أقوام أخرى في تجارتهم البحرية ولعل السبب أيضاً في ذلك هو أن العرب لم يطوروا أسطولهم التجاري البحري، ولذلك فإن سيطرتهم على البحر والتجارة البحرية الهندية خفة قوتها إلى حد ما^(٦١).

ولكي تكون أكثر دقة في تحديد مكتشف الرياح الموسمية Monsoon للغرب فلا بد أن نذكر هنا أنه سبق هيبالوس بحار يوناني آخر راند في هذا المجال وتعتبر رحلته من ضمن الرحلات القديمة التي نجحت في الوصول إلى الهند مباشرة وهو رجل يدعى بودوكسوس الكينريكي Eudoxus of Cyzicus ووصل بالسفن اليونانية إلى الهند حوالي عام (١١٤ ق.م - ١١٧ ق.م) وتعددت بعدها رحلات بحارة الإغريق والبطالمة وساعد على نجاحها اهتمام هيبالوس إلى إمكانية استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف^(٦٢).

ومن هنا بدء الاستغلال المنظم للطرق الجديدة إلى الهند وبدء البطالمة بالنهوض بتجارة البحر الأحمر فوضعوا عليها موظف مسئول عن متابعة سير السفن في البحر ثم في عام ١٢٠ أو ١١٠ ق.م بد لنا نسمع عن رحلات بحرية مباشرة بين مصر والهند^(٦٣).

ويفضل هيبالوس بدء التجار الغربيون في الوصول إلى شبه الجزيرة الهندية في وقت أقل مما كانوا عليه في السابق وبطريقة أقل خطورة مما كان الحال عليه^(٦٤). وهكذا حقق هيبالوس في القرن الأول ق.م شهرة عالمية وتاريخية بسبب اكتشافه هذا وأطلق اسمه على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية^(٦٥).

والآن نود أن نستعرض مواقيت هبوب الرياح الموسمية الهامة للتجارة ووفقاً لما ورد عند هيرابولس الثاني^(١١) - فالأحوال المناخية التي تعرض لها مناطق الخليج العربي والمحيط الهندي منذ القدم فلقد أوردت لنا العديد من المسميات لأنواع مجتمعه من الرياح التي تهب على شواطئه الغربية تناولت بشيء من التفصيل مسمياتها، والمواقيت التي تهب فيها واتجاهاتها، ومن أصناف هذه الرياح توجد الشمالية الشرقية ونسيم البحر والبر وغيرها ولكن تبقى «الرياح الموسمية» من أهمها جميعاً وذلك نظراً لاستفادة سكان جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي منها أكبر استفادة حتى الوقت الحاضر.

والرياح الموسمية الجنوبية الغربية هذه ذات اتجاهين، فهناك الشمالية الشرقية التي تهب في شهر نوفمبر حتى شهر مارس وتعمل على تسهيل الملاحة البحرية حتى شواطئ الهند للسفن الخارجية من الخليج العربي على طول بحر العرب والمحيط الهندي^(١٢).

أما فيما بين شهري مايو وسبتمبر فتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الاتجاه المعاكس، فتعمل على تسيير وصول السفن إلى شواطئ الخليج العربي بسهولة وأمان^(١٣). وكما أدرك العرب في جنوب الجزيرة العربية أهمية هذه الرياح الموسمية في التجارة أدرك الهند أيضاً هذه الأهمية، فقد كان الهواء البارد يندفع باتجاه الشمال فوق المحيط الهندي في الصيف ثم إلى الجنوب باتجاه حبال «الهيملايا» والسهول الهندية في الشتاء فتملأ أشراعتهم للانطلاق في البحر، كما أنها تجلب للمزارعين الهنود المطر لزراعتهم^(١٤).

ولكن على الرغم من أهمية اكتشاف هيباتوس لرياح الموسمية الجنوبية الغربية فلقد ظلت محفوفة بالمخاطر على حد قول «صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريترى»^(١٥) لذلك احتفظ العرب بسلطاتهم على تجارة المحيط الهندي وإن كان هذا السلطان بدأت قوى أخرى تتنازعهم فيه فأخذ البحارة المصريين، والفينيقيين واليونانيين براحمونهم في طريق جمع ثرواتهم من مياه المحيط الهندي^(١٦).

وفيما بعد نشطت التجارة الملاحية بين الإمبراطورية الرومانية والهند فكانت السفن تبحر مباشرة من بومباي أو سواحل الهند الجنوبية إلى الموانئ الرومانية فيذكر بليني Pliny أن سفنه أبحرت إلى الهند في فترة قصيرة جداً بلغت خمسة عشر يوماً^(١٧).

اعتمد البحارة الرومان على رياح هيباتوس وركبوا البحر في مواقيتها المنظمة حتى أنه في أيام الإمبراطور فسباسيان (٧٠-٩٦م) Flavius Vespasianus كان البحارة التجار يخرجون إلى عرض المحيط الهندي بكل جراءة وقوة^(١٨).

وأصبح مشهد السفن الرومانية ملئاً في مياه المحيط الهندي ذهاباً وإياباً مما أثر إلى حد ما على تجارة الهند اليمنية آنذاك ولكن الغريب في الأمر أن تتأثر بعض دول الجنوب اليمني إذ سطع نجم حضرموت وقتبان بعد أن تخلصتا من وساطة المغنيين والسبئيين، وأخذوا يشحنوا منتجاتهم من الطيوب والعطور والتوابل والبخور على متن السفن اليونانية في الموانئ المخصصة لذلك. وهذا يعني الانهيار التام للدولة اليمنية - السبئية والمغنية - من ناحية تجارة البحر ولكنهم حولوا تجارتهم بمنتهى النكاء إلى البر^(١٩).

وهذا يعني أن عرب اليمن لم يتأثروا كثيراً بسبب كشف سير الرياح الموسمية، لأنه في

حالة ضعفت تجارة البحر إلى حد ما في بعض دويلات اليمن، ترتفع أسهم دول أخرى مثل حضرموت وقتبان في التجارة البحرية والبرية وهذا يؤكد استمرار التجارة اليمنية الهندية على الرغم من كل الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة^(٧٥).

اشتهر سكان جنوب الجزيرة العربية منذ القدم - كما أسلفنا - بالنشاط التجاري إذ كانت تسير قوافلهم براً في شبه جزيرة العرب، وسفنهم بحراً في المحيط الهندي والبحر الأحمر ناقلة على متنها السلع من الأقاليم الآسيوية وغلّات شرق وشمال أفريقيا إلى دول البحر المتوسط^(٧٦).

ولقد أفضى هذا التقدم الاقتصادي الهندي العربي إلى نشاط التجارة وازدهار المدن وتوطيد حياة الاستقرار والتحضر إلى نشوء الملكية الخاصة، وقيام الدول المتطورة التي جمعت بين صفات الموانئ البحرية والمحطات التجارية على طرق القوافل البرية والبحرية، والمراكز التجارية التي تجتمع فيها السلع ومنها توزع إلى مختلف الجهات^(٧٧).

ويعود ثراء اليمن إلى مزاولتها للتجارة البرية والبحرية، والاتجار بالمواد الناتجة من الزراعة في جنوب الجزيرة العربية وبالسلع المستوردة من الخارج ولاسيما من الهند والسواحل الأفريقية^(٧٨).

هذا ولقد حرص، عرب جنوب الجزيرة العربية على التجارة البحرية تماماً مثل حرصهم على تجارة القوافل البرية، فعملوا على بناء السفن التجارية لخوض أعماق البحار ومما شجعهم على ذلك الموقع الاستراتيجي للجزيرة العربية، فهو موقعاً أتاح لها إمكانيات واسعة في مجال ازدهار التجارة البحرية فهي تشغل - كما سبق أن رأينا - موقع متوسطاً بين ثلاث بحار البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي من الشرق ومنها يمتد المحيط الهندي ليستمر شرقاً، والبحر المتوسط من الشمال الغربي^(٧٩).

لذلك لعبت طرق المواصلات البرية والبحرية في جنوب الجزيرة العربية دوراً حيوياً، في حياة شعوب الجزيرة، ونستطيع أن نقيس فهم ذلك الدور من خلال كثافة شبكة خطوط المواصلات التجارية بنوعها - البري والبحري - إذ كلما زادت هذه الشبكة كثافة كان هذا دليلاً على تقدم دول المنطقة، ولهذا تعتبر الطرق التجارية هي شرايين الحياة في دول جنوب الجزيرة العربية^(٨٠). ونتيجة لتوسع شبكة المواصلات البرية والبحرية هذه تطورت حركة الملاحة على شواطئها فحرصوا على دراسة طرق الملاحة البحرية ودلتهم تلك الدراسات إلى اكتشاف سر الرياح التجارية الموسمية في المحيط الهندي^(٨١).

ومن المؤسف أنه يوجد البعض^(٨٢) من الذين حاولوا التشكيك في قدرات العرب على استخدام البحر وإمكانيات قيامهم برحلات بحرية فيه وخاصة الرحلات الطويلة المتجه إلى الهند والصين وسيلان معتمدين على قلة القرائن الأثرية الدالة على ممارسة عرب الجنوب للملاحة سواء كان في النقوش أو غيرها، كما أن قلة الأخشاب الصالحة لصناعة السفن كان أحد الحجج التي استند عليها أصحاب الرأي السابق، ويرى هؤلاء أن القوارب المخيطة أو الجلدية هي غير قادرة على القيام بهذه الرحلات البحرية الطويلة^(٨٣).

ولقد أثبتت الدراسات أن القوارب المخيطة صنعت بأحجام كبيرة، وهي قادرة على حمل كمية من البضائع كما أن لديها القدرة على الأبحار لمسافات طويلة، ولا يستبعد أن يكون العرب قد

استوردوا الأخشاب لصناعة السفن الكبيرة من أماكن توفرها^(٨٤).

وأخيراً نجح العرب في ارتياد البحر بكفاءة عالية وجراءة ومهارة فائقة، حتى ملكوا في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب وكان لهم السيادة على الخليج العربي وعلى البحار التي تصل به مثل البحر العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي^(٨٥).

فأصبحوا ملّمين بمواقع وأوصاف الجزر والخلجان والريوس بها وأحكموا تقدير المسافات التي تقطعها السفن بين الموانئ العربية، وموانئ الهند والصين، كما أنهم حددوا الأوقات الصالحة للإبحار والقيام بالرحلات التجارية والملاحية البحرية^(٨٦).

ونود أن نشير إلى تلك السفن التي كان العرب الجنوبيين يستخدمونها في ركبهم أعالي البحار فلقد شحنوا بضائعهم على متن القوارب الكبيرة والمخصصة لتصدير سلعهم والتي من بينها المواد العطرية، والتوابل، كما استخدموا القوارب الجلدية لجلب المواد العطرية من الساحل الإفريقي والهند^(٨٧).

هذا ولقد اعتمدوا على أطواف من الغاب - نوع من القوارب الصغيرة - ولكنهم كانوا عابداً مايسرون بها بمحاذاة ساحل شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر الذي تكثر به الشعب المرجانية التي تؤدي إلى تحطيم السفن الكبيرة^(٨٨).

وبالإضافة إلى قوارب الغاب كانت توجد سفنهم الشراعية، والقوارب الخشبية الصغيرة المشدودة بالآلياف أو المصنوعة من مادة مشابهة لها^(٨٩).

ولقد أشار استرابون أن من أوائل السفن التي رست في المحيط الهندي هي سفن خشبية كانت لأهالي مالابار وأخرى لأهالي القسم الجنوبي من مقاطعة حضرموت، وهم الذين بنوا أسطولاً تجارياً من ميناء عدن وبعض الموانئ العربية الساحلية الجنوبية^(٩٠). وكانت لهم تجارة واسعة مع الهند وأنهم أيضاً أقتنوا فنون الملاحة البحرية كما أنهم استخدموا السفن التجارية الكبيرة التي صنعوا بها أسطولاً بحرياً تجارياً ضخماً وصول بهم إلى الهند.

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الطرق البرية والبحرية التي تربط ما بين الهند وجنوب الجزيرة العربية أو تلك التي كانت جنوب الجزيرة العربية هي حلقة الوصل بينها وبين الهند، ولكي نكون منصفين ولمزيداً من الدقة فلا بد أن نذكر هنا أن الطرق البرية كانت في واقع الأمر أقل في العدد من نظيرتها البحرية والمتجهة من وإلى الهند وجنوب الجزيرة العربية ولكننا سوف نذكرها حتى لا نكون قد أغفلنا أي طريق مواصلات بين الهند وجنوب الجزيرة العربية، كما نود أن نشير هنا إلى أن هذه الطرق في أغلبها تبدأ بحرية وتنتهي برية.

الخطوط التجارية البحرية - البرية الهندية اليمنية:

١- طريق البخور (عدن - باريجازا):

ويقف على رأس هذه الطرق التجارية العربية الهندية أهمية طريق البخور والذي يعتبر فرعاً من الطريق التجاري الجنوبي الذي كان يصل بين الهند والموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة العربية ثم عدن، لأن المراكب الهندية كانت تفرغ حمولتها لدى الأعراب الذين حرصوا على التجارة إلى حد أنهم لم يسمحوا لهذه المراكب بدخول مضيق باب المندب إلا بعد دفع الضرائب^(٩١).

٢- الهند - البحر المتوسط:

وهذا الطريق يمتد من الهند إلى البحر المتوسط باتباع الطريق البري منطلقاً من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الهند فلقد كانت القوافل تصل إلى مأرب^(٩٢) فبعد وصول السفن التجارية المحملة بالبضائع النفيسة من الهند تحط رحالها في جنوب الجزيرة العربية في ميناء عدن ثم مكة ومنها إلى غزة^(٩٣) وبقي البحر الأبيض المتوسط^(٩٤).

٣- الهند - نجد:

وهذا الطريق يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت Chatrnatital ويبدأ من ميناء باريجازا ويسير في المحيط الهندي حتى يصل إلى حضرموت وعاصمتها شبوه، ومنها إلى الحدود الشرقية لنجد ومن نجد تتفرع في خط بري آخر ينطلق إلى بلاد الرافدين وخط ثالث يسير إلى بلاد الشام^(٩٥).

٤- الهند - حضرموت:

وينطلق هذا الطريق بحراً من الهند ميناء باريجازا الهندي حتى تصل السفن إلى ميناء عدن ومنها براً إلى حضرموت متجهاً إلى منطقة اليمامة عبر الحافة الشرقية أو الغربية للربع الخالي متجهاً إلى بلاد الرافدين لتلتقي في خط آخر متجهاً إلى سوريا^(٩٦).

٥- الهند - عُمان Oman

وهذا الطريق ينطلق من ميناء باريجازا وصولاً إلى عدن ومنها براً إلى عمان محملاً بكل بضائع شرق آسيا المنقولة على الأبل كما يتفرع منه عدة خطوط أخرى أولها يتجه إلى مأرب وآخر إلى معين وثالث إلى طفار متفادية المرور باتباع الخالي^(٩٧).

٦- سوريا - الهند:

وهذا الطريق يبدأ رحلته من سوريا ثم إلى مكة ومنها إلى اليمن جنوب الجزيرة العربية إلى ميناء عدن ثم إلى المحيط الهندي حتى يصل إلى الهند^(٩٨).

٧- الهند - مصر:

وتأتي بضائع الهند عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن أو ميناء موزا ليكتمل طريقه براً عبر شبه الجزيرة العربية إلى الشمال ومنه إلى مصر^(٩٩) وهناك مسار آخر لهذا الطريق الذي يربط الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية ويبدأ من الهند وصولاً إلى ميناء قاتا أو عدن عبر مضيق باب المندب متجهاً السواحل العمانية عبر البحر الأحمر إلى بيرنيكي Beranike ومن هناك عبر البر يسير في اتجاه الشمال الغربي حتى يلتقي بالطريق القادم من المراكز التجارية الشمالية العربية للجزيرة العربية والذي يمتد من Dedan دادان (العلا حالياً) غرباً إلى البحر الأحمر حتى يصل إلى ميناء القصير ومنه إلى وادي الحمامات وأخيراً فقط الواقعة على مسافة ٤٠ كم شمال غرب الأقصر ومن هذه الطرق كانت كل بضائع الهند تصل إلى شمال الجزيرة العربية ومصر^(١٠٠).

٨- ليوكي كومي - الهند:

يبدأ هذا الطريق من ليوكي كومي^(١٠١) متجهاً جنوباً نحو سواحل جنوب الجزيرة العربية ماراً بعدد من الموانئ العربية على البحر الأحمر والتي من أهمها: موزا، أوكليس، قتا، عدن، وسوف

يرد نكر كلاً من هذه الموانئ بالتفصيل لاحقاً - ثم يحاذي الساحل في خليج عمان على رأس الحد، ثم يتجه نحو الساحل المقابل من الخليج ويمتد في السير بمحاذاة الساحل الآسيوي المقابل فساحل كرمناء إلى نهر السند والموانئ الواقعة جنوبه وتستخدم السفن بنفس الطريق في عودتها^(١٠٢).

وبصورة أكثر وضوحاً يجب أن نعلم أن هذه الخطوط لم تكن هي الخطوط البرية البحرية الوحيدة التي ربطت الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية، بل كانت هناك العديد من الخطوط التي جعلت من شبه الجزيرة العربية واسطة بينها فكانت هذه الخطوط تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن لتكمل طريقها إما براً عبر شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال أو بحراً بطول البحر الأحمر حتى موانئه البحرية الشمالية أو متصلة بين الطريق البري والطريق البحري^(١٠٣).

هذه كانت أهم الطرق البرية البحرية التي ربطت بين الهند وغيرها من مناطق العالم مروراً بحلقة الوصل بينها وهي شبه الجزيرة العربية على اعتبار أنه لا يستطيع الوصول إلى أبا منها. إلا بمرور بجنوب الجزيرة العربية.

(١) الطرق التجارية البحرية الهندية اليمنية (الغير مباشرة):

وهذه الطرق تنطلق من عدة أماكن وتمت بجنوب شبه الجزيرة العربية وصولاً للهند أو من شبه الجزيرة العربية مباشرة إلى الهند **المهم أن منطقة جنوب الجزيرة هي المحور الأساسي للربط بين الهند ومناطق التجارة العالمية - كما أسنفت -** والآن نستعرض أهم الطرق البحرية العربية الهندية، وسوف نقوم بترتيب عرضها على حسب أهميتها التجارية ابتداءً من الطرق الغير مباشرة ثم الطرق المباشرة^(١٠٤).

١ - جنوب شبه الجزيرة العربية ساحل شبه الجزيرة الهندية:

ينطلق هذا الطريق من عدن إلى خراكمس Charex^(١٠٥) ماراً بعدد من المراكز والموانئ العربية، والجزر مثل فيلكا Fayilake^(١٠٦) والبحرين وكذلك بعدد من الموانئ العربية مثل Gorrha الجرهام^(١٠٧) ثم تحاذي الساحل ماراً بعدد من الموانئ على الخليج العربي ثم ينطلق في مياه الخليج ومنها إلى المحيط الهندي، حتى يصل إلى ساحل كرمناء ويملك نفس الطريق الذي تسلكه السفن القادمة من البحر الأحمر، وكانت السفن العربية تقف عند عدد من الموانئ الهندية على الساحل الغربي مثل بريجازا أو قد يصل إلى الموانئ العربية والحديثة للهند مثل موزي Muziri^(١٠٨).

٢ - الهند - مصر:

وفي هذا الطريق الذي سبق الإشارة - إلى نظيراً بري له في أهم الخطوط البرية البحرية التي تربط الهند بجنوب الجزيرة العربية، يوجد طريق بحري آخر يتفرع إلى ثلاثة فروع الأول ينطلق من الهند من موزي عبر المحيط الهندي إلى مينائي موزا أو عدن ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى خليج العقبة ثم فقط^(١٠٩) أما الفرع الثاني فيسير في نفس سير الخط إلا أنه بدلاً من التوقف عند البحر الأحمر فإنه يكمل مسيرته إلى البحر الأبيض المتوسط، وفي كلا الفرعين كانت جنوب شبه الجزيرة العربية هي القنطرة الموصلة بين القطرين الهندي والمصري بحراً^(١١٠).

أما الفرع الثالث للطريق ينطلق من مصر مباشراً إلى الهند^(١١١) وله خط سير آخر تماماً فهو ينطلق من موانئ مصر برينكي على البحر الأحمر متجهاً إلى الحبشة ومنها إلى عدن في جنوب الجزيرة العربية ثم المحيط الهندي حتى تصل إلى موزي في الهند^(١١٢) وقد ذكر هذا الطريق عند بليني^(١١٣).

٣- الهند - سوريا:

من باريجازا إلى عدن ومنها إلى خليج العقبة ثم إلى الموانئ المصرية الواقعة على البحر الأحمر وبعدها إلى الموانئ السورية على البحر الأبيض المتوسط إلى أوربا^(١١٤) وهناك خط آخر يبدأ من سوريا إلى مصر ثم إلى موانئ البحر الأحمر حتى يصل إلى عدن إحدى موانئ جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى المحيط الهندي ميناء باتيلا الهندي ومن الهند يتفرع هذا الخط إلى أربعة خطوط فرعية هي سيلان - تابلند - الملايو - الصين ومن خلالها تصل جميع بضائع جنوب الجزيرة العربية وسوريا إلى الهند وشرق آسيا^(١١٥) هذا ولقد ذكرها المؤرخ أبيان Applan^(١١٦) في مجمل حديثه عن التجارة الكبيرة بين الهند والجزيرة العربية.

٤- برينكي - باريجازا

من برينكي حول البحر الأحمر يدور هذا الطريق حتى يصل إلى موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى رأس الخليج العربي ومنه إلى باريجازا إحدى أهم الموانئ الهندية ولقد استخدمه التجار الصينيون لنقل بضائعهم إلى المنطقة ويفضل هذا الطريق أيضاً وصلت كل بضائع الهند وشرق آسيا إلى جميع أنحاء الجزيرة وبالأخص شماتها وتحديداً مكة والمدينة^(١١٧).
(٢) الخطوط التجارية البحرية الهندية اليمنية (المباشرة):

١- عدن - باريجازا Bariguza:

وهو طريق مباشراً تماماً يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية والهند ينطلق من عدن Eduaemamn ثم قانا ويسير بمحاذاة الساحل مدة ثلاثة أيام ثم يتجه عبر المحيط الهندي، نحو بريريكم وباريجازا ويستخدم هذا الخط نفس الطريق في العودة محملاً بأعلى بضائع الهند التي ما إن تصل إلى موانئ اليمن حتى تحمل بإشراف التجار العاملين في ميناء قانا Qana براً إلى شيوخ القبائل العربية في أنحاء الجزيرة العربية إلى جزها والبراء وغيرها من المحطات البرية الهامة^(١١٨) ومن هذا الخط يتفرع خط آخر ينطلق من موزا إلى الهند مباشراً بغرض التزود بأنواع البضائع الآسيوية أو العربية المطلوبة عند الطرفين.

٢- قانا - موزي Mouziris:

وهذا الخط ينطلق إلى السواحل الغربية والجنوبية عبر المحيط الهندي إلى الهند لترسو سفنه في ميناء موزي Mouziris الهندي^(١١٩).

ولقد استخدم هذين الطريقين السالفين الذكر بعد اكتشاف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الفترة بين يوليو وأغسطس أما رحلة العودة فكانت تسير مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية في الفترة من ديسمبر إلى يناير^(١٢٠).

٣- شمال غرب الهند - أوكليس Ocelis:

وهذا الطريق يبدأ من موانئ شمال غرب الهند من باريجازا ويسير في مياه المحيط الهندي

حتى يصل إلى ميناء أوكلنس اليمني في جنوب الجزيرة العربية مباشرة ومنها إلى جزيرة سوقطرة والمنازل الصومالي. وهذا الطريق يستخدم مع هبوب الرياح الموسمية المناسبة له^(١٢١).

٤ - باريجازا - موشا Moscha:

وموشا هو ميناء ظفار على ساحل جنوب شبه الجزيرة العربية كانت السفن الهندية تبحر حتى تصل إلى هذا الميناء الحضرمي وتقضي فصل الشتاء فيه حتى يتم التبادل التجاري والحضاري^(١٢٢).

٥ - موزا - بتالا غير مباشر:

وهو طريق فرعي يصير بمحاذاة الساحل الغربي إلى مخا ميناء بلاد البخور ومنها إلى المحيط الهندي إلى بتالا مباشرة^(١٢٣).

وفي ختام حديثنا عن هذه الطرق البحرية والطرق البرية البحرية يجب أن نعرف أن هذه الطرق لم تكن متروكة سدى دون أي حماية تذكر من قبل الدول المالككة لها أو التي تمر بأرضها أو مياهها الإقليمية (إن جاز التعبير)، ولقد كانت هناك نقاط حراسة بحرية (تشبه إلى حد كبير خفر السواحل لدينا حالياً - تراقب السفن التجارية في أثناء سيرها في البحر).

كما حرصت عرب جنوب شبه الجزيرة العربية على حماية هذه الطرق البحرية والبرية على السواء فمنعت القوافل التي تسير السفن على هديها في رحلتها عبر الخليج العربي والمحيط الهندي من جهة وياتصالها بين الهند شرقاً وشرق أفريقيا غرباً^(١٢٤).

وبما أننا تحدثنا عن أهم الخطوط التجارية البحرية فلابد لنا أن نذكر أهم الموانئ العربية التي كانت تمر بها تلك الخطوط فقد نشأت على طول السواحل العربية عدداً من الموانئ والمرافئ ازدهر عدد منها لازدهار التجارة البحرية وأصبحت أسواقاً عالمية تستقبل أنواعاً من السلع الأجنبية ويصدر عبرها منتجات الجزيرة العربية.

وفي هذه الفترة كانت الرحلات البحرية مباشرة بين أحد الموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة إلى السواحل الهندية عبر المحيط دون الحاجة إلى الإبحار بجانب الساحل وأصبحت السفن التي تريد الموانئ العربية الشمالية تبحر من عدن أوقاتاً وتسير بمحاذاة الساحل ومنه إلى المحيط حتى تصل إلى موانئ الهند^(١٢٥) (وسوف يرد ذكرها بالتفصيل لاحقاً).

ومما ساعد على ازدهار هذه الموانئ العربية أن بيئة الخليج العربية وبحر العرب يوجد بها العديد من المناطق الصالحة لقيام الموانئ والرؤوس المحمية، وتوفير مياه الشرب من العيون والآبار في مراكز متقاربة نسبياً مما ساعد على إنعاش وازدهار التجارة البحرية آنذاك بشكل ملحوظ^(١٢٦). وأفضل دليل على ازدهار تلك الموانئ هو مقدار البضائع والسفن التي كانت تفرغ وتحمل في الموانئ العربية والهندية^(١٢٧). ويأتي على رأس هذه الموانئ أهمية موانئ البحر العربي:

١ - ميناء عدن Eudaenan:

وهو ميناء هام على الساحل العربي الجنوبي للجزيرة العربية وهو أول ميناء في طريق السفن القادمة من البحر الأحمر بعد عبورها مضيق باب المندب، وتمتاز بمرفأ جيد، كما تتوفر فيه المياه العذبة، لقد كان أصحاب السفن يفضلون الرسو فيه عن أوكلنس^(١٢٨).

يتميز موقع عدن بحصانة طبيعية وذلك لوقوعها على مرتفع صخري يتكون من الصخور البركانية التي كانت تحيط بالمدينة والميناء، كما أن موقعها ملائم لرسو السفن المارة بها فهي تمتاز بمرفأ طبيعي ومما ساعد على ازدهارها شهرتها الكبيرة بخزانات الماء في الصخور^(١٣٩). كما تعتبر من أهم الموانئ العربية المطلة على المحيط الهندي فأصبح مرسى السفن الآتية من أنحاء آسيا بالتحديد الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، كما كانت ترسو عليها السفن المحملة بمنتجات الدول الآسيوية^(١٤٠).

وهي إلى جانب ذلك تعتبر نقطة ارتكاز للتجارة بين الهند والصين ومصر، لذلك اهتم العرب المقيمون فيها بالتبادل التجاري على نطاق دولي واسع، حتى أنها عرفت فيما بعد باسم دهليز الصين^(١٤١).

ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني ق.م وأصبح يضاهي الإسكندرية من حيث الأهمية التجارية والاستراتيجية^(١٤٢) ووفقاً لما ذكره صاحب كتاب الطواف The Periplus قال «كانت تسمى يودايمون Eudaemon وكانت مدينة هامة جداً عندما كانت الرحلة من الهند إلى مصر أمراً لم يتحقق بعد لصعوبة الإبحار في هذه المياه، وبالتالي استحالة وصول السفن المصرية إلى الموانئ الهندية مباشرة، لذلك كانوا يأتون جميعاً إلى عدن التي كانت تتلقى السلع من جميع البلدان كما تتلقى الإسكندرية الآن (البضائع) التي تجلب من الخارج» وفي هذه الرواية دليل واضح على منافسة عدن آنذاك للإسكندرية^(١٤٣).

هذا ولقد سيطر على هذا الميناء عدداً من القوى السياسية التي تنابعت على المنطقة مثل أوسان^(١٤٤) وسبأ وقتبان وأخيراً حمير^(١٤٥) الذي تزهو في عهدها إذ تعرض للهجوم عليه من قبل الإمبراطورية الرومانية التي اتخذت إجراءات فعّلية في سبيل السيطرة عليه. بل وعلى المنطقة الساحلية بأكملها في الجنوب بفرض الاستيلاء على تجارة البخور واللبان والتوابل ولذلك قام الأسطول البحري الروماني بعمليات عسكرية من البر والبحر ضد عدن وفق ماورد لنا عند بليني^(١٤٦).

أما صاحب كتاب الطواف فيشير إلى أن الرومان سيطروا على عدن فترة من الزمن واعتبر أن حملة اليوس جالوس (السالف الذكر) هي ذروة تلك المحاولات^(١٤٧).

ولكن دوام الحال من المحال، فلقد تحول ميناء عدن فيما بعد من مدينة مزدهرة إلى قرية متواضعة بفعل مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة^(١٤٨) ولكن هذا الميناء عاد نشاطه التجاري في القرن الرابع الميلادي وظل مزدهراً حتى العصور الحديثة^(١٤٩).

٢- ميناء قانا Qana (بئر علي حالياً)^(١٥٠):

وهو ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وإلى الشرق من عدن وعند بطنموس يقع على خط طول ٨٤ (على الساحل الحضرمي) وهذا الميناء هو ميناء حضرموت الرئيسي (أرض اللبان)، وهو أيضاً سوق تجاري على ساحل البحر العربي، والمنفذ الرئيسي للدولة الحضرمية^(١٥١).

يطلق عليه سفر حزقيال (سوق كنية)^(١٥٢) فهو الميناء الرئيسي لتجارة اللبان والمر والأحجار الكريمة والذهب كما أنه يعتبر أيضاً محطة هامة تنطلق منه القوافل البرية إلى جميع

أنحاء الجزيرة العربية فهو بذلك ميناء بحري وسوق بري هام في آن واحد^(١٢٣).

وبما أنه سوقاً هامة على طريق القوافل البرية وخطوط الملاحة البحرية استقبل هذا الميناء جميع السلع التي كانت تأتي من مصر وأفريقيا والهند بمينائيهما وصدر لهم اللبان وكثيراً من البضائع الموجودة فيه من جراء تبادله التجاري مع الكثير من مناطق التجارة العالمية^(١٢٤).

واستناداً مع رواية صاحب كتاب الطواف^(١٢٥) كان اللبان والمر ينقل من شرق حضرموت إلى قنا على متن أطواف صغيرة مشدودة بالقرب الجندية المملوءة بالماء أو على متن القوارب الخشبية الصغيرة ومنها بعد ذلك تنقل لتخزن في السفن الكبيرة استعداداً لتصديرها إلى الهند بحراً أو تحمل على ظهر الجمل لتصدر إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية.

وقد سقط هذا الميناء على يد الدولة الحميرية، إلى أصبحت تسيطر على المنطقة الساحلية الممتدة من مضيق باب المندب حتى قنا شرقاً، وقد اضطرت الدولة الحميرية إلى إقامة سور القلعة للفصل بين حدود الدولتين، ولكن يبدو أن حضرموت استعادت السيطرة على الميناء الذي ظل مستخدماً حتى القرن الرابع الميلادي حتى بعد تدهور تجارة المواد العطرية^(١٢٦).

٣- ميناء موشا Moscha:

يقع هذا الميناء على خليج عمان (خليج القمر حالياً) وهو ميناء ظفار الرئيسي متخصص في تصدير اللبان الظفاري وكانت السفن القادمة من الهند ترسو فيه حتى تقوم بعملية تحميل أو إنزال البضائع ولكن على شرط الحصول على إذن مسبق من الملك شخصياً من أجل التجارة في هذا الميناء الهام^(١٢٧).

استمر نشاط هذا الميناء التجاري مع الهند حتى القرن السابع الميلادي^(١٢٨) وكان تابع للدولة الحضرمية، في عهد الملك العزيط وهو الملك الذي ذكره استرابون في أثناء حديثه عن حضرموت^(١٢٩).

كما ذكره The Periplus عندما تحدث عن أنه يعتبر من الموانئ الهامة الصالحة للاستخدام ويعتبر من أهم الموانئ الملتزمة بقوانين الملاحة في أعالي البحار فهو ميناء علي - حد وصفه - من الدرجة الأولى وذلك لأنه يضمن جميع حقوق العاملين فيه.

أما عن موانئ البحر الأحمر: فلقد ذكر كتاب الطواف في وصفه للساحل الشرقي للبحر الأحمر خلوة تقريباً من الموانئ المرافئ الصالحة لرسو السفن، خاصة في الجزء الممتد من ميناء لبوكي كومي جنوباً وهي جزيرة بريم، كما ذكر أن الملاحة فيه خطيرة لكثرة الصخور المرجانية، ويعيش على هذا الساحل أقوام غير متحضرين يهاجمون السفن ويختطفون ركبائها - يقصد القراصنة -^(١٣٠). وهو محق في كون هذا الساحل غير صالح للملاحة لأنه ملئ بالشعب المرجانية التي تجعل الملاحة فيه أمراً غير يسير، ولكن مع هذا وجد عليه عدد من المرافئ والموانئ والتي من أهمها:

١- ميناء موزا Musa:

وهو من الموانئ الهامة في جنوب غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر وتعرف في بعض الأحيان بموزع، وتقع حوالي ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مخا الحالي^(١٣١) ويعتبر موزا من أقدم موانئ اليمن التي أشار لها صاحب كتاب الطواف على أنه من الموانئ الهامة

الملتزمة أيضاً بالقوانين الملاحية ولكنه ليس في الخط الملاحي الدائم^(١٠٢).

تخصص ميناء موزا في بيع وتصدير أخطر أنواع المر المحلي (الفتباني والمعيني، والأفريقي)، وكانت سوقاً رائجة يعج بالحركة وكان له اتصالات ومشاركة قوية في الأنشطة التجارية مع الساحل الإفريقي المقابل^(١٠٣). وهذا الميناء كانت تحكمه مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم حركة التجارة الداخلية فيه وتهدف إلى تركيز التجارة الخارجية منه للدولة والتابع لها هذا الميناء^(١٠٤).

ونتيجة لهذه النظم راجت التجارة فيه وازدهرت حتى أنها وصلت بضائع موزا إلى ميناء بريجازا الهندي ورهباتا في أفريقيا^(١٠٥). وكتاب الطواف يصف لنا بتفاصيل أكثر دقة الرحلة بطول الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ويتحدث عن موزا بقوله (أنها سوقاً شاطئية لها قوانين تجارية، وتجد في موزا كثيراً من العرب سواء من أصحاب السفن أو التجار)^(١٠٦).

أما عن واردات هذا السوق فكانت مؤلفة من الملابس الأرجوانية الناعمة والخشنة المطرزة وفق الفن العربي كما يوجد بها الثياب الموشاة والمزخرفة بخيوط الذهب^(١٠٧) بالإضافة إلى البن اليمني الشهير وأجود أنواع المر والتوابل^(١٠٨).

٢ - أوكليس Ocelis:

وهو ميناء على البحر الأحمر في أقصى الجنوب منه بالقرب من مضيق باب المندب ومدينة بريم، وهو من أقدم موانئ البحر الأحمر تعاقبت السلطات السياسية عليه إلى أن استقر أخيراً تحت سلطان الدولة الحميرية^(١٠٩). تمتع هذا الميناء بمزايا مثالية لرسو السفن عليه مثل مياهه العذبة والتي كانت تتزود منها السفن قبل إبحارها في عرض المحيط في طريقها إلى الهند^(١١٠). مما جعل اسمه يتردد على أنه محطة تجارية هامة في المصادر الإغريقية والرومانية، ولكنه والحق يقال فقد هذا الميناء أهمية تجارية بعد ازدهار ميناء موزا وأصبح فقط محطة للتزود والتزود بالماء في طريق السفن المتجهة للهند. ولكنه ظل ميناء مخصص للتعامل التجاري مع شرق أفريقيا^(١١١).

ويعتبر هو آخر محطة كانت تقف عندها السفن الهندية التي لم يكن يسمح لها بالاتجاه شمالاً نحو البحر الأحمر^(١١٢) خاصة في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند ومصر أي قبل اكتشاف رياح هبالوس - فكانت السلع الهندية تفرغ في أوكليس ثم تنقل براً إلى موزا حيث تباع هناك^(١١٣).

كانت هذه أهم الموانئ التجارية التي تعامل عرب جنوب شبه الجزيرة العربية من خلالها مع الهند وباقي أنحاء العالم القديم ولابد أن نذكر أنها لم تكن هذه الموانئ فقط هي محطات التعامل البحري فقط مع الهند بل كانت هناك عدة موانئ أخرى أهمها جزيرة سوقطرة، وميناء مدينة الشمر^(١١٤).

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الموانئ الهندية والتي كانت تأتي منها وإليها السفن التجارية اليمنية: لقد كان التجار اليمنيين والهنود معتادين على الإبحار في مياه المحيط الهندي منذ العصور القديمة - وذلك لإلزامهم بنظام الرياح الموسمية - فكانوا يقومون برحلات طويلة بين الموانئ الهندية واليمنية - كما أسلفنا - فقد كانت سفن التجار اليمنيين تبحر من موانئ

الخليج العربي وساحل اليمن إلى الموانئ الهندية وإلى ساحل جنوب الهند^(١٦٥). وتعتبر الموانئ الهندية التالية من أهم الموانئ التجارية التي تعامل معها التجار اليمنيون آنذاك:

١- ميناء بربريك **Barbaricum**:

يقع في حوض نهر السند وهو ميناء سوق تجاري من أهم وارداته اللبان والمر من الجزيرة العربية^(١٦٦) وكان ملتقى طرق للعديد من السفن الهندية والعربية والصينية، وجميع سلع هذه المناطق يمكن الحصول عليها منه^(١٦٧).

٢- ميناء براجازا **Baragaza**:

وهو ميناء هام على الساحل الهندي الشمالي الغربي^(١٦٨) ويقع على خليج كمباتي **Cambay** في منطقة أريك **Ariake** وحتى بعد أن غزاه الهند شعب السكاس **Sakas** ووقع هذا الميناء تحت السيطرة اليونانية منذ زمن الإسكندر الأكبر إلا أنه تخلص منها، ولكن بقي الطابع اليوناني مسيطراً عليه بفضل التجار اليونانيين الذين كانوا يتاجرون بصورة منظمة مع اليمن وغيرها^(١٦٩).

وفي القرن الأول الميلادي استخدمت براجازا كميناء تجاري هام وكبير لنقل البضائع من داخل الهند إلى خارجها، فكانت تأتي إليها البضائع من مختلف المدن الهندية مثل الأقمشة القطنية والحريرية الموصلة والمنسوجات العادية والعاج والنجاس^(١٧٠). وأخيراً يعتبر براجازا مركزاً تجارياً هاماً تجتمع فيه كل السفن التجارية الآتية من أنحاء العالم آنذاك، وقد تاجر معها العرب الذين صدروا لها الخمر والتمر^(١٧١).

٣- ميناء موزي:

وهو ميناء هام يقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الهند وهو تابع لمملكة شارو **Cheru** التي تسيطر على ساحل ككتا^(١٧٢) ذكرها بنيني في أثناء حديثه عن الطرق التجارية البحرية وذكر أن المسافة بينها وبين أوكليس أربعين يوماً^(١٧٣). قصده التجار اليمنيون والعرب طوال قرون عديدة للحصول على الخشب الذي كانت تبني منه سفنهم^(١٧٤) ويعتبر من أهم الموانئ الهندية الرئيسية التي تصدر الفلفل^(١٧٥).

كانت تلك أهم الموانئ الهندية التي تصدر وتستورد من وإلى اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية البضائع التجارية.

جدول بأهم البصائع المصدرة من اليمن إلى الهند

المنتجة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
البخور	حضرموت ظفار	الهند	الشبيه، المرجع السابق، ص ٢٩ The Periplus. Ch. 32 عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص ٨٣.	اشتهرت اليمن المسعدة بزراعة أجود أنواع البخور ومشتقاته: Sayyid. M., op. cit., p. 4 وكانت القوافل تنقله إلى مختلف جهات العالم القديم وعلى رأسها الهند. انظر: عبدالعزيز صالح، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٥، العدد ١، ص ٢١٣ وتعتبر حضرموت ومعين أشهر مناطق إنتاج البخور في اليمن حتى أن الكتاب الكلاسيكيين أطلقوا على ملك حضرموت اسم (ملك بلاد البخور) انظر، تليوف بلمن، المرجع السابق، ص ٢٧ + الشبيه، المرجع السابق، ص ٤٥. وبما أن البخور أهم مقاجات العربية المسعدة فرضت العيد من القوانين المنظمة لزراعته وتصديره: مهيب كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٣٣ واعتبرت العاصمة شبوة مركز لتجميع البخور ثم تصديره. Cf. Pliny, NH. BK. 6. 31. 136-139. أما عن طريقة التصدير فكان يوضع في قرب من الجلد ثم يحمل على متن السفن الكبيرة إلى الهند: كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٥١ وأخيراً طلب البخور في العالم القديم وبكثرة وذلك لاستخدامه في دور العبادة والمقاييم بالطوفوس الجنائزية: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥ وللمزيد من المعلومات عن طريقة استخراج البخور انظر: The Periplus, Ch. 29
الخطوب والطوبوب	اليمن (حضرموت)	الهند	برهان الدين، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٧، نقولا زيادة، عربيات.	عرفت اليمن المسعدة بطوبوبها وعطورها الزكية الصفية: أبو عيثه، المرجع السابق، ص ١٧، حميد شهاب، المرجع السابق، ص ١١ حتى أن

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
			ص ٤٣	المؤرخين القدماء أمثال هيرودت وصفها (بأنها البلد الوحيدة التي تنتج العطور والمعادن) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٥ ؛ محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٤٩ وأخيراً كان يستخدم في بلاد العرب القديم في الطقوس الدينية والأعياد الجنائزية: Cf: Gold Schmidt, A concise History of the Middle East Egypt, (1983), p. 24 سفر الملوك، الإصحاح ١٠ - آية ١١-٢٢.
اللبان	اليمن السعيدة (مسبا وظفار)	الهند	حورثي، المرجع السابق، ص ١٦٥ وانظر أيضاً ص ٧٦ ؛ بافقيه، مختارات، ص ٢٣	تميزت حضرموت بإنتاج أجود أنواع اللبان: عبدالحميد نور الدين، المرجع السابق، ص ٨٢ لذلك فرضت على الاتجار بها مجموعة من القوانين الصارمة التي تنظم تجارتها تحدث عنها المؤرخين أمثال بليني فقال (إن ملوك حضرموت كانوا يعتبرون أي الحراف عن خط سير قافلة اللبان المعروف في الدولة جريمة كبيرة يعاقب عليها القانون) انظر محمد عبدالغني، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٢-١١٣ ؛ وانظر أيضاً محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٥٦ كانت مادة اللبان تستخرج بعمل شاق في سفان نباته حتى تخرج منه عصارة بوضاء قابلة للأصفرار: Cf: The Periplus, Ch. 29. تبلغ طول شجرته ٦ أمتار نظرياً وأوراقها متغلبة مركبة على بعض تخرج منها زهرة صغيرة تنمو على سفوح الجبال: انظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧ وعن الطريق إن استقرت على نقل محصول اللبان وكيف يتم فكان يوضع في قرب جلدية تصل في القوارب والسفن إلى الهند وغيرها: محمد السيد عبدالغني، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٩ ؛

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				وأخيراً استخدم اللبان في نور العبادة والهيكل الدينية كما استخدم أيضاً لأغراض طبية في التحنيط وعلاج الحلق والالتهابات للأغشية المخاطية والقرح التي تصيب البلعوم: للمزيد انظر: نفولا زيادة، عربيات، ص ٤٢ The Periplus, Ch. 29
المر	تمنع - قتيان حصرموت	الهند	The Periplus, CH. 29 : صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢.	صدرت اليمن إلى الهند التوابل والبخور والمر: Cf: Perry. G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992), p. 16. لقد اشتهرت اليمن في كتابات المؤرخين القدماء بأنها المنطقة ذات الرائحة الطيبة من كثرة إنتاجها للمر وغيره من النباتات العطرية: Cf: Irfan Shahid, Loc. Cit., CH1, p 10. والمر عبارة عن مادة صمغية تحتوي على مادة حمراء تميل إلى اللون البني ذات طعم شديد المرارة وله رائحة عطرية تخرج من سيقان هذه النباتات الطيبة مثل نبات كومفير أطول وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: إسماعيل عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧.
التوابل	اليمن	الهند	دي لاس أوليري، المرجع السابق، ص ٨٩ : نورمان بنز، المرجع السابق، ص ٢٨١.	صدرت اليمن إلى مختلف العالم القديم توابلها وبهاراتها: توفيق برو، المرجع السابق، ص ٢٣٩ مما جعلها محط أطماع وأنظار الدول الأجنبية التي اعتادت على استخدام هذه التوابل والبهارات في طعمها لذلك حاولوا السيطرة على اليمن من أجل تأمين حصولهم على هذه التوابل والبهارات : انظر محمد حبيب فرزات، المقال السابق، دراسة تاريخية، ص ١٠٩.
العبد	اليمن -	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص ١٥٤.	استوردت اليمن العبد من أفريقيا: سيد الباصري، المقال السابق، ميسمار الدراسات

المسألة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				<p>الطيناء، ص ٣١ وكان العبيد في اليمن يعملون في الزراعة أو في الخدمة لدى قصور تجار اليمن مما يدل على رفاهية الشعب اليمني: نينافكتور فينا، العرب على حدود بوزنطة وإيران، ص ٣٠٢ ولقد ذكر العبيد في الكثير من النقوش اليمنية: الشبيبة، المرجع السابق، ص ٢٤٥، لقد اهتم اليمنيون وبالتحديد أهل سبأ بتجارة العبيد وذلك وضعوا لها العديد من القوانين التي تنظم وتحدد الاتجار لهم وتعمل البيع والشراء ووضعوا لهم الضرائب المناسبة لذلك للمزيد انظر وبالتحديد، إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥</p>
الكندر واللائس	قطار	الهند	الشبيبة، المرجع السابق، ص ٥٢	<p>واستناداً إلى إشارة صاحب كتاب الطواف حول البحر الأبيض فقد كان اللاتن يجمع على يد عهد الحكومة أو الذين كانت لهم أحكام قضائية، انظر: The Periplus, Ch. 29</p>
اللؤلؤ	اليمن	الهند	The Periplus, Ch 36 إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.	<p>كان اللؤلؤ يحمل من موانئ قانا وعمانا على متن القوارب المخططة المصنعة محلياً تعرف باسم "موراننا" ومن هاتين المدينتين يرسل اللؤلؤ وغيره من البضائع إلى الهند ويبقى الأسواق العالمية القديمة للمزيد انظر: Ibid, Ch. 36</p>
الذهب و الفضة	اليمن المصعدة	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤١ حزقياش الإصحاح ٢٧ آية ٢٢ و آية ٢٣.	<p>اشتهرت اليمن بالذهب والفضة حتى أن النبي سليمان عليه السلام كان يأخذ منها احتياجاته من هاتين المدينتين بناءً على نص التوراة: انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١١-١٢ وانظر أيضاً أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٩ آية ٢ وبقيت التوراة فقط هي الوحيدة التي تحدثت عن ذهب بلاد اليمن بل تحدثت كلاً من المقدسي والهمداني في مجمل حديثهم عن</p>

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				<p>ثروات جنوب الجزيرة العربية (اليمن) : انظر نيبافكتور فينا، المرجع السابق، ص ٣٠٦ كما يتحدث عن ثرائها بالذهب الملك اليمني سيف بني ذي بزن عندما قال (ما صنع بالمال و تراب أرضي ذهب وفضة) وفي هذه العبارة دلالة كبيرة على كثرة الذهب والفضة في اليمن كما تدل أيضاً على شراء الشعب اليمني: انظر إسماعيل عبد الفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٩ ناهيك عن عملة اليوس جالوس التي أوردوا بها الاستيلاء على تلك الثروات وخصوصاً بعدما سمع من أهل سبأ أنه كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة والأسره والموائد الصغيرة والأبنية المصنوعة من الذهب والفضة: Cf: Pliny. NH. BK. 6. 160-161</p>
الأحجار الكريمة	اليمن	الهند	<p>سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١٠- ١١ سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٠.</p>	<p>ساجرت جنوب الجزيرة العربية بمختلف أنواع الأحجار الكريمة التي اشتهرت بها مثل اللازورد انظر: علي أبو عصفاف، طريق الحرير والطرق التجارية الاقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ص ٨٣-٩٥، ص ٧٤ والتي لغنت أنظار الرومان فحاولوا الاستيلاء عليها: Cf: ibid, NH. BK. 6. 16-161 ; محمد السيد عبد الغني، شبه الجزيرة العربية، ص ٤٥</p>

وأخيراً وفي ختام عرضنا لأهم البضائع التجارية المصدرة من اليمن إلى الهند فلا بد لنا ان نسلط مزيداً من الضوء على أثر هذه التجارة على ارتفاع مستوى المعيشة والأوضاع في اليمن السعيدة التي أصبح أهلها من أشهر الشعوب العربية ثراءً إذ ارتكزت ثرواتها على التجارة والزراعة مما أتاح لهم عيشاً هنياً وازدهاراً اقتصادياً فترة طويلة من الزمن^(١٧١).

فلقد نعم الشعب اليمني آنذاك برغد في العرش فكان القصر اليمني مملوء بالعبيد والجواري من الأحباش وكات أوانيهم من الذهب والفضة، ويطيب بالعمور والبخور ويسكنون في أجمل المباني الفخمة^(١٧٢) كل هذا بفضل التجارة مع الهند وغيرها التي كانت تصلها الشعب ذهاباً وإياباً محملة بأنفس البضائع الثمينة^(١٧٣). والآن وكما استعرضنا أهم البضائع اليمنية المصدرة للهند فلا بد لنا ان نستعرض الآن أهم البضائع الهندية المنقولة إلى اليمن وهي كالآتي:

جدول بأهم البضائع المصدرة من الهند إلى اليمن

السلعة	البلد المصدرة	أصل المستوردة	المراجع	الملاحظات
الكافور الهندي	الهند	اليمن	هايد. تاريخ التجارة في الشرق الأدنى. ترجمة أحمد رضا وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م) ص ٤٨-٤٩ : أنبور عبد العظيم، المرجع السابق، ص ٦٤.	لقد احصر الكافور الهندي من الهند كأشجار وغرس في أرض اليمن في مساحات شاسعة غير محدودة وأخذ يمو فيها. Cf: Teixidor J. Loc. cit., Stnsemítica, p. 41 والكافور هي كلمة هندية أصلاً بلغة أهل ملقا ولغته عندهم كابور، انظر الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٣.
القرقة	الهند	اليمن	محمود عرفة، المرجع السابق، ص ٢٦١، محمد السيد عبد الله، مصابري القرنين، مجلة المورخ العربي، ص ١٠٧.	استورد العرب القرقة من الهند ثم قاموا بتصديرها إلى دول الجوار ودول العالم التي تطلب هذا النوع من النباتات العطرية الناهضة الثمن لذلك حرص العرب على أن يتمكنوا على الممر الخاص بمصدر هذه السلعة لكي تستمر تتحكم بالتجارة المربحة. مصطفى عبد العظيم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصور اليونانية والرومانية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، ص ٢٠١-٢١٣.
اللبان	الهند	اليمن	محمد السيد عبد الله، ص ١٠٧.	كان اللبان يصدر من الهند إلى الجزيرة العربية

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
			الجزيرة العربية، ص ١٨٢ الناصرى، الرومان والبحر الأحمر، بيمار للدراسات الطبية، ص ٥٤.	على الرغم من أنها كانت تزرعه وتنتجه إلا أن هذا النوع المستورد كان متميز وله أوراق عريضة. انظر: عبد الحليم نور الدين، معرفة الأشجار، ص ٨٥ وكان ميناء ظفار هو الذي يستقبل اللبان الهندي ثم يقوم بتوزيعه إلى جميع المناطق التي تطلبه. انظر محمود عرفة، المرجع السابق، ص ٢٥٥.
الأخشاب	الهند	اليمن	هوراثي، المرجع السابق، ص ١٤٩ The Periplus, Ch. 36	كانت السفن الكبيرة سواء الهندية أو اليمنية تخرج في مياه المحيط الهندي وتعود محملة بمختلف أنواع الأخشاب التي استخدمتها اليمن في مختلف الصناعات مثل خشب الأبنوس والصندل والمعروف بأصله الهندي : انظر سطر الملك الأول الإصحاح ١٠ - آية ١١ : صلاح البكري. المرجع السابق، ص ١٢ ومن المعروف أن هذه الأخشاب المجلوبة من الهند كانت تتميز باللون الأحمر. انظر فضل الوائلي، المرجع السابق، ص ١٣٨ The Periplus, Ch. 36
المسك	الهند	اليمن	الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٣.	وهو من ضمن أهم صادرات الهند إلى اليمن : أنور عبد الغني، المرجع السابق، ص ٩٤ وقد ورد ذكر المسك في الشعر الجاهلي فقال عنترة: تبييت فتات المسك تلحت لقيامها فيزداد من أنفاسها أرج النذ للعزير انظر بالتفصيل: الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٢.
الأحجار الكريمة	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢ : جورجي زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠.	احضرت اليمن من الهند مختلف الأحجار الكريمة مثل الياقوت والدرر والزبرجد : انظر الحوفي، المرجع السابق، ص ٩٢ وانظر أيضاً مساطع محلي، طريق الحرير ومسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، السنة ١٢، العدد ٢٩-٤٠،

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
أصداف السلاحف	الهند	اليمن	نقولا زباد، المرجع السابق، ص ٣٧ : تشارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ص ١٥٣.	(١٩٩١م)، ص ٤٩-٧١، ص ٥٨. إن سكان اليمن أحضروا الأصداف من خلال تجارتهم مع أفريقيا ثم أعادوا اليمنيون تصديرها، كما استخدموا علب المجوهرات وبعض قطع الأثاث، للمزيد من المعلومات انظر : The Periplus, Ch. 30
التوابل	الهند	اليمن	المسيد عبدالعزير مسالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م) ص ٨٩.	استقبلت اليمن واردات الهند من التوابل الهندية والطوب وغرها من السلع الهندية : محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨٢ وانظر أيضاً أنور عبدالطيم، الملاح، ص ٦٤.
العاج	الهند	اليمن	سعد زغول عبدالحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م)، ص ٢٨٨ : منذر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٢.	هناك وثيقة أرخت في منتصف القرن الثاني الميلادي عبارة عن عقد حول سلع ومنتجات هندية استوردتها تجار مقيم بمصر عن طريق الجزيرة العربية كان من أهمها العاج : انظر محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥ : سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠، آية ١١-٢٢.
الطوب	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢ : Strabo, GE, 4: 25, The Periplus, Ch. 36.	لم تقتصر اليمن على نقل منتجاتهم بل شملت مناجرتهم السلع التي كانوا يجلبونها من الهند مثل العبر والتحاس وغرها من المنتجات : الحوفي، المرجع السابق، ص ٩٢ والمزيد انظر أيضاً محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨١.
الصيوف الهندية	الهند	اليمن	نظفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٢٠٩.	وصلت الصيوف الهندية ذات الصناعة العالية الجودة إلى الموانئ اليمنية فكانوا يجلبون أيضاً القوائم الخاصة لصناعة الصيوف من الهند أيضاً. انظر بالتفصيل محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٦١ : السيد مسالم، المرجع السابق، ص ٨٨.

المبلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الفلفل	الهند	اليمن	شمسارلزوث، المرجع السابق، ص ١٥٤، الناصرى، المقال السابق، ميميخار الدراميات العليا، ص ٥١.	ويعتبر الفلفل الهندي من أجود أنواع الفلفل الأسود : انظر زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠ ١ وانظر أيضاً سعد زغول، المرجع السابق، ص ١٨٨.
ريش النعام	الهند	اليمن	نفسه، ص ٣٧	لقد حمل التجار العرب اليمن ريش النعام من الهند وسيلان والصومال ثم نقلوها عبر البحر إلى مصر وجميع موانئ البحر الأبيض المتوسط: انظر جورجى زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠.
الفيلة	الهند	اليمن	نفسه، ص ٣٧	لقد استخدم الهنود الحفر العديدة لصيد الفيلة ثم تصديرها لليمن التي كانت تصدرها هي الأخرى إلى مختلف الأماكن: انظر مي المندري، حفارات، ص ١٤٧.
الزعفران	الهند	اليمن	عبد بن مرزوق، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتاب، دبي، (١٩٩٧م)، ص ٢٢٣.	وتعتبر من أهم صادرات الهند لليمن وهو من أجود الأنواع. جورجى زيدان، المرجع السابق، ص ١٦١، The Periplus, Ch. 24
القطن	الهند	اليمن	م. روستوفتوف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٤٦.	يعتبر القطن من أهم السلع الهندية الواردة لجنوب الجزيرة العربية للمزيد انظر زيدان، المرجع السابق، ص ١٦٠ وليس القطن وحسب ولكن ورد للجزيرة من الهند مختلف أنواع القمشة من الصوف والكتان الملون : للمزيد انظر روستوفتوف، المرجع السابق، ص ٢٣١.
الحرير	الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 28 روستوفتوف، المرجع السابق، ص ١٤٦.	صدرت الهند لليمن أجود أنواع الحرير الهندي على شكل نقائق حريرية: انظر محمد حرب فرزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ١٠٩ : وكانت هذه اللقائف تصل إلى اليمن من طريق الهند أو الصين على خط الحرير الصيني انظر روستوفتوف، المرجع السابق، ص ١٠٧ ومن المعلوم لدينا أهمية الحرير حتى

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
				<p>أنه اعتبر كوسيلة للتبادل التجاري النقدي إلى أن ظهر لنا ورق الكاغذ الحريري كعملة نقدية: انظر محمد فوزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ٩٨ لذلك استورده العرب اليمنيون على شكل نفاق ومنسوجات حريرية راقية ودقيقة الصنعة يتحدث عنها صاحب كتاب الصوائف الطر:</p> <p>Cf: The Periplus, Ch. 31 and Cf also: 32. وانظر أيضاً أنور عبدالطيم، المرجع السابق، ص ٦٤ وأخيراً فقد عرفت أسماء الرومان بتجميع الأقمشة الحريرية الهندية والصلامية والتي كانت تصل لها من الهند عن طريق العرب اليمنيين في الجنوب: هول، المرجع السابق، ص ١٧. وللمزيد من المعلومات عن الحرير الهندي انظر بالتفصيل الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٦ وانظر أيضاً محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥.</p>
الزبرنفل	الهند	اليمن	ساطع محلي، طريق الحرير، دراسات تاريخية، ص ٥٨.	<p>ارسلت الهند لليمن الزبرنفل الهندي الطيب الرائحة والذي استخدمه اليمن وصدرة إلى معظم دول العالم القديم: هايد، المرجع السابق، ص ٤٩.</p>
الرفيق	الهند	اليمن	حمد بن سراي، المرجع السابق، ص ٢٢٢.	<p>صدرت الهند لليمن الرفيق سواء كانوا عبداً أو اماً وفي هذا إشارة واضحة إلى رفاهية الشعب اليمني وارتفاع مستوى المعيشة لديه للمزيد انظر: نقولا زيادة، عربيات، ص ٣٧ وكان من شدة اهتمام أهل سبا بهذه التجارة لهم وضعوا لها القوانين المنظمة للتجارة بها. انظر عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٦٥.</p>
النحاس	الهند	اليمن	حورقي، المرجع السابق، ص ٤٩ The Periplus, Ch. 36	<p>تاجر سكان اليمن مع الهند في الأواني النحاسية التي كانت تصنع من الهند عن طريق البحر، انشبه، المرجع السابق، ص ٢٣٨ Cf: The Periplus, Ch. 36.</p>

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الذهب	الهند	اليمن	منذر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٢ ؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ دي لامي اوليري، المرجع السابق، ص ٩٥.	وجد معن الذهب ويكثر في الهند من دفعها إلى تصديره للجزيرة العربية على شكل حلي وأواني منزلية: Cf: The Periplus, Ch. 24 وانظر: مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبداللّه، التراث القومي، ص ٣٠، (١٩٨٣م)، ص ٣٠ وللمزيد من المعلومات انظر التوراة: حرقيا الإصحاح ١٦ آية ١٣.
الفضة	الهند	اليمن	زيدان، المرجع السابق، ص ١٦١ ؛ مسوراني، المرجع السابق، ص ١٤٤	استخدم اليمن آنية الفضة في منازلهم من شدة ثرائهم ورفاهيتهم انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ حمد بن سراي، المرجع السابق، ص ٢٢٣
الفلز	الهند	اليمن	The Periplus, Ch. 36	قد استمر الفلز الهندي بجودته فكانت تصدره لجزيرة العربية التي كانت تأخذ ما تلزمها منه وتصدر الباقي بعدها من مناطق العالم القديم: انظر منذر البكري، المرجع السابق، ص ٣٨٢ ؛ شارلزورث، المرجع السابق، ص ١٥٤.
الفردة و الطواويس	الهند	اليمن	سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و١٢ ؛ مسوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩	صدرت الهند لليمن القروود والطواويس ولا زالت القروود منتشرة في مرتفعات اليمن، حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩.

وأخيراً بعد عرض تلك البضائع النفيسة التي تصدرها الهند لليمن لابد ان نعلم أنه بفضل تلك التجارة ارتفع دخل الشعب الهندي واليمني وأصبحنا كلنا الدولتين الهندية واليمن محط اطماع وأنظار الدول العظمى آنذاك^(١٧٧).

حتى ان بليني^(١٧٨) أشار إلى الحجم الضخم من البضائع التي تستوردها الإمبراطورية الرومانية من الهند وشبه الجزيرة العربية والتي تأخذ مقابلها مليون ستركة Steraca وهو مبلغ يعتبر ضخماً جداً آنذاك لتغطية نفد النساء الروميات.

١- أثر ازدهار التجارة على المجتمع اليمني:

وبعد أن تعرفنا على أهم صادرات وواردات كلاً من الهند واليمن جاء الآن دور الحديث عن صادرات وواردات من نوع آخر ألا وهي تلك المؤثرات الحضارية التي اكتسبها كلاً المنطقتين من جراء احتكاكها بالأخرى.

استفادت اليمن من موقعها الجغرافي في جنوب الجزيرة العربية فأصبحت على طريق الهند التجاري وأصبحت سفن كلاً من الهند واليمن ذهاباً وإياباً في مياه المحيط الهندي^(١٧٩). وهو ما تحدث عنه المصادر الكلاسيكية وأظهرته لنا النقوش وهو أن التجار العرب من اليمن وبالأخص حضرموت كانوا يركبون سفنهم من بلادهم إلى الهند مستفيدين بذلك من اكتشاف الرياح الموسمية على يد هيباتوس - كما سنقنا -^(١٨٠).

ويفضل تلك التجارة المستمرة اختلطت اليمن واهند معاً وتبادلاً الثقافة والحضارة على جميع الأصعدة فبالى جانب الازدهار التجاري الذي تولى أمر الإسهام المناسب في دعم البناء الاقتصادي، كانت العمارة الحضارية التي حققها الانفتاح الاقتصادي وتبنى أهدافها التجارية هي الحافز الرئيس لقطاع كبير من أهل هذه الدولة فقد انتفعوا كثيراً بالانفتاح الحضاري وطوعوه لحساب الانفتاح الاقتصادي، وترسيخ العلاقات التجارية المتبادلة بينهم وبين الأقطار والأمصار من حولهم بغرض الحصول على أكبر قدر ممكن من الرفاهية والرخاء في العيش^(١٨١).

فمن خلال النشاط التجاري، عماد ازدهار اليمن القديم وقاعدة ثمنه بخلت كل المؤثرات الحضارية بين اليمن والهند بالعذر المطلوب ليجدد تلك الحضارات وتساعد على نموها وتطورها^(١٨٢).

ومما سبق عرضه يمكن القول ان التجارة تعتبر هي همزة الوصل بين الشعوب ورمز انتقال الحضارة الودي السلمي بينها. وأكبر دليل على مدى قوة البناء الاقتصادي اليمني أنه اعتمد على مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم الضرائب وعمليات البيع والشراء في كلاً من تمنع وقيان اللتان حرصتا على دقة تنفيذها. من أجل الحفاظ على الأرباح المتأتية من التجارة^(١٨٣).

ولمنا نشك في ان اليمنيين أثروا من مركزهم التجاري فعاش المجتمع اليمني في سعة من العيش، لم ينعم بها غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية ولا سيما كبرائهم الذين كان لهم حظاً وافراً من رفاة العيش والتنعيم في مختلف أنواع الطعام والشراب، إذ كان يطبخ في بيت

الرجل منهم عدة ألوان وأصناف من الطعام ويعمل في منازلها السكر، وتطيب أذانهم بالعطر والبخور^(١٨٦).

وكان لكلاً منهم الحشاية الخاصة به، وفي منزله الأتقي والكبير الكثير من الإماء والجواري، وعلى بابه حملة من الخدم والعبيد والمحضيات سواءاً من الهنود أو الجيوش حتى أن المؤرخ بليني يبدى حسده لليمن من ثرواتهم هذه ورفاهيتهم الواضحة في وفياتهم حين يحرقون في جنازات الموتى بخوراً بكميات هائلة يفترض إحراقه في معابد الآلهة في روما^(١٨٧).

٢- الوكالات التجارية اليمنية في الهند:

وإتماماً لعملية التبادل التجاري الناجح بين القطرين كان لابد للتجار اليمنيين من اتخاذ بعض التدابير والإجراءات التي من شأنها إيصال البضائع سالمة إلى الجهتين.

ونحن في عصر السرعة الذي نعيش فيه الآن غفلنا ماكان يلاقيه الأقدمون من مخاطر عندما كانوا يرسلون البضائع بواسطة سفن صغيرة تقطع رحلات بحرية طويلة ومعرضة للعواصف والحروب والقرصنة، ولعلاج ذلك كانوا يقيمون بعض العلاقات الشخصية مع أناس من أهل هذه المناطق البعيدة، أو يرسلون مندوباً معتمداً على الشحنة المصدرة، وكان هذا المندوب عادة ابناً لأحد كبار التجار أو صديقاً أو عبداً^(١٨٨).

وإتماماً لهذه العملية استقر الوكلاء اليمنيين في هذه الموانئ الهندية البعيدة لمراقبة أعمالهم وعلى مضي الزمن كونوا حلقة حول الحوض الشرقي من المحيط الهندي وزاولوا وباشروا تجارتهم فيه^(١٨٩).

كون اليمنيون وكالات كبيرة في الهند في منطقة جندوزيا وبنو هناك مدناً وأنشأوا أسطولا يغدو ويروح بين الهند واليمن بأصناف المتاجر وأنواع البضائع وكونوا هناك سلطة دونها كل سلطة ونفوذاً دونه كل نفوذ. وقبضوا على زمام التجارة من خلال هذه الوكالات التجارية احتكروا غلات البلاد وزاحموا أهلها في أرزاقهم وعرفهم الهنود باسم عربنو (Arabitoes) أي العرب^(١٩٠). ويفضل هذه الوكالات التجارية وصلت الحضارة الهندية إلى كلاً من جنوب الجزيرة العربية وباقي بلاد العالم القديم^(١٩١).

٣- الهجرات اليمنية للهند:

لقد فرضت العوامل الطبيعية ضوابط حددت اتجاهات الهجرات السكانية من شبه الجزيرة العربية وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت شبه الجزيرة بالأقاليم المجاور لها وكذلك في طرق بحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة، فقد اتجهت التحركات البشرية المبكرة صوب أقاليم الأمطار كما سعت في الأقطار المظلة على المحيط الهندي^(١٩٢).

ويجب أن لا تغيب عنا نزعة اليمنيين إلى الهجرة حتى وإن كانت طبيعة بلادهم وظروف التجارة ومركزهم التجاري في العالم القديم حتمت عليهم تلك الهجرة وكانت تحملهم على السفر الدائم فنزعهم للخروج من بلادهم مركبه فطريقة أصلية وفي نفس الوقت مكتسبة من ظروفهم العامة^(١٩٣).

فأخذت القبائل اليمنية تهاجر وتستقر خارج اليمن وخاصة على الطرق التجارية الهامة وسواء كانت هذه الهجرة راجعة إلى اضطرابات داخلية أو إلى الرغبة في المزيد من بسطة العيش وسعته أو إليهما مجتمعة وإلى غيرها من الأسباب، المهم في الأمر أنه ترتب على تلك الأسباب أنه نزحت قبائل يمنية كثيرة من اليمن إلى خارجه وأسمت لها مستوطنات ووكالات تجارية قوية حيث استقرت^(١٩١).

وكما ذكر اجثارخديس بأن العرب اليمنيين اسموا لهم مستوطنات تجارية في الهند نفسها^(١٩٢) التي سكنوا واستقروا بها^(١٩٣).

ومن خلال هذه الهجرات نستطيع ان نستنتج انه كان لها الفضل في نقل ثقافة اليمنيين للهند والعكس الاحتكاك المباشر والذي أدى إلى انفتاح حضاري كبير منذ وقت طويل بين الحضارتين اليمنية والهندية كما أدت إلى نتيجة أخرى تمثلت في ان التحركات البشرية التي اتجهت إلى الهند استطاعت ان تعالish أنماطاً من الحضارة الهندية بل وتستوعبها لتخرج لنا مجموعة من الأنماط الحضارية المشتركة والمعزوجة في بوتقة حضارته واحدة ومن ثم تحولت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية إلى منقطة حضاري كبير.

وهناك سؤال يفرض نفسه، هل كانت هناك هجرات هندية لليمن ؟ والجواب على ذلك واضح جلي فمنطقة جنوب الجزيرة العربية كانت أرقى مناطق الجزيرة تمدناً في مدارج الحضارة وأكثرها كثافة في عدد السكان العاملين أغلبهم في التجارة^(١٩٤).

تلك التجارة التي دفعت اتجار الهنود إلى ركوب البحر إلى اليمن والمتاجرة معها بل وتكوين جاليات هندية مهاجرة إلى اليمن من أجل مباشرة أعمالهم هناك فأنشؤا الوكالات التجارية في اليمن وتزوجوا وتعايشوا مع أهلها^(١٩٥). ومما يؤكد ذلك اننا عثرنا على نقش في اليمن ذكر فيه أن سفيراً هندياً باسم (ده رده) كان متجهاً إلى روما ولكنه في طريق رحلته مكث فترة في حضرموت عند بعض أقاربه إبان رحلته إلى روما^(١٩٦).

من هذا النقش نستنتج وجود جاليات هندية مستقرة في اليمن تربطها بالحكومة اليمنية علاقات صداقة ومودة سواءً على مستوى الحكومات أو الأفراد.

ومن الجدير بالذكر وكنتيجة حتمية لتلك الهجرات وامتزاج المجتمعين الهندي واليمني بعضها البعض ان تنشئ روابط اجتماعية قوية مثل تبادل الفنون والطوم ومختلف مظاهر الحضارة الزواج والمصاهرة^(١٩٧) حتى ان المسعودي في فترة متأخرة يقول (صاحبت مشايخ في المحيط الهندي ولدوا ونشأوا من ربابين ووكلاء وتجار يمنيين) وهم بالطبع من أبناء اليمن المهاجرين إلى الهند^(١٩٨).

هذا ولقد عثر علماء الآثار على الكثير من النقوش السبئية والفتنانية^(١٩٩) في أقطار عربية وغير عربية بعدة كل البعد عن اليمن ((مثل الهند))، وهي لا تحتم ان يكونوا اليمنيين غزو هذه الأقطار غزواً، وإنما تظهر مقدار متواضعاً من الحقيقة وهي ان اليمنيين كان لهم في ذلك العصر وجو حقيقي طويل في هذه المناطق، كمهاجرين فاستوطنوا المناطق الجديدة وامتد

وجودهم العربي إليها.

أيضاً يمكننا القول بأن النشاط التجاري اليمني كان بلا ريب الوسيلة الفاعلة والمضمونة في نقل الحضارة اليمنية إلى الهند، فمنها أخذ الهنود علوم الفلك والتنجيم والدين ومعظم معالم الحضارة والتقدم الفكري، وأنه لمن المؤكد أن الحضارة الهندية لم تكن من صنع يدها وحدها، وإن الهنود لم يكونوا هم الأساس في كل مناحيها ولكنهم استطاعوا أن يتصلوا معظم حضارة اليمن وغيرها من الأمم التي اتصلوا بها، ولعل هذا النقل يعتبر أحد مخلفات الحضارة والتقدم التجاري الذي أسلفنا الحديث عنه^(٢٠٣).

يجب أن نفهم هنا أن اليمن لم تكن هي المصدر الوحيد لتلك الحضارة ولكنها كانت مصدراً ومستورداً أيضاً من الهند التي أمدت اليمن بمختلف مظاهر الحضارة والعلوم والفنون حتى أننا نجد أن نساء اليمن تآثرن في بعض ملابسهن بالأزياء الهندية الملونة والمطرزة والمزركشة^(٢٠٤).

وأخيراً وختاماً لكل ماسبق عرضه فنقد تناولنا طبيعة العلاقة التجارية التي ربطت بين الهند واليمن وطرق التجارة بها سواء البرية منها أو البحرية وأنواع البضائع المصدرة والموردة من كلتا الدولتين كما أوضحنا أخيراً أهم المؤثرات الحضارية سواء كانت هندية أو يمنية ومدى تأثير وتأثر كل واحدة منها بالآخرى في مجال التجارة والعلوم والفنون وغيرها من مظاهر الحضارة المختلفة.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م).
- ٣- الاصطخري، (اسحق إبراهيم الفارسي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، ومحمد غبريل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (١٩٦١م).
- ٤- الحموي، (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٧٩م).
- ٥- الهمذاني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، (١٩٧٧م).

المراجع العربية والمصرية:

- ١- إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م).
- ٢- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م).
- ٣- أحمد الحوقي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار التكم، بيروت، (١٩٧٣م).
- ٤- أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، دمشق، (١٩٨٠م).
- ٥- أحمد موسى، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩م).
- ٦- أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ج ٢، (١٩٦٧م).
- ٧- إسرائيل ولغنسوف، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م).
- ٨- إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٧هـ).
- ٩- أسعهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م).
- ١٠- أغناطيوس وغويدي وإبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٦م).
- ١١- أنور عبدالعظيم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م).
- ١٢- برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م).
- ١٣- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٨٤م).
- ١٤- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٢، (١٩٧٠م).
- ١٥- جورج فضل حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م).

- ١٦- جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٩٢م).
- ١٧- جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ترجمة داوود قريبات، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، (١٩٨٣م).
- ١٨- حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م).
- ١٩- حسين شهاب، ابن ماجد والملاح في المحيط الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م).
- ٢٠- حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م).
- ٢١- حمد بن سري، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتب، دبي، (١٩٩٧م).
- ٢٢- دانيال بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م).
- ٢٣- دتليف نلسن وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م).
- ٢٤- دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى الفول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م).
- ٢٥- ربيع القيسي وصباح الشكري، دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر اليماني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (١٩٨١م).
- ٢٦- ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م).
- ٢٧- سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م).
- ٢٨- سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م).
- ٢٩- سعيد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م).
- ٣٠- سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م).
- ٣١- سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م).
- ٣٢- سـ، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٣٣- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م).
- ٣٤- شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، ومحمد خفاجه، الهيئة المصرية

العامة، القاهرة، (١٩٥٠م).

- ٣٥- صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سيرين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م).
- ٣٦- صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ).
- ٣٧- صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الحكومية، الكويت، (د.ت).
- ٣٨- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م).
- ٣٩- عبدالحليم نورالدين، مقنعة في الآثار والمناطق اليمنية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، (٢٠٠٨م).
- ٤٠- عبدالله الشبيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي النوري، اليمن، (٢٠٠٠م).
- ٤١- فتحي أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٤٤م).
- ٤٢- فضل الجاثم، الحضور اليمني في الشرق الأدنى، دار علاء الدين، دمشق، (١٩٩٩م).
- ٤٣- قليب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م.ن).
- ٤٤- قري قلعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م).
- ٤٥- كمال الصالح، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م).
- ٤٦- لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م).
- ٤٧- ماينز، الخليج بلداته وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، مطبعة أمون، القاهرة، (١٩٨٣م).
- ٤٨- محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٦٦م).
- ٤٩- ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م).
- ٥٠- محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهدان للطباعة، اليمن، ج ١، (١٩٦٨م).
- ٥١- محمد الشاعر، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وعصر جوستانف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٩م).
- ٥٢- محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).
- ٥٣- ، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ).
- ٥٤- محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).
- ٥٥- محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية،

- المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩١م).
- ٥٦- م. شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (١٩٩٩م).
- ٥٧- محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج ٣، (١٩٧٨م).
- ٥٨- محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين، للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م).
- ٥٩- منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م).
- ٦٠- مي السديري، حضارات، (د.ن)، الرياض، (١٤٣١هـ).
- ٦١- ميخائيل روستوفتزن، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي، ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- ٦٢- نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر حويجاني، مراجعة زكية طيوزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٦٣- نقولا زيادة، عربيات حضارة وثغة، (د.ن.م)، (١٩٩٤م).
- ٦٤- نوره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨.
- ٦٥- نينا فكتورفينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م).
- ٦٦- الهادي أبو لقمة ومحمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية، بنغازي، (د.ت).
- ٦٧- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م).
- ٦٨- هيا آل ثاتي، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م).
- ٦٩- وديع بشور، سوريا قصة الحضارة، دار الفكر، (د.م)، ج ١، (١٩٨٩م).
- الدوريات العربية:
- ١- اليزيث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبترو، ترجمة محمود محمود، الدارة، الرياض، السنة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ص ٢٨-٤٣.
- ٢- بشير زهدي، طريق الحرير وتدمير مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص ١١٩-١٣٨.
- ٣- جروم، الجرهاء مدينة مفقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف،

- الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥.
- ٤- ساطع محلي، طريق الحرير - طريق الحوار طريق الحرير، ١٩٩١ وسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٤٩-٧١.
 - ٥- سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سيمانر الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨.
 - ٦- علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٨٣-٩٥.
 - ٧- فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البدينية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١.
 - ٨- محمد حرب قرزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
 - ٩- محمد حرب قرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصيف والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
 - ١٠- محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٣٣.
 - ١١- مصطفى عبدالعظيم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ج ٢، ص ٢٠١-٢١٣.
 - ١٢- مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢+١، (٢٠١١م).
 - ١٣- نقولا زيادة، دليل البحر الأبيض وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ص ٢٥٩-٢٧٧.

المصادر الأجنبية:

- ١- Appian, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heiremans, Ltd, London, (1972), 4 vol.
- ٢- Arrian, History of Alexander and Anabasis Trans. By: E. Iliff Robson William Heinemann Ltd., London, (1946), 2 vol.
- ٣- Malale J., Chronographia, ed., L. Dirdrof, (SCHB), Bonn, (1831).
- ٤- Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warrington, William Heinemann, London, (1969), vol. 2.
- ٥- Polybius, The Histories, Trans. By: W. R. Paton, William

- Heinemann, London, (1926).
- Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans., By: H. B. Dewing, William Heinemann Ltd, London, (1970), vol. 7. -٦
- Quintus Curtius, Trans. By: John C. Rolfe, William Heinemann Ltd, London, (1970). -٧
- Strabo, Geography, Trans. By: Horace Leonard Jeonard Jones, William Heinemann Ltd, London, (1966), vol. 8. -٨
- The Periplus Maris Erythraei, Trans. By: Casson, Princeton University Press. New Jersey, (1914). -٩
- المراجع الأجنبية:
- Albertini E., L'empire Romain, Librairie, Elisacan, (1929). -١
- Bagot J., The Great Arabs Conquests, Hodder and Stoughton, (1960). -٢
- Bell. R., Introduction to the Quran, Edinburch, At The University Press, London, (1953). -٣
- Benglison H., The Greeks and the Pergians, Weidem Feld and Nicolson, London, (1964). -٤
- Bowersock W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983). -٥
- Buriot J., La Civilisation Islamiaue, Moorehean, A., African Terilogy, London, (1952). -٦
- Cantineau J., Le Dialecte Arabe De Palmyre, Beyrouth, (1934). -٧
- Ernest J., Backround of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952). -٨
- Fayyaz S., As short History of Islam, London, (1960). -٩
- Fowden G., Empire to Common Wealt, New Jersey, (1993). -١٠
- Glubb J., The Great Arab Conovests, Hodde and Stoughton, (1960). -١١
- H.O. Pub, Sailing Direction for the Red Sea and Gulf of Aden, The Hydrographie Office Under the Quthority of the Secretary of the Navy, United States, (1952). -١٢
- Hannond N., Scullard, The Oxford Classical Dictionary, AHhe -١٣

- Clarendon Press, Printed in Great Britain, Second Edition, (1970).
- Kirk G., A short History of the Middle East, Surjeet Publication, -١٤ (1981).
- Leiss B., and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987). -١٥
- Mattingly H., Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold -١٦ Publishers. Ltd, (1959).
- Perry G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New -١٧ Jersey, (1992).
- Peter M., The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976). -١٨
- Potts D., The Arabian Gulf In Antiquity, Clarendon Press, -١٩ Oxford, (1990).
- Raoul Mclaughlin, Rome and the Distant East, Continuum UK the -٢٠ Tower Building 11 York Road, London, (2010).
- Robinson E., A History of Rome, Methuen Educational Ltd., -٢١ London, (1978)
- Schmidt G., A concise History of the Middle East Egypt, (1983). -٢٢
- Sedillot, Histoire Des Arabs, Librairie Hachette Et, (1954). -٢٣
- Sinnigen W. and Boak, A., A History of Rome, To A. D. 565, -٢٤ Macmillan Publishing Co., Inc, New York, (1977).
- Tenney. F., and Other, An Economic Survey of Ancient Rome, -٢٥ The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), Vol. IV.
- Warmington E., The Commerce Between The Roman Empire and -٢٦ India, Curzon Press Ltd, London, (1974).
- Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963). -٢٧
- Zwemmer R., Arabia, Printed and Bound in Great Britain By A. -٢٨ Wheaton Co. Ltd., Exeter, London, (1986).

الدوريات الأجنبية:

- Bury J., and other, CAH, Cambridge, (1924), vol. I, pp. 188- -١ 203.
- David G., The Saracens and the Defense of the Arabian -٢

Frontier", BASOR, Bulletin of the American School of Oriental,
New Haven, (1978), pp. 1-20.

Shahid J., "The Rise and Domination of the GH, Cambridge,
vol. 1, (1970). -۳

Teixidor J., "Un Port Romain Du Desert Palmyre", Semitica,
Librairie D'Amerique Et D'Orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp.
16-55. -۴



الملاحق

- (١) بشير زهدي، طريق الحرير وتدمير مدينة القوفل، دراسات تاريخية، أتمه الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١)، من ص ١١٩-١٣٨.
- (٢) لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م)، ص ٨٩. فتحى أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (١٩٩٤م)، ص ٣. إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١١٣.
- (٣) العبادي أبو لقمه، محمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجامعية، بعباي، (د.ت)، ص ٣٤.
- (٤) جورج فصلو خوراني، العرب والملاحه في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ٢٣-٢٤.
- (٥) نوره النعيم، الوصع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار السوف نشر واسرع، (م.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨.
- (٦) ولمزيداً من المعلومات عن موقع **يمس وأمينه الاسفرتجيه** ونحيرة: انظر بالتفصيل الحموي، (شهاب الدين ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (١٩٧٢م)، ج ٥، ص ٤٤٧-٤٤٨. إ. الهمداني، (السان اليمس الحمر من أحمد)، صفه جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوخ، دار اليعامة، الرياض، (١٩٧٧م)، ص ٢٣-٧٨.
- (٧) Ernest Jack, Background of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952), p. 90.
- (٨) Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warmington Heinera Ltd, London, (1969), Vol. 2. BK. 6. XXVI. 101. Sedillot, Des Araps, Libranne Hachatte Et, (1954), p. 24 ;
- فليب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م)، ص ١٦٣. محمد أبو المحاسر عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٤٩.
- (٩) فاطمه صلاح الدين، العرب وتجارة الدولية في العصر الروماني، محلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١١١-١٩١، ص ١٧١.
- (١٠) منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمس، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م)، ص ٢٨٢.
- Joseph Burlet, La Civilisation Islandoue, Moore Hean A., Friran Terilogy, London, (1952), p. 8.

- (١١) العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م)، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ٢ : جورج حوراني، العرب والملاحة، ص ٧٨ Peter Mansfield, The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976), p. 14
- (١٢) Leiss. B. and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987), p. 30 : Richard Beu, Introduction to the Quran, Edinburgh, At the University Press, London, (1953), p. 5.
- (١٣) إسرائيل ولفسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م)، ص ٢٣٢ : دتليف بلس، وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م)، ص ٢٧٤.
- (١٤) سفر أشعيا الإصحاح ٤٣، آية ٣ : سفر حزقيال الإصحاح ٢٣، آية ٤٢.
- (١٥) Pliny, NH, BK VI, 26-101.
- (١٦) Eugene Albertini Le'empire Roman, Librairie, E ix Alcan (1929), p. 229.
- (١٧) فاطمة صلاح الدين، المدخل لمشرق، مجلة الدراسات البيرونية والنقوش، ص ١٨١.
- The Perplus Maris Erythraei, للمريد من المعلومات عن الدولة الحميرية انظر بالتفصيل: (١٨) Trans. by. Casson, Princeton University Press New Jersey, (1914), Chapter. 23 and cf also 36.
- (١٩) فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص ١٦.
- (٢٠) للمريد من المعلومات عن المصريين انظر: نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويحان، مراجعة ركية طيورادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٩٢ - ١٠٠ : وانظر أيضاً إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢١) وللمريد من المعلومات عن الآشوريين انظر بالتفصيل: حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م)، ص ٦٧-٩٥ : وانظر أيضاً: طه باقر، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢٢) محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٧٨-٢٨٢.
- (٢٣) جورج ريديان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٢٢م)، ج ١، ص ١٦٠.
- (٢٤) عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، اليمن، (٢٠٠٠م)، ص ٢٣٦.
- (٢٥) Pliny, NH. BK. VI. 32 , The Perplus, Ch. 31.
- (٢٦) حوراني، المرجع السابق، ص ٦٣.

The Periplus. Ch. 19.

(٢٧)

(٢٨) محمد السيد عبدالعبي، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٤.

(٢٩) Pliny, NH. BK. XXVI. 101. دي لاسي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى

العول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م)، ص ٩٥. والإمبراطور تييريوس هو الإمبراطور الثاني للإمبراطورية الرومانية تولى العرش وهو في الخمسين من عمره ولكنه تميز بالحكمة وبعد النظر ووضع ثاب له ابن أخته وابنه باليني جرمانكوس Germanicus. لمزيد من المعلومات عن

هاتين الإمبراطوريتين وباقي الأنظمة الإمبراطورية الرومانية انظر باللغة إنجليزية: E. Robinson. A History of Rome, Methuen Educational Ltd., London, (1971), p. 279

Simien. G. and B. Arthur, A history of Rome to A.D. 565, Macmillan publishing Co. inc. New York, (1977). p. 226.

Pliny, NH. BK. XXVI. 101.

(٣٠)

(٣١) محمود عرفه، العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم عظماءهم، دار عين للدراسات،

القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ٢٥٩. + مؤلفه، العرب في حضرة ولعه، (د.س.م)، (١٩٩٤م)، ص ٦٠.

(٣٢) صالح دراكه، بحث في ربح العرب قبل الإسلام. موسسة سيرين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م)، ص ١١٠.

(٣٣) وهو ملك مقدونيا: SF: Quintus Curtus, History of Alexander, Trans By: John

Rolfe William Heinemann Ltd, London, (1970), BK. 1. p. 19.

الثاني أولمبياس ويعتبر الإسكندر بلا شك أكثر قادة عصره شهرة لأنه هو أول من أدخل نظام جديد في

الحصارة الإغريقية: CF: N. Hannond H. Scullard, The Qufor Classical Dictionary,

At the Clarendon press printed in Grent Britain, Second Edition, (1970), pp.

41-39 وللمزيد من المعلومات عن شخصية الإسكندر الأكبر انظر: سصيل: Arnans,

Roman History, Trans By: Horace White, William Heinemann, London,

(1972), 4 vols, BK. 181.

(٣٤) فديري قلنجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م)، ص ٤٠.

(٣٥) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م)،

ص ٥٧. + إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣٦) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سمنر الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس،

القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ص ٢٩-٦٨، ص ٣٢: أيريبيث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور

والبترو، ترجمة محمود محمود، الدارة، الرياض، المسة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص

ص ٢٨-٤٣، ص ٣٦.

Strabo, op. cit., BK. XV. 1-73 , Hernann Be Ngtsen, The Greeks and the (٢٧)
Persians, Weiden Feld and Nicholson, London, (1964), p. 320; Bowersock,
W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983), p. 43.

(٢٨) للمريد من المعلومات عن هذه المراحل العسكرية انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ
اليمن القديم، ص ١٨ ٤ محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة فؤاد
الأول، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٣٣، ص ٤٣-٤٤

(٢٩) إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.

Albertini, E., L'empire Romain, Librairie, p. 229. (٤٠)

Strabo, op. cit., Bk. 15.4 , David F. Graf, The Saracens and the Defense (٤١)
of the Arabian Frontier, American Schools of Oriental Research, Copyright,
(1978), p. 3.

John Glubb, The Great Arab Conquests Hodde (٤٢) : المرجع السابق، ص ٢٥
and Sloughton, p. 22.

Strabo, BK. 16.4.16. (٤٣)

Strabo, BK. 16.4.23 , Pliny NH. ١:٥٥ ج ١، ص ١٠٥ (٤٤)
BK. V.32. 159-162 ,

(٤٥) منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٠ ١ اسماء الحداد، محور التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه
الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م)، ص ١٩٧-٢٠١.

(٤٦) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٨١ Pliny, NH. ١
BK. 6.141.

(٤٧) منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٠.

(٤٨) سيد الناصري، المقال السابق، منذر للدراسات العليا، ص ٣٢.

(٤٩) صالح دراكه، المرجع السابق، ص ١١٠.

(٥٠) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ص ٢٥٨ ١ حسين شهاب، ابن ماجد والملاحة في المحيط
الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الحيمة، الإمارات، (١٩٨٨م)، ص ١٤.

(٥١) سعيد الأعاسي، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م)، ص ١٥.
وللمريد من المعلومات عن جغرافية شبه الجزيرة الهندية انظر بالتفصيل: الاصطخري (ابن اسحاق)،
المسالك والممالك، تحقيق: محمد الحسيني، مراجعة: محمد غربال، الجمهورية العربية، (١٩٦١م)،
ص ١٩ ١ مي السديري: حصارات، (د.ت)، الرياض، (١٤٣١هـ)، ص ١٤٦.

(٥٢) قال العلامة جيان في كتابه وثائق تاريخية وجغرافية في أفريقيا الشرقية (قبض العرب منذ أقدم العصور
على رمام التجارة البحرية وبخاصة في الشرق فكانت سفنهم هي الوحيدة التي تجري في المحيط

الهندي، وخاصة ماسبق بلادهم والهند وكنت لهم هناك جالية يمنية كبيرة). وللمريد من المعلومات انظر بالتفصيل: صلاح البكري، تاريخ حصر موت المياني، المطبعة السلعية، القاهرة، (١٣٥٤هـ)، ص ٤٤-٤٥.

(٥٣) أنور عبدالعليم، الملاحه وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م)، ص ١٩.
(٥٤) Procopius of Caesarea, History of The Wars, Trans. By: H. B. Dewing
William Heinemann Ltd, London, (1970). Vol. 7, Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963), p. 54.

(٥٥) Pliny, NH. BK. 6 26 The Penplus, Ch. 27 and Cf also. 32
(٥٦) مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢+١، (٢٠١١م)، ص ٣٥٨ + أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٩١.

(٥٧) محمد باقر، مختارات، ص ٢٥.
(٥٨) فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص ٢٠. (مصر جذور المصنع الهندية اليمنية في هذا البحث ص ٣٩).

(٥٩) حوراني، المرجع السابق، ص ١٠. سي. د. سي. المرجع السابق، ص ٩٣. (انظر الخريطة رقم ٤) عن حركة الرياح.

(٦٠) Teixidor J. 'Un Port Romain Du Desert Palmyre', ٤٤ :
Semitica Librairie D'Amerique Et D'orient, Paris (1984) vol. XXXIV, pp. 16-55, p. 40.

(٦١) منير البكر، دراسات، ص ٣٨٧ +

The Penplus, Ch. 20 - and 27.

(٦٢) محمد عبدالحق، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، دراسة وبحث، المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٣ : عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٠. وهناك من يقول أن هيبلاكوس Hipparchus الإسكندري هو أول من اكتشف الرياح الموسمية في العصر البطلمي المتأخر وأوائل العصر الروماني، للمريد انظر منير البكر : المرجع السابق، ص ٣٩٤.

(٦٣) حوراني، المرجع السابق، ص ١٦٦ : فصل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢. (انظر الخريطة رقم ٤).
(٦٤) Procopius, History of the Ware, p. 183 : Shahid I., The Rise and Domination of the Cambridge History of Islam, Cambridge, p. 12.

(٦٥) سيد الناصري، مقال السابق، معيار الدراسات العليا، ص ٦١.
(٦٦) هيا آل نسي، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م)، ص ٢٤٢-٢٤٣ +

The Penplus, Ch. 57.

The Periplus, Ch. 57 , Pliny, NH. BK. VI. 101-106.

(٦٧)

(٦٨) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو طيبي، (١٩٩٩م)، ص ١٦-١٧.

(٦٩) وقد ذكر البحارة العربي المسلم المتأخر ابن ماجد في كتابه عن علوم البحار تعبيراً صادقاً يصف لنا فهم دقيق لطبيعة الرياح الموسمية والتيارات المعكسة في المحيط الهندي فسماء مواعيد غلق البحر وفتح البحر لمواسم السفر كما قال (إن الخروج من الهند يمر العرب أوله ٣٠ فيرور من حوزران وكثكن، ولكن أهل الأقاليم أكسوبية إذا أرادوا السفر فعليهم بأحد رياح الدبور (أي أحر الصيف) وكلاً على قدر مكانه ومركبه) للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أنور عبدالعليم، الملاح، ص ١٣٣.

(٧٠) حوراني، المرجع السابق، ص ٧٠. The Periplus, Ch. 26.

(٧١) محمود حرب فرات، حوار الحصار بين اليمن والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص ٩٦-١١٨، ص ١١٠: «فقد استطاع البطلمة البحر من موافقهم مباشرة إلى الهند خلال أربعين يوماً عن طريق أعلى البحر بدلاً من الإنحار بمحاذة الساحل كما كان متبعاً من قبل والعودة بعد ٦ أشهر»: للمزيد انظر فصل الجائذ، الحصور البصري، ص ٤١٢، وانظر أيضاً لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٧٢) Pliny, NH. BK. VI. XXVI, 100-101 Gl.obb. J op cit p. 22.

(٧٣) نورمان بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسين موسى وأخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مصر، (١٩٧٥م)، ص ٢٨١.

وللمزيد من المعلومات عن الإمبراطور فمبسيان انظر بالتفصيل: Mattingly Harold, Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold (Publishers) Ltd, London, (1959), p. 19
١ وانظر أيضاً ميد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م)، ص ١٩٦.

(٧٤) مهيب كليب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٣٥٥، Leiss and Arnold, op. cit p. 29.
(٧٥) بينا فكتورينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م)، ص ٢٦٠ ١ نقلاً زيادة، عربيات، ص ٣٧.

(٧٦) محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٧٨م)، ج ٣، ص ٢٩١. انظر خريطة الطرق البحرية رقم (٢).

(٧٧) محمد باقعيه، محذرات من القوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م)، ص ٢١ ١ قدرتي قلعي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٧٨) برهان الدين دنو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م)، ص ١٢٥.

(٧٩) معاد ماهر، المرجع السابق، ص ٥٥ ١ لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٤ : ومما يؤس به في هذا المجال ماورد في القرآن الكريم في سورة يوسف قوله تعالى (هو الذي يسركم في البر والبحر)

- آية ٢٢ وفي تلك الآية حصص من الله تبارك وتعالى على استخدام البحر . للمريد انظر فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٧٢.
- (٨٠) محمد متولي، محمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج ٢، ص ٢٩٩.
- (٨١) مهيب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٣٥١.
- (٨٢) بيومي مهران، الحصار العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، ص ٢٨٥.
- (٨٣) أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص ٢٠.
- (٨٤) بوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٤٧-٢٤٨. ومن يثبت هذا الرأي أنه تم العثور على نقش يعود إلى عهد الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) فيذكر فيه نقابة -مدمرة ومعتز بها لرئاسة من تدمر يعملون في أعالي البحار. وفي هذا دليل على انتشار إسماعيل العرب في شبه الجزيرة العربية سواء شماليين أو جنوبيين بعلوم البحار وإبقائهم لاس الإبحار والتجارة مع الأماكن البعيدة التي يصل إليها عن طريق البحر في البحر : للمزيد من المعلومات انظر : Tenney, Frank and Other, An Econmic Survey of Ancient Rome The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), vol. IV. P. 208.
- (٨٥) فاطمة صلاح الدين، المدخل إلى مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٨٤.
- (٨٦) منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١. وفي بند العرب يقول صلاح الدين قال طرفه بن العبد في إحدى الملاحظات السبع:
- عدوة : من سفر من من دور به صلاح ضيرا ويهني
- للمريد انظر منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٥.
- (٨٧) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٦ : النعيم، المرجع السابق، ص ٢٤٧.
- (٨٨) البراييث موير، المقال السابق، الدارة، ص ٢٦.
- (٨٩) برهان الدين نلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ١٢٥ : قريش : مرجع السابق، ص ٨٢ وفي هذه السفن الصغيرة (القوارب) قال طرفه بن العبد
- كان حذوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد
- والحذوج جمع حذج وهو مراكب النساب الصغيرة والنواصف هي المراكب أو السفن الرحلة الواسعة : للمريد من المعلومات انظر بالتفصيل : أنور عبدالعليم، المرجع السابق، ص ٢٤٧. (انظر خريطة رقم ١).
- (٩٠) Procopius, History of the War, p. 183 .
- ومما يؤكد ذلك أنه وجدت نقوش سبئية ومعينة مكرمه لأتمة عربية في جزيرة ديلوس Delos بحر أيجا كانت هذه الجزيرة مركزاً لتجارة النصائع الشرقية. وهذا الاكتشاف لا يدل فقط على المدن التي وصل إليها والتجار العرب إنما يدل أيضاً على أن العرب كانت لهم سفنهم الخاصة للتجارة : للمريد انظر بالتفصيل : فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والنقوش، ص ١٧٢.
- (٩١) انظر الخريطة رقم (١).
- Pliny, NH BK. 6. XX11. 14 .

سيد الناصري، تاريخ وحصارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٢٥٨.

(٩٢) مأرب، ولمريد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: سفر التكوين الإصحاح ١٠ آية ٧ : Strabo, GE., BK. 16.4-16.

(٩٣) أما غرة للمريد من المعلومات عنها انظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م)، ص ١٣٢، أنظر الخريطة رقم (١).

Pliny, NH. BK. 6.22.144

(٩٤) أغاثيوس وإبراهيم السامرائي، محاصرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحديث، ر.ب.، (١٩٨٦م)، ص ٨٨، عبد الحليم نور الدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمينية، تقديم راهي حواس، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، (٢٠٠٨م)، ص ٤٥.

(٩٥) صالح دراكه، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١، Peter Marsfeld, op. cit., p. 21.

(٩٦) صدر النكر، المرجع السابق، ص ٣٨٦ - Strabo, GE BK 16 4 2 أما حصرموت فللمريد

من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: Strabo GE BK 1604 4 The Periplus Ch. 29

Strabo, GE. BK. 1604-4 وانظر بصد، توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، بيروت،

(١٩٨٤م)، ص ٧١، ولمريد انظر سفر اسكوير، الإصحاح آية ٣١ ٣٢ وأنظر أيضا:

Potts. D., The Arabian, Gulf in Antioqon Press, Oxford, (1990), vol. 2, p. 97.

(٩٧) الجوهري، المرجع السابق، ص ٩٨ : ولمريد من المعلومات عن عدن انظر بالتفصيل نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(٩٨) برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠ : Strabo, GE. BK. 16.4 2.

(٩٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ١٠٧ : GE, BK. Ibid, 16.4-2.

(١٠٠) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات والبحوث البيئية، ص ١٧٢، ودادان هي العلا

حديثا اشهر شعبها بالمتاجرة مع الأقطار المجاورة وهي أبس وأعلى البصائع : للمريد من المعلومات

عنها انظر بالتفصيل سفر حرقيا الإصحاح ٢٧ آية ٥، وانظر أيضا جواد علي، المعصل في تاريخ

العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٠م)، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١٠١) ليوكي كومي: وهو ميناء مصري يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بال شهرة واسعة في عهد

الدولة البطلمية، وهناك اختلاف حول موقع هذا الميناء الحالي وأن البعض يجعله الحوزاء واسند على

أن الحوزاء تعني البغصاء للمريد عنها انظر بالتفصيل: أنظر الخريطة رقم (١).

Strabo, GE BK. 16.357 and cF also The Periplus, Ch. 19.

(١٠٢) محمد حرب، حررات، بين الصين، الشام حوار الحصارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية،

جامعه دمشق، دمشق، (١٩٩١م)، اعداد ٣٩، ٤٠، ص ص ٩٦ ١١٨، ص ١١٣ : ولمزيد من

المعلومات عن رأس الحد انظر بالتفصيل: H.O. Pub, Sailing Directions For The Red

Sea and Gulf of Aden, The Hydrographic office Under the Quthority of the Secretary of the Navy, United States, (1952), pp. 267 268.

Zwenner, R.S., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. Wheatin. (١٠٣) Co. Ltd, Exeter, London, (1986), p. 260.

(١٠٤) الخطوط التجارية البحرية الهندية - اليمنية المباشرة خريطة رقم (٢) والخطوط الغير مباشرة خريطة رقم (٣).

(١٠٥) حراكس وهي المحمرة حالياً على الخليج العربي: لمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: مندر النكر، دولة ميسان العربية، المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (١٩٨٦م)، المجلد ١٥، العدد ٣، ص ٢٦٦.

Pliny, NH. BK. 6.138-139.

(١٠٦) فيلكه وهي جزيرة تبعد حوالي ٢٠ كم عن بر الكويت: للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: دانيال بوتس، الخليج العربي في انعمور القديمة، ترجمة إبراهيم جوري وأحمد العساف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م)، ص ٤٠٥-٤٠٦ : جروم، الجراء مدسة معقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف، الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥، ص ٩٨.

(١٠٧) الجراء للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: بطر صلاح سب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، (د.ب)، ص ١١٠. Polybius, The Histories Trans. By: W. Paton Wllam Heirman Ltd (١٩٤٠), BK, XIII 9.2.4, Strabo, GE, BK. 16.3.2.4.

Pliny, NH. BK. 6.104 Warrington E The Commerce Between The (١٠٨) Roman Empire, and India, Curzon Press Ltd, London, (1970), p. 45.

(١٠٩) جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٢. (انظر الخريطة رقم (٣).

(١١٠) محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهذان للطباعة، اليمن، (١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٥٣ : فاطمة صلاح الدين، المعال السابق، مركز الدراسات العربية والافوش، ص ١٧٢ : Strabo, GE. BK. 16.4.2.4

(١١١) محمد عبدالغنى، شبه الجزيرة العربية، ص ٤٢-٤٣ : The Periplus, Ch. 26

(١١٢) Gearge Kire, Ashort History of the Middle East, Surgeat Publiction, (1981), p. 11, Texidor J., Lok. (٢) انظر الخريطة رقم (٣) Cit., Semitice, p. 40

(١١٣) Pliny, NH. BK. 6. 101-104 وكان من شدة حرص الإمبراطورية الرومانية على خط تجارة الهند - مصر والمارة بالجزيرة العربية أنها قامت بإنشاء قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة هذا الخط الملاحي الجنوبي بالنسبة له : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: سيد الناصري، البحر الأحمر والرومان، سيمتار الدراسات العليا، ص ٣٣.

- (١١٤) أحمد رحيب هيو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، (١٩٨٠م)، ص ١٨٦.
- (١١٥) شارلورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمري جرجس ومحمد حفاجة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ١٥٢.
- (١١٦) Appians, Roman History, Trans. By Horace White, William Heinemann, (1972), BX. V. 1-9, Warrington, op. cit., p. 105. (٣)
- (١١٧) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٢ ؛ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠.
- (١١٨) محمد حرب فرزات، المعال السابق، دراسات تاريخية، ص ١١٢ ؛ Plinay, NH. BK. 6.101-104.
- (١١٩) Ibid, BK. 6. 101-104.
- (١٢٠) أنظر الخريطة رقم (٢) Warrington, op. cit., p. 48-49
- (١٢١) Pliny, NH. BK. 6.101-104.
- (١٢٢) بافقيه، مختارات من شعوش. ص ٢٩ ٢٩٠، The Periplus, Ch. 32 أما عن طغار فهي عاصمة الدولة الحميرية وبع بالقرب من مريم الحالية وهي على منطقة جبلية حلت محل مأرب بعد أقول نجمها التجاري: للمرجع من المعلوم أن طغار البحر بالتفصيل أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، بقمه، (١٦٧ م)، ج ٢، ص ٥٧ وأنظر أيضاً: The Periplus, Ch. 23.
- (١٢٣) دي لاسي أوليري، المرجع السابق، ص ٩٤.
- (١٢٤) Rostovtzeff, M. The Social Economic History of the Hellenistic World At (1972), vol. 2, p 1045, The Clarendon Press, Oxford قدره قلعهجي، المرجع السابق، ص ٨٧.
- (١٢٥) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٢ ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢.
- (١٢٦) سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م)، ص ١٢٨.
- (١٢٧) الزيت مؤنرو، المقال السابق، الدارة، ص ٣٧.
- (١٢٨) محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٦٠ ؛ نفولا ريادة، دليل البحر الاريثري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، إشراف عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٩٧٩م)، ص ٢٦٣.
- (١٢٩) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦. (أنظر الخريطة رقم (٤) أهم المواسي اليمينية الهندية)
- (١٣٠) The Periplus, Ch. 26.
- (١٣١) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

- (١٣٢) Ibid, Ch. 26 and Cf also: 32.
- (١٣٣) Ibid, Ch. 26 and Cf also: 37 : حوراني، المرجع السابق، ص ٦٤.
- (١٣٤) للمزيد من المعلومات عن مملكة أوسان انظر بالتفصيل: محمد باقر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ)، ص ٢١-٢٤.
- (١٣٥) للمزيد من المعلومات عن الحميريين انظر بالتفصيل: Malale, Ibid, BK. I. XX. 3-12 .
- J., Chronographia, ed., L. Dirdraf, (CSHB), Bonn, (1831), pp. 57-59
- (١٣٦) سيد الناصري، المقال السابق، سيمار الدراسات العليا، ص ٥١ . Pliny, NH, BK. IV. 31.
- (١٣٧) The Periplus, Ch. 26.
- (١٣٨) محمد عبدالحفي، المقال السابق، المؤرخ العربي، ص ٥٠.
- (١٣٩) (انظر الخريطة رقم (٤) Shahed. I. Lok. Cit., CHI, p. 10 11.
- (١٤٠) وهو أيضا حصن العرب وعن هذه التسمية انظر بالتفصيل: جورج ريدي، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٠.
- (١٤١) محمد عبدالحفي، مصدر تفرس ٢١ خلاص، ص ١١٠ . Pliny, BK. XVI, 104.
- (١٤٢) سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ الآية ٢٣ ٢٤.
- (١٤٣) حوراني، المرجع السابق، ص ٥١ : والمزيد من المعلومات عن طريق اللبان البري والذي يطلق من ميناء قنا انظر بالتفصيل عنه شيه، أخرج حلق، ص ١٢٠ . Ibid, BK. XVI. 104.
- (١٤٤) The Periplus, Ch. 27.
- (١٤٥) والمزيد من المعلومات عن طريقه صده، أشوق مشتبه بالغراب الجلدية انظر بالتفصيل حوراني، المرجع السابق، ص ٥١ .
- The Penpius, Ch. 27.
- (١٤٦) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦.
- (١٤٧) أنظر الخريطة رقم (٤) Ibid Ch. 31 , Strabo, GE. BK. 16.24-25.
- (١٤٨) Warrington, op. cit., p. 219.
- (١٤٩) الملك الغريلط ملك حصرموت وكانت له علاقات واسعة مع أنحاء الجزيرة العربية ذكر نقش انه حضرت وفود من قريش وتدمر انتهت بالحكم للمريد من المعلومات انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٤٥ : حسين الشيع، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م)، ص ٨٢ وعن أعمال هذا الملك انظر كمال الصالح، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م)، ص ١٢٢-١٢٣.
- (١٥٠) The Periplus, Ch. 1 and Cf also: 35.
- (١٥١) منظر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٧.
- (١٥٢) سيد الناصري، المقال السابق، سيمار الدراسات العليا، ص ٥٥ : Ibid, Ch. 21 and Cf also: Ch. 25.

- (١٥٣) محمد السيد عبدالعبي، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٩ ؛ Ibid, CH. 24.
- (١٥٤) الباصري، المقال السابق، سيمتار الدراسات العليا، ص ٤٥ ؛ Pliny, Bk. XVI. 104.
- (١٥٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٢.
- (١٥٦) The Periplus, CH. 24.
- (١٥٧) فصل الجاثم، المقال السابق، ص ٤١٦ ؛ Teixidor, J., Loc. Cit., Semitica, p. 40.
- (١٥٨) The Periplus, Ch. 28-24 ، Sajyid Fayyaz, A short History of Islam, London, (1960), p. 5.
- (١٥٩) النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ١٩.
- (١٦٠) Ibid, Ch. 21-24 ، Teixidor, J., Loc. Cit., Semitica, p. 41.
- (١٦١) أنظر الخريطة رقم (٤) Ibid, Ch. 25-26.
- (١٦٢) Warrington, op. cit., p. 56.
- (١٦٣) بقولا ريادة، المقال السابق، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢، ص ٢٧٤.
- (١٦٤) محمد عبدالعبي، شبه الجزيرة العربية، ص ١٤٦ ؛ صلاح النكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٢.
- (١٦٥) عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ١٤٨ ؛ Teixidor, J., Loc. Cit., Semitica, p. 38.
- (١٦٦) بورد النعيم، المرجع السابق، ص ٢٦٢ (أنظر الخريطة رقم ٤)
- (١٦٧) Warrington, op. cit., p. 9 . Raou McLaughlin Rome and the Distant East, Continuum UK The Tower Building 11 York Road, London, (2010), p. 43.
- (١٦٨) The Periplus, Ch. 21.
- (١٦٩) أنظر الخريطة رقم (٤) Ibid, Ch. 54 and Cf: 60.
- (١٧٠) Ibid, Ch. 36 ؛ Teixidor, J., Loc. cit. Semitica, p. 38.
- (١٧١) فصل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢ ؛ Ibid, Ch. 27.
- (١٧٢) Warrington, op. cit., p. 10.
- (١٧٣) Pliny, NH. BK. VI. 104.
- (١٧٤) حوراني، المرجع السابق، ص ٨٣ ؛ The Periplus, Ch. 14.
- (١٧٥) Pliny, BK. VI. 104-105.
- (١٧٦) فليب حتى، خمسة آلاف سنة، ص ١٦٤ ؛ وللمريد من المعلومات عن أثر الثروة الزراعية في ارتفاع المستوى الاقتصادي اليمنى أدراك أنظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٣٩.
- (١٧٧) سفر أشعياء الإصحاح ٤٥ آية ١٤
- (١٧٨) الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٩ ؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص ١١ وللمريد من أهم البصائع المنقولة من وإلى اليمن والتي كانت اليمن تتاجر بها أنظر بالتفصيل سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و ٢٢.

- (١٧٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٧.
- (١٨٠) ستركة Steraca (عملة رومانية) Pliny, NH. BK. XIII. 84. وللمزيد من المعلومات عن اردھار التجارة الهندية اليمنية وطمع الرومان بها انظر بالتفصيل: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٧ ؛ Teixidor, Loc. cit., *Semilica*, p. 20.
- (١٨١) توفيق برو، المرجع السابق، ص ٢٣٨ ؛ محمد عبدالعني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٠.
- (١٨٢) The Periplus, Ch. 27 ؛ بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٣٣٠.
- (١٨٣) عبدالحميد نورالدين، مصرية، ص ٥٩٩.
- (١٨٤) محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٢٠.
- (١٨٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥ ؛ مهران، الحصار العربية، ص ٢٨٥.
- (١٨٦) الحوفي، الحياة، ص ٩٣ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ٥١.
- (١٨٧) محمد عبدالعني، العلاقات بين العرب والرومان، ص ٤٧ ؛ Pliny, NH. BK. XIII, 84.
- (١٨٨) اليزيث مونرو، المقابل السابق، الدارة، ص ٣٨-٣٩.
- (١٨٩) نفسه، المقال السابق، دارة، ص ٣٨-٣٩.
- (١٩٠) البكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٤ ؛ ٤٥ ؛ وجنرور- هي مينة واقعة بين كريلا ومصب نهر السند؛ للمزيد انظر: المرجع نفسه، ص ٤٤.
- (١٩١) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢٥ ؛ عبدالحميد نورالدين، مقدمه في الآثار، ص ٧٥.
- (١٩٢) فتحي أبو عيانة، دراسة جغرافية، ص ١٦ ؛ Ahmad Anani, and other The Early History of the Gulf, p. 39.
- (١٩٣) قنري قلججي، الخليج العربي، دار الكتب العربي، ١٩٦٥م، ص ٧٨.
- (١٩٤) الحداد، المرجع السابق، ص ١٦٤ ؛ فتحي أبو عيانة، المرجع السابق، ص ٦ ؛ J. Wellhausen, The Arab Kingdom, and its fall. Translated By. Margaret Graham Weir, Beirut, (1963), 54.
- (١٩٥) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٠٧ ؛ مهيب كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٣١.
- (١٩٦) Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans. By. H.B. Dewing William Heman Ltd, London, 1970, Vol. 7, p. 183.
- (١٩٧) أحمد سوسه، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩)، ص ١٠١.
- (١٩٨) إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة، ص ١٥٠.
- (١٩٩) بافقيه، مختارات من النقوش، ص ٢٢٩-٢٣٠.
- (٢٠٠) كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٥٨ ؛ عبدالحميد نور الدين، المرجع السابق، ص ٩٢.
- (٢٠١) جورج هوراني، المرجع السابق، ص ٧ ؛

Bury J., and other, Cambridge Ancient History, Cambridge, (1924), Vol. I, pp. 188-203.

- (٢٠٢) قنري قلعي، المرجع السابق، ص ٧٨.
 (٢٠٣) ميلز، المرجع السابق، ص ٣٠ ١ في السديري، الحصارات، ص ١٤٧.
 (٢٠٤) عبدالجليل نورالدين، المرجع السابق، ص ١٦٤.



أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط

(١٤-١٣٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م)

د. مديحة محمد الشرقاوي (*)

مقدمة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية، ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط (١٤ - ١٣٢هـ / ٦٣٥ - ٧٤٩م) وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، سواء بالنسبة للجانب الإداري والعسكري من جهة، وتطور النشاط البحري الإسلامي خلال تلك الفترة من جهة أخرى، حيث لم يحظ هذا الموضوع بشقيه بدراسة متخصصة ومستفيضة من قبل، فقد كان بناء السفن الحربية وارتداد البحر من أبرز التحديات التي واجهت العرب المسلمين، في أثناء فتوحاتهم للعراق وبلاد فارس من جهة، وبلاد الشام ومصر وإفريقية من جهة أخرى، وذلك لوقف الإمدادات العسكرية والغذائية التي كانت تصل للفرس والروم عن طريق البحر المتوسط وقطع الطريق عليهم، حيث سيطر الفرس على موانئ وقواعد بحرية، امتدت من ميناء الأبله، الذي يقع شمال الخليج العربي، حتى ميناء عدن، الذي يقع على مدخل البحر الأحمر، كما سيطر الروم على جزر هامة كانت تمددهم بالإمدادات العسكرية والغذائية، مثل قرص ورويس وأرواد، تلك الجزر التي كانت شرقي حوض البحر المتوسط، وفي هذا الإطار فإن تاريخ السفن وارتداد البحر من قبل العرب المسلمين يرجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٣م) وبالتحديد منذ سنة ١٤هـ / ٦٣٥م، عندما أشارت المصادر التاريخية إلى أن المسلمين نجحوا في هذه السنة في فتح ميناء الأبله.

وقد قسمت هذا البحث إلى محورين يمكن عرضهما على النحو التالي:

المحور الأول:

يتناول إمارة البحر لغة واصطلاحاً، ثم مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر، كما يتناول اختصاصات ومهام أمير البحر.

المحور الثاني:

يتناول نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط، سواء في العصر الراشدي أو الدولة الأموية. هذا وقد أنهيت البحث بخاتمة تضمنتها أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

(*) باحثة حاصلة على درجة الدكتوراة.

المحور الأول :

أولاً. مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح :

الإمارة من (أمر عليهم - أمرا، وإمارة - وإمرة صار أميرا عليهم - وأمر فلانا أمرا - وإمارة وإمرة : كلفه شيئا، ويقال أمره به، وأمره إياه وأمر فلانا : أشار عليه بأمر، وأمر عليهم - أمرا وإمارة صار أميرا، وأمر عليهم - إمارة : صار أميرا وتلأمر عليهم : صار أميرا (والإمارة) منصب الأمير، والإمارة جزء من الأرض يحكمه أمير، والأمر : الحال والشأن، و(الإمرة) الإمارة، يقال : تأمر فلان علينا، فحسنت إمرته والأمير : من يتولى الإمارة، والجمع أمراء (١).
أما البحر لغة فمن أبحر، وأبحر فلان : ركب البحر، وأبحارة : مؤنث البحار، والبحار : الملاح ويقال للجماعة بحارة، والبحر : الماء الواسع الكثير، والجمع أبحر ويحور، ويحار، والبحري : الملاح، والبحري كل منسوب إلى البحر، والبحرية عدة تدول في البحر، من سفن وغواصات وطائرات وجنود، ونحو ذلك (٢).

أما في الاصطلاح، فإن وظيفة أمير البحر تعني القائد العسكري الذي يتولى شئون البحر، ويكون مسئولاً عن قيادة الغزوات والحملات البحرية، وقد نعتها الأوربيون منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وصارت تلفظ بالإنجليزية **Admiral** والفرنسية **Amiral** وهو ما يعرف في الوقت الحاضر باسم قائد الأسطول البحري **Commander of the sea** (٣).

ثانياً مراحل تطور البحرية الإسلامية وأساس استحداث وظيفته أمير البحر.

حدث الإسلام على ركوب البحر والجهاد في سبيل الله، وتحفل كتب السنة بالكثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تبين فضل الغزو في البحر وتدعو إليه، حيث يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من غزا في البحر غزوة في سبيل الله فقد أدى إلى طاعته كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهرب " (٤).
وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تركب البحر إلا حاجاً، أو معتمراً، أو غازياً في سبيل الله، فإن تحب البحر نارا ونحت النار بحراً (٥)، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " الماند في البحر يصيبه القى له أجر شهيد والغرق له أجر شهيد " (٦)، وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسدر في البحر، كالمتمشحط (٧) في دمه في سبيل الله سبحانه (٨).

بدأ العرب المسلمون حملاتهم وغزواتهم البحرية، في منطقة الخليج العربي، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت موجهة ضد الفرس، وكانت أول حملة بحرية بقيادة هرثمة بن عرقبة البارقى الأزدي (٩) وهو من سادة قبيلة بجيلة، وخرجت تلك الحملة من إقليم البحرين باتجاه إحدى الجزر القريبة من البحرين، وذلك لتأمين الفتح الإسلامي في العراق وفارس، والسعي لقطع الإمدادات العسكرية عن الفرس، والعصل على نشر نفوذ المسلمين في الخليج، وفي ذلك أورد البلاذري : كان العلاء بن الحضرمي (١٠)، وهو عامل عمر بن الخطاب

على البحرين وجه هرثمة بن عرفة البارقي (١١) من الأزدي، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس ... وفي ذلك أورد بن خلدون " إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه غزو عرفة بن هرثمة الأزدي في البحر أنكر عليه ذلك وعنفه لركوبه البحر " (١٢).

وبينما كان العرب المسلمون يتقدمون برأ نحو العراق وفارس؛ أعد العلاء بن الحضرمي والي البحرين، ومعه زعماء عبد القيس، حملة بحرية من البحرين وعبروا الخليج إلى فارس، ولقد علم الفرس بهذه الحملة فنصبوا للمسلمين كمينا، ونجحوا في قطع الطريق بين المسلمين وسفنهم، وقد انفرد الطبري برواية، في أحداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م، نقلها عن سيف بن عمر، تقول: إن السبب الذي دفع العلاء ومن معه إلى ركوب البحر هو الوصول إلى فارس، والفوز بفضل السبق في فتحها عن طريق البحر، إضافة إلى ذلك فقد كان العلاء ينافس سعد بن أبي وقاص الذي هزم الفرس في القادسية، وكان يحاول الإتيان بما هو أعظم وأفضل، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها والتصدي لأعدائها من الفرس (١٣).

على أن فشل الحملة أدّى إلى عزل العلاء بن الحضرمي من منصبه، ومنع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المسلمين من ركوب البحر خوفاً على حياتهم، لذلك توقف النشاط البحري للمسلمين فترة، ولو إلى حين ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى عندما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي (١٤) البحرين وعمان فقد أورد البلاذري: " لما ولي عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان فدوجهما وتسقت له طاعة أهلها، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم وبنو ناجية وغيرهم ففتح جزيرة أبركاوان (١٥) ثم صار إلى نوح (١٦). وهي من أرض أردشير خرة ومعني أردشير خرة بهاء أردشير ... (١٧).

كذلك أرسل عثمان بن أبي العاص حملات بحرية من عمان إلى المحيط الهندي لمحاربة القراصنة الهنود الذين كانوا يقطعون الطريق على السفن الإسلامية ويهاجمون السواحل وقد أشار البلاذري إلى نجاح هذه الحملات البحرية في المهام التي نيطت بها ورجوعها غاتمة سالمة (١٨).

أما في البحر المتوسط: فكانت أول الحملات البحرية الإسلامية عام ٢٨هـ/٦٤٨م، عندما غزا معاوية بن أبي سفيان، والي الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣) ٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م، رضي الله عنه جزيرة قبرص من عكا في حوالي ٢٢٠ مركبا أعدت خصيصا لهذا الغرض، وكانت تساعده من مصر حملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتكللت جهود المسلمين بالنجاح، حيث غنموا الكثير من الخيرات، وصالحوا أهل الجزيرة على ٢٢٠ دينار كل عام (١٩).

يتضح مما سبق: إن الحملات والغزوات البحرية الإسلامية بدأت نشاطها في منطقة الخليج، حيث كان أول الفتح، وأن العرب المسلمين فتحوا العديد من الجزر المنتشرة في الخليج، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه نقل العرب المسلمون نشاطهم العسكري الملاحي إلى البحر المتوسط وفتحوا جزيرة

قبرص، ومن الواضح أنه كان يقود هذه الحملات البحرية المبكرة، في منطقة الخليج قادة عسكريون ممن كانت تعوزهم الخبرات الملاحية، ذلك أن معظمهم كانوا من قادة الجيوش البرية الذين تملسوا على خوض المعارك البرية، كما أن غالبية الجنود المشاركين في هذه الحملات من سكان البادية، الذين لم يعتادوا على ركوب البحر، ولم يختبروا أهواله، كما أنهم لم يتقوا بعض فنون الحروب البحرية وأساليبها. ويبدو أن العرب المسلمين استفادوا من هذه الغزوات والحملات الأولى، والتي كانت حافزا ودافعا لهم للمزيد من معرفة البحر والغوص في أعماقه، فتعلموا تدريجيا شئون القتال في البحر، وبرعوا في مجال الملاحة العسكرية، وأوصلوها إلى مستوى عال من التطور، وأتقنوا صناعة السفن الحربية، بعد أن استعانوا في بنائها بأهل البحرين وفارس والشام ومصر، واستخدموا في بنائها أنواعا من الأخشاب؛ كانت - من غابات السواحل الإفريقية والهند ولبنان وسورية وتتميز بجودة فائقة، تستطيع منها مقاومة المياه المالحة لفترات طويلة، كما أنهم عرفوا الطرق البحرية، واستخدموا في حملاتهم العديد من الأسلحة المستخدمة في الحروب البرية، ولقد أشار ابن خلدون إلى هذا في مقدمته وقال: فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطاتهم وصارت لهم تعجد خولا لهم وتحت أيديهم وتقرّب كل ذي صنعة عليهم بعبء صناعته واستخدموا من النوبة (٢٠) في حاجاتهم البحرية أما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها فشرهوا إلى الجهاد فيه. واتصاوا السفن فيه والشواني (٢١)، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها بحسائر وتمقّلة لهم وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وتغورهم ما كان أقرب لهذا البحر. وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس (٢٢).

ولعل هذا يفسر لنا الأسباب التي دفعت المسلمين إلى توسيع الغزوات والحملات البحرية في حوض البحر المتوسط، ومجارات الروم البيزنطيين والفرنجة والنقوطة، والاشتباك معهم في العديد من المعارك البحرية، التي سنعرض لها فيما يلي: ولقد كان لطبيعة هذه المعارك من حيث أهميتها في الدفاع عن الحدود الإسلامية، وكذلك نشر الإسلام في جزر البحر المتوسط القريبة والمجاورة للمسلمين - أثر كبير في استحداث العرب المسلمين نواحيمة أمير البحر، والتي كانت مهامها في بداية الأمر: استطلاع تقدم البيزنطيين، والرد عليهم بغارات مفاجئة، ثم تطورت هذه المهام تدريجيا، لتصبح هذه الوظيفة في العصر العباسي وظيفة مستقلة، يتولى صاحبها قيادة الأساطيل الإسلامية، وإشراف على الجهاز البحري كله، ويطلق عليه اسم "والي البحر" ويعود تاريخ ظهور وظيفة أمير البحر، عند العرب المسلمين، إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من تولى هذه الوظيفة من العرب المسلمين هو: عبد الله بن قيس الجاس (٢٣).

ويؤكد الطبري هذه المعلومات بقوله: أول من غزا في (البحر المتوسط) معاوية بن أبي سفيان، زمان عثمان بن عفان. وقد كان استاذن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فيه فلم يأن له، فلما ولي عثمان رضي الله عنه لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان رضي الله عنه على ذلك بآخرة وقال: لا تنتخب الناس، ولا تفرع بينهم خيبرهم، فمن اختار طانعا فاحمله وأعه

فعل، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاس حليف بني فزارة فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصانغة في البحر، ولم يفرق فيه أحد ولم ينكب... (٢٤).

ولقد ضمت حملات عبد الله الجاس، وغزواته البحرية ضد الروم، عددا من صحابة رسول، صلى الله عليه وسلم منهم أبو أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، فقد جاء في رواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن حبي بن عبد الله المعافى بن أبي عبد الرحمن الحبلي قال : كنا في البحر وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري ومعنا أبو أيوب الأنصاري.... (٢٥)، ومن المفيد أن نشير هنا إلى: أنه نظرا لأهمية وظيفة أمير البحر عند العرب المسلمين، فقد كانت في ذلك الحين مرتبطة ارتباطا مباشرا بالخليفة والوالي، وكان تعيين صاحبها يصدر عن الخليفة وأحيانا عن الوالي، بعد أن يأذن الخليفة، ويعتمد أمير البحر منهما السلطة اللازمة لتلقيام بمهامه وواجباته، هذا وقد استمرت قيادة عبد الله بن قيس لأسطول بلاد الشام البحري، حوالي ٢٨ سنة، إذ تم تكليفه بهذه المهمة سنة ٢٨ هـ / ٦٤٨م وظل ينهض بها حتى وفاته في بلاد الروم، سنة ٦٧٦ هـ / ٢٦٦م (٢٦).

وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية حادثة استشهاد عبد الله بن قيس في بلاد الروم، وتحدث عنها الطبري في تاريخه وقال: "خرج عبد الله في قارب طليعة، فانتهى إلى المرقى" (٢٧) من أرض الروم؛ وجاء إليه أناس من هذا المكان يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم إلى قريتها، فقالت للرجال: هل أدنكم على مكان عبد الله بن قيس، فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقتلهم قاصيب وحده، وافلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سفيان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يبعث بأصحابه وأصيب من المسلمين عدد كبير وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاس (٢٨)، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفته؟ قالت: بصدقته؛ أعطي كما يعطي الملوك؛ ولم يقبض قبض التجار" (٢٩).

وخلال هذه الفترة التي تولى فيها عبد الله بن قيس إمارة البحر: شن العرب المسلمون من بلاد الشام ما يقرب من حوالي خمسين حملة بحرية ضد الروم البيزنطيين، لم تتعرض فيها سفنهم إلى خسائر أو نكبات، وعادت الحملات البحرية الإسلامية سالمة ظافرة منتصرة. ونستنتج من النصوص السابقة التي أوردها الطبري، أن العرب المسلمين كانوا يعتمدون في حروبهم البحرية على سياسة الهجوم المباغت في الإغارة، واعتماد طريقة الكر والفر المعروفة عندهم، والتي استخدموها في معاركهم البرية ضد الفرس والروم في فارس وبلاد الشام، كما أنهم رتبوا الجهاد البحري، ونظموا الحملات البحرية بحيث جعلوها واحدة في الشتاء وواحدة في الصيف، وجعلوا الاشتراك فيها مقصورا على المتطوعة (٣٠).

اختصاصات ومهام أمير البحر:-

على الرغم من ندرة المعلومات الواردة بالمصادر التاريخية، التي بين أيدينا، فيما يتعلق باختصاصات ومهام أمير البحر، ربما مرده إلى أسباب عديدة منها: أن الوظيفة عسكرية ظهرت في بداية تأسيس الدولة العربية الإسلامية، وقبل تدوين المسلمين لتاريخهم، وكان استحداثها

من قبل العرب المسلمين في بداية الأمر لشحذ الهمم، حتى لا تخور في الدفاع عن البر عن طريق غزو البحر، ولفتح الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام ونشر الإسلام فيها، ثم تحولت هذه الوظيفة، في بداية العصر العباسي، لا سيما بعد فتح العديد من الجزر وتأمين العرب المسلمين سيانتهم على البحر الأبيض المتوسط إلى وظيفة إدارية، وأصبح يتولاها وال يسمى "والي البحر" ويديرها من مكان إقامته في العاصمة، إلى والي البحر والذي أورده قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) وفي كتابه الخراج وصناعة الكتابة "لحسن بن عبد الله العباسي (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠ م) والمتعلق بحروب البحر، والمتضمن واجبات والي البحر عند العرب المسلمين (٣١).

ولقد تحدث الماوردي عن الإمارة على الجهاد وقال : وهي : **ثلاث ضربين** : أحدهما ان تكون مقصورة على سياسة الجيش وتبدير الحرب، فيعتبر فيها **ثمة** **وظيفة** الإمارة الخاصة، والضرب الثاني أن يفوض إلى الأمير فيها جميع أحكامها من قسم الغنائم وعقد الصلح، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة . . . (٣٢). وعليه فالتنازع بين النظر بأن إمارة البحر كانت إمارة خاصة، ومقصورة على قيادة الحملات البحرية ورسم الخطط القتالية (٣٣).

وتتلخص أهم الاختصاصات (٣٤) المناطة بأمر البحر في عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية في الأمور التالية :

- ١- النظر في تبدير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أوضاعهم الا أن يكون الخليفة قدرها فيذرها عليهم (٣٥).
- ٢- تجهيز الغزاة في سبيل الله والعناية بهم وتمهين خروجهم إلى الجهاد (٣٦).
- ٣- حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تعيير أو تبديل (٣٧).
- ٤- الإمامة في الجمع والجماعات حتى يوم بها أو يستخف عليها (٣٨).
- ٥- جهاد من يليه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة (٣٩).
- ٦- منع أصحابه من التعرض للأطفال والنساء والشيوخ وكذلك عدم التعرض للكنائس والصوامع ومن فيها (٤٠).
- ٧- أن يكون الإذن عليه لمن معه من الجند مبتولا والوصول اليه من نوى الحاجات والظلمات سهلاً يسيراً (٤١).
- ٨- تفقد أمر المراكب المنشأة حتى يحكمها وبجود آلاتها، ويتخير الصنائع لها، ويشرف على ما كان منها في الموانئ ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في المشاتي، وهيج الرياح المانعة من الركوب فيها (٤٢).
- ٩- قيادة الطلائع للتحسس على أخبار الأعداء (٤٣).
- ١٠- الإشراف على الأسلحة والعناية بها حتى تكون جاهزة وقت الحاجة إليها (٤٤).
- ١١- تجديد المراكب واكتثارها وتقويتها حتى إذا تلف شيء منها وجد ما يخلفه (٤٥).

نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط في عصر الخلفاء الراشدين و خلفاء بني أمية.
 بعد عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ت ٥٣٦هـ / ٦٥٦م) من أشهر أمراء البحر العرب المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والشجاعة وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، ففي سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م عينه الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والياً على مصر (٤٦)، ولقد عرف عن عبد الله حبه لغزو البحر، واهتمامه ببناء الأسطول المصري، وذلك في سنة ٢٨هـ / ٦٤٨م، استعمل الخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد على البحر، وأسند إليه قيادة أسطول بحري يخرج من مصر لمساعدة معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص (٤٧). كما ينقل الحميري رواية عن عبد الله بن وهب تقول: "أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أفتتح (غزا) جزيرة أفریطش (كريت) وكان غزاه بامراته فتبيلة بنت عمرو (٤٨)، وإذا صحت الرواية يكون عبد الله أول من غزا من العرب المسلمين جزيرة كريت الواقعة في أقصى جنوبي بحر إيجة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وعلى يدي عبد الله بن سعد تمكن العرب المسلمون في سنة ٣١هـ / ٦٥١م (٤٩)، من إلحاق هزيمة بحرية ساحقة بالروم في معركة ذات الصواري (٥٠)، وفي ذلك يقول الطبري نقلاً عن الواقدي: "أن أهل الشام خرجوا على معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وخرج عاملاً قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمين منهم بأفريقية فخرجوا في خمسمائة مركب، فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضاً حتى قرتوا بين سفين المسلمين وأهل الشرك من صواريها" (٥١).

وينقل لنا ابن الأثير وصفاً دقيقاً للمعركة ويقول: "كانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فآرسي المسلمون والروم وسكنت الرياح، فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرون القرآن ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقربوا من الغد سقنهم وقرب المسلمون سفنهم وربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى، وصبروا يومئذ صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ورجع (٥٢)، ولقد أظهر المسلمون في هذه المعركة بسالة وشجاعة فائقتين، وكان عبد الله بن سعد يتقدم المسلمين في مجاهدة البيزنطيين، ومن ذلك ما أشار إليه بن عبد الحكم من أن: "السفن كانت إذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير من مركب العدو فكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد الخطيفي وكان عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها، فسأل عبد الله أمراته بعد ذلك بسيسة بنت حمزة وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالاً قالت علقمة صاحب السلسلة..." (٥٣).

كانت لهذه المعركة نتائج إيجابية على البحرية الإسلامية منها: كسب العرب المسلمين للمزيد من الخبرات العسكرية والمهارات القتالية، وخاصة فيما يتعلق ببناء السفن وصناعة الأسلحة البحرية الأمر الذي دفعهم أكثر من قبل إلى ركوب البحر المتوسط، والتطلع إلى ما

وراءه، ومنها أيضاً أنهم حطموا الأسطول البيزنطي وسيطروا بعد انتصارهم على الروم في هذا المعركة على البحر المتوسط وأصبحوا قوة بحرية عظيمة لا تقهر، وكان ذلك في غضون سنوات قليلة من إرتياد العرب المسلمين للبحر، ومنها كذلك توسيع دائرة الغزو البحري الإسلامي ليشمل نفوذ العرب المسلمين الجزر البعيدة والسواحل البيزنطية المتلاحمة لبلاد الشام، ثم جرأتهم فيما بعد وقتحهم للأتلس عن طريق عبورهم البحر المتوسط إلى أوروبا وتأكيداً على ما سبق فإن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) بعد تولية الخلافة استعمل جنادة بن أبي أمية الأزدي (٥٤)، على البحر وأرسله في سنة ٥٢هـ/٦٧١م إلى جزيرة رودس (٥٥) وفي سنة ٥٤هـ/٦٧٣م (٥٦) أرسله في حملة بحرية مكونة من ٤٠٠٠ مجاهد و ٢٠٠ مركباً لفتح جزيرة أرواد، ومن التدابير التي اتخذها العرب المسلمون لضمان وصول نجاح هذه الحملة استخدام الأتلس يحذروهم مما يتعرضهم في البحر، فقد ضمت الحملة مرافقة من الروم البيزنطيين، من أهل أرواد، أسره العرب المسلمون قرب سواحل بلاد الشام واستخدموه ليدلهم ويحذروهم ممن يريد بهم شراً، ولقد نجح جنادة بن أمية ومن معه من العرب المسلمين، في فتح الجزيرة وصالحوا أهلها على دفع الجزية، ثم عادوا إلى بلاد الشام ظافرين (٥٧). ومع أن إمارة جنادة لم تستمر لأكثر من ست سنوات (٥٨)، إلا أنه أهتم كثيراً بتطوير البحرية الإسلامية، وأسهم في توسيع قاعدة الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط، ومن أهم الغزوات البحرية التي أوكل إلى أمير البحر جنادة بن أبي أمية الأزدي القيام بها غزو جزيرة قرطاج (كرست) في سنة ٥٤هـ/٦٧٣م ثم أرسله معاوية مرة ثانية إلى جزيرة رودس، الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، بعد أن نكث أهلها العهد الذي بينهم وبين المسلمين (٥٩).

ومن تولى إمارة البحر في خلافة معاوية بن أبي سفيان: عقبة بن عامر الجهني (٦٠)، فقد ذكر الكندي أن معاوية استعمله على البحر، سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وأمره أن يسير من مصر إلى جزيرة رودس، وذكر الطبري أن معاوية وجه عقبة بن نافع في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م في حملة بحرية ومعاه أهل مصر لكنه لم يحدد وجهة الحملة (١١)، أشار المقرئ كذلك إلى حملته بحرية إلى جزيرة رودس في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م أسند معاوية إليها إلى عقبة بن عامر الجهني (٦٢).

كما أوردت المصادر أسماء عدد من القادة العرب المشهود لهم بالكفاءة العسكرية، ممن ولاهم معاوية إمارة البحر، نذكر منهم:

- معاوية بن حديج الكندي (٦٣) أول من غزا جزيرة صقلية، في أيام معاوية بن أبي سفيان (٦٤).
- موسى بن نصير: ولاه معاوية البحر وأرسله لغزو قبرص، حيث بنى فيها حصوناً للمسلمين (٦٥).
- يسر بن أبي أرطاة (٦٦): استعمله معاوية، في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، على البحر وأرسله في حملة بحرية (٦٧).
- مالك بن هبيرة السكوني (٦٨): غزا البحر في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م (٦٩).

- يزيد بن شجرة الرهاوي (٧٠) تولى قيادة أهل الشام في حملة بحرية في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م (٧١) ثم استعمله معاوية مرة أخرى في سنة ٥٦هـ/٦٧٥م (٧٢).
- عقبة بن نافع (٧٣) غزا البحر. في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ومعه أهل مصر (٧٤).
- فضالة بن عبيد الأنصاري (٧٥) تولى في سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م قيادة غزوة بحرية (٧٦).
- عمرو بن يزيد الجهني (٧٧) غزا البحر في سنة ٥٨هـ / ٦٧٧م (٧٨).

توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م وبعد وفاته فتر النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط وخيم الهدوء على الغزوات والحملات البحرية العربية ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العرب المسلمين فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط وهزموا ودمروا الأسطول البيزنطي وسيطروا على الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط ولكنه يرجع إلى الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية والتمثلة بوصول يزيد بن معاوية (٦٠-٦٦٩هـ/٦٨٢م) إلى الخلافة وبخونه في صراع مع معارضيه ممن خرجوا عليه، وقد استمر الفتور البحري الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) الذي ما أن قضى على الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر فأولى الحملات البحرية عناية واهتمام كبيرين، ولم يغفل عن إعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط وخاصة الجزر التي لم تستقر فيها بعد إقدام المسلمين والواقعة في غرب البحر المتوسط، استأنف العرب المسلمون نشاطهم البحري بأنشاء دار لصناعة السفن في تونس رغبة منهم في تقوية وتدعيم أسطولهم البحري في غرب البحر المتوسط، ويعود الفضل في قيام هذه الصناعة في المغرب العربي إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر أخاه عبد العزيز، وإلى مصر، بإرسال عدد كبير من أقباط مصر المتمرسين بصناعة السفن إلى تونس، كما أمر الوالي حسان بن النعمان أن يبني دار صناعة ويصنع بها المراكب ويجاهد الروم براً وبحراً (٧٩).

وكان نتيجة ذلك مباشرة العرب المسلمين، في سنة ٧٧هـ/٦٩٧م، نشاطهم البحري وقيامهم بحملة بحرية انطلقت من تونس وكان يتولى قيادتها والي إفريقية وأمير البحر حسان بن النعمان الغساني، وقد خرجت هذه الحملة لمواجهة الأسطول البيزنطي الذي جاء لاسترداد قرطاجة بعد أن فتحها المسلمون (٨٠).

ولما تولى موسى بن نصير إفريقية، في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م سعى لاتخاذ جملة من الإصلاحات والتنظيمات المتعلقة بتطوير القدرات البحرية الإسلامية، في بحر إفريقية، فأولى صناعة السفن اهتماماً كبيراً، وأمر بصناعة ١٠٠ مركب لتطوير الأسطول الإسلامي في تونس، وربط دار الصناعة، التي أسسها حسان بن النعمان بمرفأ على البحر تستخدمه السفن وتلجأ إليه إذا اشتدت الرياح، أو كلما دعتها الحاجة إلى ذلك، وقد شهدت هذه الفترة انتصارات بحرية عربية إسلامية متكررة في البحر المتوسط، لعب أمراء البحر دوراً كبيراً فيها إذ حظيت هذه الوظيفة باهتمام الوالي موسى بن نصير، فكان لا يعقدها إلا للمقربين منه والمشهود لهم بالكفاءة والمقدرة (٨١).

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، انطلقت من مصر حملة بحرية بقيادة الأمير عطاء بن أبي نافع الهذلي، ومعه مراكب أهل مصر متوجهة إلى جزيرة سردينيا (٨٢) ويبدو أن هدف الحملة كان ضرب القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في الجزيرة، ولكن نتيجة سوء الأحوال المناخية: توقفت الحملة في سوسة في إفريقية ثم غادرتها بعد ذلك إلى جزيرة صقلية حيث نجحت الحملة في الإغارة على الجزيرة وأصاب المشاركون في الحملة غنائم كثيرة من الذهب والفضة، وفي طريق العودة أصابت الحملة رياح عاصفة أدت إلى غرق الأمير عطاء ومعه عدد كبير من أفراد الحملة (٨٣)، ويلاحظ المتتبع لنشاط المسلمين البحري أن هذه الكارثة كان لها أثر كبير في توقف النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط لفترة استمرت قرابة عامين ثم ما لبث أن استؤنف بعد ذلك وكان أكثر قوة مما كان عليه من قبل إذ يشير ابن قتيبة إلى حملة أخرى قامت من تونس سنة ٨٥هـ/٧٠٤م سميت 'حملة الأشراف' واشترك فيها ما بين تسعمائة إلى ألف مجاهد من أهل الجند والنكاية والأشرف وتولى قيادتها عبد الله بن موسى بن نصير بعد أن أمره والده موسى على البحر وسارت الحملة إلى جزيرة صقلية. وذكر ابن قتيبة أن الحملة أصابت غنائم كثيرة بلغ فيها سهم الرجل ١٠٠ دينار ذهباً (٨٤).

ولقد أولى موسى بن نصير ركوب البحر اهتماماً كبيراً، وشجع الناس وخاصة الأشراف منهم على ركوب البحر، واشترك في الحملات البحرية تحت امرته وتحت إمرة ابنه، ووجد الناس بالقوز بالغنائم، ومما يدل على ذلك ما نصّر إليه كتاب ابن قتيبة حيث يقول 'ثم لما كانت خمس وثماتين أمر (موسى) الناس بالتأهب لركوب البحر، وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتصارعوا ثم شحن فلم يبق تريف ممن كان معه إلا وقد ركب، حتى إذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلا أن يرفع هو، دعا برمج فعدّ لعبد الله بن موسى بن نصير، وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته، وإنما أراد موسى بما أثار من مسيره أن يركب أهل الجند والنكاية والأشرف فسميت غزوة الأشراف' (٨٥).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة عبد الملك بن مروان: عياش بن أخيل (٨٦)، حيث قاد في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م أهل إفريقية في حملة إلى مدينة سرقوسة (٨٧)، أكبر مدن جزيرة صقلية، وبمجيء الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) إلى الخلافة شهد النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط تطوراً هاماً تمثل في مساندة أمراء البحر لقادة الجيوش البرية وحماية تقدمهم والتي بفضلها تحقق النصر للعرب المسلمين في الأندلس وغيرها من المناطق، فحصر الوليد يعتبر من أزهى العصور العربية الإسلامية إذ تمكن فيه العرب المسلمون من فتح الأندلس في الغرب وفتح السند وبلاد ما وراء النهر في الشرق، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى مناطق واسعة وامتدت الحدود الإسلامية لتصل إلى إسبانيا في الغرب وإلى الهند والصين في الشرق، ونستنتج من هذا تركيز النشاط البحري الإسلامي على إفريقية وأسطولها في غرب البحر الأبيض المتوسط وبناء على ذلك، أسند موسى بن نصير وإلى إفريقية في سنة ٨٧هـ/٧٠٥م إمارة البحر إلى ابنه عبد الله وبعثه إلى سردينيا حيث وفق في غزو قوله (٨٨)، ولما عاد ابنه ولاها موسى لعبد الله بن حنيفة الأزدي، وأرسله مرة أخرى إلى سردينيا ولقد نجحت

الحملة وعادت محملة بالغنائم والسبي (٨٩) وفي سنة (٨٩ هـ / ٧٠٧ م عقد موسى بن نصير لواء إمارة البحر على إفريقية لعبد الله بن مرة فركب عبد الله البحر ووصل إلى سردينيا ونجح في الإغارة على العديد من مدنها (٩٠)، وفي هذه السنة أمر موسى ابنه عبد الله على البحر وأرسله لغزو جزيرتي ميورقة (الجزيرة الكبرى) ومينورقة (الجزيرة الصغرى) الواقعتين على مقربة من الساحل الإسباني الغربي حيث تمكن من فتحهما وعاد إلى تونس غانما (٩١).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الحملات ومعها الحملات البحرية التي سورها العرب المسلمون من إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترمي في الأساس إلى اختبار قوة البيزنطيين في غرب البحر المتوسط وتمهد السبيل لعبور العرب المسلمين البحر المتوسط إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، وبعد خالد بن كيسان من أبرز أمراء البحر في عهد الخليفة الوليد، يبدو أن نشاطه البحري المتزايد قد أدى إلى وقوعه في الأسر، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ٩ هـ / ٧٠٨ م " أن الروم أسروا خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك " (٩٢).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة الوليد ابنه بشر بن الوليد الذي أرسله الخليفة من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية فغزاها ثم عاد بقواته إلى دمشق ووصلها بعد وفاة أبيه الوليد في سنة ٧١٤/٩٦ هـ (٩٣).

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ / ٧١٤-٧١٧ م) شارك أمراء البحر في حصار القسطنطينية، وأسهموا بخيراتهم إسهاماً كبيراً في تضيق الخناق على الروم، ومنع الامدادات من أن تصلهم من البحر، بل تعدى ذلك إلى بث الفارات الاستطلاعية وشنها على السواحل البيزنطية وكذلك تمويل الجيوش البرية بالسون وال سلاح. ومن أشهر أمراء البحر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك: الأمير عمر ابن هبيرة الفزاري الذي استعمله الخليفة سليمان على البحر لغزو الروم، ثم أرسله إلى القسطنطينية لمساندة الجيش البري الذي كان يقوده مسلمة بن عبد الملك (٩٤).

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ / ٧١٩-٧٢٣ م) غزا بشر بن صفوان والي إفريقية وأمير البحر في ذلك الحين، جزيرة صقلية ورجع منها بسبي كثير (٩٥) ثم استعمل به ذلك يزيد بن مسروق الحصن بي على البحر، ويعتبه من بلاد المغرب في غزوة بحرية إلى سردينيا فغزاها يزيد وعاد منها ظافراً سانماً، وفي سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م تولى إمارة البحر عمرو بن فاتك الكنبي وغزا في هذه السنة البحر ورجع من غزواته منتصراً (٩٦).

واستمر أمراء البحر العرب المسلمون في مواصلة نشاطهم وجهادهم البحري ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، كما وصلوا شن غزواتهم البحرية من بلاد الشام ومن شمال إفريقية على جزيرتي صقلية وسردانية، فغزا أمير البحر محمد بن أبي كبر مولى بني جمح (٩٧) في سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م جزيرتي سرقوسة (٩٨) وسردانية من سواحل إفريقية، وفي سنة ١٠٧ هـ / ٧٣٥ م غزا المسلمون جزيرة صقلية، بقيادة أمير البحر معاوية بن هشام يعاونه ميمون بن مهران (٩٩).

وفي ١٠٩هـ/٧٢٧م تولى إمارة البحر حسان بن محمد بن أبي بكر، فغزا جزيرة سردينيا (١٠٠)، مرة أخرى وعاد منها سالماً ويذكر الطبري أنه غزا البحر في هذه السنة أيضاً أمير البحر عبد الله بن عقبة الفهري (١٠١) وفي سنة ١١١هـ/٧٢٩م استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) عبد الله بن أبي مريم علي البحر وأرسله من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية (١٠٢) وفي نفس السنة استعمل عبيدة بن عبد الرحمن والي إفريقية في خلافة هشام بن عبد الملك، المستنير ابن الحارث علي البحر وأرسله في حملة بحرية كبيرة مكونة من ١٨٠ مركباً إلى جزيرة صقلية لمحاربة الروم البيزنطيين ولكن لسوء الحظ أصابت هذه الحملة في طريق عودتها رياح عاصفة وتعرضت سفن المسلمين للغرق ولم ينج منهم إلا عدد قليل، ويصف خليفة بن خياط هذه الكارثة فيقول: " وهجم الشتاء ففعل بريح طيبة حت لجج فجاءت ريح عاصف ففرقت مراكبهم فلم يسلّم منهم إلا سبعة عشر مركباً (١٠٣)، وقد أدى فشل الحملة إلى معاقبة الوالي لأميرها المستنير بن الحارث وجلده جلداً موجعاً بسبب تأخره في العودة قبل حلول الشتاء (١٠٤).

وعلى الرغم من ذلك: نشط العرب المسلمون في غزو البحر، واستمرت الغزوات والحملات البحرية، بقودها أمراء البحر في مهاجمة الروم البيزنطيين من بلاد الشام ومن موانئ إفريقية، وينقل ابن خياط رواية عن **أبي خالد البصري** فحواها: أنه في سنة ١٢٢هـ/٧٣٠م خرجت من إفريقية حملة بحرية بقيادة الأمير ثابت بن خثيم ووصلت إلى جزيرة صقلية فأصابت الحملة سبابا وغنائم ثم عادت إلى إفريقية سالمة (١٠٥) ثم تبعها في العام التالي حملة بحرية أخرى تولى قيادتها عبد الملك بن قطن وتوجهت إلى جزيرة صقلية (١٠٦).

وفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م تناوب على إمارة البحر في إفريقية أميران هما: عبد الله بن قطن وعبد الله بن زياد الأنصاري، وعبد الله بن قطن خرج في حملة بحرية إلى صقلية، وعبد الله بن زياد توجه إلى جزيرة سردينيا، ولقد نجحت الحملتان وعادتا إلى تونس سالمين ومحملتين بالغنائم (١٠٧).

على أنه من أبرز الأحداث التي شهدتها السنين الأخيرة، من عصر الخليفة هشام بن عبد الملك: تصدي الروم للحملات البحرية الإسلامية وخروجهم إليها في البحر المتوسط، وملاحقتهم للمسلمين الإسلامية وضربها بالنار الإغريقية، كما نجح الروم كذلك في أسر عدد من المجاهدين المسلمين، ومن تلك خروجهم، في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م لحملة الأمير بكر بن سويد إلى جزيرة صقلية ورميها بالنار، ولقد أبلى أمراء البحر العرب المسلمون بلاءً حسناً في التصدي للروم وهزيمتهم وتكبيدهم خسائر كبيرة، ويحدثنا خليفة بن خياط عن ذلك في أحداث سنة ١١٦هـ/٧٣٤م ويقول: " وفيها أغزى ابن الحبحاب عثمان ابن أبي عبيدة فأصاب ناحية من صقلية وقفل، فلقيته مراكب الروم في البحر، فهزمهم الله وأصابوا من المسلمين وأسروا ابنى عثمان عمرا وسليمان أبا الربيع وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وأخاه المغيرة بن زياد، فلم يزالوا في أيدي الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب، ففدى ابنى عمه وناسا من أسارى المسلمين وعبد الرحمن بن زياد، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة (١٠٨).

وحاول الروم توسيع نشاطهم البحري ضد المسلمين، فهاجموا مصر في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م، فخرجت لهم، من مصر حملة بحرية بقيادة أمير البحر نافع ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، واصطدمت مع سفن الروم في البحر وهزمتهم وأبعدتهم عن السواحل المصرية، وكان من نتيجة هذا الهجوم أن أسرت الروم عدداً من المجاهدين المسلمين (١٠٩). وفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م استعمل عبيد الله بن الحبحاب والتي إفريقية: حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على البحر، وسيره غازياً إلى جزيرة صقلية، حيث وصل الجزيرة وأرسل ابنه عبد الرحمن إلى مدينة سرقوسة فهزم أهلها وصالحهم على دفع الجزية (١١٠). وممن تولوا إمارة البحر، في مرحلة الضعف في البحرية الأموية: الأسود ابن بلال المحاربي الذي استعمله الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) على البحر وبعثه في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م في حملة بحرية إلى جزيرة قبرص، وأمره أن يخير أهلها بين العيش في حوز المسلمين في بلاد الشام أو العيش في بلاد الروم فانقسم الناس، منهم من اختار المسلمين فنقلوا إلى بلاد الشام، ومنهم من اختار بلاد الروم، فنقلهم الأسود بن بلال إلى هناك، وللأسف لم يتمكن من العثور على معلومات عن الأسباب التي دفعت العرب المسلمين إلى إخلاء الجزيرة لكن يمكن الاستنتاج بأنها كانت سبباً أمنية، أو ربما بسبب الفتن وتردي الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية في الدولة الأموية، في ذلك الوقت، وعدم قدرة السلطة الأموية على تأمين الحماية اللازمة لسكان الجزيرة (١١١).

الخاتمة:-

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج جديرة بالاهتمام لأنها تبين بشكل واضح وجلي الدور الذي أداه أمراء البحر في تقوية النفوذ البحري للدولة الأموية، وتقييم السياسة البحرية التي اتبعها الخلفاء الأمويون في تعيين واستعمال أمراء البحر ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج على النحو التالي :-

١- هرت إمارة البحر عند العرب المسلمين بخمس مراحل مختلفة . المرحلة الأولى :

هي مرحلة النشوء والتطور، وقد بدأت هذه المرحلة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، رضي الله عنه، و تميزت هذه الفترة بتحفظ الخليفة وتردده في ركوب الجيوش الإسلامية البحر، خوفاً على أرواح المسلمين، ومع ذلك فقد ظهر عدد من القادة والأمراء ممن كان لهم فضل المسبق في قيادة الحملات الإسلامية المبكرة ذات الإمكانات المتواضعة، ومواجهة الأساطيل الماساتية في الخليج العربي، والأساطيل البيزنطية في شرق البحر المتوسط، وبسط سيادة المسلمين على سواحل بلاد الشام ومصر .
المرحلة الثانية :

هي مرحلة النشاط والقوة، واستمرت من سنة ٢٤هـ/٦٤٤م حتى سنة ٣٥هـ/٦٥٥م حيث أسهم فيها أمراء البحر في توسيع نفوذ الدولة العربية الإسلامية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وهزيمة الأسطول البيزنطي واضعافه، وكان يرافق الأمراء في غزواتهم المبكرة من بلاد الشام ومصر، زوجاتهم وذلك حتى يهونوا على جندهم الخوف من البحر ويشجعونهم على لرتياده.
المرحلة الثالثة :

وكانت مرحلة التفوق، واستمرت من سنة ٤١هـ/٦٦٠م وحتى سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وتمثلت أولاً: بتكثيف أمراء البحر الحملات البحرية، وتوسيع قاعدة الفتوح الإسلامية لتشمل الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام مثل: جزيرة قبرص وجزيرة أرواد وجزيرة رودس، وثانياً: بالدور الكبير الذي لعبه أمراء البحر في الحفاظ على هذه الجزر والاستماتة في سبيل الدفاع عنها.
المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة انتقال النشاط البحري الإسلامي إلى غرب البحر المتوسط (٦٥-١١٤هـ/ ٦٨٤-٧٣٢م) حيث نجح أمراء البحر الأمويون في تأمين النفوذ العربي الإسلامي في شمال إفريقيا، عن طريق شن حملات بحرية متكررة، من بلاد الشام ومن إفريقيا على القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في جزيرتي صقلية وسردياتية، الأمر الذي مهد السبيل لاستكمال العرب المسلمين لفتح المغرب، ومن ثم فتح الأندلس.
المرحلة الخامسة :

هي مرحلة الضعف والتي بدأت من سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، واستمرت سنة ١٣١هـ/٧٤٨م وتميزت بالمواجهة مع الروم البيزنطيين الذين أخذوا يتعرضون للسفن الإسلامية في البحر

المتوسط، في الوقت الذي كانت تشهد فيه الدولة الأموية حالة من التداعي والانهيار السياسي الداخلي. وبالرغم من ذلك فقد تمكن أمراء البحر العرب المسلمون من درء الخطر البيزنطي، ونجحوا في هزيمة الأسطول البيزنطي، في غرب البحر المتوسط وأوقفوا توغله.

٢- استحدثت وظيفة أمير البحر في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأول من تولاهما -عبد الله بن قيس الجاسي- وكان ظهورها مرافقاً لنشاط العرب المسلمين في البحر المتوسط واختص بها أهل الشام ومصر والمغرب العربي والأندلس. ولم تستخدم هذه التسمية عند غيرهم من العرب المسلمين.

٣- كانت وظيفة أمير البحر في بلاد الشام ومصر وظيفة عسكرية ثابتة ومحددة مثل غيرها من الوظائف الأخرى كوظيفة صاحب الشرطة، وصاحب البريد، وصاحب الخراج، أما في شمال إفريقيا والأندلس فكانت وظيفة أمير البحر وظيفة غير دائمة، حيث يتولى قيادتها الوالي أو من ينوب عنه، ويتم تعيين أمراء البحر عند الضرورة، وخاصة في أثناء تجهيز الحملات البحرية للغزو الخاطف والسريع، ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط.

٤- بعد أن فتح العرب المسلمون إفريقية بقاسم أهلها من أهل الشام وأهل مصر بقيادة الأساطيل الإسلامية في البحر المتوسط فكان يتولى قيادة أهل الشام أمير من الشام، ويتولى قيادة أهل مصر أمير من أهلها، ويقود أهل إفريقية (تونس) أمير للبحر من إفريقية، وبذلك كثف العرب المسلمون من غزواتهم وحملاتهم البحرية ضد الروم البيزنطيين في الحوضين الشرقي والغربي من البحر المتوسط.

٥- كان لنشاط أمراء البحر في العصر الأموي وحملاتهم المتكررة منذ خلافة معاوية، على جزيرتي صقلية وكريت في البحر المتوسط أبلغ الأثر في إضعاف تحصينات الروم وقواتهم الدفاعية في هذه الجزر، الأمر الذي مهد السبيل للعرب المسلمين، فيما بعد، لفتح جزيرة صقلية سنة ٨٢٧هـ/٨٢٧م وجزيرة كريت سنة ٨٤٤هـ/٨٤٤م.

الهوامش

١. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر، مكتبة الخاتجي، ج ١٥، ١٩٦٧، ٦٤، ص ٢٧٩. لمزيد من التفصيل عن الإمارة أنظر: الأزهرى، وابن منظور، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط ٣، جمهورية مصر العربية، ج ١، ص ٢٦-٢٧.
٢. ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، لسان العرب المحيط (أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، بيروت، دار الجليل ١٩٨٨، ص ٩٦. ٩٩. مزيد من التفاصيل عن البحر لغة أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١-٤٢.
٣. مونتجرمرى وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، بيروت، دار الشروقي، ١٩٨٣م، ص ١١٦.
٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص ١١٢. الهيثمي نور الدين على بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي، دور تاريخ، ج ٥، ص ٢٨١، المنقى الهندى، منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامى ببيروت، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٧٦.
٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبو داود، تركيا، ١٩٨١م، ج ٣، ص ١٣.
٦. أبو داود، سنن أبو داود، ج ٣، ص ١٦.
٧. المتشحط. شحط القتل فى أدم اضطرب وشحطه فى لمة ويدهم جعه يضطرب ويتخبط فيه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤٩٣.
٨. ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، تركيا، ١٩٨١م، ج ٢، ص ٩٨٢.
٩. صفح البلاذرى هذا الاسم والصواب هو: عرفة بن هرثة بن عبد العزى بن زهير بن ثعلبة بن عمرو، للمزيد أنظر ابن حزم الأندلسي، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مصر دار المعارف، ١٩٨٢م، ص ٣٦٧، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، مصر، دار الشعب، ١٩٧٠م، مج ٤، ص ٢٣.
١٠. العلاء بن الحضرمي: واسم الحضرمي عبدالله - بن عباد بن أكبرين ربيعة بن مالك ابن أكبرين عوف بن مالك بن أبي بن الصنف - وقيل: عبدالله بن عمار - وقيل: عبدالله بن ضمار - وقيل: عبدالله بن عبيدة بن ضمار بن مالك. ويقال: إن العلاء كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها... ابن الأثير، أسد الغابة تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب قايد، دار الشعب، ج ٤، ص ٧٤.

١١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق، عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧ م، ص ٥٤٤.
١٢. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م، مج ١، ص ٢٦٦.
١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٨٧ م، مج ٤ ص ٧٩.
١٤. عثمان بن أيان بن سيار بن مالك بن حطيظ بن جشم بن ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبدالله. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٧٩.
١٥. أبركاوان: جزيرة في البحر بينها وبين سيرا ف مائة وخمسون فرسخا وفيها فلاح شتى وفيها أجوان كثيرة ومستقى ومحتطب كثير، وفيها معادن الحديد، وطولها اثنا عشر فرسخا، وبينها وبين ساحل بحر فارس فرسخان. الحميري، الروض المعطار، ص ٩.
١٦. ياقوت لا يوافق ما جاء في رواية البلاذري ويقول: " افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي أيام عمر بن الخطاب لما أراد غزو فارس في البحرين مر بها في طريقة ". للمزيد انظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، بيروت. دار احياء التراث، ١٩٧٩ م، ج ٢، ص ١٣٩.
١٧. توج: توج بفتح أوله وتشديد ثنيه مدينة بفارس شديدة الحر لابلها غور من الارض ذات نخل ويناؤها بالثين ويعمل أهلها بصناعة النسيج المطرز بالذهب، وهي مدينة صغيرة واسمها كبير وقد فتحت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦.
١٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٤٤.
١٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٧.
٢٠. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٨ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٦٢ الكوفي، أبو محمد بن أعثم، الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م، مج ١، ص ٣٤٧-٣٥١ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد عبدالكريم، الكامل في التاريخ، تحقيق: كارلوس نورنبير ليدن ١٨٧١ م، مج ٣، ص ٩٥-٩٧. Robert Browning, The Byzantine Empire, (Weidenfels and Nicolson, London) 1980, p.47 ostrogorsky, History of the Byzantine state, trans: Joan. Hussey, (Basil Blackwell, oxford) 1968, P.116
٢١. النواتية: هم الملاحون الذين يقودون السفن في البحر، أنظر ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٧٣٨.
٢٢. الشواني: السفن الحربية الكبيرة للمزيد أنظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤ م، ص ٨٣.

٢٢. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير مج ١ ، ص ٢٦٦ .
٢٣. يعرف أيضاً بعدد الله بن قيس الفزاري والأنصاري للمزيد . أنظر ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق ، سكرية الشهابي ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٦م ، مج ٣٨ ، ص ١٦ . ١٨ .
٢٤. تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ ، وأنظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٢٥. أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٣م ج ٥ ص ٤١٣ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٦ .
٢٦. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٨ .
٢٧. عند ابن الأثير في الكامل (المرفأ)
٢٨. القصرات ، هي الشدائد وهو مثل للأغلب العجلى بضرب في . من الأمور العظام والصبر عليها . أنظر الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم ، مجمع الأمثال ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج ٢ ص ٤١٥ .
٢٩. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦١ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٣٠. أغلب الظن أن ذلك الخليفة كـ هو الخليفة العباسي
٣١. والغالب أنه المقنن بالله (٢٩٥ . ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ . ٩٣٢م)
٣٢. الماوردي ، الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م ص ٤٢ .
٣٣. للمزيد أنظر ، أبو يعلى محمد بن الحسين الثراء ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م ص ٢٨ . ٥١ .
٣٤. للمزيد أنظر الماوردي ، الأحكام السلطانية . ص ٣٧ . ٣٩ ، أبو يعلى محمد بن الحسين الثراء ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ . ٥١ ، ابن أعش الكوفي . مج ١ ، ص ١٣٥٠ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : محمد حسيب الزبيدي بغداد . دار الرشيد ، ١٩٨١م ، ص ٤٧ . ٥٠ ، ابن جماعة الحموي ، بدر الدين بن أبي اسحاق إبراهيم بن سعد الله ، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد ، بغداد ، دار الوطنية للتوزيع والإعلان ، ١٩٨٣م ، ص ٣٥ . ٥٢ .
٣٥. الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ ، أبو يعلى محمد بن الحسين الثراء ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ .
٣٦. ابن جماعة ، مستند الأجناد ، ص ٤٥ .
٣٧. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٧ .
٣٨. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٨ .
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص ٤١٣ .
٤٠. ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ١ ص ٣٥٠ .
٤١. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٧ .

- ٤٢ . قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٨ .
- ٤٣ . الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
- ٤٤ . قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٩ .
- ٤٥ . العباسي ، الحسن بن عبدالله ، أثار الأول في ترتيب الدول ، تحقيق ، عبدالرحمن عميرة ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٧٠ ، ٢٧٣ .
- ٤٦ . خليفة بن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط العسفرى ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، أكرم ضياء العسفرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٧٧ ، ص ١٥٩ .
- ٤٧ . الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .
- ٤٨ . الحميري ، محمد بن عبدالمنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م ، ص ١٥ .
- ٤٩ . يختلف المؤرخون في تاريخ هذه الموقعة فالبعض منهم يرى أنها وقعت في سنة ٢١٦ هـ / ٦٥١ م بينما يعتقد البعض الآخر أنها كانت في سنة ٣٤٤ هـ / ٦٥٤ م . أنظر خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، ١٦٨ : المنبجى ، أغابويوس قسطنطين (من القرن ١٠ هـ / ١٠ م) ، المنتخب من تاريخ المنبجى ، تحقيق . عبدالسلام تدمرى ، لبنان ، دار المصور ، ١٩٨٦ م ، ص ٥٩ . ٦١ : ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١٧١ .
- ٥٠ . يختلف المؤرخون في سبب تسميتها بذات الصوارى فيرجع البعض سبب التسمية إلى كثرة صوارى السفن في هذه المعركة ، بينما يرى البعض الآخر ذات الصوارى اسم المكان الذى قامت فيه المعركة ، كما يختلف المؤرخون كذلك في تحديد مكان المعركة والذى هو فى الغالب قرب الساحل التركى الجنوبى أمام منطقة Lycia وبالقرب من موضع يسمى phoenix للمزيد أنظر ، ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة ، أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٩١ محمد جمال الدين على محفوظ ، فجر البحرية الإسلامية ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٩٧ م ، ص ٥١ . ٥٥ : إبراهيم العدوى ، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، مصر ، نهضة مصر ، ١٩٦٣ م ، ص ٤٦ .
- ٥١ . الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
- ٥٢ . ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١١٨ .
- ٥٣ . ابن عبدالحكم ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق شارلز توى ، بالقاهرة ، مكتبة مديولى ، ١٩٩١ م ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .
- ٥٤ . فى أسد الغابة : جنادة ، بالهام ، هو جناد ، بن أبى أمية الأزدي ، ثم الزهراني ، وأسم أبى أمية مالك ، وكان جنادة بن أبى أمية على غزو الروم فى البحر لمعاوية ، زمن عثمان رضى الله عنه إلى أيام يزيد ، إلا ما كان من أيام الفتنة وشنا فى البحر سنة ٦٧٨/٥٩ . للمزيد عن سيرته انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٣٥٣ ، ابن منظور ، محمد بن مكرم ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج ٦ ، تحقيق ، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٤ م ، ص ١١٨ . ١٢٠ .

٥٥. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، وينكر ابن الأثير أن فتح جزيرة رودس كان في سنة ٦٧٢/٨٥٣ م ، أنظر الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٩٣ .
٥٦. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
٥٧. ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، مج ١ ، ص ٣٦٧ .
٥٨. يروي أحمد بن حنبل عن مجاهد قال كان جنادة بن أبي أمية أميراً علينا في البحر ست سنين ، أنظر المسند ، ج ٥ ، ص ٤٣٤ .
٥٩. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .
٦٠. هو عقبة بن نافع بن عجم بن عمرو بن عدى الجهني ويكنى ' حماد ، من صحابة الرسول أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، سكن في المدينة المنورة ولما ولاء معاوية مصر سار عليها وسكنها ، وتوفي بمصر سنة ٦٧٧/٨٥٨ م . للمزيد أنظر ترجمته عند ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ . ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة - مصر ، دار المعارف ، ١٩٨١ م ، ص ٢٧٩ .
٦١. محمد بن يوسف الكندي ، كتاب الزلازل وكتاب القضاء ، تحقيق ، رش كست ، بيروت ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٧ - ٣٨ ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
٦٢. المقرئ ، بقى الدير أبو العباس بن عني ، المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .
٦٣. قال ابن الأثير : معاوية بن حديج بن جفنة السكوني ، وقيل الخولاني ، غزا إفريقية ثلاث مرات ، فأصببت عينه في حداثها ، وقيل غزا الحيرة مع ابن أبي سرح فأصببت هناك . للمزيد أنظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
٦٤. البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .
٦٥. ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، مخطوط مصور ، ج ١٧ ، الأردن ، دار البشير ، دون تاريخ ، ص ٤٠٧ .
٦٦. هو عمرو بن عويمر بن عمران يكنى أبا عبد الرحمن ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنتين ، اشترك في فتح مصر ورافق جنادة بن أبي أمية في غزواته البحرية وتوفي بالمدينة أيام معاوية ، وقيل بالشام أيام عبدالملك بن مروان ، أنظر ' ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .
٦٧. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٤٠ .
٦٨. هو مالك بن هبيرة بن خالد الكندي السكوني ، كان أميراً لمعاوية على الجيوش للمزيد أنظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٥٤ .
٦٩. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٥٧ .

٧٠. هو يزيد بن شجرة (الرهاوي نسبة إلى قبيلة رهااء المتفرعة من مذحج ، نزل الشام واستعمله معاوية على الجيوش الإسلامية البرية والبحرية واستشهد في غزوة ضد الروم سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤م) وقيل سنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م. للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٥، ص ٤٩٥ .
٧١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٢، ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠١، ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥٠٣ .
٧٣. هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية القرشي الفهري، ولاء عمرو بن العاص إفريقية لما كان على مصر فسار إليها وفتح أجزاء كبيرة منها كما فتح بلاد اليرير، وأسس مدينة القيروان في خلافة معاوية، وإلى عقبة يعود الفضل في فتح السوس الأقصى، توفي عقبة في سنة ٦٣ هـ ٦٨٢م للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٦٠ .
٧٤. الطبري تاريخ الطبري، ج ٥، ص ١٢٣٢، ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٥. هو فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب الأنصاري الأوسي العمري، صحابي جليل أسلم قبل معركة أحد، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم معركة أحد والمعارك التي بعدها ولما فتحت بلاد الشام انتقل إليها وأقام فيها وتولى القضاء في دمشق ثم استعمله معاوية على البحر وأرسله لغزو الروم في البحر المتوسط توفي فضالة في سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢م للمزيد أنظر، ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٣٦٤ .
٧٦. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٤، ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٦١ .
٧٧. لم نعر على ترجمة له في المصادر الإسلامية المتوفرة بين أيدينا
٧٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠٩، ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥١٥ .
٧٩. البكري : عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق : أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جزءان، تونس، بيت الحكمة، ١٩٩٢م، ص ٦٩٥، الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٦ .
٨٠. اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ تحقيق : هوتسمان، جزءان، ليدن، ١٩٦٩م، ص ٣٣٧ .
٨١. ابن قتيبة، محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج ٢ جزءان، قم، منشورات، الشريف الرضي، ١٩٦٩م، ص ٧٠ .
٨٢. سردانية في المصادر العربية القديمة وهي جزيرة سردينيا الفرنسية حاليا وتقع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط للمزيد عن هذه الجزيرة أنظر ١ باقوت الحموي، باقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٠٩ .
٨٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢ ص ٧٠ .
٨٤. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١ .
٨٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧٠-٧١ .
٨٦. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٧١، ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ومراجعة، ج . س . كولان وإ . ليفي بروفنسال، ٤ أجزاء، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٤٢ .

٨٧. للمزيد عن مدينة سرقوسة انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.
٨٨. لم أوافق في العثور عليها في المصادر المعنية بتاريخ جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والغالب أنها مدينة من مدن سرديانية.
٨٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.
٩٠. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١، وذهب ياقوت إلى أن فتحها كان في سنة ٩٢ هـ وهو على ما يبدو تاريخ استقرار العرب المسلمين فيها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٠٩.
٩١. خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.
٩٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٤٢؛ وديع فتحي عبد الله، «السياسة بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٠م، ص ٧٩.
٩٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٠؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٩٥.
٩٤. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢٣، ٥٣٠؛ خليفة بن خياط، ص ٣١٤ - ٣١٥؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٣٥٩؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، دون تاريخ، ج ٢١، ص ٣٤٧-٣٤٨، الإمبراطور قسطنطين السابع بوريغوجينيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية: عرض وتحليل وتغنيق، محمد سعيد عمران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٨٧، A.A. VASILIFV, HISTORY OF
- The Byzantine empire, 2vol, (the university of Wisconsin press, Milwaukee) 1978, p.236
٩٥. المراكشي، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩؛ وقارن مع النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٧.
٩٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٨-٣٣٠.
٩٧. جاء في الهامش في تاريخ خليفة بن خياط أن جزيرة قورسيف الآن، وهي سرديانية جزيرتان متقابلتان في البحر المتوسط. انظر: ص ٣٦١.
٩٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ١٤٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
٩٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ١٤٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
١٠١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ١٦٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤١٤.
١٠٢. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١.
١٠٣. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٦.
١٠٤. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٣.
١٠٥. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٥.
١٠٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٧. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٧؛ انظر أيضا ابن الأثير، الكامل، ج ٥، ص ١٩١.

١٠٨. الكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة، ص ٧٩ - ٨٠، المقرئزي، كتاب المواعظ والاعتبار، مج ١، ص ٣٠٣.
١٠٩. ابن الأثير، الكامل، مج ٥، ١٩١
١١٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٢٧، وأنظر أيضا المنبجي، المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ٩٥.



المراجع والمصادر

أولاً: المصادر

- ١- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الكامل في التاريخ، تحقيق : كارلوس تورنبرج، ١٣ مجلدات، لندن، ١٨٧١ م.
- ٢- ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، دار الشعب، مصر ١٩٧٠ م.
- ٣- ابن جماعة الحموي. (بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله) ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م، مستند الأجناد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد، دار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، ١٩٨٣ م.
- ٤- ابن حزم الأندلسي: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٥٠١ هـ / ١٠٠٢ م، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢ م.
- ٥- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م، تاريخ ابن خلدون المعصوم كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ٦- ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع البصري) ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م، الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٧- ابن عبد الحكم - (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) ت ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : شارلز توري، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩١ م.
- ٨- ابن عذاري المراكشي. (أبو عداة محمد) ت ٧١٢ هـ / ١٣٢١ م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة : ج. من كولان و إنيغي بروفنسال، ٤ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٩- ابن عساکر. (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله) ت ٥٠٠ هـ / ١١٧٥ م، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكيه الشهابي، المجلد الثامن والثلاثون، مطبوس. جمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦ م، المجلد السابع عشر، مخطوط مصور، دار البشير، الأردن، دون تاريخ.
- ١٠- ابن قتيبة الدينوري : (أبو محمد عبد الله بن مسلم) ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م، الإمامة والسياسة، (منسوب لابن قتيبة)، جزءان، الطبعة الأخيرة، منشورات الشريف الرضي، رقم، ١٩٦٩ م.
- ١١- ابن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة دار المعارف، مصر، ١٩٨١ م.
- ١٢- ابن ماجة : (أبو عبد الله محمد بن يزيد الغزويني) ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، جزءان، تركيا، ١٩٨١ م.
- ١٣- ابن منظور : (محمد بن مكرم بن علي) ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ م.

- ١٤- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، لابن عساکر، تحقيق سكيئة الشهابي، الجزء الثالث عشر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.
- ١٥- أبو داود: (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي) ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م، سنن أبي داود، ٥ أجزاء، تركيا، ١٩٨١م.
- ١٦- ابن يعلى الفراء الحنبلي: (محمد بن الحسين) ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٧- أحمد بن حنبل : ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٦ أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٨- الأزهرى: (أبو منصور محمد بن أحمد) ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م تهذيب اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، ١٥ جزءاً المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ١٩٦٧-٦٤م.
- ١٩- البخارى. (محمد بن اسماعيل) ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م، صحيح البخارى، ٨ أجزاء استنبول، ١٩٨١م.
- ٢٠- البكرى: (عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م، المسالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ليوفن وأندري فيري، جردان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.
- ٢١- البلاذري: (أبو العباس، أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، فتوح البلدان تحقيق، عبد الله وعمر أنيس الطباع، الطبعة الأولى منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٢- الحميري: (محمد بن عبد النعم ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م، الروص المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢٣- خليفة بن خياط: (عمر بن خياط العصفري المصري) ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م، تاريخ ابن خياط تحقيق، أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٢٤- الرقيق القيرواني: (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) ت القرن الخامس الهجري ، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق : المنجي الكعبي، رفيق المصطفي، تونس، ١٩٦٨م.
- ٢٥- الطبري: (محمد بن جرير) ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزءاً الطبعة الخامسة دار المعارف، مصر، ١٩٨٧م.
- ٢٦- العباسي: (الحسن بن عبدالله) ت ٧١٠هـ / ١٣١٠م اثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٧- قدامة بن جعفر ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ٢٨- قسطنطين السابع: (بورفيريو جنيثوس) ت ٩٥٩م إدارة الإمبراطورية البيزنطية عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٩- الكوفي: (أبو محمد بن أعثم) ت ٣١٤هـ / ٩٢٧م، الفتوح، ٨ أجزاء، الطبعة الأولى، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

- ٣٠- الماوردي: (أبي الحصن علي بن محمد بن حبيب) ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م الأحكام السلطانية والولايات الدينية الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٣١- المقرئزي: (نقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جزءان طبعة بالوقفست، دار صادر بيروت، دون تاريخ
- ٣٢- المنججي: (أغابويوس قسطنطين) من القرن ٤هـ/١٠م، المنتخب من تاريخ المنججي، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م.
- ٣٣- الميداني: (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧م.
- ٣٤- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ/١٣٣١م نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، دون تاريخ.
- ٣٥- ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبدالله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، ٥ أجزاء، الطبعة الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٣٦- اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م، تاريخ اليعقوبي، تحقيق: هوتسما، جزءان، الطبعة الثانية، لندن، ١٩٦٩م.

ARCHIVE

ثانياً المراجع

١. وفيقي بركات :

فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٩٥م

٢. إيمان جرونفلد :

التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة : حسام محي الدين الالوسي، الطبعة الثانية، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٨٦م.

٣. خالد جاسم الجنابي :

تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الثانية دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.

٤. محمد حميد الله :

مجموعة الوثائق في العهد النبوي والخلفاء الراشدة، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. نجدت حماش :

الشام في صدر الإسلام، من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

٦. وفيقي الدقوقي :

الجندي في عهد الدولة الأموية، مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٧. تقي الدين عارف الدوري :

صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي، دار الترشيح للنشر بغداد، ١٩٨٠م.

٨. عصام سالم سيسالم :

جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لحجز البليار دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٩. محمد علي الشبول :

نشأة البحرية الإسلامية في صدر الإسلام، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في اللاذقية ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦م منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٩م.

١٠. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والسنام، دار النهضة العربية في بيروت، ١٩٨١م.

١١. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢. إبراهيم أحمد العدوي :

قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٣م.

١٣. بهنام الصلي :
فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٤. إسمت غنيم :
الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٧م.
١٥. علي محمود فهمي :
التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة :
قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٧م.
١٦. أرشيبالد لويس :
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ.
١٧. محمد جمال الدين علي محفوظ :
فجر البحرية الإسلامية، دار الانصام، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٨. محمد كرد علي :
خطط الشام، ٥ أجزاء الطبعة الثانية، مكتبة انوري، دمشق، ١٩٨٣د.
١٨. مونتجومري وات :
فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد مير، دار القروى، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٠. وديع فتحي عبد الله :
العلاقات السياسية بين بيزنطة وشرق الأدنى لاسلامي. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
٢١. نسيم يوسف جوزيف :
تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

وسائل الدعاية عند الفاطميين

(٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

د. إبراهيم أحمد القلا (*)

مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة وسائل الدعاية عند الفاطميين، وشقيها المادى والمعنوى، منذ بداية دعوتهم فى اليمن وإفريقية، وحتى استيلائهم على مصر والشام والحجاز، وتكوين دولتهم الكبرى التى كانت تقف على قدم المساواة مع الدولة العباسية، حيث لم يحظ هذا الموضوع، من قبل، بدراسة مستفيضة ومتخصصة فى هذا الجانب المهم بالنسبة لتاريخ وتطور الدولة الفاطمية، سواء فى المشرق والمغرب. وقد قسمت هذا البحث إلى محورين ممكن عرضهم على النحو التالى:

المحور الأول: بعنوان وسائل الدعاية المعنوية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب النسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ)، وأسلوب الزهد والتقشف والعزم والتشيع، والقول بوصايا على بن أبى طالب (عليه السلام)، وأسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤيد دعوتهم، والثورة ضد الحكام أو ضد النظام، والقول برجعة الإمام وتاويل الشريعة، ومن أساليبهم أسلوب التفريق بين قبائل العرب ونشر الدعوة فى الخفاء واستر الكتمان، وأسلوب استتار الإمام والقول بغيبته، واث الدعاة وسط الجند، وأسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام، والإدعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنفذ المصيرين، والاحتفال بالأعياد واتخاذ أعياد جديدة، وإيجاد اللغات غير العربية، ومن أساليبهم أيضاً: تألية الحاكم والإمام، وأسلوب التناسخ، وأسلوب قتل الغيلة، وأسلوب التأنيس والتدليس والخلع، والإدعاء بأن حقهم فى الخلافة قد اغتصب منهم، ولعنهم أباً بكر وعمر وعثمان على منابرهم، وإقامة الخطبة.

أما المحور الثانى: وعنوانه وسائل الدعاية المادية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب ضرب العملة والسكة، ولباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية، وبناء العواصم والحواسر واتخاذ أسمائها نسبة إليهم، وإنشاء دور العلم وتعميم المذهب الشيعى، إنشاء المساجد الشيعية والأضرحة، بث الدعاة وسط الجند، إعداد الجيوش، اختيار مصر مقراً للدعوة، الاهتمام بالعمران. هذا وأنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، وبعض الملاحق التى تخدم الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

(*) أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى.

الدولة الفاطمية إحدى الدول الشيعية القوية التي قامت في بلاد المغرب ومصر، وظلت تحكم مصر مدة قرنين من الزمان، إلى أن أسقطها صلاح الدين الأيوبي، سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وأعاد مصر مرة أخرى إلى خلافة بني العباس السنية^(١).
وقد حاول الفاطميون نشر مذهبهم الشيعي بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بادئين ببلاد المغرب وصقلية واليمن، ثم مصر والشام والعراق^(٢) وغيرها متخذين أساليب عديدة في دعوتهم.

وقد فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م، وأسقط الدولة الإخشيدية، كما أسقط الخطبة للخليفة العباسي المطيع لله أبو القاسم (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ / ٩٤٥ - ٩٧٣ م)^(٣)، وأقامها للمعز لدين الله الفاطمي^(٤)، وبني مدينة القاهرة لتصبح حاضرة مصر الفاطمية^(٥).
ومن بلاد المغرب واليمن ومصر؛ انطلق للدعاة بالدعوة الفاطمية محاولين نشرها بالأسلوب السلمي تارة، والحرسي تارة أخرى، معتمدين على ضعف الخلافة العباسية، وانقسامها إلى دويلات عديدة، وملانمة البلاد التي دخلها الفاطميون كالمغرب ومصر واليمن للدعوة^(٦).
ومن أساليب الفاطميين في الدعوة:

١- أسلوب النسب إلى آل سبب الرسول (ﷺ).

نسب الفاطميون أنفسهم إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) فاتخذت الدولة اسمها، مدعين أنهم من نسل الحسين بن فاطمة شهيد كربلاء^(٧)، فهم علويون ينسبون إلى علي بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين (ع)، مما هي فرصة لاكتساب ثقة الناس، وخاصة أولئك الذين كانوا يكرهون بني العباس من أموالي (معتنمين من غير العرب).
وادعى عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب^(٨) وأولاده: أنهم من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م، أو من سلالة الإمام موسى الكاظم ت ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م^(٩)، وهم من أئمة الشيعة الاثنا عشرية، والذين كان الغرض وغيرهم يكون لهم كل تقدير واحترام^(١٠).

إلا أن النسب الصحيح لهؤلاء أنهم ينسبون إلى ميمون القداح وابنه عبد الله، وهو فارسي وكان يخطط لتكوين دولة فارسية، أو دولة يهودية نمية إليهم^(١١).
وقد نقل ابن خلكان رواية تبين مبلغ إتكاف المصريين صحة نسب الفاطميين، ذلك أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) صعد المنبر يوم الجمعة، أوائل خلافته في مصر، فرأى ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً يتلى على المنبر في الجامع
 إن كنت فيما تدعى صادقاً فاذكر أبا بعد الأب الرابع
 وإن ترد تحقيق ما قلته فانسب لنا نفسك كالطامع
 أو فدع الأنساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع
 فإن أنساب بني هاشم يقصر عنها طمع الطامع^(١٢).

وقد روى الثعالبي حكاية أخرى تؤيد هذا الرأي إذ يقول: إن عبد الرحمن الثالث الأموي الأندلسي تلقى من العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجوّه، فجاءه رد عبد الرحمن عليه: "أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجيناك والسلام" وهذا بسبب عدم إقصاد الفاطميين عن أى نسب رسمي لهم^(١٣).

٢- أسلوب الزهد والتقصّف والعلم والمشجع

وهو أسلوب اتخذته معظم الدعوات الشيعية^(١٤)، ومنها الفاطمية، فحاز به عبد الله ميمون بن القداح، وعبد الله المهدي وأئمة الدعاة والخلفاء - ثقة الناس، ونجحوا في تأسيس جمعيات سرية، ثم أخذوا يعلمون الناس أسرار الدعوة التي قسموها إلى تسع درجات (وزادات فيما بعد) وكثر أنصارهم^(١٥).

٣- أسلوب كتمان الدعوة وسريتها:

وهو من أشهر أساليب الدعاية عند الشيعة الإسماعيلية وكل طوائف وفرق الشيعة، وكان الداعي الفاطمي يبدأ بإظهار بعض مشكلات القرآن، حتى إذا طلب الناس منه حل هذه المشكلات؛ أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يجعلوا هذه الدعوة سرّاً مكتوماً، ثم يطلب منهم أن يدفعوا ضريبة مكررة تساعد على نشر مذهبهم^(١٦).

وإذا تم للداعي ما أراد، دخل الطالب في المرحلة الثانية، وموذاها أن فرأى الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله؛ إلا إذا كانت عن طريق الأئمة السبعة، من ولد إسماعيل ابن جعفر الصادق، فإذا وصل الطالب إلى المرحلة الرابعة، اعتقد أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، ومن تقدم هذه المرتبة لا يعلم سوى نظريات فلسفية لا تمت للإسلام بصلة، حتى يصل به الاعتقاد إلى أن الإمام هو عبد الله بن ميمون القداح، وأنه بمنزلة هارون من موسى، أو بمنزلة علي عليه السلام من محمد (ﷺ)^(١٧).

٤- أسلوب شراء الناس بالمال:

من أسهل أساليب الدعوة، فقد ذكر ابن خلكان^(١٨) أن جماعة من أهل السنة في مصر طعنوا في نسب المعز لدين الله واتصله بطي بن أبي طالب^(١٩)، حتى إن الخليفة المعز لما وصل إلى مصر، اجتمع به الأشراف وسأله أحدهم، وهو ابن طباطبا: "إلى من ينتسب مولانا"، فأجابه المعز بأنه سيعقد مجمعا يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبه، حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر، سل المعز سيفه إلى النصف وقال "هذا نصبي"، ثم غمرهم بالذهب الكثير وقال "وهذا حسبي"، ومن هنا نشأ القول المأثور (سيف المعز وذبه) للإشارة إلى بطلان الشئ أو أنه مأخوذ كرها^(٢٠).

اهتم المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م) بأمر الحجاز، حيث تدخل في حسم الخلاف بين بنى الحسن وبنى جعفر بن أبي طالب، وأرسل سراً مالا ورجالا سعوا بين الفريقين حتى عقدوا الصلح في المسجد الحرام، وقام المعز بأداء دية قتلى بنى الحسن سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م، مما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، ولما فتح جوهر مصر، سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م بادر الحسن بن جعفر الحسنى بالاستيلاء على مكة، ودعا للمعز على منابرهما، وكذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وعمل المعز على تثبيت سلطته على مكة والمدينة بالأموال التي صار يرسلها إليهما، ويذكر المعري^(٢١) أنه في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م: "أنفذ المعز عسكرياً وأحمال مال عنتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع" ويذكر يعسر^(٢٢) أنه نشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز^(٢٣).

واستطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ / ٩٧٥-٩٩٦ م) بفضل اهتمامه بأمر الدعوة، وإنفاقه الأموال الكثيرة لهذا الغرض أن يستميل بعض أمراء العرب أعالي العراق إلى جانب الدولة الفاطمية، ففي سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م أعلن حاكم الموصل - أبو الرداء بن المسيب العقيلي - ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة في الموصل للعزيز بالله وأمر أن ينقش اسمه على الأعلام والسكة^(٢٤)، كما نجح الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠ م) في استمالة قرواش ابن المقد الملقب بمعتمد الدولة أمير بنى عقيل في الموصل، فخرج عن طاعة الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠١ هـ وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله وأقام الدعوة له^(٢٥)، كما أمر قرواش عماله في البلاد التي كانت في حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها^(٢٦)، فخطب للحاكم بأمر الله في كل من الأنبار^(٢٧) والقصر^(٢٨) والمدائن^(٢٩) والكوفة^(٣٠) والجامعين^(٣١) وغيرهم مما حمل العلويين والعباسيين المقيمين بالكوفة على الهروب إلى بغداد^(٣٢).

حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التي بذلها لهم، وتقدر بخمسين ألف دينار عينا، سوى الهدايا والثياب، من أجل التخلي عن أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة ومبارعته بالخلافة وذلك سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م^(٣٣)، كما نجح الحاكم بأمر الله في شراء الناس بالمال . كان دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يألون جهداً في القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢١ م) حتى توفي، فخلفه داع جري يدعى عامر بن عبد الله الزواحي، كان كثير

المال والجاه، وقد استغل ماله ونفوذه في سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمال عدداً كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي، وظل يدعو للفاطميين خلال عهد الحاكم والظاهر، وأوائل عهد المستنصر بالله^(٣١).

ويذكر ابن ظافر ذلك بقوله: "السبب في خفاء زورهم في إدعائهم الشرف: أن القوم كانوا وقت ابتداء ملكهم، ووقت إدعاء زورهم، لا يسمعون بمنكر لأمرهم طاعن على مذهبهم إلا يادروه بالعطايا، وأنحقوقه بالأموال والرجائب، وطالبوا الكف منه، فإن رفض عملوا على قتله بأنواع من الحيل والمكر التي بنى عليها مذهبهم"^(٣٢).

٥- القول بوصايا علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأحقبه بالخلافة:

اعتقد الشيعة أنهم وحدهم الأحق بالخلافة، وأن أبا بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) وكذا الخلفاء من بني أمية، وبني العباس، انتزعوا حق الإمامة المقدس من علي (عليه السلام)، وقد صنف الطمء الشيعة من المؤرخين الأسفار الطوال في تأييد هذه المقالة، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سلبت من علي أو بعبارة أخرى اغتصبت من بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٣٣).

لا يقف الحال عند هذا الحد، فقد اشتط الغلاة من الشيعة فقالوا: إن الإمامة في بيت علي (عليه السلام)، وأن الأئمة معصومون، وأن صفات الله تعالى قد حلت فيهم وتقمصت أجسادهم، وإن من قال بغير ذلك، من الفرق الإسلامية - خارجون عن الدين: ودللوا على ذلك بأن علياً كان أول من اعتنق الإسلام من الرجال قبل أبي بكر، وأن ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع أحد من المسلمين أن يبتله^(٣٤).

٦- أسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد دعوتهم:

استند غلاة الشيعة، ومنهم الفاطميون، على مجموعة كبيرة من الأحاديث الموضوعة والتي تشهد لآل علي كرم الله وجهه بالحق في الخلافة، وينكرون أن علي (عليه السلام) جمع الناس سنة ٣٥هـ/٦٥٥م في الرحبة^(٣٥) ثم قال لهم: "أشهد بالله كل إمرئ مسلم سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول يوم غدیر خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من ولاء وعاد من عاداه"، وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنداه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "علي مني وأنا من علي"، وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: "أخى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين أصحابه فجاء علي (عليه السلام) تجمع عنده، فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم توادخ بيني وبين أحد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنت أخى في الدنيا والآخرة"^(٣٦).

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك سنة ٩هـ/٦٣٠م فقال: "يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي"^(٣٧).

ومن ذلك ما عزى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال "أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن عدل عنها غرق"، وفي رواية أخرى أهل بيتك كسفينة نوح، من تعلق بها نجا، ومن تخلف عنها هلك^(٣٨)، وقوله أيضاً "من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد

مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة، فهذه الأحاديث لا شك في أن الشيعة احترموها بعد موت الرسول (ﷺ) تأييداً لعقيدتهم التي كان منهاها ممالأة على وخفائه من بعده (٣٩).

ونحن نعلم أن النبي (ﷺ) ترك مسألة الخلافة من غير أن يترك فيها وصية لأحد، وتم اختيار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لخلافته بطريقة ديمقراطية حيرت أهل الديمقراطية لأن (٤٠).

٧- أسلوب الثورة ضد النظام:

وقد بدأت هذه الثورات في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فيما يسمى بالفتنة الكبرى، والتي قيل في أسبابها، أن عثمان فضل أقاربه على غيرهم في الحكم، فرغ الشيعة راية العصيان. وادعوا أن علياً عارض عثمان، والواقع يقول غير ذلك، غير أن الذي قاد الثورة سرياً هو ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) اليهودي الذي أسلم ظاهرياً، وكان له دور حطير جداً في انقسام الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة (٤١)، ويث ابن سبأ دعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعتنون به. اتفق ابن سبأ تعالىمه ومن ضمنها: أنه كان لله ألف نبي ووصى وكان على (ﷺ) وصى محمد (ﷺ)، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجر وصية نبي الله (ﷺ) ويؤثب على وصية، وقال إن عثمان (ﷺ) أخذها بغير حق وهذا وصى رسول (ﷺ) فتهضوا في هذا الأمر فحركوه واندأوا بالطعن على أميركم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستثير الناس، وأدعوه على هذا الأمر، فبث دعائه وكاتبهم وكاتبوه في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم من مصرهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون، ثم ما يعتنون به (٤٢).

واستغل ابن سبأ وجود معاوية بن أبي سفيان في ولاية الشام، واعتلاءه منابر المسجد الأموي وتحريض الناس على الأخذ بالنار من فتنة عثمان: وحرص الناس تمهيداً لإسقاط خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وهو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة المغالية في الإسلام، وهو أول من بذر بذوره وحقق ابن سبأ غرضه من إثارة الولايات الإسلامية على عثمان وولاته فكانت الفتنة الكبرى وقتل الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنه) (٤٣) مما أضعف الإسلام، وزاد كلمة المسلمين تغريقاً حتى الآن.

ثورة الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، على يزيد بن معاوية، واستشهاد الحسين في كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م (٤٤). وثورة التوابين وهم جماعة من الشيعة اعترفوا بنقصيرهم وخطيئتهم في حق الحسين بن علي، حينما تركوه يواجه القتل وحده، ولذا ثاروا ضد الدولة الأموية بقيادة سليمان بن صرد، والتقى معهم عبيد الله بن زياد في معركة يقال لها "عين الورد" هزم فيها التوابين وذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م (٤٥)، وثورة زيد بن علي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م حيث خرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولكنه هزم بعد أن خذله أهل الكوفة، وإليه

تسبب جماعة الزيدية إحدى فرق الشيعة^(٤٧)، وثورة يحيى بن زيد، سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، الذي استطاع الهروب من السجن وواجه نصر بن سيار في معركة عنيفة انتهت بمقتل يحيى^(٤٨).

ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٥هـ/٦٨٤م :

وقد كثرت الثورات الشيعية في العصر الأموي منها: ثورات الكيسانية^(٤٩) والمختارية: ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولد المختار في السنة الأولى، ولقب أحياناً بكيسان لأنه تلقى العلم عن كيسان، أو لأن كيسان حثه على الأخذ بثأر الحسين وعرفه بقاتليه، ويذكر البغدادى أن كيسان كان لقباً أصيلاً للمختار^(٥٠).

ادعى المختار أن محمد بن الحنفية هو الذي أرسله وأنه وزيره، ويصل باسمه للطلب بحق آل البيت، والثأر من قاتلي الحسين وصحبه، وادعى أنه يسير على نهج القرآن وهدى الإسلام، ولكنه كان به ضلالات تبعده عن الإسلام منها: أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو عندنا بمنزلة التابوت عند بني إسرائيل، كما ادعى علمه بالغيب وله أسجاع يقلد بها القرآن. قتل المختار على يد مصعب بن الزبير^(٥١)، وكانت مدينة الكوفة العراقية أشد المدن تأييداً وخذلاناً لهم في نفس الوقت^(٥٢).

ثورة زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قامت خلال عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) والتي انتهت بهزيمته وقته سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م^(٥٣).

ثورة يحيى بن زيد بن علي بن زين العابدين الذي فر إلى خراسان، وأقام بها حتى توفي هشام بن عبد الملك، وخلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) فعمد نصر بن سيار لمطاردته والتقى به في الجوزجان - إحدى قرى خراسان - فظل يقاتل حتى قتل^(٥٤).

٩- أسلوب القول برجعة الإمام الغائب:

يعتقد معظم الشيعة بعودة رجعة الإمام، وفي ذلك يقال: إن محمد الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة، الذي اختفى في سرداب بمدينة سامراء، أنه سيعود ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه المهدي المنتظر، واعتقدوا أنه يقيم في جبل رضوى (على مسيرة سبعة أيام من المدينة المنورة وأن عوبته ستكون في هذا المكان، ويقول الشيعة: إن الإمام قد يكون مستوراً مكتوماً عن الناس خبره وقال شاعرهم كثير عزة في ذلك^(٥٥):

ولا الحق أربعة سوا	إلا أن الأنمة من قريش
هم الأسباط ليس بهم خفاء	على والثلاثة من بني
وسبط غيبته كربلاء	فسيبط سبط إيمان وير
يقود الخيل يقدمها اللواء	وسبط لا يذوق الموت حتى
برضوى ^(٥٦) عنده غسل وماء ^(٥٧) .	تغيب لا يرى فيهم زماناً

١٠- تأويل الشريعة الإسلامية:

يعتقد ويعتمد أغلب الشيعة على أسلوب التأويل في أحكام الشريعة الإسلامية، فالذين عندهم طاعة رجل، حتى حملهم الاعتقاد على تأويل الشريعة، وأن طاعتهم ذلك الرجل ستبطل

ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كالصيام والصلاة والحج والزكاة وغيرها، بل اعتبروا الأئمة محاطين بهالة قدسية يعطون ما وراء الطبيعة^(٥٨).

١١- أسلوب التفريق بين قبائل العرب:

وهذا أسلوب اتبعه الدعوة الشيعية بعد انتقالها للعباسيين سنة ١٩٨هـ/٧١٦م، حينما تنازل عنها أبو هاشم عبد الله عند الشيعة، لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحميصة، وهي قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة^(٥٩)، وقد نشط العباسيون بالدعوة لآل البيت دون تحديد شخص المدعو إليه، والدعوة إلى المساواة والعدل، فنزل في طاعتهم أهل خراسان (إيران - تركمنستان - أفغانستان) حالياً على يد أسلم الخراساني الذي استطاع أن يفرق بين اليمانية والقيسية، أو بين عرب الشام وعرب اليمن، مما سهل سقوط خلافة بني أمية وقيام دولة بني العباس^(٦٠).

١٢- أسلوب تصويرهم أمام الناس أنهم المظلومون دائماً

صور أئمة الفاطميين، وغيرهم من الشيعة للناس أنهم دائماً مظلومون، فهم قد ظلموا باستخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وبني أمية وبني العباس، بل اعتبروا أن بني العباس قد سلبوهم الخلافة والإمامة، حينما دعوا لأنفسهم بها سنة ٩٩هـ/٧١٧م، وكنتموا عن العلويين ذلك، ولما قامت الخلافة في بني العباس، سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقامت الثورات العلوية مطالبة بحقوقها في الخلافة، موصين الناس أنهم أحق بها من بني العباس الظالمين لهم^(٦١).

١٣- نشر الدعوة في الخفاء والسر والكتمان:

كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين الشيعة من حبس وقتل طوال العصرين الأموي والعباسي، أن عمدوا إلى سر دعوتهم في الخفاء، وتلمسوا أماكن يختفون فيها، ويتخذونها ملاجئ يدعون بها عن أنفسهم الحبس والآلام، إلى أن تقوى دعوتهم، ثم يظهرون كلما سنحت لهم الفرصة^(٦٢).

وبخل المذهب الشيعي إلى إفريقية، بصورة أكثر سرية وتنظيماً، قبل وصول الداعي الإسماعيلي أبي عبد الله الشيعي، حيث وصل أول تلمذ شيعي إسماعيلي إلى إفريقية في أواسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، قبل نحو ١٣٥ عاماً من وصول أبي عبد الله الشيعي إلى هناك وهي بعثة الداعيين أبي سفيان والحواتي، حيث قداما من الشرق للاستقرار في بلاد المغرب سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وأن الذي بعثهما، فيما يقال، الإمام جعفر الصادق، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة وينشروا فضلهم^(٦٣).

١٤- أسلوب استتار الإمام:

استتر أكثر أئمة الشيعة، وخاصة الفاطميون، في بلاد المغرب ومصر، وهناك أئمة يقال لهم المستورون في ذات الله تعالى^(٦٤)، وذلك لدرء ما عسى أن يحق بهم من مكروه، ولذلك اتخذوا ما يسمى بدار الهجرة في البلاد التي قاموا فيها بنشر مذهبهم، فبعضهم استتر لمدة عشر سنوات أو أكثر، وياجعه الناس دون رؤيته^(٦٥).

ومن أساليب الإسماعيلية في التخفي والتستر: اتخاذ الدعاة عدة ألقاب فعلى سبيل المثال: تسمى المهدي عبيد الله استتاراً، وكان أبو عبد الله الشيعي يلقب بالمحتسب لاشتغاله بالحسبة في البصرة^(٦٦)، ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الإمامية^(٦٧)، ويلقب بالأهوازي لأنه ولد في الأهواز، والمشرقي صاحب البقعة المشهية أو البلقاء^(٦٨)، ولقبه البعض بالصنعاني مع أنه لم يمكث في صنعاء إلا فترة وجيزة، وعرف بهذا اللقب لأنه قدم على حجيج كتامة من صنعاء^(٦٩).

ونذكر أنه سبق عبد الله المهدي، مؤسس الخلافة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م سلسلة من الأئمة المستورين من أبناء محمد بن إسماعيل، فالأئمة الذين يصلون عبد الله المهدي بمحمد بن إسماعيل - أشخاص عاشوا في ظل ظروف يكتنفها الكثير من الغموض، كما أن الأئمة الفاطميين، فيما بعد، لم يحاولوا كشف أسمائهم، وذلك لإبطال الحملات التي شنّها ضدهم أعداؤهم، أو الرد عليهم بسبب إصرارهم على عدم إذاعة أي نسب رسمي لأصولهم؛ اعتماداً على مبدأ معروف لدى الشيعة هو "عدم كشف أولئك الذين سترهم الله، وهم المستورون في ذات الله"^(٧٠).

ويذكر أن المعز كان مغرماً بالنجوم والنظر فيما يقتضيه الطالع، فنظر في مولده وطلّعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه، فأشار عليه أن يعمل سرداباً تحت الأرض ويتوارى فيه إلى حين جواز الوقت فعمل على ذلك، وأحضر قواده وكتابه وجعل تزار ابنه ولّى عهده من بعده، ولقبه العزيز بالله واستخلفه، ثم نزل إلى سرداب اتخذته وأقام فيه سنة، وكان المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجل القارس منهم إلى الأرض وأومأ بالسلام يشير إلى المعز فيه، ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس قدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له^(٧١).

١٥- القول بحسبة الإمام:

في شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م أوجب الإمام الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر عند الشيعة، ولداً أسماه محمداً، فلما توفي الحسن سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، كان ابنه في الخامسة من عمره، فأصبح محمد الإمام الثاني عشر عند طائفة الإسماعيلية الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية الاثنا عشرية، ويقال إن محمداً دخل سرداباً في مدينة سامراء وأمّه تنظر إليه، ولكنه لم يعد، ولم يقف له أشباعه على أثر من ذلك الحين، ومن هنا تنسب للإمام الثاني عشر غيبتان: الغيبة الصغرى، وتبدأ بموت الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، والغيبة الكبرى، وتبدأ من اختفاء ابنه محمد سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م حتى الآن، ولا يزال أنصاره ينتظرونه إلى اليوم، ولهذا يعتقد الإمامية الاثنا عشرية: أن محمداً الإمام الثاني عشر سيظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن ثم سمي الإمام المنتظر، وصاحب الزمان، والقائم بالأمر، والحجة^(٧٢).

١٦- اختيار بلاد ملانمة للدعوة وبعيدة عن سلطة العباسيين:

اختار دعاة الدولة الفاطمية بلاد ملانمة تماماً لدعوتهم وبعيدة عن سلطة بني العباس مثل: المغرب ومصر واليمن، كان المهدي فظناً ذكياً موهوباً، كما كان سياسياً قديراً؛ أدرك بثاقب فكرة أن بلاد اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامي فمن الصعب أن تصلح مركزاً لنشر الدعوة في جميع البلاد، فاختار المغرب وهو البلد الذي نشأت فيه الدولة، وكان ملانماً تماماً لدعوتهم لبعده

أولاً عن مقر الخلافة في العراق وأنه من البربر كانوا يكتون حنقاً كبيراً على بنى العباس لظلمهم لهم ووعورة تضاريسه في قيام دولة شيعية مثل دولة الأدراسة وضعف سلطة الخلافة العباسية عليهم، وانسلاخ بلاد الأندلس عن سلطاتهم أيضاً^(٧٣)، وكان اختيار بلاد المغرب دون غيرها من الأطراف الإسلامية لتشهد بداية الدولة الفاطمية مقصوداً وذلك لإمكانية التوجه منها لمصر بسهولة، فكانت إفريقية مدخلاً لمصر، كما كانت خراسان مدخلاً للعراق^(٧٤).

أما مصر فكانت صالحة تماماً للدعوة الفاطمية لثرائها وهدوء الأمر فيها، واستتباب الأمن بها^(٧٥)، هذا بجانب قربها من الأماكن المقدسة التي يهدف الفاطميون إلى فرض سيطرتهم عليها، وكانت مصر ولا تزال - بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي، وثرواتها - أكثر البلاد صلاحية للدعوة ومركزاً للدولة الفاطمية نفسها، هذا فضلاً عن أن مصر أقرب إلى المشرق الذي دأب المعز وأتباعه على إخضاعه، وخاصة أنها قريبة من الشام والعراق، ومما قاله المعز لمشايعه حينما رحل جوهراً إلى مصر: "والله لو خرج جوهراً هذا وحده لفتح مصر، لتدخل مصر بالأردنية من غير حرب، ولتزلزل في خراب ابن طولون (يعني مدينة القطائع) وتبني مدينة تقهر الدنيا"^(٧٦).

وهناك دليل مادي يوضح نية المعز للانتقال إلى المشرق، وإلى مصر بوجه خاص، قبل فتحها بوقت طويل، فقد وصل إلينا ثلاثة دنانير فاطمية تحمل مكان الضرب مصر، مؤرخة في السنوات ٣٣٤هـ/٩٤٥م، ٣٤١هـ/٩٥٢م، ٣٥٣هـ/٩٦٤م، ضربت قبل دخول الفاطميين مصر وتأسيس القاهرة، بغرض ترويجها بواسطة الدعاة على الأفراد الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة، بالإضافة إلى طرز عمل باسم المعز عمل بمصر سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م^(٧٧).

١٧- بث الدعاة وسط الجند:

يذكر أبو المحاسن أن أمور الديار المصرية قد اضطربت، في أواخر عصر الإخشيديين، بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وقد استمال هؤلاء الدعاة نفراً من القواد ووجوه الرعية أنفذ إليهم المعز بنوداً ففرقوها عن من استجاب لهم، وأمروهم أن ينشروها إذا ما قاربت عساكره مصر^(٧٨).

ولجأ الفاطميون إلى أسنوب بث دعائهم وسط الجند المسلمين المرسلين لاحتلال مصر، أعوام ٣٠١/٣٠٢/٣٠٣/٣٠٧/٣٠٩/٣٢١/٣٢٢هـ، وقد صادفت الدعوة الفاطمية نجاحاً عظيماً بين الجنود الذين لم يكن أغلبهم على المذهب العلوي الشيعي، لدرجة أن جموعاً كبيرة اعتنقت المذهب الشيعي قبل دخول الفاطميين مصر^(٧٩).

١٨- أسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام السنيين:

لم يقتصر الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم على الدعاة فقط، بل كان لخلفائهم أيضاً نصيب وافر في تشجيع هذه الدعوة، فقد أثر عن بعضهم أنهم كانوا يرسلون كتباً يكتبونها بأيديهم ويرسلونها بتوقيعاتهم، فقد كتب الخليفة القائم الفاطمي، ٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م، قبل دخولهم مصر كتاباً خاصاً بث يه مع رسول من قبله إلى محمد بن طغج الإخشيدى حاكم مصر رغبة منه في أن تفعل سياسة اللين والمصالحة ما لم تفعله سياسة العداء والحرب، تلك السياسة

التي أخفق فيها غيره، وعن نص الكتاب (انظر ملحق رقم ١) :، ويحث مثلها إلى كافر الإخشيدى وغيره من حكام مصر^(٨٠) ولكنها لم تجد معهم نفعا.

١٩- إعداد الجيوش:

لكل دعوة جيوشها المعدة لمساندتها عسكرياً، وهذا ما فعله الخلفاء الفاطميون، فقد أعد المعز لدين الله الفاطمي جيوشه لغزو مصر، والقضاء على سلطات العباسيين فيها وفي الشام، لمد نفوذهم إلى بلاد الحجاز إن لم يكن إلى أبعد منها، وقد أعد هذا الجيش بعناية فائقة من ناحية العدة والعتاد، وكذلك من الناحية النفسية، عن طريق الدعاية السياسية المنظمة التي مهد بها الفاطميون لفتح مصر، وتذكر المصادر: أن جوهر حمل معه أكثر من ألف ومائتي صندوق مليئة بالأموال غير الذهب الذي جمعه الفاطميون طوال فترة إقامتهم بإفريقية تحسباً لهذا اليوم، وحمله جوهر على ظهور الجمال على هيئة أرحية الطواحين^(٨١)، وبلغت النفقة على هذا الجيش ما يقرب من ٢٤ مليون دينار. وينكر المقرئ عن جيش الفاطميين بأنه مثل "جمع عرفات كثرة وعدة"^(٨٢) وقد تحقق هدفه بدخول قاده جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م^(٨٣).

٢٠- الادعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنفيذ المصريين من ظلم العباسيين وعبت ولائهم:

كانت رسل الفاطميين التي ترسل في صور تجار وجواسيس وعلماء، تدعى أن جيوشهم ما جاءت إلا لإنقاذ المصريين من ظلم العباسيين، وعبت الحكام والولاة من الترك والإخشيديين ويبعدون عنهم خطر القرامطة والبيزنطيين^(٨٤).

٢١- بناء الحواضر والعواصم واتخاذ أسمائها نسبة إليهم:

بنى الفاطميون عواصم اتخذت أسماءهم في المغرب هي: المهديّة نسبة إلى أبي عبيد الله المهدي، التي بنيت سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م^(٨٥) حيث أورد التجاني عن المهديّة قوله: "وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة... وكان أول ما ابنتي منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها... وأمر بعمل باب الحديد للمدينة... وابنتي دار الصناعة... وأنزل المهديّ جنده وخاصته فيها"^(٨٦)، كما أنشأ المهديّ مدينة زويلة، حيث يذكر ذلك التجاني بقوله: "وابنتي لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة بزويلة... فكانت كالريضة لمدينة المهديّة"^(٨٧)، والمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبو طاهر إسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)^(٨٨)، وقيل إن أصل اسمها مدينة صبرة، حيث يذكر البكري ذلك بقوله: "ومدينة صبرة متصلة بالقيروان، بناها إسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسماها المنصورية..."^(٨٩) ثم بنى جوهر القاهرة لتصبح عاصمة جديدة ينتقل إليها سيده المعز لدين الله، وقيل إن اسمها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء الشيعة الذين كانوا يديار مصر، وهو كوكب يقال له القاهرة، فسموها القاهرة تيمناً أنها سوف تقهر أعداءها، ونحن لا نستبعد ذلك لأن المعز كان مغرمًا بالنجوم وعلومها، وقيل إنها سميت بالقاهرة لأنها تقهر من شذ عنها وحاول الخروج على أميرها^(٩٠).

٢٢- إنشاء دور العلم لتعليم وتعميم المذهب الشيعي:

كانت سياسة الفاطميين الدينية تقوم على نشر عقائد الإسماعيلية، مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعي في مصر، ولا سيما في عهد الخلفاء أمثال: العزيز بالله ووزير اليهودي يعقوب بن كلس، حيث رتب يعقوب، سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، في داره المجالس للعلماء والشعراء والفقهاء وأجرى لجمعهم الأرزاق، وكان يقرأ على الناس كتاب مختصر الفقه المعروف بالرسالة الوزيرية، وهي كتاب ألفه في فقه الإسماعيلية يتضمن ما سمعه من المعز وابنه العزيز^(١١) وينو الجامع الأزهر وعقدت به حلقات الدرس، ولم تقتصر حلقات الدرس الشيعي على القاهرة وحدها، وإنما امتدت إلى بقية المدن المصرية، فأقيمت فيها في نهاية العصر الفاطمي، حلقات للدرس لتشر المذهب الشيعي بين أهلها^(١٢)، وأنشأ الحاكم بأمر الله، سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م دار الحكمة بالقاهرة، وأطلق عليها هذه التسمية نظرا للدعوة الشيعية، لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة^(١٣)، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء وغيرهم^(١٤)، وأغلقها بدر الجمالي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م^(١٥).

٢٣- إنشاء المساجد والأضرحة والمشاهد الشيعية

ومن المساجد الشيعية التي أقامها الفاطميون جامع المهديّة، حيث ذكره البكري عند حديثه عن المهديّة بقوله: وإنّ جامع سبع بلاطات متفرق البناء حسنة^(١٦)، وأنشأ الخليفة الفاطمي أبو القاسم بن عبيد الله مسجدا في أجدابية، وأورد ذلك البكري عند ذكر مدينة أجدابية بقوله: وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، وله صومعة مثمنة بدية العمل^(١٧)، وأيضاً جامع طرابلس الذي بناه بنو عبيد في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م على يد خليل بن إسحق^(١٨).

لما أتم جوهر الصقلي فتح مصر وأسس القاهرة: ثم يرى أن يفاجئ السنين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الشيعي حتى لا يثير كراهية المص: يد، لذلك وضع أساس الجامع الأزهر في يوم السبت ١٤ رمضان سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وتم بناؤه في منبذ، قريبا، وأقيمت الصلاة لأول مرة في ٧ رمضان ٣٦١هـ/٩٧١م^(١٩)، ثم بنت تغريد، زوجة المعز ندين، الله، مسجدها بالقرافة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، جامع الحاكم الذي بدأ العزيز بنائه خارج باب الفتوح سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وسماه جامع الخطبة، وأكمل بنائه ونده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٣م وتم يفتح رسمياً للصلاة إلا سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م^(٢٠)، ثم بنى الخليفة الحاكم بأمر الله مسجد المفسر ورأسده، وجامعه الذي ما زال يحمل اسمه الآن، لتشر المذهب الشيعي^(٢١)، ثم بنى الخليفة الأمر بأحكام الله أمام قصره سنة ٥١٩هـ، الجامع الأقمر^(٢٢)، ثم بنى الصالح طلائع بن رزيك مسجده خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، الذي عرف باسمه لأن (جامع الصالح)^(٢٣)، والجامع الظافري الذي بناه الخليفة الفاطمي الظافر، سنة (٥٤٤هـ -)، وكان يقال له الجامع الآخر، وسمى بجامع الفكاهنيين، وقد بنى الظافر هذا المسجد سنة ٥٤٨هـ، وعرف بجامع الفكاهنيين لأن سوق الفاكهة كان بالقرب من بابه^(٢٤).

أما المشاهد الشيعية فمنها مشهد السيدة رقية، والمشهد مؤرخ سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م^(١٠٥)، ومشهد الجعفرى^(١٠٦)، ومشهد السيدة عاتكة يذكر أن بناءه كان سنة ٥١٥هـ^(١٠٧)، ومشهد السيدة كلثوم^(١٠٨)، ومشهد السيدة نفيسة^(١٠٩)، ومشهد يحيى الشبيه أنشئ سنة ٥٤٥هـ / ١١٥٠م^(١١٠).

٢٤- الاحتفال بالأعياد وإيجاد أعياد جديدة لم تكن في الإسلام:

تقريباً من المصريين شاركهم القواطميون أعيادهم كعيد الفطر والأضحى ورأس السنة الهجرية، وغرة المحرم، وليلة الرؤية، وليلة القدر، إلا أنهم أوجدوا أعياداً جديدة لإحياء ونشر مذهبهم بالدعاية لهم، ومنها:

عيد غدير خم^(١١١): كان رسول الله (ﷺ) عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة ١٠هـ / ٦٣١م نزل به وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب (ع) ^(١١٢)، وأول ما احتفل الشيعة بعيد الغدير في العراق سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م، في أيام معز الدولة بن بويه^(١١٣)، وأول ما عمل في مصر سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، بعد وصول المعز إليها^(١١٤)، وهو عيد احتفل به المعز ولا يزال الشيعة يحتفلون به حتى اليوم، ويقول أصحابه إن علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه ولى الرسول (ﷺ) وخليفته. لأن الرسول عندما عاد من حجة الوداع وقرب المدينة نزل بغدير خم وهو مكان يقع بين مكة والمدينة، وأمسك بيد علي وقال علي منى وأنا من علي من أذى علي فقد أذاني ومن ولى علياً فقد ولاني وفي رواية أخرى من كنت مولاه فعلي مولاه^(١١٥) ومن يومها اعتقد الشيعة أن علي (ع) خليفة الرسول (ﷺ) وأن أبابكر وعمر وعثمان وبنو أمية وبنو العباس اغتصبوا حق الخلافة من علي وأبنائه^(١١٦)، وقد ورد خبر غدير خم في زيادات عبد الله علي مسند الإمام أحمد عن علي بن الأرقم قال: نزلنا مع رسول الله (ﷺ) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلها جهراً، قال فخطبنا وظلل لرسول الله (ﷺ) بثوب على شجرة من الشمس فقال: أستم تعلمون، أستم تشهدون أني أولى بكل مسلم من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فأني علياً مولاه، اللهم عادي من عاداه ووالى من والاه^(١١٧).

ونلاحظ أن خبر غدير خم قد نقله عدد من الرواة الشيعة وغير الشيعة، وأما ما يستدل به الشيعة بهذه الواقعة على إثبات خلافة علي، فقد أجاب عنه الإمام ابن تيمية في منهاج السنة فقال: ليس في هذا الحديث حديث غدير خم ما يدل على أنه نص على خلافة علي إذ لم يرد به الخلافة أصلاً وليس في اللفظ ما يدل عليه ولو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بيناً^(١١٨). وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني: هذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب (ع) ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) والوالى والموالى في كلام العرب واحد^(١١٩).

وقد عني المعز بالاحتفال بعيد الغدير عناية فائقة، وحذى حذوه الخلفاء من بعده، فأصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذى الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية خلال العصر الفاطمي، التي كانت تهتر لها جوانب القاهرة فرحاً وسروراً، ويقف منها السنيون موقف المتفرجين المعجبين،

لأنها كانت من عوامل تسليتهم، ويهني الشيعة بعضهم بعضاً، ومنهم من ينحرون كما ينحرون في الأضاحي، لأنهم يفضلون عيد القدير على عيد الأضحى^(١٢٠)، وكان الخليفة يتوجه بنفسه، في الصباح الباكر من هذا اليوم، إلى النحر يذبح بنفسه الأضاحي الكثيرة التي تفوق ما يذبح في عيد الأضحى، وهذا العبد عندهم أعظم من عيد الأضحى، كما يذبح الجزائون أعداداً كبيرة من الأضاحي من الكباش وغيرها توزع لحومها على الخاصة والمتشيعين وأنصار المذهب الفاطمي^(١٢١).

يوم عاشوراء: يوم العاشر من المحرم وهو شهر مبارك يجله العرب قبل الإسلام وبعده، فقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: "أيها الناس سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم، فإنه يوم عظيم مبارك، قد بارك الله فيه على آدم^(١٢٢)، ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم أنهم يصومونه، وقد روى عن الرسول (ﷺ) أنه لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسألهم عنه، فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون ونجا فيه موسى ومن معه، فقال (ﷺ) نحن أحق بموسى منكم^(١٢٣) فصام وأمر الصحابة بصومه، وصار الخلفاء الراشدون على سنته فكانوا يصومونه، وظل الأمر على ذلك حتى كان استشهاد الحسين في كربلاء، في يوم عاشوراء سنة ٦٢هـ/٧٨١م، فتركت هذه العادة في نفوس المسلمين أثراً مختلفاً، وتتخذ الشيعة مأتناً إلى اليوم، ويكون فيه الحسين ويظهرون أشد مظاهر الحزن لفته^(١٢٤).

وظل الشيعة يحتفلون بهذا اليوم في العصرين الأموي والعباسي، ولا يزال الشيعة في البلاد الإسلامية: كإيران والسعودية وبعض دول الخليج والعراق، إلى اليوم، يحتفلون بهذه الذكرى فيبيكون الحسين، ويلبسون السواد، وتتعلل الأعمال تماماً حداد عليه، وقد جعل الفاطميون عيد عاشوراء عيداً رسمياً من أعياد الدولة تحتفل به الحكومة والشعب احتفالاً رقيق وما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين، فتتعلل الأسواق، ويخرج المنشدون ويسيرون إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ويخرجون يبكون ويشقون جيوبهم ويلطمون خدودهم؛ حزناً على الحسين وآل البيت الكرام^(١٢٥) ويحتجب الخليفة عن الناس في هذا اليوم، وكان من عاداتهم إقامة سماط كبير (مواند للطعام) فيها خبز الشعير والعصص والمملحات والمخللات والأجبان وعسل النحل، ويجلس الخليفة على كرسي بغر مخدة مثلاً وحوله حاشيته^(١٢٦)، وإذا ما انتهى السماط طاف النواح بالقاهرة وأغلق الباعة حوانيتهم إلى ما بعد صلاة العصر، وكانوا ينحرون يوم عاشوراء الإبل والبقر والغنم عند مشهد الإمام الحسين^(١٢٧)، الذي يجله المسلمون عامة والشيعة خاصة إلى اليوم، ويوزعون لحومها على الفقراء والمساكين^(١٢٨)، وما زال لأن يحتفل المصريون بهذا العيد ولكن ليس بطريقة الفاطميين.

ولما رأى السنة ما فعله الشيعة في أعيادهم، جطوا لأنفسهم عيدين لمنافستهم، فجعلوا يوم ١٨ محرم وهو يوافق مقتل مصعب بن الزبير يوم حزن يزورون فيه قبره ويكون عليه^(١٢٩)، وأقاموا عيداً آخر عرف بيوم الفار، ويوافق السادس والعشرين من ذي الحجة، وهو يوم دخول النبي (ﷺ) وأبي بكر (رضي الله عنهما) غار ثور أثناء الهجرة إلى المدينة، وجطوا هذا اليوم سروراً لهم^(١٣٠). **ليالي الوقود:** وهي أربع ليال مباركة مشهورة وهي أول رجب ونصفه، وأول شعبان ونصفه^(١٣١)، و يرجع الاحتفال بها إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يطلب إلى أهل مكة أن

يوقدوا النار ليلة غرة المحرم ليهتدى الحجاج^(١٣٢)، أما ليالى الوقود الأربع في العصر الفاطمي فاختلفت، فهي الليالى التى تسبق أول ومنصف شهرى رجب وشعبان، ولذلك كان الناس تبعاً لتعاليم الشيعة يصومون بعض هذين الشهرين كصومهم رمضان وكانوا يحتفلون بهذه الأيام الأربعة كما يحتفلون برمضان، وكان خطباء مساجد الأزهر والحاكم والأقمر يخطبون بين يدي الخليفة كما يخطبون على منابر مساجدهم^(١٣٣).

ومن أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد: إضاءة المساجد والجوامع من الداخل والخارج كما تضاء المآذن والأسطح فتتلاها بالأضواء المساطعة، ويحتشد الناس على مختلف طبقاتهم للتبهد ومشاهدة الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والحلوى، وما يطاف عليهم من مجامر البخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة^(١٣٤)، وكانت الموالد تمد في ليالى الوقود في أروقة الجوامع والمساجد، وتحوى أصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى، وتعم الصدقات على الفقراء والمتعبدين^(١٣٥).

والمناسبات الشيعية كانت كثيرة على رأسها يوم عاشوراء في ١٠ محرم، ومولد الحسين ٥ ربيع الأول، ومولد السيدة فاطمة ٢٠ جمادى الآخر، ومولد الإمام على ١٣ رجب، ومولد الحسن ١٥ رمضان، ومولد الإمام الحاضر، هذه الموالد الخمسة - بالإضافة إلى المولد النبوى - أطلق عليها الشيعة الموالد الستة^(١٣٦).

٢٥ أسلوب إيجاد اللغات غير العربية:

من أقوى أساليب الدعوة الفاطمية نشر الدعاة وتثقيفهم، فقد كان أغلب دعاة الفاطميين من عليّة المتقنين، والعالمين بلغات من يدعون، سواء أكانوا من البربر أو الروم أو الفرس، وحتى لهجات القبائل، فعلى سبيل المثال: كان المعز لدين الله الفاطمى متقناً جيداً لعدة لغات؛ منها اللغة الطليانية التى تعلمها فى صباه بجزيرة صقلية واللغة الصقلية التى كانت منتشرة فى هذه الجزيرة، كما عرف اللغة السودانية، واللغة الرومية والبربرية^(١٣٧)، وأحكم دراستها وحذقها قراءة وكتابة، فكان يخاطب بها رسل الملوك من الروم والإيطاليين ويظالم بنفسه رسائلهم^(١٣٨)، وكان ذا ولع بالعلوم ودراسة الأدب، فضلاً عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور^(١٣٩)، ولم يكن اهتمام العزيز والحاكم والظاهر والمستنصر، وغيرهم، بأقل من اهتمام المعز لدين الله بالعلم والتعليم فقد تبدوا في مختلف العلوم وخاصة علم النجوم^(١٤٠).

٢٦ - أسلوب النقية:

وهو أخطر أساليب الدعوة الإسماعيلية خاصة والشيعة عامة، ومعنى النقية إخفاء الشئ والتظاهر أمام الناس بأمر غيره، بقولهم إن الدين لمكتوم، ومازال هذا الأسلوب وهذا المبدأ موصول به إلى الآن في كل فرق الشيعة. وتبعاً لمبدأ النقية، فى كتم أسماء الأئمة، روى عن جعفر الصادق قوله: "النقية دينى ودين أبائى ومن لا نقية له فلا دين له"^(١٤١). واتخذوا أسماء مثل: مبارك وميمون وسعيد، للفقهاء الحسن فيها تبعاً لمبدأ النقية، واستتر الأئمة وكنى الدعاة عن أسمائهم نقيه عليهم بما هو لهم وينبى بهم، وكان الدعاة وقت النقية يخفون اسم الإمام وربما تسمى أحد من الدعاة بأسمائهم نقيه عنهم وستراً^(١٤٢).

٢٧- توجيه داعيا احتياطيًا:

ومن أساليب الدعوة الإسماعيلية: توجيه داع احتياطي أو بديل مع الداعي الأصلي، لنلا يحدث به مكروه فيكون معه من يخلفه، إلى أن يأتي أمر الإمام^(١٤٣)، وهذا ما حدث حين أرسل الإسماعيلية الداعيين أبا سفيان والحلواني إلى المغرب، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه علي بن الفضل، أما أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه إلى المغرب عبد الله بن أبي ملاحف^(١٤٤)، وقد وصل ابن أبي ملاحف إلى بلاد كتامة، لكنه ما لبث أن أعيد إلى اليمن واستبدل بإبراهيم بن إسحاق الزبيري^(١٤٥).

٢٨- أسلوب التشكيك في عقيدة المدعو:

أخفى الفاطميون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه، وتظاهروا أمامهم بأمور أخرى عبر تسع درجات نظموها كما يريدون: ففي الدرجة الأولى يجتنبون الناس بالوعود الكاذبة عن طريق تفسير رموز الدين بقولهم: يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له لمنكرون وبه جاهرون ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأمة من الخضم لم تخشع. فالإمام سر الله المكتوم بأمره المستور الذي لا يطبق حكمه ولا ينهض بإعبائه إلا هو. ومن الأسئلة التي يسألها الداعي إلى المدعو في هذه الدرجة: ما بلل الله خلق الدنيا في ستة أيام؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المذكور في القرآن^(١٤٦)، وما أينس وما تشيطان وما وصفه؟ وأين مستقره؟ وما بأجوج وماجوج؟، وهاروت وهاروت^(١٤٧). ولم جعت السموات سبعة والأرض سبعة ولما جعت المشهور اثنا عشر شهراً، ثم يقول الداعي لمن حوته: فكروا أولاً في أنفسكم؟ أين أرواحكم، وكيف صورها؟ وأين مستقرها؟ وما أول امرها؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) خلقت حواء من ضلع آدم؟ ولم كانت قامة الإنسان منتصبية دون غيره من سائر المخلوقات؟^(١٤٨)، وهكذا يشكك الداعي المدعو في أمر العقيدة، ثم يدخل في الدرجة الثانية وهي: إن فرائض الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله إلا إذا كانت عن طريق الأنمة السبعة، ثم يكشف المدعو بقوله إن الناس قد خذلوا لأنهم لم يأخذوا عن أنمة نصيهم الله له. وبذلك يضعون أساس مبدأ الإمامة في نفس المدعو، فيتحول عن دينه أو مذهبه القديم^(١٤٩).

ثم يدخل في الدرجة الثالثة: وفيها يكشف الداعي للمدعو عن العقيدة بأن الأنمة سبعة، وأن الإمام الحقيقي هو السابع الذي يعلم كل رموز الدين وسرائره، ويستدل على ذلك بأن الله تعالى جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة، وجعل الأرضين سبعة، والآنمة سبعة، أولهم علي ثم الحسن فالحسنين ثم علي زين العابدين بن محمد الباقر فجعفر الصادق فإسماعيل بن جعفر^(١٥٠).

ثم يدخل في الدرجة الرابعة باعتقاده أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، والعباد بالله لأنه ناطق، ثم يدخل في الدرجة الخامسة وهي: أن لكل إمام قائم حججاً متفرقين في الأرض عددهم اثنا عشر رجلاً، ويستدل على ذلك بأن البروج اثنا عشر، وأن نقباء بني إسرائيل اثنا عشر ونقباء النبي اثنا عشر، ثم يقول للمدعو إن شريعة محمد (ﷺ) تستسخ، وإن كان فارسياً ذكره

بإذلال العرب لهم، ثم يدخله في الدرجة السادسة وفيها يفسر له شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصوم بقوله أن هذه الفرائض وضعت لشغل العامة عن خلافاتهم وتبعدهم عن الفساد، ثم يدعو إلى طور الفلسفة، ثم يدخل في الدرجة السابعة، وفيها يعلم المدعو أن الناصب للشرعية هو النبي لا يستغنى بنفسه ولا بد له من أصحاب يكون أحدهم الأصل والآخر معاوناً له، ثم الدرجة الثامنة وفيها يدعى أن معجزة النبي الصادق الناطق وهو: محمد ابن إسماعيل ثم التاسعة أصبح المدعو جديراً بالتعمق في أصول المذهب الإسماعيلي^(١٥١).

٢٩- أسلوب تأليب الناس بعضهم على بعض :

اتبع دعاة المذهب الفاطمي أسلوباً خاصاً في دعوتهم وهو: تأليب الناس والشعوب ضد بعضها، فإذا كان المدعو فارسياً ذكره الداعي بإذلال العرب للفرس، وأنهم هم الذين دمروا ملك فارس، وهدموا إيوان كسرى وأسقطوا الدولة الساسانية العظمى وهدموا بيوت نيرانهم، وإن كان عربياً أقاموا حقيقته ضد الفرس، وأنهم هم الذين سلبوا العرب ملكهم وتربعوا على عرش الدولة، وإن كان يهودياً أو نصرانياً حدثوه بما يوافق عقيدته وميوله^(١٥٢).

٣٠- تصميم الدعوة :

أسند الفاطميون رئاسة الدعوة الإسماعيلية إلى موظف كبير أطلق عليه (داعي الدعوة)، وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزى بربه في اللباس وغيره، ويساعد داعي الدعوة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، وله ثواب بنويون عنه في البلاد، وذلك يعتبر الصلة بين الخليفة وبين أتباعه من الإسماعيلية. ومن أهم أعمال داعي الدعوة رئاسة الدعوة الإسماعيلية، وأخذ العهد على المريدين؛ إما مباشرة أو بواسطة نوابه في مصر وغيرها، وتدوين من يدفع من المال أكثر، ومن أشهر من تقلدوا وظيفة داعي الدعوة: أسرة أبي حنيفة النعمان المغربي، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أشهر دعاة الفاطميين^(١٥٣).

٣١- تأليه الحاكم والامام :

ادعى الخلفاء الفاطميون بأن لهم قوة إلهية، فقد اعتبروا عبد الله المهدي الخالق الرزاق (والعباد بالله) كما اعتقدوا في نبوته أيضاً، وهناك طائفة ثالثة تدعى أنه النبي حقاً^(١٥٤) بل نادوا بـ (عن الانبياء، ولعن الغار ومن لاذ به، وأمروا بحرق الكعبة والمصاحف)^(١٥٥).

عمل الشيعة على نشر الآراء الإسماعيلية المتطرفة في كثير من النواحي وتجراً بعض غلاة الشيع في تحليل المحرمات، والإشارة إلى عبيد الله المهدي بالأنوهمية، ولما استقر المهدي بالمهدية؛ وكان أحد غلاة الشيعة وهو أحمد البلوي النخاس يقول له: "أرق إلى السماء، كم تقبم في الأرض وتمشي في الأسواق"، وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله المهدي: "إنه يعلم سرركم ونجواكم"^(١٥٦).

وفي عهد المعز لدين الله وجه لأئمة المساجد والمؤننين، مشدداً عليهم، بالألا يؤننون إلا بحي على خير العمل، وقراءة البسملة في أول السورة، والتسليم تسليمتين، وما إلى ذلك مما يأخذ به الإسماعيلية، بل قيل إنه ادعى النبوة، ومن من نادى فوق صومعة جامع القيروان يقول "أشهدوا أن محمداً رسول الله، فارتج البلد لذلك فأرسل المعز من سكن الناس"^(١٥٧).

وقد ظل المعز محتجبا عن الناس، ومتخفيا عن الناس سنة كاملة، فاعتقد الناس أنه صعد إلى السماء، وبلغ من هذا الاعتقاد أن الجندي الفاطمي كان إذا رأى سحابة في السماء، ترجل وقال (السلام عليك يا أمير المؤمنين^(١٥٨)).

وقد مدح ابن هاتى الأنسلمي مولا المعز بأبيات فيها صفات الألوهية والنبوة وبهذا مهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء، ومن قوله :

ولعة ما كانت الأشياء.	هو عنة الدنيا ومن حقت له
تجرى بأمرك والرياح رخاء.	ولك الجوارى المنشأت مواخرا
الأقدار واستحييت لك الأنواء.	فغنت لك الأبصار واتفانت لك
في راحتك يدور حيث تشاء ^(١٥٩) .	لاتمبالن عن الزمان فإنه

وقوله أيضاً:

تدعوه منتقماً عزيزاً قادراً	غفار مويقة التنبؤ صفوحاً
أقسمت لولا أن دعيت خيفة	لدعيت من بعد المسيح مسيحاً
شهدت بمفكرك السموات العلى	وتزل القرآن فيك مسيحاً ^(١٦٠) .

وقد بلغ تمجيد ابن هاتى الأنسلمي، لتخليفة الفاطمي المعز، أقصى حد يمكن أن نتصوره، حيث ينسب إليه الشاعر القدرة على إتيان المعجزات، فيقول :

فقد شهدت له بالمعجزات كما شهدت لله بالتوحيد والأزل^(١٦١).

ولكن خلفاء الفوطميين الأول لم يفلحوا في استمالة جميع المصريين لهذه الاعتقادات وامثالها، ولذلك ترى أن عقيدة تأليه الحاكم بالله قد أثارت عليه سخط الأهليين^(١٦٢)، وقد نسب الحاكم إلى نفسه الكثير من المعجزات، فقد نادى الخطباء في المساجد وحضره قاضي القضاة (باسم الحاكم الرحمن الرحيم) والعياذ بالله، وبذلك نسب إليه الصفات التي هي من صفات الله سبحانه وتعالى، كما ركع له الناس في كل ولايات الدولة الفاطمية^(١٦٣) قائلين (أنت الواحد الأحد، والمحى المميت^(١٦٤)).

٢٢- نظرية التناسخ :

ادعى الفوطميون وآمنوا إيماناً قوياً بنظرية تناسخ الأرواح، وأن روح الله تعالى حلت في آدم، وتدرجت حتى وصلت إلى محمد (ﷺ) ثم انتقلت إلى علي وأولاده، ثم وصلت إلى الحسن بن إسماعيل، وأخيراً استقرت في جسد الحاكم الذي ادعى تجسم الإله في شخصه، ولهذا كان (إذا بدا للناس في الطرقات، خروا له سجداً وقبلوا الأرض، ومن أبى كان نصيبه الموت^(١٦٥)).

٢٢- أسلوب قتل الغيلة (الاعتقالات)

شكل الفاطميون فرقة خاصة عرفت باسم الفداوية الذين يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم، ويشترط فيهم التفاني في خدمة الرئيس والتضحية إلى أبعد الحدود، وأصبح هؤلاء آلات انتقام فتاة، وخلقوا عصراً مليئاً بالخوف والفرع، وكانوا يستخدمون في قتل الأعداء (أعداء الدعوة) غراً وغيلة^(١٦٦)، وشهدت السنوات ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧ م وحتى ٤١٠ هـ/ ١٠١٩ م، سلسلة من المصادمات والاعتقالات والقتل لمعارضى الدعوة الفاطمية^(١٦٧).

٢٣- أسلوب التأسيس والتدليس والخلع:

فالتأسيس وهو يعنى الأمن والطمأنينة في نفوس المدعويين واتباع ميولهم، وإعطائهم كل ما يميلون إليه، كل حسب نزواته.

أما التدليس: وهو أن يلجأ الداعى إلى التلميع، ويدعى ادعاءات كاذبة في إغراء المرید وتشويقه والهاب رغبته في الدخول في الدعوة.

أما التأسيس: وهو تثبيت المعلومات والحقائق التى أدلى بها الداعى للمستجيب، حتى تستقر في ذهنه ويقبل عليها ويؤمن بها.

والخلع ويقصد به إقصاء المریدين عن المذاهب السنية، نهائياً، بإسقاط الفرائض الشرعية في الإسلام، وذلك بالاستعانة بالتأويل غير المشروع^(١٦٨).

٢٤- الادعاء بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم

على يد الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان، والخلفاء من بنى أمية وبنى العباس^(١٦٩)، والشيعية بصفة عامة يكفرون الصحابة جميعاً، لأنهم من وجهة نظرهم خذلوا علماً واختاروا غيره، وبعضهم يفضل على عليه السلام محمد (ﷺ). وبعضهم يجعل علياً عليه السلام، وهو الذى أرسل محمداً، وزاد بعضهم، وجعل الأئمة كلهم آلهة يظهر الله بصورتهم وينطق بلسانهم ويأخذ بأيديهم^(١٧٠).

٢٥- لعنهم أبى بكر وعمر وعثمان عليه السلام على منابريهم:

نصب العبيديون، فى عهد الخليفة القائم بأمر الله حسيناً الأعشى السياب فى الأسواق، يسب الصحابة بأسجاع لفتها، ومن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به^(١٧١)، ولما قدم عبود الله المهدي إلى أفرقية، وتولى مقاليد الأمور فيها، حدث تصعيد خطير فى الدعوة له - عليه السلام - ويذكر ابن عذارى ذلك بقوله: "أظهر عبود الله المهدي التشيع القبيح وسب أصحاب النبي ﷺ وأزواجه عدا على بن أبى طالب عليه السلام، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي وابى زر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعهد غير هؤلاء الذين سمرناهم..."^(١٧٢).

كان لدخول البويهيين بغداد، سنة ٤٣٤ هـ/ ٩٤٥ م، أثره فى ازدياد نفوذ الشيعة فى دولة الخلافة العباسية السنية، ونتيجة لذلك تجرأ الشيعة سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، وقاموا بالكتابة على أبواب المساجد ببغداد لغة معاوية ولغة من غصب فاطمة حقها من فدك^(١٧٣) - ويقصدون أبى بكر عليه السلام - ومن أخرج العباس من الشورى - ويقصدون عمر بن الخطاب عليه السلام -، ولغة من نفى أبى زر الغفاري^(١٧٤) - ويقصدون عثمان بن عفان عليه السلام -، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده

(١٧٦) - يقصون مروان بن الحكم -، ولما ثار المنيون لذلك قاموا بإزالة هذه الكتابة فأشير على معز الدولة البويهى أن يكتب بدلاً منها "لعن الله الظالمين آل رسول الله" ولا يصرح إلا بلعن معاوية فقط (١٧٧)، ولأن يلعن أبو بكر وعمر بالذات على منابر الشيعة.

٣٦- ضرب العملة والنسكة:

لما كان الفاطميون من الشيعة؛ فإن عملتهم كانت بالضرورة تحمل صفتهم المذهبية الشيعية فيما عدا ما يشير من نصوصها إلى شهادة التوحيد أو إلى الرسول (ﷺ). وقد أقدم الداعي أبو عبد الله الشيعي بعد استيلائه على رقادة (١٧٨) على عدة إجراءات إدارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعية الناشئة وكان منها تعيين أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن النعمودي، ناظراً للنسكة ونقش فيها: "الحمد لله رب العالمين" وسميت بالعملة المسيدية (١٧٩)، واهتم الداعي الشيعي بإحلال العناصر الشيعية على العملة ونقش على وجهها: "بلغت حجة الله" وعلى الظهر تفرق أعداء الله (١٨٠)، وضرب الدينار باسم الخليفة الفاطمي نون الخليفة العباسي وهذا ما فعله جوهر الصقلى عند دخوله مصر مباشرة حينما أمر بقطع الخطبة للعباسيين على كافة منابر مصر، وأمر بضرب العملة باسم الخليفة الفاطمي، فضرب على أحد وجهيها (باسم مولاي المعز) وفي الوجه الآخر (المعز لدين الله أمير المؤمنين ومحمد رسول الله ﷺ) (١٨١)، وذكر المقرئى أنه ضرب على أحد وجهيها: "دعى الإمام محمد بتوحيد الإله الصمد" وفي أسطر ثالثة (المعز لدين الله أمير المؤمنين) وفي أسطر الثاثة (باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)، وضرب على الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بتهدى وبين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين) (١٨٢). (انظر الشكل)

الوجه :

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين.

هو الذى أرسل رسوله بالهدى وبين الحق ليظهره على الدين كله

الظهر :

باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

دعى الإمام محمد لتوحيد الإله الصمد.

أمير المؤمنين المعز لدين الله.

تشير الكتابات على الدينار إلى رسالة محمد وإلى تمجيد على أفضل الوصيين ووزير خير

المرسلين كما يظهر لقب المعز الإمام وأمير المؤمنين (١٨٣).

٣٧- لباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية:

أزال المعز السواد - شعار العباسيين - وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض -

شعار الفاطميين (١٨٤)، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة، وكان من العادات المألوفة عند أهل

السنة (١٨٥).

٣٨- إقامة الخطبة:

من الإجراءات المذهبية التي اتخذها أبو عبد الله الشيعي، في بلاد المغرب، أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة، وأمر في الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء، وأمر بالآذان بحي على خير العمل، وأسقط من آذان الفجر عبارة الصلاة خير من النوم، وأمر بإسقاط صلاة التراويح^(١٨٦).

أقام جوهر الصقلي الخطبة للمعز في الجامع الأزهر وغيره من مساجد مصر وكانت فكرته وخطبته ترمي إلى بث الدعوة الفاطمية باسم الفاطميين^(١٨٧)، وقد أدخل عبارات مثل: (اللهم صلى على عبدك ووليّك، ثمرة النبوة، وسليل العترة الهادية المهدية، عبد الله الإمام مع أبي تميم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على أبنائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين، اللهم ارفع درجته، وأعلى كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته وصحبته، واجعل الرشاد في موافقته، وورثته مشارق الأرض ومغاريها، فقد امتعض لدينك....، ودرس الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك، فأعد للجهاد عدته وأخذ لكل خطب أهبة فسير الجيوش لنصرتك، وأنفق عليها الأموال، وينل المجهود في رضاك....، فأنصر الله جيوشه التي سيرها....، اللهم اجعل رايته عالية مشهورة، وعساكره غالبية منصور، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك واقية عليه)، ثم زادوا في الآذان (حي على خير العمل) ثم قرئت البسملة بصوت مرتفع^(١٨٨)، وأمر الفاطميون أن يقال في الخطبة: "اللهم صلى على محمد النبي المصطفى وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم صلى على الأئمة الطاهرين أبا عبد الله أمير المؤمنين المعز لدين الله، الهادين المهديين^(١٨٩)".

وأقام "قرواش بن المقلد" أمير بني عقيل في الموصل الخطبة للخليفة الفاطمي في ربيع المحرم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م^(١٩٠) (انظر الملحق رقم ٢)

٣٩- الاهتمام بالعمران الداخلي:

وخاصة أمور الزراعة والصناعة والتجارة، فنظموا الري وأصلحوا الجسور، وقد عرفت مصر بثروتها الهائلة في عهدهم، وقامت فيها مصانع للنسيج وغيره^(١٩١)، كان العمران كثيراً ووسائله كثيرة والدور فخمة تصل إلى عشرة طبقات يسكنها الخلفاء، أما الشعب فإنه يمتلك داره وحوادثه ومصانعه^(١٩٢).

وهكذا بلغت الدعوة الفاطمية إلى اتباعها بهذه الأساليب، ولكن الشيء العجيب أنه: لم يتشجع المصريون بالصورة والدرجة التي كان يتناهاها الفاطميون، حتى عندما سقطت الخلافة الفاطمية في مصر، ٥٦٧هـ/١١٧١م، لم يتناطح عليها عنزان كما ذكر المؤرخون.

ملاحق البحث

ملحق رقم ١ :

نص خطاب الإمام المعز لدين الله الفاطمي إلى محمد بن طفج الإخشيدى :
 قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجز لى في عقد الدين وما جريا
 به الرسم من سياسة أنصار يستجيبون وضمنت رقعتي مالم يطلع على أحد من كتابي ونوى
 المكاة عندي، وأرجو أن تترك صحة عزيمة وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على
 ميلي إليك وإيثاري لك ورغبتي في مشاطرتك ما حوته يميني واحتوى عليه ملكي، وليس يتوجه لك
 العسر في التخلف عن إجابتي لأنك قد استغرقت مجهودك في نصاحته قوم لا يرون إحسانك ولا
 يشكرون إخلاصك يخلفون وعذك ويخفرون ذمتك لم يعتقد منهم أحد حسن المكافاة ولا جميل
 المجازاة، وليس ينبغي لك أن تعزل عن منهج من نصحك وإيثار من أثرك إلى من بجهل موضعه
 ويضيع حسن سعوك، وإذا تنبرت هذا الأمر علمت أن الذي يحملني على التناطلي لك وقبول
 الميسور منك إنما هو الرغبة فيك، وأنت حقيق بحسن مجازاتي على ما بذلته والله يريك حسن
 الاختيار في جميع أمرك وهو حمينا ونعم الوكيل. (١٩٩)

ملحق رقم ٢ :

نص خطبة الجمعة في الموصل لحاكم بامر الله، في ربيع المحرم سنة ٤٠١ هـ /
 ١٠١٠م (٢٠٠) :

... اللهم وصلي على وليك الأزهر وصديقك الأكبر على بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين
 المهديين، اللهم وصلي على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأنمة الأبرار والصفوة
 الأخيار، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر، اللهم صلي على الامام المهدي بك والذي بلغ أمرك
 وأظهر حجتك ونهض بالعدل في بلادك. انهم وصلي على تقدم بأسرك والمنصور بنصرك اللذين
 بذلا نفوسهما في رضاك وجاهدا أعدائك، اللهم وصلي على المعز لدينك تمجاهد في سببك ..
 اللهم وصلي على العزيز بك الذي مهت به البلاد وهديت به العباد. اللهم واجعل نواصي سنواتك
 وزواصي بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحصن الأمان وصاحب الدعوة العلوية، والملة
 النبوية، عهك ووليك المنصور أبي على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين. كما صليت على آباءه
 الراشدين. اللهم وفقنا لطاعته واجمعنا على كنمته ودعوته، اللهم وأعنه على ما وليته وأحفظه فيما
 استرعبته ... واتصر جيوشة وأعلى أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شئ قدير

الخاتمة :

وإذا كنا قد انتهينا من الحديث عن النقاط التي حددناها لمعالجة هذا البحث، وإخراجه على هذا النحو، فإنه لجدير بنا أن نختمه بالإشارة إلى بعض النتائج التي يمكن أن نستخلص منها، وهذه النتائج يمكن أن نجملها في نقاط محددة، وذلك على النحو التالي:

- استخدم الفاطميون وسائل عديدة ومتنوعة ما بين مادية ومعنوية في سبيل نشر دعوتهم.
- استخدموا أيضاً الأساليب السلمية تارة والأساليب الحربية تارة أخرى.
- تخير الفاطميون أماكن نشر دعوتهم، بعد دراسة متأنية دلت على ذكائهم وتوفيقهم في ذلك باختيار اليمن والمغرب ومصر.
- نجح الفاطميون في اتخاذ أسلوب السתר والكتمان، والترغيب والترهيب، في سبيل نشر دعوتهم في بادئ الأمر حتى صارت لهم قوة فأعلنوها.
- اختار الفاطميون دعائهم بدقة وكانوا يرسلون مع كل داع داعياً آخر احتياطياً وكان ذلك سبب نجاح دعوتهم.
- أنفقوا الكثير من الأموال في سبيل تحقيق هدفهم سواء شراء أفكار المريدين، أو لإعداد الجيوش.
- اعتمدوا على بعض الأحاديث النبوية التي اعتقدوا أنها تعد مبررة للإمام على، ولكنها لم تكن مبررة.
- اهتموا بالاحتفالات الدينية الشعبية، وأنفقوا خلالها الكثير من الأموال والهدايا، لإرضاء الناس وكسب ودهم.
- تبين من البحث أن الفاطميين أنشأوا العديد من المدن والعواصم التي تنسب إليهم، واتخذوها حاضرة لهم، كما أنشأوا العديد من المساجد والأضرحة والمشاهد، لنشر المذهب الشيعي.
- اهتموا بالنواحي العمرانية من خلال نهضة البلاد في النواحي الاقتصادية وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبي الكرم) ت ٦٣٠هـ .
 - الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، ١٩٨٧م.
- ابن أبيك الدوادري: (أبو بكر عبد الله بن أبيك) ت بعد ٧٣٦هـ .
 - كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.
- الاصطخري: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي) ت ٣٤٦هـ .
 - المسالك والممالك، طبعة لندن، ١٩٧٢م.
- البخاري: (محمد بن إسماعيل)
 - صحيح البخاري، طبعة مصطفى ديب البغي، ط ٤، دار ابن كثير واليامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.
- البكري: (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ .
 - المغرب في فكر إفريقية والمغرب، نشر دي سلان، الجزائر، ١٨٥٧م.
- المسالك والممالك، تحقيق أريوان فان نيوفن، واندرى فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.
- الترمذي: (محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي) ت ٢٧٩هـ .
 - سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر وأخريين، ط ٣، مطبعة الحنبلية القاهرة، ١٣٩٨هـ .
- التجاني: رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م.
- الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) ت ٤٢٩هـ .
 - بتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن الجوزي: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي) ت ٥٩٧هـ .
 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م.
- الحميري: (محمد بن عبد المنعم) ت ٩٠٠هـ .
 - الروض المطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حنبل: (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل) ت ٢٤١هـ .
 - المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط ٤، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن حوقل: (أبو القاسم محمد البغدادي النصيبى) ت ٣٨٠هـ .
 - المسالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دي جويه ١٨٧٠م.

- ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلیمی للمطبوعات، بيروت، د.ت.
- ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم) ت ٦٨١ هـ
- وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ م.
- أبو داود: (سليمان بن الأشعث)
- سنن أبي داود، ط محمد محيى الدين عبد المحيى، المكتبة الإسلامية، استانبول، د.ت.
- ابن سعد: (محمد بن سعد كاتب الواقدي)
- الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت
- ابن سعيد: (علي بن سعيد المغربي) ت ٦٨٥ هـ
- المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكى محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- السيوطي: (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين) ت ٩١١ هـ.
- تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩ م.
- أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي) ت ٦٥٥ هـ.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ابن شداد: (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع) ت ٦٣٢ هـ
- النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨ هـ
- الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ
- الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، النشرات الإسلامية (٦) استانبول- بيروت، ١٩٤٩-١٩٨٨ م.
- ابن الصوري: (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن سليمان) ت ٥٤٢ هـ.
- القاتون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة.
- الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ.
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ابن الطوير: (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القهري) ت ٦١٧ هـ

- تزهة المقتنين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م.
- ابن ظافر: (جمال الدين أبو الحسن بن منصور الأزدي) ت ٦١٢هـ
- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، دار الثقافة اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ابن عذارى المراكشي:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان ليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م.
- أبو الغدا: (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢هـ
- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- القرويني: (زكريا بن محمد بن محمود القرويني) ت ٦٨٢هـ
- آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م.
- القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن ماجة: (محمد بن يزيد القرويني)
- سنن ابن ماجة، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت
- ابن المأمون: (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) ت ٥٨٨هـ
- نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- أبو المحاسن: (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤هـ
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- المصباحي: (الأمير المختار عز الملك محمد بن أحمد) ت ٤٢٠هـ
- أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد و تيارى بينكى، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م.
- المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين) ت ٣٤٦هـ
- مروج الذهب، ومعادن الجواهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م.
- التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت.
- مسلم: (مسلم بن الحجاج القشيري)
- صحيح مسلم، ط محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المعريزي: (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ
- المعقلى الكبير، تحقيق محمد يعقوب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- إتعاظ الحنفاء بذكر الأنمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للشنون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف) ت ٦٧٧هـ.
- المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
- النسائي: (أحمد بن شعيب)
- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندی، ط عبدالفتاح أبوغدة، ط ٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- النويختي: (أبو محمد بن موسى بن الحسن) ت ٣١٠هـ.
- كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتز، استامبول، ١٩٣١م.
- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم الحموي) ت ٦٩٧هـ.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن هاتئ الأنطليسي:
- ديوان ابن هاتئ، بيروت، ١٣٢٦هـ.
- هبة الله الشيرازي: (المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي) ت ٤٧٠هـ
- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ.
- السيرة النبوية، تطبيق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)
- هلال الصابن: (أبو الحسن الهلال بن المحسن) ت ٤٤٨هـ.
- كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.
- ابن الوردي: (زين الدين بن عمر) ت ٧٤٩هـ
- تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ياقوت الحموي: (شهاب الدين بن عبد الله الحموي) ت ٦٢٦هـ.
- معجم البلدان، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- يحيى بن سعيد الأنطاكي: ت ٤٥٨هـ.
- تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م.
- اليقوي: (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ.

- تاريخ يعقوبى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

ثانياً المراجع العربية:

إبراهيم جلال:

- المعز لدين الله وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، ١٩٦٣م

إبراهيم حركات:

- السياسة والمجتمع في العصر الأموى، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م

إبراهيم سلمان الكروى:

- البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م

أحمد الشامى:

- الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م

أحمد أمين:

- ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م

أحمد صادق سعد:

- تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م.

أحمد عبد اللطيف:

- المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر النولا حتى نهاية العصر الفاطمي

الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

٢٠٠٥م

أحمد فكرى:

- مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م

أيمن فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية

العلماء للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م

بدر عبد الرحمن محمد:

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي من أوائل القرن الرابع

الهجرى حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٩م.

حسن إبراهيم حسن:

- الفاطميون في مصر وأعمامهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨١م

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م

حورية سلام:

- الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م
خطاب عطية على:

- التعلیم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت.
سعاد ماهر:

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
سيدة كاشف:

- مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م
شحاتة عيسى إبراهيم:

- القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م
الشيخ محمد الخضري:

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

عبد الله كامل موسى:

- الفاطميون وأثارهم المعمارية في إفريقيا ومصر واليمن، دار الأفاق العربية.
عبد الحليم عويس:

- قضية النسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م
عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي:

- المسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١م

عبد المنعم منطان:

- المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة
عبد المنعم ماجد:

- الحاكم بأمر الله المفترى عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة
- الدولة الفاطمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م
- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧٨م
عصام الدين عبد الرؤوف الفقي:

- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م

عظية القوصي :

- تاريخ وحضارة مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠١٢م

فلهوذن:

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور

عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م.

كريسويل:

- قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها

فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م

كي لسترنج:

بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة

الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

محمد أبو الفرج العشي:

- مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة.

محمد بركات البيللي:

- التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس

عشر الميلادي التاسع هجري) ندوة إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م.

محمد جمال الدين سرور:

- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م

- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م

- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م

- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة،

دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

محمد حمدي المناوي:

- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة

محمد عبد الفتاح عليان:

- تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط٣، مكتبة المتنبي، المملكة العربية

السعودية، ٢٠٠٢م

محمد كامل حسين:

- طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

١٩٥٩م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861

Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairite Hachette 1966.^{١٥}



الحواشي

- (١) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ق ٢، ج ١، ص ٤٩٣، ابن شداد: النوادر المنطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشبال، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٤٤، ٤٥، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشبال، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١، ص ١٣٧-١٣٩، أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، ج ٢، ص ٥٠، ٥١.
- (٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٨١م، ص ٥٧.
- (٣) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣١٩-٣٢١.
- (٤) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١١٠.
- (٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١١٥.
- (٦) عصام الدين عبد الرؤوف العقلي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٩-١٠.
- (٧) عبد الحليم عويس: قضية السب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٤.
- (٨) عبد المنعم ماجد: الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٥.
- (٩) المقرئ: المقرئ الكبير، تحقيق محمد البعوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٥٢٣، المقرئ: اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٦.
- (١٠) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٥٩-٦١.
- (١١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٧٥، أيمن فواد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣-١٠٥، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٦١، محمد بركات البيلى: التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٠، إبراهيم جلال: المعز لدين الله وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١١.

- (¹²) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٢، ص٢٠٠، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص١١٦، ٧٧، ٧٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٦٩.
- (¹³) الثعالبي: يتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قمبحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٢٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص١٠٠.
- (¹⁴) الشيعة: أصل معنى اللفظ أنصار، وقد أطلقت أول الأمر على أتباع علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاته، يقول الأشعري: "قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا علياً وقدموه على سائر الصحابة لمزاياه الشخصية أو لاعتقادهم بحقه الوراثي في خلافة المسلمين" ثم أطلقت الشيعة اسماً للحزب الذي يشايح أبناء علي رضي الله عنهم يقول: "بالإرث في الحكم وتحول هذا الرأي بعد كريلاء من رأى سياسى نظرى إلى عقيدة إيمانية وحدث ما بين الشيعة على اختلاف فرقها وقد ظهرت فرق عديدة للشيعة يمكن تقسيمها إلى قسمين: فرق المعتدلين وهى ترى أن الإمامة بالنص، وأنها فى آل على ومن هؤلاء الزيدية أنصار زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب.
- فرق المغالاة: وهى عديدة وأهم منابعها الكوفة والنصرة، وقد غالوا وتطرفوا رغم تبرأ آل البيت منهم وأهم هذه الفرق السبئية والمختارية والكيسانية والرافضة والحطابية الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٢٨-٣٠، حورية سلام: الحركات المعارضة للخلافة العباسية فى بلاد الحجاز خلال العصر العباسى الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧١، هامش ٢.
- (¹⁵) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٦١.
- (¹⁶) هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٢، ١٨، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ج١، ص١٧٧-١٨١.
- (¹⁷) السيوطى: تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص١٥٢.
- (¹⁸) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص٦٠١.
- (¹⁹) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص١٠٦، ابن أبيك الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر المسمى "الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألمانى للآثار، القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص١٤٦.
- (²⁰) المقرئى: اتعاط الحنفا، ج٢، ص١٧٢، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٥.
- (²¹) ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٥٢-٥٤، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص١٢١.
- (²²) ابن الجوزى. المنتظم، ج٧، ص٢٤٨، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٣، بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص٨١.

- (23) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٣، ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٢٢، الدواداري: الدرة المضيئة، ص٢٨٣.
- (24) الأنبار: إحدى المدن العراقية تقع على الفرات وهي من اتمدن الأهلة. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهرسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م، ص١٧.
- (25) القصر: مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة وتعرف بقصر ابن هبيرة وهي قريبة من نهر الفرات، وهي من أعمار نواحي السواد. ابن حوقل: الممالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دى جوية، ١٨٧٠م، ص٢١٨.
- (26) المدائن: تقع على بعد سبعة فراسخ جنوب بغداد بالقرب منها قبر سلمان الفارسي، كانت مدينة صغيرة أهلة. لسترنج: بلدان الخلافة، ص٥٩.
- (27) الكوفة: تقع على الجانب الغربي لنهر الفرات وهي في حجم البصرة. لسترنج: بلدان، ص١٠١.
- (28) الجامعين: مدينة على نهر الفرات تقع على طريق بغداد الكوفة وتعتبر أساس مدينة الحلة التي بنيت في مقابلها على ضفة الفرات الغربية. ياقوت. معجم البلدان، ج٢، ص١٠-١١.
- (29) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص٢٥١، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الصنطان الأكبر، مؤسسة الإعلیمی للطبوعات، بيروت، د.ت، ج٢، ص٤٤٢.
- (30) المقرئزي: الخطط، ج٢، ص٢٨٨، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص١٨.
- (31) جمال سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٧٩، جمال سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٧٥.
- (32) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص٩١.
- (33) الشهرستاني. الملل والنحل، تحرير محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٢، ص١١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٣٠-٣١، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٠، إبراهيم حركات. السياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م، ص٢٩٦.
- (34) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٩٢٣، المسبوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٢.
- (35) الرحبة: هي قرية بعذاء الفادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة، والرحب بالضم في اللغة السعة، والرحب بالفتح الواسع، والرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى والأصل في الرحبة الفضاء بين أفنية البيوت أو القوم والمسجد. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣.

- (36) أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٨٤، ١١٨، المصنوع: تاريخ الخلفاء، ص ١٥١، إبراهيم سلمان الكروي، البويهيون والخلافة العباسية، دار العربية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.
- (37) ابن هشام: السيرة النبوية، تعليق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ج ٢، ص ١٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ١٤، المصنوع: تاريخ الخلفاء، ص ١٥٠، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (38) الرواة عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبو ذر وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك روى بأسانيد ضعيفة، ابن حجر: أسئلة وأجوبة، ص ٥٧، ابن القيسراني: ذخيرة الحفاظ، ج ٢، ص ٢١٣.
- (39) الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٩٦، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (40) البويختي: كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتز، استامبول، ١٩٣١م، ص ٢٠، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ١٠.
- (41) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج ٢، ص ١٦٢-١٧٥، محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط ٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٠-٣٠٣.
- (42) محمد عبد الفتاح عليان: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٣٠٦.
- (43) الشيخ محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص ٣٢٤، ٣٢٥.
- (44) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٣٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣٠.
- (45) الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ٣٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٦٦.
- (46) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٦٢، محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣٩، ١٤٠، محمد الخضري: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣٦.
- (47) الطبري: تاريخه، ج ٧، ص ١٨٠، ابن الطفطقي: الفخرى، ص ١٠٥.
- (48) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٠٨، حرية سلام: الحركات المعارضة، ص ٢٥، محمد الخضري: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٤٠.
- (49) الكيسانية: تنسب الطائفة الكيسانية إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب الذي قُتل في موقعة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م، وهم الذين ساعدوا محمد بن علي المعروف بابن الحنفية وقالوا بغيبته ورجعته وتضامنوا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فدعوا لمحمد بن الحنفية بالإمام المهدي المنتظر. البغدادي: الفرق بين المشرق، ص ٢٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩٦، إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع، ص ٢٩٧، ٢٩٨.
- (50) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٦.

- (51) الشهرستاني: الملل، ج ١، ص ١٢٢-١٢٣.
- (52) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣١-٣٢، عصام الفقى: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٧-٣٢.
- (53) الطبرى: تاريخه، ج ٥، ص ٤٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٨٩، ٩٠، فتهاون: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (54) الطبرى: تاريخه، ج ٥، ص ٥٣٦-٥٣٨، جمال سرور: الحياة السياسية، ص ١٥١-١٥٢.
- (55) محمد الخضرى: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٨١، ٢٨٢، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٤٩.
- (56) رضوى: جيل قريب من ينبع نو شعاب وبه أوبيه ومياة كثيرة وأشجار. الاصطخرى: المسالك والممالك، طبعة ليدن، ١٩٧٢م، ص ٢١، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٨.
- (57) النويختى: فرق الشيعة، ص ٢٠.
- (58) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م، ج ٨، ص ٣٣٨.
- (59) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م، ج ٥، ص ٢١٦.
- (60) أحمد الشامى: الدولة الإسلامية في العصر العباسى الأول، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٣-١٤.
- (61) أحمد الشامى: الدولة الإسلامية، ص ٢٥-٢٧.
- (62) الصفدى: الوافى بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، النشرات الإسلامية (٦)، استانبول، ١٩٤٩م، ج ١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: انجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٧٧، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤-٣٥.
- (63) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣١، النويرى: نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق. حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج ٢٨، ص ٧٤، محمد الخضرى: الدولة العباسية، ص ٢٨٤.
- (64) المقرئى: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعقوبى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩١م، ج ٤، ص ٥٢٤.
- (65) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٣١١، البيللى: التشيع، ص ٢٩، محمد حمدى المناوى: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة، ص ١١٣.
- (66) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣١.
- (67) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٣٤.
- (68) البيللى: التشيع، ص ٦٥.

- (69) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٢١٧.
- (70) ابن أبيك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤٧، الصفدي: الوافي، ج١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: النجوم ج ٥ ص ٧٦.
- (71) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٧٠.
- (72) النويختي: فرق الشيعة، ص ٣٤، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢١.
- (73) المقرئ: اتعاط، ج١، ص ٢١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٠٤، ١٠٥، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص ٢٩، ٣٠.
- (74) محمد بركات البهلي: إستيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م، ص ١٠٠-١٠١.
- (75) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ١١٨.
- (76) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ٤٨، سرور سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٦٧.
- (77) محمد أبو الفرج العشي: مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لأنقية القاهرة، ص ٩١١، ٩١٢، ٩٤٧، ٩٤٨ Miles, G, Fatimid coins p 51
- (78) المقرئ: المعقفي الكبير، ج٣، ص ٨٩، أبو المحاسن: النجوم، ج٣، ص ٣٣٦.
- (79) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٨٩.
- (80) النويختي: فرق الشيعة، ص ٢٣، ابن سعيد. المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٣٥-٣٦، سيدة كاشف: مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣١١، ٣١٠، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ٨٩-٩٠.
- (81) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٩، ٤١.
- (82) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٣٥٣، المقرئ: اتعاط، ج١، ص ٩٧، ١٠١.
- (83) المقرئ: الخطط، ج١، ص ٩٤، المقرئ: اتعاط، ج١، ص ١١٣، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٩-٤١، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج٣، ص ٣٤٥.
- (84) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١١، أحمد عبد اللطيف: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٥-٤٨، يوسف العشي: الخلافة العباسية، ص ٢١١.

- (85) المهدية: أسسها الخليفة المهدي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٩.
- (86) التجاني: رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ٣٢٠-٣٢٤، عبد الله كامل موسى: الفاطميون وأثارهم المصيرية في إفريقية ومصر واليمن، دار الافاق العربية، ص ٤٢.
- (87) التجاني: رحلته، ص ٢٢٠.
- (88) المنصورية: أسسها الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م في الموضع الذي دارت فيه اتفاقية بينه وبين أبي يزيد بن مخلد بن كيداد التي بدأت بوادرها سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م في أواخر عهد المهدي على مقربة من القيروان واتخذها حاضرة له. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر دي سلاتن، الجزائر، ١٨٥٧م، ص ٢٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١١، البيلي: التشيع، ص ١٢٨، يوسف العث: الخلافة، ص ٢٠٩.
- (89) البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان نيوفن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٧٦.
- (90) البكري: المغرب، ص ٢٥. ابن طاهر: أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٨.
- (91) ابن الصيرفي: القاتون في ديوان الرسائل وإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ص ٤٩، ابن خنكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٣٠.
- (92) مرور: قيام الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧١، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٥٧٣، ٥٩٠.
- (93) جمال مرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٢٨.
- (94) المصباحي: أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيماري بينكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٢.
- (95) المقرئ: الخطوط، ج ١، ص ٤٥٩.
- (96) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (97) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٥١.
- (98) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (99) كريستول: قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها أثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٦.
- (100) المصباحي: أخبار مصر، ج ٢، ص ٢٧٧، أحمد فكري: مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٨٣-٨٥.
- (101) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢٣-١٢٨.

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairite Hachette 1966. P.103.

(102) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩١، المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ١٧٣.

(103) جامع الصالح: الذي بناه خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وهو آخر المساجد الجامعة التي أقامها الفاطميون في مصر. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦٢٠، شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٠٦-١١٠، أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٠-١٢١، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٩٧-١٠٥.

(104) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٣.

(105) سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ج ١، ص ٢٩٩.

(106) Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952 PP. 228.229.

(107) سعاد ماهر: مساجد مصر، ج ٢، ص ١٢٠، عبد الله كامل: الفاطميون، ص ٢١١.

(108) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٤٢.

(109) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٣٦.

(110) عبد الله كامل: الفاطميون، ص ٢٠٩، Creswell K. A.C: The Muslim P.266,267.

(111) غدير خم: نسبة إلى خم وهي موضع بين مكة والمدينة، وهو وادي عند الجحفة على بعد ثلاثة

أميال بين مكة والمدينة ويممونه اليوم الغربية به غدير وحوله شجر كثير، يقع شرق رابغ بما

يقرب من ٢٦ كيلومتر. وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير. ياقوت: معجم البلدان، دار الكتاب

الليثاني، بيروت (د.ت)، ج ٢، ص ٣٧١، سرور: الدولة الفاطمية في مصر، هامش ٢، ص ٨٠.

(112) أحمد بن حنبل: المسند، ص ٩٥٠، ٩٥٢، ٩٦١.

(113) ابن لأثير: الكامل، ج ٨، ص ٥٤٩، إبراهيم الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٤.

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861, p.574.

(114) المسبحي: أخبار مصر، ص ٨٥.

(115) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٧١-١٧٢، الألباني: السلسلة الصحيحة، ج ٤، ص ٣٣٥.

(116) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ٢، ص ١٦٧، ابن خلكان: وفیات، ج ٢، ص ١٣٦، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ج ١، ص ١٤٩، عبد المنعم ماجد: نظم، ج ٢، ص ١٢٦.

(117) أحمد بن حنبل: المسند، ج ٤، ص ٣٧٢، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت، ج ١، ص ١٣، الترمذی، سنن الترمذی، ج ٥، ص ٢٥٧، إسناده صحيح.

(118) ابن تيمية: منهاج السنة، ج ٤، ص ٨٤-٨٥.

(119) أبو داود: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول، د.ت.

(120) أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.

(121) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة، ص ١٥٧-١٥٩.

(122) أبو داود: السنن ياب صوم عاشوراء، ص ٦٥.

(123) انظر الترمذی: سنن الترمذی، تحقيق أحمد ضاهر وآخرين، ط ٣، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ، انظر البخاري: صحيحه، طبعة مصطفى نيب النقي، ط ٤، دار ابن كثير واليعة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.

(124) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٣١، أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص ٩٢٨.

Muir: The Caliphate, p. 573.

(125) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٩٨.

(126) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٢٧.

(127) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٢٧.

(128) أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ١٥٣، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٥٥.

(129) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٥، التويري: نهاية، ج ٢٣، ص ٢١١.

(130) هلال الصابي: كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء الياسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م، ج ٨، ص ٣٧٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٥.

(131) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٢، ٨٣.

(132) ماجد: نظم الفاطميين، ج ٢، ص ١٢٠.

(133) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٧٦، النقشبندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٦٦.

(134) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٦٥.

(135) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٣٤-١٣٥.

- (136) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص ٢١٧، المقرئ: المقرئ الكبير، ج ٦، ص ٤٨٤.
- (137) المقرئ: انعاظ، ج ٢، ص ٦١، ٦٠، ٦١، ٦٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٢٦.
- (138) خطاب عطية على: التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت، ص ٦٧، ٦٨، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٣٠.
- (139) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٩٣.
- (140) خطاب عطية على: التعليم في مصر، ص ٦٨.
- (141) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية، ص ١٠٤، هامش ١، البيهقي: التشيع، ص ١٤٤.
- (142) Ivanow: The Alleged founder of Ismailism, Bombay, 1946, p. 152.
- (143) البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (144) المقرئ: المقرئ، ص ٢٣، البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (145) البيهقي: التشيع، ص ٦٨.
- (146) يشير بذلك إلى قوله تعالى: هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. صراط الدين نعمت عليهم الفاتحة آية ٥ و ٦.
- (147) يشير إلى ما ورد في سورة البقرة بقوله تعالى: وما أنزل على المتكئين ببابل هاروت وماروت آية ١٠٢.
- (148) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٣٩٣.
- (149) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤١.
- (150) محمد بركات البيهقي: التشيع، ص ٣٩-٤٠.
- (151) لمزيد من التفصيل راجع الشهرستاني: الملل والنحل، البغدادى: الفرق بين الفرق، النوبختي: كتاب فرق الشيعة.
- (152) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ١١٠، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤٣.
- (153) المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٥-٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٣٦، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٥٤.
- (154) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٣٣، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله المفتري عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ص ٥٤.
- (155) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م، ج ٦، ص ٢١١.
- (156) البيهقي: التشيع، ص ١٢٧.
- (157) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان ليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٥.

- (158) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٣٩، المقرئ: اتعاط، ج ٢، ص ٢٣١.
- (159) ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ١١.
- (160) ابن هاني: ديوانه، ص ٧-١١.
- (161) ابن هاني: ديوانه، ص ١٦٤.
- (162) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٢٩.
- (163) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩.
- (164) عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، ص ٥٩.
- (165) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٧.
- (166) المقرئ: اتعاط الحنفاء، ج ١، ص ٦٦-٦٨، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (167) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٢٣، السويدي: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٦.
- (168) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (169) ابن ظافر: أخبار الدول المقطعة، ص ١٢٥، 574. Muir: The Caliphate, p.
- (170) الشهرستاني: الملل، ج ١، ص ١٥٦، ١٦٠، ١٦٨.
- (171) البيهقي: التمشيع، ص ١٢٩.
- (172) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥٩، البيهقي: التمشيع، ص ١١٣.
- (173) فذكر: تقع بالقرب من المدينة المنورة على مسير يومين. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بليان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٣٨.
- (174) الطبري: تاريخه، ج ٣، ص ١٥، ٢٠٨.
- (175) المسعودي: التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت، ص ٢٥٥.
- (176) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، البيهقي: التمشيع، ص ١٤٣.
- (177) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، الميوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٠، إبراهيم سليمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٣.
- (178) رقادة: أنشأها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م وهي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة القيروان. البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٧٩.
- (179) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥١.
- (180) المقرئ: اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦٤، البيهقي: التمشيع، ص ٨٧.
- (181) المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ١١٦.
- (182) المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ١١٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ١١٨، البيهقي: التمشيع، ص ١٤٥.

- (183) عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي: الممكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٣٤٨.
- (184) أبو المحاسن: النجوم، ج ٤، ص ١٣٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٧، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٢ م، ص ٦١.
- (185) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٢٢٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٩، أيمن قواد: الدولة الفاطمية، ص ١٤٣.
- (186) ابن عذاري: البيان، المغرب، ج ١، ص ١٥١، الببلي: التشيع، ص ٨٧.
- (187) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ١٤٩.
- (188) المقرئ: اتعاظ، ج ١، ص ١٣٧، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢١، الببلي: التشيع، ص ١٤٥.
- (189) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٣٧٦، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣١، الصفدي: الوافي، ج ١١، ص ٢٢٥، المقرئ: المقلد الكبير، ج ٣، ص ١٠١، أبو المحاسن: النجوم، ج ٤، ص ٣٢، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر، ص ٦١.
- (190) بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص ٨١، ٨٢.
- (191) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص ١١٤، أحمد صادق سعد: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦ م، ص ٢٨٣.
- (192) يوسف العش: الخلافة العباسية، ص ١٨.
- (193) المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٣٧.
- (194) أبو المحاسن: النجوم، ج ٤، ص ٢٢٧-٢٢٨، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٤٩-٢٥١.

الخنجر نموذج لتطور صناعة السلاح في الأندلس دراسة أثرية فنية لنماذج الخناجر الأندلسية ومستلزماتها

د. حنان عبد الفتاح مطاوع (*)

أدوات الحرب في الأندلس وعوامل إزدهارها :

حرص المسلمون في الأندلس منذ البداية على أن تكون لديهم قوة عسكرية مرهوبة الجانب، يخشى بأسها ويخطب ودها أعدائهم في الداخل والخارج، وبهذا المفهوم بذلوا جهداً كبيراً لتسليح جيوشهم تسليحاً جيداً، بكل أنواع الأدوات الحربية اللازمة لها والتي أخذت في الإزدهار، بصورة واضحة، في فترات القوة والإزدهار. حيث نشطت صناعة السلاح في الأندلس، وتعددت مصادر الحصول عليها منذ عصر الدولة الأموية (١٣٨هـ - ٣١٦هـ) (٧٥٥م - ٩٧٨م) وما تلاه من عصور حتى نهاية عصر بني نصر (٦٣٥هـ / ٨٩٧هـ / ١٢٣٨م - ١٤٩٢م) وغدت أدوات الحرب تصدر من الأندلس إلى جميع أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء^(١).

وقد ساعد على إزدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، وولع الأندلسيون بها، عوامل كثيرة من أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لتلك الصناعة ببلاد الأندلس، لاسيما معدن الحديد والفولاذ المخصصين لصناعة السيوف والخناجر واتصال والتواصل والتزديت.

فمن بين أهم المناطق التي اشتهرت بفرارها إنتاج هذين المعدنين: جبال مدينة طيطلة^(٢)، قرية فريش الواقعة بالقرب من قرطبة^(٣)، وكورة البيرد بفرنطة^(٤) وحصن قسنطينة^(٥)، وفي جبال إشبيلية^(٦)، وجبال البرانس قرب فحس البلوط^(٧) وجبال المرية^(٨) وينفخ القدر من الشراء توافرت أيضاً المواد المساعدة التي تدخل في صناعة أدوات الحرب مثل: الأخشاب التي اشتهرت بإنتاجها مدينة طرطوشة^(٩) وشلطيش^(١٠).

فضلا عن الأحجار الكريمة التي تستخدم في ترصيعها وتزيينها، والتي كانت توجد بكثرة في العديد من مناطق الأندلس: مثل اللازورد بمدينة لورقه^(١١)، وجبل شلير^(١٢)، والياقوت بحصن مونت ميور بكورة مالقه^(١٣) ويقرية ناشره بالقرب من بجاته^(١٤) وحجر البجادي^(١٥) بمدينة لشبونة^(١٦) وحجر الشانجج أو الشانجخ^(١٧)، بجبال قرطبة^(١٨)، وحجر المرقشينا الذهبية بجبل أبذه^(١٩)، ولأن بلاد الأندلس كانت غنية بكل هذه الأنواع من الأحجار الكريمة فقد شاع استخدامها في زخرفة أدوات الحرب، لاسيما والخناجر وأدوات الخيل^(٢٠)، أما بقية المواد الأخرى المساعدة التي لم تكن تتوافر ببلاد الأندلس، فكان يتم استيرادها بكميات كبيرة مثل: العاج الذي كان يدخل في صناعة مقابض السيوف والخناجر وبعض أنواع أسلحة الزينة، وكان يتم استيراده من بلاد المغرب، وساحل غانا بالسودان.

(*) أستاذ مساعد الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

وكذلك ساعد على تطور أدوات الحرب بالأندلس وفره الصناعات الماهرة من الأندلسيين، ممن أظهروا قدره فائقة على الاستفادة من المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة التي أولوها عناية خاصة بسبب إهتمام الأندلسيين بها، ومنافعتها في الحرب والسلام، وهو ما عبر عنه المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (وأما آلات الحرب من الترس والرمح والسروج والجم (الجم أو الأجم) والدروع والمقار، فأكثر هم أهل الأندلس كانت مصروفه في هذا الشأن^(١١))، وثمة ملاحظة هامة وهي: أن هذا الإهتمام بأدوات الحرب قد دفع صناعات السلاح الأندلسيين إلى تطويرها، وقد اتخذ هذا الإهتمام مظاهر عديدة منها:

(١) الحرص على إقامة دور صناعة متخصصة لأدوات الحرب وإصلاح ما تداعى منها، على نحو ما فعله الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط من ترميم دار صناعة السلاح بمدينة طليطلة عام (٢٠٧هـ/٨٢٢هـ)^(١٢).

وظلت هذه الدار تؤدي دورها في إنتاج أدوات الحرب حتى نهاية عصر الطوائف، وحقت في هذا المجال مزيداً من الإزدهار والتطور، حتى أصبح إنتاجها يقدم كهدايا من قبل الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ/٣٦٦هـ - ٣٦١هـ/٣٧٦هـ) إلى ملوك قشتالة^(١٣). بل كان يصدر في عصر الطوائف (٤٢٢هـ/٤٨٤هـ - ٤٣١هـ/٤٩١هـ) إلى كل أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية^(١٤).

وقد امتدح ابن سعيد وفرة إنتاج دار صناعة هذه المدينة من السلاح وتنوعه وجوئته بقوله (كان يصنع فيها من آلات الحرب العجائب)^(١٥)، وفي عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/٣١٦هـ - ٣١٢هـ/٣٢٨هـ) شيد العديد من دور الصناعة في كثير من مدن الأندلس، كان من بينها دار بمدينة الزهراء تخصصت في إنتاج آلات الحرب والحنى والزينة، وغير ذلك من المهن^(١٦).

وتعتبر دار صناعة السلاح التي أقامها المنصور بن أبي عامر (٣٧١هـ/٣٩٣هـ - ٣٨١هـ/٤٠٢هـ) بقصره المعروف بقصر العمارية، من أهم إن لم تكن أهم دور صناعة السلاح في الأندلس، نظراً لما كان يتوافر لهذه الدار من إمكانيات تفوق غيرها من دور الصناعة الأخرى، فهذه الإمكانيات كانت من الوفرة والتنوع بحيث كان لكل نوع من الأسلحة قسم أودار تخصصت في إنتاجه.

ويجدر المؤرخون العرب عن هذا الإزدهار فيما كتبوه عن هذه الدار، فابن الخطيب يشير إلى أنه كان بها دار مخصصة لصناعة التروس عرفت بدار التراسين^(١٧) كان يزيد إنتاجها في العام الواحد عن ثلاثة عشر ألف، كما كان بنفس الدار دار أخرى لصناعة القسي كان إنتاجها في العام ما يقرب من اثني عشر ألف^(١٨). وكان لكل دار طائفة حرفية لها مطعم يعرف بشيخ الصنعة يتولى تمثيلهم، ويعتبر مسئولاً أمام المطعم الأكبر أو كبير المعظمين الذي يقيم بمدينة قرطبة والزهراء^(١٩) وفي مدينة مرسية حظيت صناعة السلاح بمكانة كبيرة عبر عنها المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (يصنع فيها من آلات الجندي ما يبهر العقول)^(٢٠).

وقد كانت تلك الصناعة مصدراً أساسياً لثروتها، فوفرة إنتاجها من السلاح فتح أمام أهالي هذه المدينة أفاقاً واسعة للعمل التجاري في قطاع التصدير، فكانت أدوات الحرب تعالج

وتصنع بها، قبل تصديرها إلى معظم البلدان لاسيما أفريقية، حيث أشار المقرر إلى ذلك بقوله (وفيها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها)^(٣١).

وقد أخذت بعض المدن شيئا فشيئا تحتل مركز الصدارة في إنتاج نوع واحد من الأسلحة تشتهر به، ومن ذلك على سبيل المثال: مدينة المرية التي ذاع صيتها في صناعة السيوف الجود السود^(٣٢) ومدينة برزيل التي عرفت سيوفها بالبرذليات المشهورة بالجودة^(٣٣). كما اشتهرت إشبيلية بسقى الفولاذ الأشبيلي الشهير الذي كانت تصنع منه الدروع وتجايف الخيل، وفي مدينة وشقة بالشعر الأعلى كانت تصنع الدروع والبيضات^(٣٤).

ومثل هذه المدن التي كانت تشتهر بصناعة نوع معين من الأسلحة كان يوجد بها أماكن للتدريب عليها مثل: سبته التي اشتهرت بصناعة القسي، وكان بها أربع وأربعون مرمى لرمي السهام^(٣٥).

٣- جرى حكام الأندلس، منذ عصر الدولة الأموية، على إقامة دور لحفظ أدوات الحرب عرفت بدار أو خزانة السلاح مثل: الدار التي أقامها الأمير عبد الرحمن الأوسط بمدينة قرمونه^(٣٦)، ودار أخرى في غرناطة من عصر المرابطين، ودار بمدينة إشبيلية^(٣٧).

وكان يتولى الإشراف على تلك الخزائن أحد كبار موظفي الدولة التقاه، ممن كان على درايه بأنواع الأسلحة ليعرف ما توافر منها وما نقص، ويقدم تقريراً بمحتويات مخازن السلاح ويدون في سجلات ديوان العسكرية^(٣٨) **يطلع عليه الحاكم** أو الخليفة بشكل دوري، حتى لا يخرج إلى الحرب إلا بعد أن يتأكد من اكتمال كل أنواع السلاح والعدة^(٣٩).

٤- كانت أدوات الحرب من أفضل الهدايا بين الحكام وكبار رجال الدولة، سواء أهديت لهم أو هادوا بها المقربين إليهم لكسب ولائهم، فعبد الرحمن الناصر كان يخلع على وزرائه - أمثال أحمد بن عبد الملك بن سعد - أنواعا متعددة من آلات الحرب أحصاها ابن خلدون بقوله (والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب، وأنف ترس سلطانية، ومائة ألف سهم من من النبال البارة الصنعة).

كما هادى الخليفة عبد الرحمن الناصر أمراء البربر، بالعدوة المغربية، بكثير من تلك الآلات الحربية، أمثال موسى بن أبي العافية، ووفقا لما ذكره ابن حيان كان من بين محتويات تلك الهدايا (أربعة بنود من غرائب السلاح)^(٤٠).

ولقد واصل الخليفة الحكم المستنصر سياسة اصطناع وجوه أمراء المغرب، فأرسل مع الخازن أحمد بن محمد لعدد كبير منهم في جيش غالب بن عبدالرحمن - مجموعة هدايا معظمها من آلات الحرب، مع كتاب موضح فيه اسم كل شخص وتفاصيل محتويات هديته^(٤١).

وبهذه المناسبة، يجدر بنا أن نشير إلى أن من بين العوامل التي ساعدت على بلوغ أدوات الحرب في الأندلس، أوج ازدهارها، أنها كانت من مظاهر التعبير عن الأبهة والفخامة والتفوق العسكري، فالباحث في تاريخ الأندلس يستطيع أن يلاحظ بوضوح أهميتها في الاحتفالات والمراسيم والعروض العسكرية والاستقبالات الرسمية، حيث كان يرتديها كبار الوزراء والفتيان والأكابر والكتاب والخصيان الصقالبة، وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، عند استقبال الخلفاء والإحتفال بقومهم^(٤٢).

وجرت العادة أن يقوم حكام الأندلس باستعراض أدوات الحرب أثناء الاحتفال باستقبال سفراء وحكام الدول المجاورة، لاسيما ملوك إسبانيا المسيحية، وذلك من أجل استعراض القوة العسكرية واثار الرعب في نفوسهم . ويستدل على ذلك مما ورد في المصادر العربية من أوصاف تفصيلية لمواكب استقبال زيارات السفراء والملوك المسيحيين، بقصر قرطبة وقصور الزهراء والزاهرة^(١٣).

٥- من العوامل التي ساعدت على ازدهار صناعة السلاح في الأندلس: تعدد مصادر الحصول عليها فلم يكتفوا بما كان يصنع منها محليا ويبيع ويشترى من أسواق خاصة بها، فرغم إشارة المؤرخين بمهارة الأندلسيين في صناعة أدوات الحرب^(١٤) كما سبق الإشارة، لم يترددوا في شراء الأسلحة الجديدة من إسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها، أو من الأسواق المشرقية والهندية، حيث وردت إشارات عديدة عن تسليح الجيش الأندلسي بمثل هذه الأسلحة المشتراه من الخارج^(١٥) رغم ما كان يفرض أحيانا من حظر لبيع، أو نقل هذه الأسلحة، بين الطرفين الإسلامي الأندلس والإسباني النصراني^(١٦).

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن ازدهار صناعة أدوات الحرب والظاية بها، في مختلف مدن الأندلس، كان ضرورة فرضها تاريخ الأندلس الحافل بآثورات والحروب المتتالية، فضلا عن جنوح أهل الأندلس، لاسيما في عصر الطوائف إلى الخروج على السلطة مما كان له أكبر الأثر في اعتماد كل مدينة في الدفاع عن نفسها. ويستدل على ذلك من قول القلصاى بأن مدينة غرناطة حققت تقدما في صناعة السلاح مكنتها من الدفاع عن نفسها وزيادة مناعتها^(١٧).

وبعد هذا العرض لعوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، يجدر بنا أن نفرق بين أنواعها التي كانت تستخدم في ميادين الحرب، والمستخدم للزينة، أو كانت تقدم كهدايا. ومع أن إثبات هذا الفرق بالأساليب التاريخية المعقدة لا يخلو من صعوبة؛ إلا أنه من خلال الإشارات التي وردت بشأن النوع الثاني المستخدم في الزينة؛ يمكن إثبات هذا الفرق، فألات الحرب التي كانت تستخدم في أيام البروز والمواكب والإهداء تتميز بخفة وزنها، والمبالغة في زخرفتها وتحليتها بخطوط الذهب والفضة وترصيعها بالأحجار الكريمة، وتطلق المصادر العربية على هذا النوع من أدوات الحرب اسم: تجافيف أو تخافيف الزينة والسلطانية أو الخاصة^(١٨) ومنها السيوف الحالية^(١٩) والسيوف المرصعة الصود بالجواهر المثمنة والحرايب المزينة العصى بأنايب الفضة والبيضات المذهبة^(٢٠).

بينما الأسلحة المستخدمة في ميدان الحرب براعى فيها: أن تكون قوية الشكل غليظة المظهر خالية من الزخرفة، بحيث تتناسب وطبيعة الوظيفة التي تؤديها.

وقبل أن نختم الحديث عن عوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب الأندلسية، نود الإشارة إلى أننا لا نكاد نرى فنا من الفنون الصناعية الأندلسية أكدت المصادر الأندلسية على أنه قد تأثرت أشكاله بالفنون الصناعية المسيحية المعاصرة مثلما حدث في فنون صناعة أدوات الحرب، ويستدل على ذلك من إشارة ابن الخطيب: وزينهم (أهل الأندلس) شبه زى اقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج إسباغ الدروع وتعليق الترسه وحفا البيضات واتخاذ عراض الأسنة ويشاعه

قرايبس السروج واستركاب حملته الريات خلفه كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهره يعرف بها^(٥١).

ويشير المقرئ في هذا الصدد أيضا بقوله (وكثيرا ما يتزين سلاطينهم وأجنادهم بزي التصاري المجاورين لهم فسلاحهم كسلاحهم وأقربتهم كأقربتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس^(٥٢) والرماح^(٥٣) الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس قسي^(٥٤) العرب بل يعدون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد أو تكون للرجال عند المصافقة للحراب^(٥٥)).

ولا يؤخذ من هذا أن تلك الآلات الحربية المسيحية كانت تعتبر مقياسا، أو كان صناع الأندلس يتخذونها نماذج يقلدونها مسرفين في هذا التقليد، بل على العكس نجد أن صناع آلات الحرب الأندلسيين فيما بعد منذ عصر بني نصر، قد اتخذوا لأنفسهم أساليب وأنواعا تختلف عن نظائرها المسيحية ولا ترجع في شيء إلى الأساليب المسيحية الموروثة من مجموعات الأسلحة التي غنموها من القوط في بداية الفتح الإسلامي، أو في أثناء الحروب الجهادية الطويلة التي خاضها المسلمون في الأندلس ضد التصاري الأسبان، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الخطيب أيضا، في موضع آخر، عن التجديد الذي أحدثه صناع السلاح في عصر بني نصر بقوله (ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرناه إلى الجواشن^(٥٦) المختصرة والبيضات المرهفات والسروج العربية، والبيت اللطيفة^(٥٧) والأسل العطفية^(٥٨)).

الخناجر الأندلسية

تعريف الخنجر واستخداماته:

الخنجر سلاح قاطع صغير أشبه بسيف مصغر، ولكنه أكثر وأسهل في الحمل والاستخدام، إذ يحمله المحارب في منطقتة أو حزامه أو تحت ثيابه، فإذا التحم بعدوه يطعنه به خلسة^(٥٩)، والخنجر من أقدم الأسلحة التي استعملها الإنسان في الدفاع عن نفسه، فهو من الأسلحة الدفاعية التي عرفها العرب منذ جاهليتهم، ويعتبر سلاحا شخيصا أكثر من كونه رئيسيا في المعارك، وهي أسبق في الظهور من السيوف وأقدم استخداما، وكانت بعض المجاهدات، في العصور الأولى، يحملن الخنجر في الغزوات تحت ثيابهن للدفاع عن أنفسهن.

وبصفة عامة، ارتبط الخنجر، منذ قرون طويلة، بعادات الشعوب وتقاليدهم وتراثهم المنقول، ويعد رمزا للرجولة، كما أن نوع الخنجر، في بعض البلدان مثل اليمن، يدل على المكانة الاجتماعية لصاحبه، وما تزال الخناجر، حتى يومنا هذا، من مستلزمات المظهر الخارجي في بعض المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحا فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حامنها ومكانته^(٦٠)، ومع أن الخنجر من ملحقات السيف لأنه من فصيلته، إلا أنه عكس السيف فقد ارتبط في الأذهار بالخيابة والغدر، حيث اغتيل به العديد من الشخصيات الهامة في صدر الإسلام، ومن ذلك خنجر أبو لؤلؤة المجوسي الذي قتل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يصلح.

أجزاء الخنجر:

يتكون الخنجر عادة من جزعين رئيسيين هما: رناسة الخنجر أو قائمه ونصله، وللقالم والنصل عناصر مهمة لا يكاد خنجر عادة يخلو منها، وخاصة إذا كان من الخناجر الأصيلية إضافة إلى عمد الخنجر أو قرابة ويتكون قائم الخنجر أو رناسته من المقبض، وهو مقبض كف الضارب أو الطاعن أو مكان قبضه اليد، والقبضة وهي الحديدية التي تلبس أعلى المقبض وتسمى القلة أحيانا، إذا كانت مستديرة أو كروية، كما تسمى في بعض المصادر الأندلسية بالقرون الجاموسية^(١١). ويفصل النصل عن رناسة الخنجر وقائمه الواقية وهي حديدية المقبض المعترضة على قم الغمد؛ لوقاية يد المحارب من الإصابات وطعنات الخصم.

وقد أوليت مقابض الخناجر عناية خاصة، حيث صنعت من مواد ثمينة مثل قرن وحيد القرن، وعاج الفقمة، وعاج الفيل، والذهب والفضة.

أما النصل فهو حديدة الخنجر، ويصنع في الغالب من الفولاذ أو البرونز، وتتميز الخناجر الجيدة الأصيلية باحتواء نصلونها على ما يعرف بالآثر أو الجوهر الفاخر^(١٢) وهو مصطلح استخدم لبيان ظاهرة الخطوط المتداخلة المتباينة الأشكال والأوضاع على صفحات النصول، فهي خطوط ناعمة متداخلة على شكل النسيج المشكى، أو على شكل تقسيم خطوط النصل إلى مسافات قصيرة متساوية، أو شكل عقد متتالية متقاربة متلاصقة، وأحيانا تكون على شكل خطوط عريضة تشكل بقعا مستديرة أو مستطيلة، أو خطوط متعرجة أو متوازية.

ويرجع هذا الاختلاف إلى التغير في نسب لنشوايب التداخلة في الخليط الفولاذي للنصل، والتي تدرس كميته بنقه كالكربون والنيكلسيوم والسيشسيوم والكبريت والفسفور وبعض المواد العضوية، أو إلى اختلاف في الطرق الحرارية من إسقاء وإحماء وتبطين وتحكم في درجات حرارة كل منها^(١٣) ويختلف الجوهر تمتاز صفحات النصول بأشتمالها على: (١) شطوب أو قنات تحفر في متونها وفانديتها أن تجعل الخنجر أكثر ليونة (٢) حد الخنجر أو حرفه، وهو جزء النصل القاطع، وما بين حد الخنجر الجزء البارز في وسط نصله شفرتا الخنجر أو حرفاه المرتفعان، ثم المضرب وهو حد الخنجر أو الموضع الذي يطعن به (٣) السنك وهو طرف نصل الخنجر.

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال مكونات الخنجر في جزئين رئيسيين هما: المقبض والنصل، ولكل منهما عناصر مهمة لا يكاد خنجر يخلو من معظمها، وبذلك فإن الخنجر أشبه في تكوينه بالسيف، فهو صورة مصغرة له.

أغصان الخناجر :

يكون للخنجر في العادة قراب أو أجفان أو أغصان Scabards تحفظ فيها، يطبق عليها ابن حيان الغلائف^(١٤) وهي عبارة عن جراب من الخشب، في الغالب، مغطى بالحرير أو القطيفة أو الجلد أو المعدن، ويعرف الجزء الذي يلبس منها في قائم الخنجر باسم المسفن، وهي جلده مصنوعة بشكل جيد، زويتا بعض المصادر بأوصاف تتم عن نوعها مثل: غمد سفن^(١٥) وسفن حوت بنصل^(١٦) وفي نهاية أغصان الخناجر من أسفل: جلدة مفرغة مزينة تنتهي عادة بحديدة

ملبسه فيها يطلق عليها النعل^(١٧) ويبطن القدم من الداخل أحيانا بجلود تعرف بالحئل، ويرصع من الخارج بحلي مستديرة على شكل حلقات أو شرائيب من المواد النسجية، كالقطن أو الكتان أو الحرير، التي كانت تستخدم في تزيين الأسلحة وأدوات الخيل^(١٨).

الخناجر الأندلسية:

وإذا كان المؤرخون قد أشادوا بمهارة الأندلسيين في صناعة كل أدوات الحرب، كما سبق الإشارة، حتى قيل عنهم بأنهم تركبون في معاتاه الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها^(١٩) كما أسهبوا في وصف أنواعها وأشكالها، فيما عدا الخناجر، فمن الطبيعي أن يكون لأهل الأندلس نفس المهارة في مجال صناعة وزخرفة الخناجر التي تنوعت تنوعاً كبيراً، وأوليت مقابضها ونصولها وأغمارها عناية شديدة، ويبرهن على ذلك مصدران: الأول تاريخي والثاني مادي، أما التاريخي فهو وصف وحيد نادر، للمؤرخ القرطبي ابن حيان لمحتويات الهدية التي بعث بها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى عامله على المغرب أبي موسى بن العافية وكان من بينها أربعة خناجر، وذلك بقوله (وكان في هذه الهدية من غرائب السلاح أربعة بنود بند رابع أحمر مكتوب بالفضة في جوانبه الثلاث كتاب عريض وفيها سيقان وهلالان مذهبان مذوقان وأربعة قرون للضرب (أي خناجر) جاموسية مجرعه الاطراف الضيقة غلافها ديباج وعلفها أديم أحمر ولكل واحد منهما أربع حنقات فضة للعلاق حية، أحدهما فضة مذهبة ملوزة بلوز أبيض بصنفتين مذهبتين مشمع الطرف الاضيق فيه أربع حلق فضة وحليه الثاني فضة بصور وحليه الثالث فضة منقشة مشعمة وحنية الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة)^(٢٠).

ويؤكد المقرئ أيضاً على: أن تلك الخناجر كانت مما يهادى بها من قبل كبار رجال الدولة للخليفة، كتعبير عن ولائهم وطاعتهم، حيث أشار إلى ان الحاحب أبا جعفر المصحفى بعث منها إلى الخليفة الحكم المستنصر خمسة وعشرين قرناً مذهبة من قروون الجاموس^(٢١).

ويعتبر عصر الموحدين العصر الذهبي لصناعة الخناجر الحربية، حيث أشار البيهقي إلى أنها كانت من الأسلحة التي استعملها الجيش في عصر الموحدين^(٢٢)، وإذا كنا نأسف على اختفاء كل هذه الخناجر، والتي وردت بعض الإشارات عنها في المصادر التاريخية، ولم يصل إلينا منها أي أثر مادي، فإن ما نقله ابن حيان عنها هو أصدق صورة وضعت عنها، فبفضل هذا الوصف الدقيق نستطيع أن نتصور ما كانت عليه - صناعة الخناجر الأندلسية وزخارفها من روعه وجمال، منذ عصر الدولة الأموية، لاسيما وأن هذا الوصف لمؤرخ معاصر، ولذلك فقد جاء شاملاً دقيقاً، يسهل من خلاله التعرف على بعض الأنماط الزخرفية للخناجر ووسائل تنفيذها. فالوصف يكاد ينطق بكل التفاصيل الزخرفية التي كانت تكسو مكونات تلك الخناجر، حيث يذكر أن أطرافها (أي الموضع الذي يطعن به) كانت محزوزة بحزوز بارزة مجزعة، وأن أغمارها أو أغلافها كانت مكسوة بأجود أنواع الديباج والحرير، ومحلاة بدلايات على شكل حلقات مصنوعة من مواد ثمينة من الفضة الخالصة والفضة المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة، والمنقوشة بالتوريفات النباتية وصور الكائنات الحية.

كما نستنتج، من الوصف نفسه، أن الصناع الذين اهتموا أجزاء تلك الخناجر قد صنعوا لها علاقات من الغضة؛ لتحمل منها عن طريق أشراطه من قماش الحرير القرمزي. ويخالف ما ذكره ابن حيان والمقرئ عن الخناجر، في عصر الدولة الأموية، تصمت المصادر العربية عن ذكر شيء آخر يتعلق بها، سواء في عصر الدولة الأموية أو ما تلاه من عصور، ويزيد الأمر غموضاً أننا لا نجد رسوماً لها في المخطوطات والرسوم الجدارية، أو على الفنون التطبيقية الأندلسية، ولكن النماذج التي وصلت إلينا منها، برغم قلتها، تكفي لإعطاء صورة واضحة لما كانت عليه مكونات وأشكال الخناجر، سواء في عصر الدولة الأموية، أو ما تلاه من عصور.

والنماذج التي وصلت إلينا من الخناجر الأندلسية يبلغ عددها ستة خناجر، كلها محفوظة في متاحف إسبانيا التي قمت بزيارتها، وفي تتبعي لتلك المجموعة ودراستي الشخصية لها في أماكن حفظها؛ لاحظت أنها تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، تبدأ بعصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر.

أولاً نماذج الخناجر المؤرخة بالفرة من عصر الخلافة وحتى نهاية عصر المرابطين

لم يصل إلينا من خناجر هذه الفترة سوى نمونتين.

(١) النموذج الأول (لوحة ١)

عبارة عن خنجر نصله مصنوع من البرونز عثر عليه بمدينة ألبيرة، محفوظ في المتحف الأثري بقرطاجنة تحت رقم ٨٢٧، ومؤرخ بأواخر القرن ١٠هـ / ١٠م وبداية القرن ١١هـ / ١١م، ولهذا الخنجر مقبض طوله ١٠ سم يتكون من واقية قوامها قطعة من البرونز مستطيلة المقطع مسطحة الجوانب، يتصل بها رأسياً عن طريق اللحام قضيب (رئاسة الخنجر أو قائمة) ملفوف إسطوانى المقطع، ويتوسط بدن هذا القضيب، أو القائم، اتبعاج مخروطي يمثل محورا مركزيا لموضع قبضة اليد (مقبض كف الضارب) وينتهي هذا القائم، أو القضيب، بقبضة تتميز ببساطة تشكيلها الفني، فهي تتكون من لوح برونزي مصبوب، جوانبه ملفوفة بحيث تشكل مخروطاً مقطوعاً.

وتخلو جميع أجزاء هذا المقبض من أى زخارف، باستثناء القضيب الذى يصل بين القبضة والواقية، فقد ازدان بدنه بزخارف هندسية بسيطة، عبارة عن لفائف دائرية منفذة بأسلوب الحز، الذى يعد أقدم طرق زخرفة المعادن الأندلسية وأكثرها انتشاراً في الفترة المنسوبة إليها بقايا هذا الخنجر^(٧٣).

(٢) النموذج الثانى (لوحة ٢)

خنجر عثر عليه بمدينة قرطاجنة وحفظ في متحفها الأثري، تحت رقم ٨٢٨، طول نصله ٢٥ سم، وطول مقبضه ١٢ سم، ويبلغ طول هذا الخنجر بما في ذلك مقبضه، ٣٧ سم ويتألف من نصـل ومقبض، والنصل مستقيم طوله ٢٥ سم مصنوع من الفولاذ، له شـفـرتان، وينتهى بطرف مدبب (سبك) مستقيم البدن.

أما المقبض فمصنوع من البرونز، ويتصل في قالب واحد بالنصل، عن طريق واقيته المحزوزة بلفائف دائرية متراكبة ملساء، مركب عليها قبضته المشكّلة في هيئة كالان حتى أشبه ببطنين رؤوسهما مستديرة، وأبدانهما التي تمثل مقبض كف الضارب (موضع قبضته اليد) مضغوطة في شكل كروي منبعج الجوانب، والتي تسمى (قله) ويختل مقبض ونصل هذا الخنجر من أية زخارف، مما يشير إلى أنه كان من نوع الخناجر الحربية التي شاع استخدامها في عصر الموحدين، كما سبق الإشارة.

ويؤرخ المتحف هذا النموذج بالقرن ٥-٦/١١-١٢م، أي أواخر عصر الطوائف وبداية العصر المغربي الأندلسي (عصر دولتي المرابطين والموحدين).
ثانياً نماذج الخناجر المؤرخة في الفترة من عصر الموحدين وبداية عصر بني نصر :

ما وصل إلينا من خناجر هذه الفترة نموذج (لوحة ٣).
وقد عثر عليه بمدينة إشبيلية، ومحفوظ حالياً في المتحف الوطني بمدريد، تحت رقم ٨٤/٤٦٠، ويؤرخه المتحف بالقرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، أي أنه يرجع إلى نهاية عصر الموحدين، وبداية عصر بني نصر.

ويتمسم الخنجر بجلال الشكل وجمال النسب، ويعبر عن مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية، حيث دحلت عليه بعض التعديلات التي أفقدته بساطة الخناجر السابقة عليه - ويلاحظ هذا التطور في شكل النصل والمقبض بأجزائه المختلفة .
فبالنسبة للنصل نلاحظ أنه طويل ومستقيم، ينتهي بسنك عبارة عن طرف شديد التدبيب، ويتحول قبل هذا الطرف إلى نصل ذي حدين عليه شطبة واحدة كما يلاحظ أيضاً بأن هذا النصل يتضخم إلى حد ما في أعلاه، لاسيما عند ما يُعرف بسفن الخنجر الذي يدخل في القانم. ثم يميل متن الخنجر وجانباه (حصيرته) إلى التحافة وحتى حدية، ليتحول عند طرفه المدبب (السنبك) إلى ما يشبه رأس الإبرة، وهذه الخصائص تجعل هذا الخنجر سلاحاً جيداً للقطع والطعن معاً.

أما المقبض فبرغم أن الصانع قد شكله مع النصل في قالب واحد، على غرار النماذج السابقة إلا أن الجديد الذي نلاحظه هنا هو التطور الذي طرأ على حجم المقبض ككل، إذ زاد طوله زيادة ملحوظة، مع العناية بتجزئة عناصره، فالواقية صبت مع نهاية النصل، وتشكّلت من بدن أسطوانى يتصل به في قطعة واحدة رقبة ناقوسية، بحيث اتخذت الواقية في مجموعها شكل زهرية، ويلي الواقية موضع قبضة اليد (مقبض كف اليد) التي تتجه رأسياً بحيث تصل بين الواقية والقبعة، وقد عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض على نحو رائع، ففي كل من طرفيه بدن كروي مركب فيه رقبة ناقوسية، بحيث يتخذ كل منهما شكل قلة، إحداهما مقنونة والأخرى معدولة يصل بينهما إطار رقيق يتألف من قرصين دائريين، بينهما قرص أوسط مسنم، بحيث تظهر في مجموعها على شكل حبات المسبحة التي تزين محاور رؤوس التيجان.

أما عن قبعة هذا الخنجر، التي تعد من العناصر الهامة في تكوين مقابض الخناجر، فقد اهتم بها الفنان الأندلسيون، وحرصوا على تنويع أشكالها، إذ ما لبثت أن تطورت هنا واتخذت طابعاً أو طرازاً له ذاتيته، منذ القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، إلى أن بلغ غاية التطور في

عصر بني نصر، فمما يلفت النظر في طراز هذه القبعة أنها تشكلت من قطعة مستطيلة أرضيتها مجوفة وجوانبها القصيرة مقصوفة في شكل آذان ريع دائرية نوات أطراف مدببة.

ويطلق على هذا الطراز من الخناجر نوات القبعات المشكلة على هذا النحو في المصطلح الإسباني: اسم (punales de orejas) بمعنى الخناجر نوات الآذان^(٧٦).

وهذا الطراز من الخناجر سوف يتابع انتشاره فيما بعد عصر الموحدين في الأندلس، ومنذ بداية عصر بني نصر إلى نهاية هذا العصر وبداية القرن ١٠-١١هـ/١٥-١٦م، ولكن بشكل أكثر تطوراً، بحيث يمثل آخر مراحل التطور التي مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية ذات الآذان التي بدأ يظهر الطابع الزخرفي في تشكيل مقابضها وتقسيم أبدانها بدقة بالغة، ثم اتجهت في تطورها نحو مزيد من الزخرفة بحيث غلبت فكرة الحنية على فكرة التبسيط، وهذا ما سوف نلمسه في بقية الأمثلة الإسلامية والمسيحية التي صنعت على غرارها، حيث تحول شكل آذان القبعات إلى قرصين أسطوانيين منفرجين متقاربين من أسفل ومتباعدين من أعلى^(٧٧).

وقد أكدت المدونات المسيحية على أن الخناجر التي صنعت على هذا الطراز، خلال هذه الفترة الطويلة في الأندلس، تدرج في ثلاث مجموعات أولها وأقدمها يرجع إلى عصر بني نصر، أما المجموعة الثانية والثالثة فقد اتفقت الآراء على أنها صنعت في العصر المسيحي، ولكنها اختلفت بشأن مكان صنعها في إسبانيا المسيحية، أم في مدينة فينسيا الإيطالية (لوحة ٨-٩-١٠)^(٧٨).

ثالثاً نماذج الخناجر الأندلسية الموزعة منذ بداية عصر بني نصر وحتى نهايته:

تضم هذه المجموعة ثلاثة خناجر (لوحة ٤، ٥، ٦، ٧) كانت قد غنمتها الجيوش المسيحية من السلطان أبي عبد الله في موقعه التيمس، واثنان من تلك الخناجر كانت بحوزة الكونتيسة باجيا Condesa de Behague أحدهما كان محفوظاً في أكاديمية السلاح الملكي بمدريد، ثم نقل إلى متحف المتروبوليتان في نيويورك، والثاني محفوظ في متحف بانسية دي دون خوان.. أما الثالث فمحفوظ حالياً بالقصر الملكي في مدريد.

الخنجران الأول والثاني من تلك المجموعة :

تضم هذه المجموعة خنجرين متشابهين إلى حد التطابق (لوحة ٤، ٥) فكلاهما مصنوع من الفولاذ المذهب؛ انذى اصطُح على تسميته، في المصادر العربية الأندلسية، بإسم طلاء الذهب الإبريز أو المذهب^(٧٩). وفيه يتم تذهيب السطح المعدني بعد عملية التشكيل مباشرة. وقبل نقش الزخارف عليه، ومن شأن هذا الأسلوب أن يحدث تناوباً لونياً بين اللون الذهبي لسطح التحفه وبين الزخارف المحفورة على المعدن الأصلي، فضلاً عن إكسابها لونا براقاً وحماية التحفه من الصدأ وينفذ هذا الأسلوب بطرق ثلاثة هي:

(١) عمل رقائيق من معدن الذهب تثبت على المعدن الأصلي، إما بالطرق أو النصب بمادة لاصقه مثل الصمغ أو الغراء.

(٢) طريقة التذهيب بواسطة النار أو الحرق.

(٣) طريقة التذهيب بدعك أوحك السطح المعدني للتحفة بنوع من الأحجار يعرف بحجر الشاينه أو حجر الطلق^(٧٨) اشتهرت به مدينة قرطبة كما سبق الإشارة بحيث يكسب التحفة لونا ذهبيا طبيعيا^(٧٩).

أجزاء الخنجريين

يتكون كل منهما من نصل قصير ومتن ضيق، وهما من النوع المستقيم ذي الحدين، ويتميز صفحتا النصل باشتراكهما على شطبة واحدة ممتدة بطول النصل، وتبرز عن أرضيته في إنحناء مقعر. بحيث تكون ما يعرف بالعير، أي الجزء الناشئ في وسط نصل الخنجر أو السيف وعيريه، أي حرفاه المرتفعان، وقد ترتب على ذلك أن ظهر النصل كما لو كان هيكلا مكونا من أوتار أو ضلوع بارزة، تقوم على أرضيته المسطحة في أعلاها والمستدقة أدناها، على نحو يذكر ببعض أنصال سيوف عصر بني نصر ذات الشطبة الواحدة^(٨٠).

وينتهي النصل بكل من الخنجريين بمسبك عبارة عن طرف مذهب شديد التحدب، أما المقبض فواقيته ملبسه في أعلى النصل؛ عند الجزء الذي يعرف بالسيلان الذي يدخل في القائم والنصل، وقد شكلت من إطار مجوف مضع السطح في تموج نصف دائري يتوسطه حلية دقيقة تمتد في أعلاه وأسفله، بحيث تبدو في شكل ذراع ينتهي بكف، ومثل هذه الحلية شاع ظهورها على بعض واجهات العمار في عصر بني نصر^(٨١) وهي بمثابة توائم أو تعاويذ أو شارات سحرية لها دلالات رمزية، ربما كان الغرض منها تحصين الخنجر من الحسد والسوء أو الضياع، ولكي تؤدي عملها في يد صاحبها على خير وجه، وقد ظهرت مثل هذه الشارات أو التوائم في الأندلس منذ عصر دولة المرابطين والموحدين^(٨٢).

ولهذه الواقية قرص أسطوانى مجوف مصبوب مع موضع قبضة اليد، بحيث يدور مع حركة معظم اليد أثناء الطعن، ويتألف مقبض كف الضارب من ألواح معدنية، عبارة عن لوحين رأسيين يجمعهما لوح أوسط يملأ الفراغ الواقع بينهما. بحيث تظهر الألواح الثلاثة كقطعة واحدة مثبتة بواسطة مسامير صغيرة بالغة الدقة يطلق عليها (القنير) أي رؤوس المسامير التي في قبضه الخنجر. ومن الواضح أن تلك المسامير، المستخدمة كوسيلة تثبيت وتقوية، قد أضيفت إلى بدن المقبض بعد عملية تجميعه وصبه.

ويتوج قمة كل طرف من أطراف اللوحين الرأسيين، في كلا النموذجين، قرص دائري أرضيته مقعرة قليلا، بحيث يظهران معا في شكل أذنان يرتفعان بشكل ملحوظ عن ساق قبضه اليد، يتقاربان من أدنى ويتباعدان من أعلى في إنفراج واضح، بحيث يمثلان قبضة الخنجر، ويعبران عن طرفي الخناجر ذات الأذان *punales de orejas*. أما عن زخارف هذين الخنجريين، فقد تركزت في أجزاء المقبض دون النصل، حيث تظهر في اللوح الأوسط من موضع قبضه اليد، وعلى جوانب الواقية وفي الأوجة الداخلية لأذان القبضة، وكلها منفذة بأسلوب الحفر الغائر على أرضيه مطروقة^(٨٣) برقائق من الذهب تم صهرها على السطح الفولاذي عن طريق التسخين إذ تظهر آثار هذه الطريقة الفنية في الأجزاء البالية من المقبض.

وتتكون للزخارف من توريقات نباتية قوامها أزهار خماسية البتلات، محصورة داخل سيقان ملفوفة، فضلا عن تصاميم هندسية تبدو في شكل صلبان محزوزو، وأخرى في شكل

حرف T ، ويتخلل كل هذه الزخارف الموزعة في الأوجة الداخلية لأذان القبيعة وموضع قبضه اليد وفي الإطار المصنع للواقية - شعار بنى نصر الكتابى (لا غالب إلا الله تعالى) وتتميز كل هذه الزخارف بشدة تقصيرها وتداخل خطوطها، بحيث يصعب على غير المدقق تمييز أبعادها الحقيقية خاصة وقد تداخل معها أسنوب التذهيب الذى جعل من المتعذر أحيانا تمييز العنصر المحفور من المذهب، وتلك سمة من سمات زخارف المعادن في عصر بنى نصر..

الخنجر الثالث من المجموعة:

أما عن الخنجر الثالث من مجموعة الخناجر النصرية ذوات الأذان، فهو أروع الخناجر الأندلسية التى وصلت إلينا، وأفضلها احتفاظاً بمظهرها الأصلي، إذ كان بحوزة حاكم مدينة قرطبة دون ديوجو فرنانديث Don de go FernAnmdez الذى غنمه فى موقعه اللبسانه، عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، من جيش السلطان أبى عبدالله، ثم أهده إلى القديس Viana ، ومنه انتقل إلى قاعه السلاح فى متحف القصر الملكى بمadrid، حيث حفظ فى المتحف المذكور تحت رقم G ٢٦١ (لوحة ٦).

ويبلغ طول هذا الخنجر، بما فى ذلك مقبضه، ٣٥ سم ولا يزال هذا الخنجر محتفظاً بجرايه أو غمده الذى يبلغ طوله ٢٥.١ سم (لوحة ٦) ورغم وجود أوجه شبه وثيقة بين هذا الخنجر والخنجرين السابقين، سواء من حيث نوع المعين المصنوع منه وهو الفولاذ المذهب، أو من حيث تكوينه العام، إلا أنه قد تميز **عنهما بعدة خصائص فنية** تمثل أقصى ما وصلت إليه صناعة الخناجر، فى عصر بنى نصر، من تطور وبردته هذا التطور وضوحاً فى شكل المقبض المصنوع من الفولاذ المكسو بتحشيب اعطعم بالعاج، وقد تم تثبيت الخشب على الفولاذ بواسطة مصامير من البرونز، بطريقة التجميع أو التركيب^(١).

وتختلف مكونات هذا المقبض جوهرياً عن النماذجين السابقين، ليس فقط من حيث تعدد مادة صناعته، ولكن أيضاً من حيث أسلوب التشكيل؛ ورغم احتفاظ قمته أو قبيعته بشكل الأذنين، فقد رتب أجزاءه بحيث تمتد امتداداً رأسياً، روعى فيه عنصر المتانة والجمال من ناحية، والتقليل من مكونات كل جزء من أجزاء المقبض، من ناحية أخرى.

فالواقية تتكون من قطعة واحدة فى شكل مخروط هرمى قاعدته أسطوانية، وبدنه مسحوب فى اتحاء مقعر نحو الداخل، بحيث تتخذ الواقية فى مجموعها شكلاً يقرىها من شكل الكأس أو الناقوس.

وينتصف قمه القاعدة الأسطوانية للواقية موضع قبضة اليد، التى تشبه إلى حد كبير نظائرها فى النماذجين السابقين، وإن تميزت عنهما بشدة استطالتها وبدنها الانسيابية المشقوقة مضلع الجوانب مسطح الأوجه، مع ملاحظة شدة تفلطحه عند منتصفه، وهو ما يمثل تطوراً فى شكل ساق موضع قبضة اليد، التى يشبه طرفها العلوى عنق المزهريات الفخارية الخزفية التى ترجع إلى عصر بنى نصر.

أما عن قبيعة هذا المقبض، فبرغم أنها تحاكي من حيث الشكل نظائرها السابقة، إلا أن الأذنين قد انتصبا فى وضع رأسى منتظم، بتوسطه فراغ ضيق، بحيث يتخذان صورة جديدة تختلف عن صورتها المنفرجة فى أذان النماذجين السابقين. ومن شأن هذا التكوين أن يتيح

عنصر المتانة والثبات، وهو اتجاه التزم به الصانع في تشكيل كل أجزاء المقبض المصنوع لأول مرة بطريقة التجميع من العاج والفولاذ والخشب.

زخارف المقبض : لوحة (٧)

أما عن زخارف هذا المقبض فقد تطورت، فبعد أن كانت في الأمثلة السابقة بسيطة أخذت هنا تتعقد وتمتلئ بها جميع أجزائه، فهي ذات طابع ملكي تستجيب إستجابة واضحة لما كانت عليه زخارف عصر بني نصر، التي تميزت بتعدد عناصرها وتداخلها فيما بينها، سعياً لشغل الفراغات العارية، فبرغم أن الزخارف النباتية تحتل مكان الصدارة في زخرفة أجزاء هذا المقبض، إلا أنها تنوعت فيما بينها، حيث عمد الفنان إلى تقسيم مسطحات أوجه المقبض إلى أشمطة أو حشوات، زينها بتشكيلات زخرفية متنوعة، على نحو يثير الإعجاب، بكل جزء من أجزاء المقبض.

زخارف الواقية : (لوحة ٧)

إزدان وجهها بنها المقر بزخارف نباتية محورة، قوامها زهرتان متراكبتان في تدابير أشبه بزهرتي لوتس تثبتان من برعم دائري، ويبدو الطابع التجريدي واضحاً في شكل البتلات التي تحولت في الزهرة السفلى إلى بتلات رمحية مدببة. ويظهر في الفراغ الذي يعلو البرعم الدائري رؤوس المسامير البرونزية، المستخدمة في تثبيت الخشب على البدن الفولاذي للمقبض.

أما عن الوجه السفلى للقرص الإسطواني الذي يعلو الواقية، فيزدان بسبقان نباتية مزدوجة، تنتهي برؤوس مدببة وخطافية، تمتد في خطوط منكسرة ومتموجة، بحيث تثبت مدى البراعة الفالقة في الاستعانة بالساق كعنصر أساسي في الزخرفة (النباتية)، دون أن ينبثق منها أية توريقات أو أزهار نباتية.

زخارف موضع قبضه اليد (لوحة ٧)

أما الجزء الثاني من المقبض، وهو موضع قبضه اليد، فتعتمد زخارفه على حشوات متنوعة موزعة حتى نهايته، وتضم تلك الحشوات وحدات من عناصر نباتية قوامها توريقات تنبثق من فروع متموجة، وثمار وأزهار تملأ ما يتخلف من فراغات، ومن هذه التشكيلات النباتية تبرز الساق المحورية الممثلة لشجرة الحياة، ومنها تخرج فروع ملتفة متداخلة، راعى الفنان فيها تطبيق التماثل في توزيعها، مما جعلها تبدو كما لو كانت متكررة، وهي في حقيقتها متباينة حيث عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض إلى قطاعين متباينين: العلوي إزدان بأزهار لوتس ثلاثية الشحومات، تدل في رسمها على التطور الذي طرأ عليها في عصر بني نصر^(٨٥) ومن أبرز ملامح هذا التطور، الذي يبعدها عن أصولها المصرية القديمة استطالة الشحمة الثالثة العلوية وتحويلها أحياناً إلى شحمة رمحية محدبة الرأس، بالغ الفنان في شدة التفافها، واتسمت حركاتها بالرشاقة، بحيث تعانقت أحياناً رؤوس زهرتين معاً، على نحو يذكر بمثيلاتها في زخارف المنسوجات النصرية، والحشوات الجصية بقصور الحمراء.

وتثبت تلك الأزهار من ساق نباتية ملفوفة، تخرج من ساق محورية تذكر بشجرة الحياة، تتوزع على جانبيها أزهار اللوتس متقابلة، تطبيقاً لنظرية التناسق والتماثل التي التزم بها الفنان المسلم في رسم شجرة الحياة المنقولة عن الفن الساساني والروماني والبيزنطي^(٨٦).

أما القطاع السفلى من المقبض، فمقسم إلى ست حشوات، ثلاثة بكل وجه، تزدان الحشواتان الجانبيتان بزخارف نباتية قوامها أنصاف مراوح نخيلية، تتألف من فصين يمتد أحدهما في استطالة واضحة عن الآخر، يتوسطها برعم مركزي يظهر أحيانا، ويختفى أحيانا أخرى، وينبت الفصان من ساق نحيفة متموجة، تتصل ببراعم دقيقة، وتمثل هذه الصورة أقصى ما بلقته أنصاف المراوح النخيلية في الفنون النصرية من تطور، حيث صغرت أحجامها واشتدت خصوصها نحافة بحيث تثير بشكلها الذي أصبحت عليه وكأنها سنابل قمح، أو أجنحة طيور صغيرة تثير إعجاب الناظر المتأمل في تكوينها.

أما عن الحشوة الوسطى من هذا القطاع، فبتوجيها محارة نباتية مفصصة تتخذ شكل مروحة رشيقا أسطوانيا تقريبا على نحو تدريجي، ينتج من تدرجها شكل يشبه شعاع الشمس، وتقوم هذه المحارة على إطار من عناصر هندسية توالف في مجموعها خطوط معقوفة، منها ما نفذ على شكل حرفي L أو حرف S أو رقم ٨ .

زخارف القبعة (لوجة ٧)

تعتمد أيضا في زخارفها على العناصر النباتية كموضوع رئيسي، وتتألف هذه العناصر من أوراق غيب خماسية البتلات^(٨٧) تثبت من سيقان مستقيمة منقوفة تشبه تعاريف الغيب هذا بالإضافة إلى أشكال من أوراق الاكنثس التي تنوعت أشكالها واتخذت صورتين: الأولى تميزت بانثانتها، بحيث أصبحت تشبه المراوح النخيلية، والثانية تألفت من ثلاث شحومات^(٨٨). وقد تم توزيع الموضوع النباتي في تماثل، على جانبي القبعة، بحيث يلتقي الجانبان من أعلى عند ثمرة أناناس، ويتوسط الموضوع النباتي تشكيل هندسي قوامه دائرة تحصر بداخلها خطوطا مجدولة، وتنتهي الدائرة من أعلى بخطوط مزدوجة معقوفة انطرف، تحصر بداخلها ثمرة الأناناس سالفة الذكر .

النصل :

نصل هذا الخنجر مصنوع من الفولاذ المذهب، يبلغ طوله ١٩ سم، وهو نصل عريض مستقيم يتميز باستطالته وانتهائه برأس مقلطه تشبه قلم البوص، حين يقطع رأسه غرضا في برية، بحيث يتحول قبيل نهايته إلى نصل ذي حدين. ويعد هذا النصل فريدا من نوعه بين أنصال الخناجر الأتليسية التي وصلت إلينا حيث طرأ تطور واضح في شكله وزخرفته، وإمتاز بجماله ودقة تنفيذ عناصره، مع إبرازها في صورة جديدة تختلف عن نظائرها السابقة، وقد تمثل ذلك فيما يلي :

(١) إشمع النصل على شطبتين: واحدة عريضة على شكل قناة عميقة شديدة الانحدار تمتد من أعلى النصل حتى بداية الثلث الأخير منه والشطبة الثانية عريضة عميقة ولكنها قصيرة، تمتد في ميلان النصل، أي سطحه الذي يدخل في الواقية، لمسافة لا تتجاوز ٣ سم، وقد نتج عن ذلك وجود خطوط ربعة مذهب ومفصصة، كونت ضلوعاً أو أوتاراً متقاربة تبرز بروزاً طفيفاً، عكس نظائرها في النموذجين السابقين.

(٢) تحمل صفحتا النصل خطوطاً دقيقة متداخلة متباينة في تموجات هندسية، بحيث ترسم شكلاً أشبه بعقود مفصصة، تحصر بينها بقعا مختلفة الأشكال والأوضاع، ألوانها رمادية تميل إلى اللون الأبيض الفاتح، تؤلف في مجموعها جوهر النصل الذي تشكل من خطوط ناعمة على شكل النسيج، على نحو يذكر بشكل الجوهر المشقى الذي شاع ظهوره على اتصال السيوف الإسلامية^(٨١).

زخارف النصل :

الجديد الذي نلاحظه هنا: أن الفنان على غير المألوف في أمثله الخناجر الأندلسية، إهتم بزخرفة نصل هذا الخنجر، بحيث يكاد يكون الوحيد، بين الأنصال الأندلسية، الذي يتميز بأن صحنه منقوشة بزخارف تجمع بين الانسجام والتنوع، ما بين عناصر نباتية وهندسية وكتابية، حيث حفر على سطحه الفولاذي المذهب أزهار لوتس محصورة داخل أشرطة دقيقة، يعلوها ويدنوها نص كتابي بخط الثلث الأندلسي^(٨٢) يصعب قرأته ونطالع في هذا النص الذي يملأ صفحتي النصل عبارات مديح وإطراء متكررة، نصها (السلامة - العز القائم - السعد القائم - العز القائم - السعد الدائم - السلامة) مع توقيع صانعه ويدعى (رضوان).

وبالتدقيق في حروف هذا النص نلاحظ أنها تتسم بقصرها وامتدادها في زوايا حادة يابس، على نحو يقربها من حروف الخط الكوفي البسيط، بحيث تحاكي على هذا النحو نظائرها على سيف أندلسي، محفوظ في المتحف الحربي بمadrid، ينسب إلى السلطان أبي عبد الله^(٨٣).

الجراب (الجفن - القمد - القراب)

لهذا الخنجر جراب طوله ٢٥.١ سم، مصنوع من الخشب المصفتح بأسلاك من البرونز ومغطى بالجلد، وقد عمد الصانع إلى تقوية الجراب وتحليته بقطعتين: الأولى من أعلاه عند الجزء الذي يلبس منه في قام الخنجر، المعروف باسم السفن، برقبة عبارة عن إطار مجوف يتخذ شكلاً مخروطياً منتظماً بدنه، مصنوع من الخشب المبطن من الداخل بالجلد، فيما يعرف باسم الحلل والمصفتح من الخارج بالفولاذ المكفت بالفضة، زخارفه عبارة عن حلقات دائرية موزعة بالتناوب على مسافات منتظمة، واحدة تضم شعار بني نصر الكتابي (لا غالب إلا الله) والأخرى تملؤها زهرة زنبق.

أما القطعة الثانية فملبسه في نهاية الجراب من أسفل، وهي عبارة عن جلدة مفرغة تعرف بالعزيقة، تأخذ نفس شكل نهاية النصل، مصفحة بالفولاذ ومكفتة بالفضة، في شكل فصوص متراكبة تشبه حبات اللؤلؤ، ويشغل ما بين الفصوص ويتصل بها أسلال مجدولة من البرونز المذهب تحصر بينها زخارف نباتية وهندسية، يغلب عليها الطابع التجريدي، تدور في جميع الاتجاهات، بحيث لا تترك فراغاً دون أن تملأه، ويتعزز على غير المدقق تمييز شكلها الحقيقي.

ويستلظف النظر، في زخارف هذا الجزء من الجراب، وجود سنكه ملفوفة من البرونز في شكل دبلة، بداخلها صورة كانن حي ذات طابع تجريدي أشبه بشكل النسر .

أما عن بدن الجراب المرلي، المحصور ما بين رقبة وعزيقته والمصنوع من الخشب المكسو بالجلد، فقد ازدان بتوريفات نباتية محورة، قوامها أزهار زنبق وأنصاف مراوح نخيلية

مترابكة، في أوضاع متقابلة ومتدايرة، موزعة داخل أشرطة رأسية عريضة تتناوب مع أخرى ضيقة، زخارفها هندسية، قوامها أشرطة مجدولة.

ولهذا الجراب علاقة من حبل مفتول من خيوط الكتان^(١٢) يتدلى منه شرابة من خيوط الحرير^(١٣) تشبه نوايه الطربوش، ويبدو الشكل العام لهذه العلاقة على نحو يقربها من شكل الفرشة في الستائر الحديثة.

بعض مستلزمات الخناجر الأندلسية (لوحة ١١-١٢)

إذا كان الخنجر يعد أحيانا للقتال، فهناك عدة أنواع أخرى من الخناجر استخدمت ولا زالت تستخدم، لأغراض أخرى غير القتال، منها خناجر الزينة التي كانت من مستلزمات المظهر الخارجي في المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحاً شخصياً، فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حاملها ومكانته، من خلال مقابضها وأغادها المصنوعة من مواد ثمينة.

واستكمالاً للمظهر الخارجي، لمن يحمل هذا النوع من الخناجر، أعدت لها حائل عبارة عن أحزمة تدور حول الوسط أو الأكتاف، يعلق فيها معاليق عبارة عن جعب في شكل حقائب من الجلد المطعم بخيوط الفضة والذهب، إذ كان الخنجر لشخصية كبيرة، وكانت هذه الحقائب تستخدم في أغراض أخرى غير حمل الخنجر، منها حفظ المتعلقات الشخصية بصاحب الخنجر ومنها المصحف والغمد، وتميزت أحزمة تلك الخناجر، أو بالأحرى حقائبها، باشتغالها على إبريمات معدنية غالباً ما تكون من الحديد المذهب.

وفي رأي أحد مؤرخي الفن: أن الصنائع الاندلسيون قد تفتنوا في صناعة مثل هذه الأحزمة ومعاليقها، في نهاية عصر بني نصر، أي منذ أواخر القرن ١٥هـ/١٥م^(١٤). وللأسف أن نماذج هذا النوع من الأحزمة ومعاليقها قد ضاعت نهب الفتن والحروب التي سقطت على أثارها مملكة غرناطة، آخر معاقل دولة الإسلام في الأندلس ولم يبق شاهداً عليها سوى حزام من عصر بني نصر محفوظ في المتحف الحربي بالقصر الملكي بمadrid، وهو مصنوع من الجلد، طوله ١٠٤ سم، تزيينه أسلاك من الفضة موزعة في صفوف أفقية منقوشة متوازية، وعليه كتابة نسخية بخط الثلث الأندلسي في سطر واحد نطالع فيها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب إلا الله تعالى) محصور داخل خراطيش بطاقيه سداسية الشكل، ويملأ الفراغ الواقع بين تلك الأسلاك والشعار الكتابي؛ توريقات نباتية أشبه بزهرة الزنبق، وينتهي طرفاً الحزام بإبريم من البرونز المذهب يتخذ في الطرف الأيسر شكل حلقة بيضية مصنوعة من سلك سميك، مركبة في قطعة معدنية قاعدية ينتصفها الإبريم، وفي الطرف الآخر الأيمن عبارة عن قطعة قاعدية مربعة مسطحة، يدخل فيها الطرف الآخر من الإبريم.

ويسترعى النظر وجود إبريم آخر مصنوع من البرونز المذهب أيضاً، استخدم كنقطة وصل بين أجزاء الشريط الحزامي وكسمة زخرفية إضافية، ومعلق بهذا الحزام جعبه حجمها ١٢.٥ سم × ١١.١ سم، مصنوعة من الجلد ومرصعة بأسلاك من الفضة، تتقاطع وتتشابه فتولف إطارات تبدو من الخارج في هيئة حبيبات مجدولة، ومن الداخل في هيئة خطوط أو صفوف من سلكين متجاورين، وتحصر تلك الإطارات بداخلها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب

(إلا الله)، ونلاحظ في كتابة هذا الشعار مدى التطور في حجم الحروف، فهي تتميز بالمبالغة في كبر حجمها، لتصبح عنصراً زخرفياً بحتاً، فضلاً عن إسباغ بعض القيم الجمالية عليها، عن طريق تزويدها بتوريقات نباتية تنفرع من نهايتها أحياناً، أو تملأ الفراغات الواقعة بينها، ونلمس ذلك على سبيل المثال والتخصيص في حرف (الباء) في كلمة (غالب)، فقد بالغ الخطاط في مداها أفقياً أسفل حروف الكلمة جهة اليمين، وزودها بتوريق نباتي قوامه أنصاف مرواح نخيلية ذات فصين، كما أضفى على حروف الكلمة حيوية وأسبغ عليها جمالا حين وصل بين حرف اللام وحرف الباء بنفس التوريق النباتي.

ومن الملاحظات التي يمكن أن نستخلصها من هذا النقش، أنه موزع على سطرين أحدهما مقلوب يقرأ في عكس اتجاه الآخر، ونص الأول جهة اليمين كلمة (ولا غالب) ونص الثاني (إلا الله تعالى) وعلى ظهر الجعبة صورة أصابع اليد الخمسة، التي شاع ظهورها في معظم واجهات عمائر بني نصر، والتي تمثل، في رأي أحد مؤرخي الفن، كف السيدة فاطمة وكرمز إلى البركة وتحصين تلك الحقيبة وما بداخلها من السوء والضياح^(٤٤) وتعليل وجودها ربما الإشادة بالتحفة التي تزيدها جمالاً وصناعة^(٤٥).

وجميع هذه الزخارف، سواء على الحزام أو جعبته، ظهرت مجسمة ومنقذة بأسلوب الترصيع؛ الذي يعد من أبداع وأمير الوسائل الفنية التي أقبل الصانع، في عصر بني نصر، على الاستعانة بها بقصد الزخرفة.

خاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع نستخلص بعض النتائج أهمها:

(١) أن ازدهار صناعة السلاح، بوجه عام في الأندلس؛ كان ثمرة عوامل كثيرة أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لها، وعناية حكام الأندلس بتلك الصناعة، والتي إتخذت عدة مظاهر منها: تعدد مصادر الحصول على أدوات الحرب، وإقامة دور لصناعتها في مختلف مدن الأندلس .

(٢) أثبتت الدراسة أن الصانع الأندلسي، لاسيما في الفترة النصرية، وضع بصمته على كافة منتجات السلاح الأندلسي، حتى أنه من النظرة الأولى لأي من هذه المنتجات؛ ندرك أصولها الأندلسية لتمييزها عن غيرها.

(٣) في مجال دراسة الخناجر: أكدت الدراسة على أن عصر بنى نصر هو العصر الذهبي لصناعة الخناجر الدفاعية أو الحربية، في حين أصبح في نهاية هذا العصر سلاحاً شخصياً للزينة والإهداء، أكثر من كونه سلاحاً رئيسياً يستخدم في المعارك.

(٤) تمثل الخناجر التي تناولتها بالدراسة، معظم الخناجر الأندلسية التي وصلت إلينا حتى الآن، والبالغ عددها ستة خناجر. معظمها ينشر لأول مرة، ولكنها محفوظة في متاحف إسبانيا، وقد قمت بدراستها عن قرب، في أماكن حفظها بتلك المتاحف.

(٥) كان من نتائج الدراسة التحليلية. والمقارنة بين أمثلة الخناجر الأندلسية، الخروج بأن بعضها يشترك في سمات فنية واحدة تقريبا، وأن بعض الآخر انفرد بسمات فنية لا نجدها في غيرها من الخناجر، لاسيما في عصر بنى نصر؛ الذي كان نقطة تحول في كثير من السمات الفنية المتعلقة بمكونات الخناجر، وأساليب صناعتها وزخارفها.

فهرس اللوحات :

- (١) لوحة (١) : خنجر أندلسى عثر عليه بمدينة ألبيرة، محفوظ فى المتحف الأثرى بغرناطة مؤرخ فى أواخر القرن ١٠هـ / ١٠م وبداية القرن ١١هـ / ١١م (تصوير الباحثة).
- (٢) لوحة (٢) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة غرناطة، ومحموط حاليا فى متحفها الأثرى مؤرخ فى القرن ١١هـ / ١١م - ١٢هـ / ١٢م (تصوير الباحثة)
- (٣) لوحة (٣) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة أشبيلية، ومحموط حاليا فى المتحف الوطنى بمدريد مؤرخ فى القرن ٧هـ - ٨هـ / ١٣م - ١٤م (تصوير الباحثة) ..
- (٤) لوحة (٤) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك - (عن توريس بلباس).
- (٥) لوحة (٥) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد - (عن توريس بلباس).
- (٦) لوحة (٦، ٧) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى القصر الملكى الحبرى فى مدريد - (تصوير الباحثة)
- (٧) لوحة (٨، ٩، ١٠) : نماذج من الخناجر الأندلسية المقلدة فى العصر المسيحى فى إسبانيا وإيطاليا - (عن فرنانديث جونثالث).
- (٨) لوحة (١١، ١٢) مستلزمات حفظ الخنجر الأندلسى وتشتمل على الحزام والحقيبة، محفوظان حاليا فى المتحف الملكى بمدريد - (تصوير الباحثة).

[illegible]

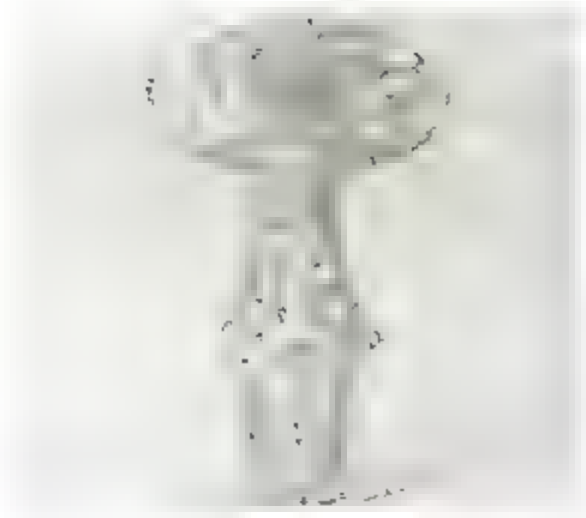
قرن الرابع الهجري - السادس الهجري (١١١١) (تصوير الباحث)



٣٠ - شمشير حديد في عهد محمد علي باشا، متحف المتاحف في القاهرة (تصوير الباحث)
 الهجري - الثامن الهجري (١٣م - ١٤م) (تصوير الباحث)



٣١ - شمشير حديد في عهد محمد علي باشا، متحف المتاحف في القاهرة (تصوير الباحث)
 في نيويورك (عن - توماس بناس)



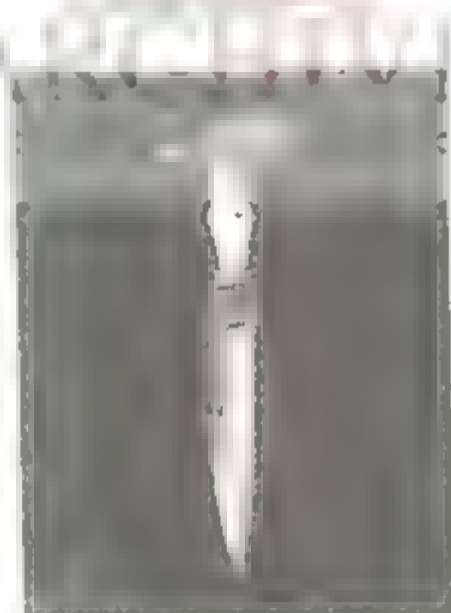
۱۰۱ - تصویر نمونہ نمبر ۱۰۱ - نمونہ نمبر ۱۰۱



۱۰۲ - تصویر نمونہ نمبر ۱۰۲ - نمونہ نمبر ۱۰۲
(عن - فرنیڈیٹ جونٹالٹ)



نوحة (٩) نموذج للخجر - من العصر - في سلف -



نوحة (١٠) نموذج للخجر الانمسي المقلد في العصر - من - في سلف -
(عن - فرنانديز جونسون)



نوحه (١١) مسدسات حفظ بضمير لانسى محفوظه فى متحف القصر المنكى الحربى بمصر
(تصوير الباحث)



نوحه (١٢) صورة توضيحية لحقيبة حفظ احمر
المحفوظة فى متحف القصر المنكى الحربى بمصر
(تصوير الباحث)

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر العربية :

- (١) ابن الخطيب (السان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عان - القاهرة - ١٩٧٧ .
- (٢) ابن الخطيب : (السان الدين أبو عبدالله) كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثاني - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - ليفي بروفسمال الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٦ .
- (٣) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي) : كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج٥، نشرها بدور شالمينا - كورينطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩
- (٤) ابن حيان : ابن مروان بن حيان خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس - قطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ .
- (٥) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير - دار الكتاب - بلبنان - ١٩٨٣
- (٦) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) - كتاب الجغرافية - تحقيق - إسماعيل العربي - بيروت - ١٩٧٠ .
- (٧) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) - المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ .
- (٨) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد المنك بن محمد) - تاريخ الحسن بالإمامة، تحقيق عبد الوهاب الناري - دار الغرب - بيروت - ١٩٨٧ .
- (٩) ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد) - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق اويش فيراند - محمد بن ناويث وإبراهيم الكنتلي - تطوان - ١٩٦٠
- (١٠) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب) : قطعة من كتاب فرجة الأنفس من تاريخ الأندلس، نشر وتحقيق - نطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج٢ - نوفمبر ١٩٥٥
- (١١) ابن هزيل (علي بن عبد الرحمن): حلبة الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبد الحفي حمص - دار المعارف - القاهرة - ١٩٤٩ .
- (١٢) الإدريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز) : صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد - بدون تاريخ
- (١٣) الانصارى المبتلى (محمد بن القاسم) لختصار الأخبار عما كان يثر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٦٩ .
- (١٤) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك - تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨
- (١٥) البهقي (أبو بكر علي الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرباط - ١٩٧١ .

- (١٦) البيروني (محمد بن أحمد) : كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ
- (١٧) الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعمار في خبر الأقطار تحقيق - إحصان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤ .
- (١٨) الزهرى (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ .
- (١٩) شيخ الريه (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصارى الدمشقى) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد - مصورة عن طبعة لينج ١٩٢٣ .
- (٢٠) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت - بدون تاريخ .
- (٢١) الفلكصادي (أبي الحسن علي الفلكصادي) : رحلة الفلكصادي - تحقيق محمد أبو الألفان - تونس - ١٩٧٨ .
- (٢٢) الفلكشندى (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مجموعة تراثا - بدون تاريخ .
- (٢٣) مؤلف مجهول / الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٧٩ .
- (٢٤) مؤلف مجهول : خزائن السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧ .
- (٢٥) مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار - تحقيق سعد زعول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية - ١٩٥٨ .
- (٢٦) المقرئ (أحمد بن محمد) : فح انطيط في غصن الأندلس التوطيط، وذكر وريها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق : إحصان عباس - بيروت - ١٩٦٨ .

ثانيا : المراجع العربية :

- (١) أحمد الطوخى - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ .
- (٢) أحمد فكري - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩ .
- (٣) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية - ٢٠٠٠ م .
- (٤) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدروع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢ هـ .
- (٥) بلال عبد الوهاب الرفاعى - الخط العربى (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٠ .
- (٦) سعد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة - ١٩٨٦ .
- (٧) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية - ١٩٩٨ .
- (٨) صبحى عبد المجيد إدريس - أسلحة الجيش وأدواته في عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكفر الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة - ٢٠٠٦ م .

- (٩) عبد الرحمن زكى - النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧ م / ١٣٧٧هـ.
- (١٠) عبد الرحمن زكى . الأحجار الكريمة فى الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد - ١٠٨ - مايو - ١٩٤٤ .
- (١١) عبد المجيد تغمي: الإسلام فى طليطلة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ
- (١٢) عمر أغا - ملامح من تطور الخط العربى - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨
- (١٣) فريد شافعى: انصارة العربية فى عصر الولاة (٣١١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠.
- (١٤) كمال غنائى : السيوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - مجلة المؤرخ العربى - عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٠م.
- (١٥) محمد عبدالله عزان : الآثار الأندلسية الباقية فى إسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٦
- (١٦) محمود فيصل الرفاعى: الأسلحة الخفيفة فى التراث العربى الإسلامى، مجله أفاق الثقافية والتراث الإماراتية عدد - ٧ - ١٩٩٤
- (١٧) يوسف ذى النون، خط الثلث ومراجع الفن الإسلامى - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩

ثالثا . المراجع الأجنبية المصرية :

- (١) أوليفيا كونستابل : التجارة والتجار فى الأندلس - ترجمة فيصل عبد الله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م .
- (٢) جروهمان - النسخ والتثنت - ترجمة عاتم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد - ١٩٨٦ .
- (٣) ليفى بروفنسال - محاضرات فى آسب الأندلس وتاريخها - ترجمة محمد الهادى شعيرة - عبد الحميد العبادى - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١.

رابعا : الرسائل العلمية :

- (١) حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر - مخطوط رسالة دكتوراه - ١٩٩٦ .
- (٢) كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٨٥ .

خامسا : المراجع الأجنبية :

- 1) Allouche, (I,s): La vie économique et social a Grenada, Melange d'Histoire et d'Archeologia d'occident Musulman, 1, II, 1954.
- 2) Basilio pavon (Maldonado): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985
- 3) Bernis (CARMEN): trajes y modas en l'a espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artes y artistas Madrid . 1979

- 4) Emilio (de Santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueológico de Granada, Revista, Awraqs 1981
- 5) Ettinghausen (R): Notes in the history of art of Spain, Ars orientalis, I, Washington, 1954.
- 6) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo español de Antigüedades vol-5 Madrid 1875
- 7) Golvin (Lucien) Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960
- 8) Gomez (Emillio Garcia) . Armas En las anales de Al – Hakam, II, Al Andalus v , XXXII, Madrid , 1967.
- 9) Labarta (ANA): Procescos contra Moriscos val encian, al quantra, vol,I, 1980.
- 10) Mann. (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts , October, 1941
- 11) Migeon (Gaston) Manuel d'art Musulman les plastiques et industrielles , T, I, Paris 1927.
- 12) Soler (Alvaro) Ear dagger scabbard knife, belt , pouch , and case, Al – Andalus the art of islamic Spain , new York 1992.
- 13) Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932
- 14) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jneta (Archivo Espanol de Art . N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943
- 15) Torres Balbas (Leopoldo) : ARs Hispaniae , T. IV art Al Mahade, arte Nasari, art Mudejar, Madrid , 1949.
- 16) Torres Balbas : (leopoldo) : plazas, zocosy tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947

هوامش البحث :

- (١) المقرئ (أحمد بن محمد). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق - إحسان عباس - بيروت ١٩٦٨ - ج١، ص ٢٠١، ٢٠٢.
- Torres Balbas (Leopoldo): Ars Hispaniae t iv, art Almohade, arte Nasari arte Mudejar, Madrid, 1949.
- (٢) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى المغرب - تحقيق شوقي ضيف القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ - ج٢، ص ١٩٠.
- (٣) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أيوب) : قطعة من كتاب فرحه الأنفس عن تاريخ الأندلس نشر وتحقيق - لطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج٢ - نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٠.
- (٤) نفس المصدر: ص ٢٨٣
- (٥) الإدريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز) : صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد بدون تاريخ ج٢ - ص ٥٧٤.
- (٦) الزهرى (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨، ص ٨٨.
- (٧) شيخ الريوه (شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي طائب الأنصاري الدمشقي) : نخبه الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة لمتني ببغداد - مصورة عن طبعة ليدج ١٩٢٣ - ص ٢٤٢.
- (٨) الإدريسي : المصدر السابق - ص ٥٦٢.
- (٩) نفس المصدر: ص ٥٥٥، (الزهرى: المصدر السابق، ص ١٠٣).
- (١٠) الحميري (محمد بن عبد المعصم) : الروض المطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤ - ص ٣٤٤.
- (١١) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ ص ١٢٧ - المقرئ : المصدر السابق - ج١، ص ١٤٢.
- (١٢) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد) : الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عنان - القاهرة - ١٩٧٢ - ج١، ص ٩٨.
- (١٣) ابن غالب: المصدر السابق ص ٣٠٨، ٣٠٩، المقرئ : المصدر السابق، ج١، ص ١٤٢، ١٤٣.
- (١٤) البكري : المصدر السابق ص ١٢٨، ابن غالب: نفسه - ص ٣٠٩.
- (١٥) أصل هذا الحجر في الفارسية بيجادة وهو حجر كريم يشبه الباقوت وأجوده ما إشتدت حمرة وكثر بريقه (عبد الرحمن زكى) : الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد ١٠٨، مايو ١٩٦٤ ص ١٠٤ - ١٠٦.
- (١٦) البكري: المصدر السابق - ص ١٢٨، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربى - بيروت بدون تاريخ - ص ٤٩٧.

- (١٧) يسمى هذا الحجر بالحجر الذي يقطع الدم وله إستخدامات عديدة منها أنه يستخدم فى التذهيب - البيرونى (محمد بن أحمد): كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ - ص ٢١٧.
- (١٨) البكرى : المصدر السابق - ص ٢٨ .
- (١٩) المرقشيتا حجارة صلبة مخصصة وهى أنواع أجودها الذهبية وأرداها الحديدية والذئبقية (كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٨٥ - ص ٢٢٢، حاشية (٥) .
- (٢٠) Imamuddin (S.M.) : the Economic of History of Spain under the umayyad, Dacc 1963 , pp.167-168
- ولمزيد من التفاصيل حول الأحجار الكريمة بالأندلس راجع: كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق ص ٢٢٠-٢٢٢، حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر مخطوط رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ ص ٣٦-٣٧.
- (٢١) المقرئ: المصدر السابق ج ١، ص ٢٠٢.
- (٢٢) Migeon (Gaston) . Manuel d'art Musulman les Arts plastiques et industrielles , T, I, Paris, 1927, p.412
- (٢٣) Migeon : Op cit , p.413
- (٢٤) عبد المجيد نيعنغ: الإسلام فى طليطنة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ - ص ٢٢٣.
- (٢٥) ابن سعيد : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٩.
- (٢٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر وديوان المبتدأ والحبر - دار الكتاب بلبان - ١٩٨٣ - ج ٧ - ص ٣١٢ .
- (٢٧) ابن الخطيب : (لسان الدين أبو عبد الله): كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثانى - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - ليفى بروفنسال الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٦، ص ١٠١.
- (٢٨) المقرئ: المصدر السابق ج ١، ص ٥٨٥.
- (٢٩) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٠١.
- (٣٠) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ٢٠١، ٢٠٢، الزهرى: كتاب الجغرافية: ص ٨٢.
- (٣١) المقرئ : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٢.
- (٣٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٢.
- (٣٣) صبحى عبد المجيد إدريس - أسلحة الجيش وأدواته فى عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكفر الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة ٢٠٠٦م - ص ٥ .
- (٣٤) الأنصارى السبتي (محمد بن القاسم): إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرياض - ١٩٦٩ - ص ٥١.
- (٣٥) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٦١.

- (٣٦) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة.
- (٣٧) ابن عذاري - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - ج ٣ - ص ١٨٥ .
- (٣٨) كان هذا الديوان يعرف بديوان العسكرية أو التمييز وكان من بين من تولى رئاسة هذا الديوان أبو عبدالله بن محسن كاتب الديوان في عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدي: ابن صاحب الصلاة نفس المصدر - ص ٣٤٧
- (٣٩) لمزيد من التفاصيل راجع: محمد المتوني - وثائق من حضارة المرينيين - الرباط - ١٩٩٦ ص ٨٥ ، صبحي عبد المجيد إدريس: المرجع السابق - ص ٩ .
- (٤٠) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي): كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج ٥، نشرها بدرو شالميتا - كورنيطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ ص ٣٥٣ .
- (٤١) ابن حيان: أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس وقطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٢ - ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٤٢) ابن حيان: المصدر السابق - القطعة الخاصة بعصر الحكم - ص ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .
- (٤٣) ابن الخطيب: أعمال لأعلام ص ٧٣ - ٨٤، حيث الإشارة فيما نقله عن ابن حيان إلى حفل الاستقبال الرسمي الذي أقامه المنصور بن أبي عامر بقصر الزاهرة بمناسبة زيارة صهره شانجه (سانشو) ملك نافارا سنة ٣٨٢هـ وذلك بقوله (فوصل لملك شانحه ثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٧هـ وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتلقيه من دحوه إلى قصر الزاهرة فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة حتى بهت الذي كفر ورأى من وفود المسلمين وبهاه امتحتهم وجمال زيهم وكثرة عددهم ما لم يكن ظاناً أن الدنيا تجمعهم .. ولا الخزان تكفهم .. وصار بين صفى حدين حقاقى الطريق أميالا ما ثم إلا الدروع السابرية والجواش المذهبة والأبطال قد لبسوا والواعد واسبقوا الحق وعلقوا الدرق وخلفهم صفوف الرماة مشدودا عليها المناطق المذهبة والملك الرومي بقلب الطرف قد غشى قلبه ذعرا .
- (٤٤) أحمد مختار العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية ٢٠٠٠م - ص ٤٢ .
- (٤٥) راجع على سبيل المثال: ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى): كتاب الجغرافية تحقيق: إسماعيل العربي - بيروت ١٩٧٠ - ص ١٣٩ .
- المقرى: المصدر السابق - ج ١ - ص ٢٠٢، السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية ١٩٩٨ - ص ٥٧، كمال عفاني: السيوف الأندلسية في ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - بحث بمجلة المؤرخ العربي عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥م - ص ٢٨١، مختار العبادي - المرجع السابق ص ٤٣ .

(٤٦) أوليفيا كونستيل : التجارة والتجار في الأندلس - ترجمة فيصل عبدالله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م - ص ٢٠٨، ٢٤٧، صبحي عبد المجيد أريس - المرجع السابق - ص ٧
(٤٧) القصادي (أبي الحسن علي القصادي) : رحلة القصادي - تحقيق محمد أبو الأجلان - تونس ١٩٧٨ - ص ١٧

(٤٨) ابن حيان : المصدر السابق - تحقيق عبدالرحمن الحجي ، ص ٤٩، ١٩٧، ١٩٨

(٤٩) نفس المصدر : ص ١٧٩، ١٩٩

(٥٠) نفس المصدر : ص ٥١

يرجع الاتصال بين الفنون الجميلة وأنواع السلاح إلى أقدم العصور، فقد اعتاد الناس منذ أيام بدايتهم الأولى أن ينقشوا على نصال أسلحتهم الرسوم والزخارف الجميلة والطلاسم والكتابات البديعة، ولعل هذه الشعوب قد لجأت إلى تحلية سلاحها بالنقوش والزخارف لإعتقادها في سلطانها السحري أو لعوامل دينية أخرى فضلا عما لها من أثر جميل - راجع:

Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts, No.4599, Vol. LXXXIX, October, 1941, p.740

وكذلك راجع أحمد تيمور وزكي محمد حسن - التصوير عند العرب - ١٩٤٢ - ص ٣٠

وكذلك راجع - عبد الرحمن زكي - النقوش الزخرفية والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧ م / ١٣٧٧م - ص ٢٢٧

(٥١) ابن الخطيب (لسان الدين) : الإحاطة في أخبار غرناطة - المجلد الأول ص ١٣٦

(٥٢) الترس من أسلحة الدفاع ويستخدمها المحارب في أثناء ضربات السيوف ونحوها ويصنع من الحديد أو الخشب أو عيدان تضم إلى بعضها بواسطة خيط من القطن (مؤلف مجهول : خزائن السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٥٦ .

(٥٣) الرماح من أسلحة الهجوم الفردى وتصنع من عيدان الخشب أو الخيزران ويتراوح طولها ما بين ثلاثة إلى عشرة أذرع ويركب في نهايتها نصل فولاذي قاطع مذهب يطعن به (أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص ٤٤، صبحي عبد المجيد: المرجع السابق ص ١١ .

وقد اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة الرماح الطويلة وعرفت في المصادر العربية بأسماء عديدة منها العوالي والسمر (راجع: مؤلف مجهول / الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه - تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٧٩ - ص ١١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٧٧ .

(٥٤) القسي من أدوات الرمي وهي مقوسة كالللال وتصنع من أعواد الخشب اللين والتمين ويشد فيها وتر من الجند أو العصب الذي يكون بعنق البعير وترمي بالسهم والنبال (صبحي عبد المجيد - المرجع السابق - ص ١١) والقسي عدة أنواعها أهمها نوعين قوس اليد التي تستعمل باليد وهي القسي العربية وتتميز بسرعتها في الرمي. أما النوع الثاني فيعرف بقوس الرجل الأفرنجية وهي تدفع

بالرجلين ولذلك فهي أنسب للراجل منها للفارس لأنها أنكى من قوس اليد في حصار القلاع وعلى المراكب البحرية (ابن القيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبى بكر) : الفروسية، مكتبة عاطف - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١٤٠، ابن هذيل (على بن عبدالرحمن) : حلية الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالغنى حسن - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ ص ٢١١.

Gomez (Emilio Garcia) : Armas en los an las de Al - Hakam, II, Al andalus v , XXXII, Madrid , 1967 , p.165 .

(٥٥) المقرئ : المصدر السابق ج ١، ص ٢٢٣.

(٥٦) الجواش من أسلحة الوقاية التى يستخدمها المحارب في حماية جسده فضلا على أنها تستخدم فى تلقى ضربات السيوف والمسام ونحوها وهى تصنع من زرد الحديد في شكل حلقات متداخلة بينها صفائح مستطيلة لتقويتها وتوضع فى الغالب على الصدر.

Garcia Gomez, Op cit , p.166

العبادى : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦

(٥٧) استخدم الأندلسيون أعصادا أو قرابا لحفظ بعض أدوات الحرب كانت تصنع من الخشب وتغطى بنوع من الجلد اللطى نسبة إلى حيوان النمط الذى كان يعيش فى صحراء إفريقيا (مؤلف مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار - تحقيق سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ - ص ٢١٤) .

(٥٨) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ص ١٣٦

(٥٩) محمود فيصل الرفاعى الأسلحة الحفيفة فى التراث العربى الإسلامى، مجله أفاق الثقافية والتراث الإماراتية - عدد ٧ - ١٩٩٤ ص ٤٨.

(٦٠) الأسلحة الإسلامية : السيوف والدروع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ - ص ٢٩

(٦١) ابن حيان : المقتبس - ج ٥ - نشر بدير شالمينا ص ٣٥٢

(٦٢) المقرئ - نفح الطيب - الجزء الأول - ص ٣٨٢ .

Garcia Gomez : Op cit p.164

(٦٣) الأسلحة الإسلامية : المرجع السابق ص ١٦

(٦٤) ابن حيان : نشر بدير شالمينا - ص ٣٥٢

(٦٥) ابن حيان : المقتبس - نشر الحجى - ص ١٣٢

(٦٦) ابن حيان : نفسه - نشر بدير شالمينا - ج ٥ - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩

(٦٧) ابن حيان : المصدر السابق ج ٥، ص ٢٦٨

(٦٨) البيهقى (أبو بكر على الصنهاجى) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٧١ - ص ٨٤.

(٦٩) المقرئ : نفح الطيب - ج ٣ - ص ١٥١ .

(٧٠) ابن حيان : المقتبس ج ٥ - ص ٣٥٣

(٧١) المقرئ: المصدر السابق - ج، ص ٣٨٢.

(٧٢) البيهقي: أخبار المهدي - ص ٦٥، ٧٩

(٧٣) تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أسلوب الحز قد تمثل على معظم المعادن الأندلسية منذ أوائل عصر الدولة الأموية مثل التحف المصنوعة من الرصاص كالطلاسم ومن البرونز كالتماثيل وفي الشماعد وتلافيح الثريات البرونزية غير أنه في أواخر هذا العصر تراجع الإقبال على استخدام أسلوب الحز حيث نشهده فقط على بعض التحف البرونزية مثل القناني واستمر الأمر كذلك حتى ثلاثي استخدام هذا الأسلوب في عصر بني نصر: حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بني الأحمر (١٣٨هـ - ٨٩٨هـ) (٧١٢م - ١٤٩٢م) مخطوط رسالة الدكتوراة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ - ص ٣٩٥ - ٣٩٨ .

(74) Torres Balbas : Ars Hispaniae p.234

(75) Torres Balbas : Ars Hispaniae , p.234

(٧٦) في عام ٨٨٨هـ / ١٣٨٣م وقع السلطان الغرناطي أبو عبدالله محمدا أسيرا في يد الأسبان بعد هزيمته في موقعه اللبني الذي دوات بين المسلمين والنصارى ثم أطلقوا سراحه بعد أن قضى في أسيرة بيلاط الملكين الكاثوليكين فرناند وإيزابيلا ثلاثة أعوام ثم عاد إلى غرناطة بعد أن أمرو عليه كل شروطهم. وربما أخذ منه سلاحه وثيابه الملكية يومئذ عنوا لظفر النصارى وتذكارا من هذا الأسير الملكي (راجع : مؤلف مجهول - نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر أو تسليم غرناطة وتزوح الأندلسيين إلى المغرب، تحقيق الفريد البستاني - وترجمة كار لوس كيروس - العرائشي - ١٩٤٠م - ص ١٠-١٢، عبد الحميد العبادي - المجلد في تاريخ الأندلس - القاهرة - ١٩٥٨ - ص ١٩٢، محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٦ - ص ٢٦٤

(٧٧) المقرئ : نفح الطيب - ج ١، ص ٤٦٤

(٧٨) سعاد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٤٦

(٧٩) من بين المعادن الأندلسية التي شاع تذهيبها البرونز والفضة والنحاس والفولاذ وذلك بالطريقة الثانية والثالثة في عصر الخلافة وعصر الطوائف وعصر بني نصر وإن كان في كل عصر من تلك العصور ساد تذهيب نوع معين من المواد المعدنية فمعدن الفضة شاع تذهيبه في أواخر عصر الخلافة وعصر الطوائف ثم بدأ ينحصر ظهور الفضة المذهبة منذ عصر المرابطين وحتى نهاية عصر بني نصر وحل محلها في تلك الفترة البرونز المذهب .

حنان عبد الفتاح مطاوع : المرجع السابق ص ٤١٠، ٤١١

(80) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jineta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943, p.162

(81) Cossan (Le Barande): Le cabinet d'armes de Maurie de Talleyrand, perigord Duc, de Dimo, Paris ,1901 , p.43

Basilio (pavon Maldonad): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985, p.434

(82) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueologio de Granada, Revista, Awraqs1981--p.p.143-147

(٨٣) من أساليب زخرفة المعادن أسلوب الطرق الذي يبدأ بقطع الصفائح حسب شكل التحفة ثم توضع الصفائح على قالب خشبي أعدت فيه الزخارف المطلوبة سواء كانت بارزة أو غائرة ثم يدق أو يضغط ضغطاً شديداً على الصفائح المراد زخرفتها بحيث تأخذ شكل الزخارف المنقذة على القالب الخشبي (سعاد ماهر : الفنون الإسلامية : ص ١٥٢)، وقد تنوعت وسائل تنفيذ هذا الأسلوب على المعادن الأندلسية حيث نفذت زخارفها المطروقة بطريقتين الأولى إتسمت بخطوطها بشدة بروزها وشكلها المقرب وأبدائها المشدوخة المنقذة فوق أرضية من خطوط زجاجية دقيقة للغاية أما الطريقة الثانية فتختلف عن الأولى في أن الزخارف أصبحت أقل عمقاً وأكثر تسطحاً بحيث فقدت شكلها المسمم وظهرت متعددة الشدوخ.

حنان عبد الفتاح مطاوع : المرجع السابق - ص ٣٩٩

(٨٤) لقي أسلوب التركيب أو التجميع رواجا كبيرا في صناعة التحف المعدنية منذ القرن ٤ هـ وحتى القرن ١٠ هـ / ١٠ - ١٢ م وتقوم هذه الطريقة في جوهرها على تحديد شكل التحفة بواسطة نماذج وقوالب مصبوبة من البرونز أو اللاتون يتم تركيبها إما بطريقة اللحام أو الضغط أو المسامير التي يخصص لها أثناء عملية الصب تجويف نافذة وقد ظهرت هذه الطريقة الأخيرة خلال القرنين ٥ - ١١ هـ / ١٢ - ١١ م وإن كنا نلاحظ أنه في القرن ٥ هـ أقصر استخداما على تثبيت بعض أجزاء التحف المشكلة في صورة كائنات حية في حين تتطور في القرن ١٢ هـ م فتستخدم في تجميع كافة أجزاء التحفة وقد تجلت هذه الطريقة المتطورة بصفة خاصة في التحف المصنوعة من اللاتون (النحاس الأصفر) وواصلت استخدامها في عصر بني نصر، ولكن بجدد بالتنوية أن الفنان كان يعد في إخفاء المسامير المستخدمة كدعامة إقرار وتثبيت إلى تغطيتها بواسطة زخارف مخزومة . راجع حنان مطاوع - المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(٨٥) حظيت زهرة اللوتس بقبول واسع النطاق لدى الفنان الأندلسي منذ العصر الأموي وحتى نهاية عصر بني نصر وانقربت دون غيرها من الأزهار بطابع مميز يتسم بالدقة في الأداء وخضعت لقانون التطور أثناء مواصلة نشاطها في مجال الزخرفة النباتية فكانت أشكالها وصورها تتطور في سرعة جعلتها تختلف عن أصولها المصرية والقوطية والساسانية والرومانية والبيزنطية المشتقة من أصولها المصرية .

Maldonado (Basilio pavon): el arte Hispano Musulman en su decoracion Floral, Madrid, 1981 . table VIII .

(٨٦) تعد شجرة الحياة من العناصر الزخرفية التي لعبت دوراً كبيراً في الزخرفة النباتية الإسلامية عامة والأندلسية بصفة خاصة، ويرجع استخدام هذا العنصر الزخرفي إلى أصول قديمة للغاية، فقد لعبت دوراً كبيراً في فنون المشرق حيث ظهر لها نماذج في زخارف الفن الروماني والبيزنطي والقوطي،

ومن المعروف أن موضوع شجرة الحياة يرجع في حقيقته إلى أصول سامانية حيث تمتعت هذه الشجرة فيه بمكانة سامية : راجع :

Gotvin (Lucien) : Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960 , p.175

(٨٧) تعد ورقة الغنب من العناصر النباتية الهامة التي كثر استخدامها في الزخرفة الإسلامية منذ نشأة الفن الإسلامي، ولقد شاع استخدامها في الفنون الشرقية حيث عرفها الفن الإغريقي والروماني والبيزنطي :

راجع: فريد شافعي: العمارة العربية في عصر الولاة (٣١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠ - ص ٩٥، ولكنها لم تلبث أن تطورت تطوراً أبعداً عن صورتها فاختلفت أشكالها وتنوعت صورها وخضعت لعملية الاستنباط الإسلامية التي تعتمد على حيوية الملكات الفكرية عند العرب - راجع : أحمد فكري - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩ - ص ٣٨

وقد عني بها الفنان الأندلسي عناية كبيرة إذ أضاف إليها الحزوز والتفصيلات العديدة التي تتمثل في أشكال الثمار والبراعم وظهرت أجمل نماذجها في زخارف العلب العاجية والأفاريز والطرز التي تحيط بالعقود :

Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932 , p.96

(٨٨) شاع استخدام ورقة الاكنثش (شوكة اليهود) في الفن الإسلامي الأندلسي منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ثم اختلفت عن الانظار خلال العصر المغربي الأندلسي لتظهر مرة أخرى على استحياء في الفن النصري حيث يمثل مقبص هذا الحنجر أروع أمثلتها.

(٨٩) تنقسم الجواهر إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي الجواهر الدمشقي والفارسي والهندي لكل نوع منها عدد من الأنواع، وكان الأوربيون قد شاهدوا أثناء الحروب الصليبية النصول الإسلامية المجوهره في أسواق دمشق، وكان من بينها النصول الدمشقية والفارسية والهندية غير أنهم أطلقوا اسم الجواهر الدمشقي Wave Damask على كل هذه الجواهر ظناً منهم أنها تصنع جميعاً بدمشق، ولكن لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة سمات خاصة يتميز بها، فالجواهر الدمشقي يتسم بكثرة تموجاته التي تشبه البقع الهندسية المحكمة وألوانه المائلة إلى البياض وعدم قابليته للصدأ ولدانته وتركيبه الذي يتألف من حبوب ناعمة متقاربة المسام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض كما أنه إذا طرق نصله ظهر فيه الجواهر حسناً عكس الأنواع الأخرى فإنه كثيراً ما يحوى: راجع الأسلحة الإسلامية - معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ١٦- ١٨ .

(٩٠) يعتبر خط الثلث من أهم الخطوط المدورة وقد سمي بهذا الاسم لأنه ثلث الطومار الذي تقدر مساحته بأربعة وعشرون شعره من شعر البرذون والثلث يقدر بثمانين شعرات وهو نوع من أنواع الخطوط اللينة - راجع بلال عبد الوهاب الرفاعي - الخط العربي (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٠ - ص ٧٥ ، غير أن حجمه الكبير لم يجعله مناسباً لكتابة

النصوص والمؤلفات، ولذا اقتصر استخدامه على كتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية والبسلة ونقوش واجهات العرائر والمباني والتحف الفنية - راجع جروهمان - النسخ والتلث - ترجمة غاتم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد ١٩٨٦، ص ١١٣-١١٤، وكذلك راجع: يوسف ذى النون، خط التلث ومراجع الفن الإسلامى - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩ - ص ١٠٧-١٠٩، وقد أطلق الخط التلث الأندلسى على خطوط المغرب والأندلس تميزاً له عن خط التلث المشرقى لما تعرض له من تحويرات جمالية على يد الخطاط الأندلسى بأسلوب مخالف للأمنوب المشرقى - راجع عمر آغا - ملامح من تطور الخط العربى - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨ - ص ٨٠، ولعل ما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره المقرئ نقلاً عن ابن غالب من أن أهل الأندلس كانت لهم خطوط مخصوصة لهم ورونى وترتيب يشهد لصاحبه بحسن الخط والتجويد - المقرئ - نفح الطيب ج ٢ - ص ١٥١

(91) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antigüedades, vol5, Madrid 1875, p.390

(٩٢) من المعروف أن مدينة غرناطة قد اشتهرت بنسج الكتان بل كان كتانها أجود من كتان مصر يستدل على ذلك بقول الحميرى الذى أشار فيه إلى مدى جودة كتان غرناطة عن مصر (الذى يربو جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل إلى أفصى بلاد الممنعين) راجع الحميرى (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميرى) صفه جزيرة الأندلس منتخبه من الروض المعطار فى خبر الأقطار - نشر ليفى بروقتسال - القاهرة ١٩٣٨ - ص ٢:

(٩٣) تقدمت صناعة الحرير فى مملكة غرناطة تقدماً كبيراً لاسيما فى غرناطة العاصمة التى يمتدح ابن الخطيب حريرها ويذكر أنه لا يمكن مقارنته الا بحرير العراق الذى رغم تلك المقارنة كان الأخير يقل عنه رقة ولدونة وعناقة راجع ابن الخطيب (السان الدين بن الخطيب) - اللحة البدرية فى الدولة النصرية - صححه ووضع فهرسه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٤٧ - ص ١٣، أحمد الطوخى - مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ - ص ٣٠٥ وكذلك راجع :

Allouche (i.s) : la vie economique et social a Grenada, Melanges d'Historie et d'Archeologia de l'occident Musulman , I, II, 1954, p.9

(94) Bernis (CARMEN): trajes y modas en la espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artesy artistas Madrid , 1979 , p.79

من المعروف أن غرناطة قد ورثت عن قرطبة فن الصناعات الجلدية لاسيما فى مدينة المرية - وكانت مألقة متخصصة فى إنتاج الأغشية والحزم والمدورات، راجع . القلقشدى (أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء - مجموعة تراثا، الجزء الخامس ص ٢١٩، وكان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم - ليفى بروقتسال - محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ترجمة محمد الهادى شعيره - مراجعة عبد الحميد العبادى - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١ ص ٦٦ وكذلك راجع :

Torres Balbas (leopoldo) : plazas, zocos y tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947 , Fasc 2, p.459

(95) Soler Alvaro : Ear dagger scabbraed knife, belt , pouch , and case Al – Andalus the art of is lamic spain , new york 1992 p.292

(٩٦) تجدر الإشارة هنا إلى أن مجمل ما وصلنا عن ما يعرف بيد فاطمة La mano de fatima على العمارة والفنون الأندلسية يشويه الغموض وذلك لاختلاف الآراء حولها فبعض الباحثين يرى أن لها مدلولاً دينياً في الفكر الإسلامي من حيث أنها تقى من شرور الجسد والأمراض لاسيما منذ عصر الموحدين الذي شاعت فيه تلك الزخرفة في حين يرى البعض الآخر بأنها ترمز للفظ الجلالة حيث تشبه في رسمها الحروف التي تتألف منها ومن ثم فهي شكل من أشكال الكتابة الرمزية التي لها علاقة بالدين

Labarta (ANA) : procescos contra Moriscas, Vlenciano AL Quantra vol, I , 1980, pp. 129-138

Etting Hausen (R) : Notes On the lusterware of spain , ars orientalis I was hington, 1954, p.152



معركة الصنبرة أحداث ونتائج

(٥٠٧هـ/١١١٣م)

د. عائشة بنت مرشود حميد الحري (*)

مقدمة

شهد تاريخ الحملات الصليبية - الذي امتد لمدة قرنين من الزمان (من أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري / من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) - كثيراً من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها - بإذن الله - للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

والحقيقة أن الصليبيين قد نجحوا في غزو الأراضي الإسلامية في فلسطين وبلاد الشام بسهولة، ويعود نجاحهم في المقام الأول، إلى حالة التمزق السياسي والضعف العسكري الذي كانت تعاني منه أقوى خلافتين، فقد كانت منطقة الشرق الإسلامي منقسمة، في ولائها الديني والسياسي، ما بين خلافتين متناحرتين، وهما الخلافة العباسية السفلى في بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وفي ظل هذا الانقسام السياسي، وغياب الوحدة الإسلامية. تمكن الصليبيون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى من تأسيس أربع كيانات صليبية وهي: الرها، وأنطاكية، ومملكة بيت المقدس، وطرابلس.

وبعد هذه الصدمة التي هزت أركان العالم الإسلامي؛ ظهرت أصوات إسلامية تنادي بضرورة توحيد الجبهة الإسلامية كحجر أساس لمواجهة العدوان الصليبي، وفي مقدمتهم: مودود بن التونتكين أمير الموصل (٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م)، حيث كان له دوره الرائد في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، إذ قام بالدعوة للوحدة الإسلامية ونسيان الخلافات الداخلية بين الأمراء المسلمين، رغبة في دفع الخطر الصليبي.

فقام بتوجيه حملتين ضد الصليبيين: الأولى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م، والثانية عام ٥٠٥هـ/١١١١م. وبالرغم من أنه لم يكتب لتلك الحملتين إلا نجاحاً محدوداً، إلا أنها أسفرت عن توطيد العلاقات بين مودود وطفكتكين أمير دمشق (٤٩٧-٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م).

وهذا مما شجع الأخير في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لطلب النجدة من مودود ضد بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠٠-١١١٨م) ملك بيت المقدس الذي اشتدت هجماته على دمشق، وقد سارع مودود بالخروج بجيشه من الموصل.

(*) أستاذ مساعد التاريخ الوسيط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

ولما علم طفتكين بخروج مودود سارع للقاءه عند سلمية، وتوجهوا جميعاً إلى طبرية. والتقت القوات الإسلامية بالقوات الصليبية حول طبرية، عند جسر الصنبرة في محرم سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م، وكان بلدوين قد استنجد بروجر صاحب أنطاكية (٥٠٦-٥١٣هـ/١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch، ويونز صاحب طرابلس (٥٠٦-٥٣١هـ/١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripoli، فاستجابا سريعاً وقاما لتجنته، فحدثت موقعة الصنبرة الحاسمة، وانتهت بهزيمة الصليبيين، وقتل عدد كبير من رجالهم، ووقع الملك بلدوين في الأسر، ولكنه لم يعرف فأخذ سلاحه، وأطلق أسره. وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عدد كبير من الصليبيين، فاستولى المسلمون على أموالهم وسلاحهم. ومن خلال هذا البحث سنقف على تفاصيل أحداث معركة الصنبرة ومقدماتها ونتائجها، على الجانبين الإسلامي والصليبي، إذ تعد هذه المعركة بمثابة صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

حكم مودود للموصل وحملاه ضد الصليبيين

عهد السلطان المنجوقى محمد بن ملكشاه (٤٩٨ - ٥١١هـ / ١١٠٤ - ١١١٧م) بأمر الموصل إلى الأمير شرف الدين مودود بن اتونتكين (٥٠٢ - ٥٠٧هـ / ١١٠٨ - ١١١٧م) في صفر عام (٥٠٢هـ / ١١٠٨م)^(١).

ومنذ ذلك الحين أخذ دوره يتضح في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكانت البداية الواضحة لذلك؛ عندما تلقى مودود الأوامر من السلطان محمد بن ملكشاه يدعو للجهاد ضد الصليبيين بدءاً من الرها، وأمدّه ببعض القوات، كما أمر سقمان القطبي (٤٩٥ - ٤٩٨هـ / ١١٠١ - ١١٠٤م) صاحب خلاط^(٢) وميفارقين^(٣)، وإلغازي بن أرتق صاحب ماردين^(٤) (٥٠٢ - ٥١٦هـ / ١١٠٨ - ١١٢٢م). إضافة لذلك فإن السلطان محمد طلب من أتابك دمشق ظهير الدين طفتكين (٤٩٧ - ٥١١هـ / ١١٠٣ - ١١١٧م) أن يتضم لهذا الجيش، فاشترط أن تكون إمرة الجهاد له، لكن شرطه لم ينل القبول^(٥).

وتعلل الباحثة ذلك من وجهة نظرها بعدة أمور :

- تخوف السلطان محمد بن ملكشاه من اشتداد نفوذ طفتكين، مع ظهور بوانر ميله للتقارب مع الصليبيين.
- من الأفضل أن تكون الموصل هي نقطة انطلاق القوات؛ بحكم موقعها واتصالها بهبلاد الجزيرة.
- استغلال الحماس الديني والسياسي لدى مودود، لأنه حديث التولي للموصل.
- خشية السلطان محمد بن ملكشاه من تطلع طفتكين لضم الموصل إلى دمشق؛ إذا ما انتصرت القوات المتحالفة.
- وبالرغم من عدم قبول شرط طفتكين؛ إلا أنه قدم بقواته لمساندة القوات الإسلامية^(٦).

وقرروا التوجه بهذا الجيش نحو الرها، وذلك لخطورة موقعها بالنسبة للجزيرة^(٧) فضلاً عن أن الباحثة ترى أن السلطان محمد يهدف إلى معاقبة جاولي سقاو (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ / ١١٠٦ - ١١٠٨ م) - الحاكم السابق للموصل - نظراً لتحالفه مع الصليبيين ضده، وفي الوقت ذاته الضغط على الصليبيين بالسيطرة على الرها ذات الأهمية الكبرى لهم.

ولما قامت القوات الإسلامية المتحالفة بحصار الرها، في شوال ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م، أسرع أميرها بلدوين برج Baldwin of Bourg (٥٠٢ - ٥١١ هـ / ١١٠٨ - ١١١٨ م) يطلب النجدة العاجلة من الملك بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤ - ٥١٢ هـ / ١١٠٠ - ١١١٨ م) ملك بيت المقدس. فقدم الملك الصليبي لنجدتهم من بيروت ومعه تانكرد صاحب أنطاكية Tancred (٤٩٨ - ٥٠٦ هـ / ١١٠٤ - ١١١٢ م). وريموند الصنجيني صاحب طرابلس Raymond of st. Gilles (٤٩٦ - ٤٩٩ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٥ م) وهذا مما أعطى الجيش الصليبي الضخامة في العدد.

ولذا رأى مودود أنه من الأفضل الانسحاب عن الرها، حتى يقابلوا الصليبيين بعيداً عن الحصون في المناطق المكشوفة، لكن معظم الصليبيين لم يلاحقوهم، بل اكتفوا أن رفع المسلمون حصارهم عن الرها. وذلك لأنهم فطنوا لخطة مودود^(٨)، ومن وجهة نظر الباحثة أن الملك بلدوين الأول كان مشغولاً بمشروعه الخاص بالسيطرة على مدن الساحل الشامي.

وبالرغم من عدم وجود نتيجة **حاسمة** لحملة مودود السابقة، إلا أنها لفتت الأنظار إلى أهمية الجبهة الإسلامية الموحدة في تحقيق النصر أمام الأعداء وأن اتخاذ الخطة العسكرية المناسبة كفيل بتحقيق النصر.

وعادت القوات الإسلامية لديارها. أما الصليبيون فأنهم اخذوا، في طريق عودتهم، في تخريب البلاد الإسلامية التابعة لحلب، وفرضوا على رضوان بن تتش صاحب حلب (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) جزية سنوية مقدارها اثنان وثلاثون ألف ديناراً^(٩)، يحملها إليهم مع خيول وثياب، مقابل أن يوقفوا أذاهم عن حلب، وفرضوا الجزية على شيراز^(١٠) وحماة وصيدا^(١١).

وبالرغم من تعهد الأمراء المسلمين بدفع الجزية المفروضة عليهم؛ إلا أن الصليبيين لم يتوقفوا عن مهاجمة حلب، بل استولوا على قلعة الأثارب^(١٢) التابعة لها^(١٣).

لذا توجه أهل حلب إلى الخليفة العباسي المستظهر (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م) يطلبون منه وقف العدوان الصليبي^(١٤)، وتزامن ذلك مع وصول رسل الإمبراطور البيزنطي الكسبروس كومنين Alexius Comnenus (٤٧٣ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م) إلى السلطان محمد ملكشاه؛ تطلب منه نفس الطلب^(١٥).

وفي الحقيقة أن وفادة الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان لم يكن غرضها محبة المسلمين أو الدفاع عنهم، إنما جاءت بعد خلافات نشبت بين زعماء الروم والفرنج على امتلاك بعض الإمارات في ساحل الشام؛ كان الروم اشتراطوها على الفرنج عندما سمحوا لهم بالعبور من بلادهم في الحملة الأولى سنة ٤٩٠ هـ / ١١٩٦ م. فأراد الروم من هذه الوفادة أن يضربوا المسلمين بالفرنجة، وإشغالهم ببعضهم، فيستأثروا بالإمارات التي يطلبونها^(١٦).

وإزاء هذه الاستغاثات؛ طلب السلطان محمد بن ملكشاه من مودود أن يخرج بجيشه لجهاد الصليبيين، وطلب أيضاً من الأمراء، في الشام والجزيرة، أن ينضموا لجيش مودود، فأتهم له أحمد يل صاحب مراغة^(١٧)، وأبو الهيجاء صاحب إربل^(١٨).

وسقمان القطبي صاحب خلاط^(١٩) وتبريز، فضلاً عن طفتكين صاحب دمشق^(٢٠). ويلاحظ هنا الرابطة القطبية الجغرافية والتاريخية بين شمال الشام وشمال العراق، فهما امتداد واقعي لكل منهما، ناهيك عن أن الموصل وحبلاً مثلاً خطأ دفاعياً استراتيجياً، فأي خطر خارجي تتعرض له حلب، سيؤثر بصورة أو بآخرى على شقيقتها الموصل، وهذا يكشف لنا عن حقيقة محورية وهي: أن غاية آمال الصليبيين أن يتعاملوا مع المسلمين ككيانات صغيرة هشة، منعزلة غير مترابطة، أما الآن فقد وضحت خاصية جغرافية وتاريخية مهمة في صورة ارتباط المدن الإسلامية أمام الشعور بالخطر الخارجي الداهم^(٢١).

على أية حال سارت هذه الجيوش بقيادة مودود أوائل سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م، نحو الرها وفرضوا الحصار عليها، لكن قوة تحصينها واحتوائها على الأسلحة، وطول مدة الحصار، أجبرت مودود أن يفك الحصار عنها، والزحف نحو سروج^(٢٢) وحصارها ورداً على ذلك: قام الصليبيون بمهاجمة حلب^(٢٣)، فاتجه المسلمون إلى حصار حصن تل باشر^(٢٤) دون أي نتيجة حاسمة لصالحهم^(٢٥).

وقد تعددت أسباب فشل مودود في السيطرة على تل باشر منها :

- تزامن حصار تل باشر مع محاصرة تاتكرد أمير أنطاكية لحلب، فطلب النجدة من المسلمين، فاقترح أحمد يل أمير مراغة رفع الحصار عن تل باشر والتوجه لإنقاذ حلب.
 - يرى ابن القلائسي أن جوسلين، صاحب تل باشر، قد أرسل إلى الأمير أحمد يل يلاطفه بمال وهدية، وسأله الرجيل عن الحصن.
 - مرض سقمان القطبي وبرسقي بن برسقي، فانسحب كل منهما عائداً لبلاده^(٢٦).
- ومهما يكن من أمر، ومسبب، فمن وجهة نظر الباحثة أن بقاء حلب في ظل الحكم الإسلامي خير من التفكير في السيطرة على تل باشر.

لكن مما يؤسف له، أن رضوان مالن عثم بقدم النجدة الإسلامية حتى أغلق أبواب حلب دونهم. ولعله كان يخشى من سيطرة مودود على حلب فيفقد سيطرته. فضلاً عن ذلك قام رضوان بالقبض على بعض أعيان حلب ممن شك في ولائهم له واحتجزهم في القلعة، وأوكل مهمة حماية حلب إلى جنده وأتباعه من الباطنية.

وقام بمصالحة تاتكرد صاحب أنطاكية، وتحالف معه ضد القوات الإسلامية، وقام رضوان بتحريض اللصوص على مهاجمة معسكر القوات الإسلامية، ونهب من يجدونه من الجنود في النواحي المتطرفة منه^(٢٧).

إن موقف رضوان السابق يعتبر موقفاً عدائياً، وذلك بإفساد حصار القوات الإسلامية وإنقاذ القوى الصليبية من ضياع هذه المدينة وسقوطها في أيديهم، وذلك بطلبه منهم واستعجاله لهم في التقدم إلى حلب^(٢٨).

ونتيجة لأعمال رضوان السابقة، قرر مودود الانسحاب بقواته عن حلب، والسير بها نحو معرة النعمان^(٣٠) لقتال الصليبيين. لكن طغتكين بدأت تراوده المخاوف على دمشق من أن يسيطر عليها مودود، فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً^(٣١).

وهكذا أدى التفكير في المصالح الشخصية إلى تفكك القوة الإسلامية، وكان المفروض أن يقدم كافة الأمراء والحكام، في تلك الحين مصلحة الإسلام والمسلمين على مصالحهم الخاصة^(٣٢).

بعد ذلك خرجت القوات الصليبية، بقيادة بلدوين الأول، تستأده قوات طرابلس وأنطاكية والرها قرب أقامية^(٣٣) أي في الجزء الأوسط من حوض نهر العاصي، فسار ابن منقذ صاحب شيزر إلى مودود وطغتكين وشجعهما على قتال الصليبيين، فرحلوا إلى شيزر، فقام المسلمون بالغارات الخاطفة عليهم، ولذا تراجع الصليبيون إلى أقامية^(٣٤). ثم عاد طغتكين إلى دمشق ومودود إلى الموصل.

وقد استأنف مودود جهاده ضد الصليبيين، فقام عام ٥٠٦هـ/١١١٢م، بحملة بمفرده لاسترداد الرها لكنه فشل، ولذا توجه نحو سروج، لكن جوسلين Joscelyn صاحب تل باشر والرها (٥٠٦-٥٢٢هـ/١١١٢-١١٣١م) نجح في التصدي له وهزيمته^(٣٥).

من العرض السابق لجهاد مودود فصيل معركة الصنبرة ملاحظ عدة أمور :

- عدم وجود جيش نظامي متحد من الأمراء المسلمين لجهاد الصليبيين.
- لم ترد أي إشارة عن وجود خطة تنظيمية لمقاومة العدوان الصليبي.
- أن تدعيم الجيش الإسلامي وقوته تعتمد بشكل رئيس على ما يصله من إمدادات.
- أن أمد حملات مودود قصير لا يتجاوز الشهرين.
- أن أسلوب حربه للصليبيين يعتمد على الحصار والغارات السريعة الخاطفة.
- أن الخلافات بين الأمراء المسلمين كثيراً ما تخذل مودود، وتجعل نتيجة حملاته محدودة الأثر.
- أن قادة الجهاد الإسلامي لا يلبثون أمداً طويلاً خارج بلادهم، فبعد تحقيق أي نصر يعودون سريعاً لبلادهم، وذلك تحسباً لظنوم أي غارة صليبية مفاجأة على بلادهم.
- ولكل ما سبق لم تسفر الحملات الأولى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م و ٥٠٥هـ/١١١١م عن نتيجة حاسمة لأن الفرنجة حاربوا متحدّين بقيادة بلدوين الأول ملك القدس، ولأن الجبهة الإسلامية لم تكن صلبة كما كانت تظهر^(٣٥).

الملك بلدوين الأول ومعركة الصنبرة :

تعرضت دمشق في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لهجمات صليبية^(٣٦)، ولذا استتجد طغتكين بحليفه مودود. فقام الأخير بدوره بطلب النجدة العاجلة من أمراء المسلمين بالجزيرة.

فلما سمع طفتكين بذلك خرج بقواته والتقى بالقوات الإسلامية عند بلدة سلمية^(٣٧)، ومنها توجهوا صوب بحيرة طبرية، لكنهم فشلوا في تلك بمسبب قوة حصانتها، فزحفوا نحو الأفحوة^(٣٨) وعسكروا في جزيرة بين جسرين غرب بحيرة طبرية^(٣٩).

ولما علم بلدوين بهذا الزحف الإسلامي، وكان محاصراً لعكا، عرض في البداية على طفتكين المسالمة والموادعة مقابل أن يمنحه بلدوين حصن ثمانين وجبل عاملة، ونظير ذلك يمنح طفتكين الصليبيين حصن الحبيص الذي في السواد ونصف السواد. وبموجب معاهدة السلام هذه يتوقف بلدوين عن الهجوم على أراضي دمشق، ويتوقف طفتكين عن مهاجمة أعمال الفرنج، ويترك التحالف مع مودود. لكن طفتكين رفض هذا العرض وظل منضماً لجيش مودود^(٤٠). ومن وجهة نظر الباحثة فإن بلدوين كان يهدف من وراء هذا العرض إلى تحقيق الأمور التالية:

- ضرب تحالف جيش دمشق مع الموصل.
 - إضعاف جيش مودود إذا ما اتسحب منه أقوى حليف.
 - تفرغ بلدوين لحصار عكا، لأنه يتطلع للسيطرة على مدن الساحل الشامي.
- وإزاء فشل بلدوين في التفاوض مع طفتكين فقد اضطر لترك حصار عكا، والتوجه بجيشه لصد قوات مودود، وفي الوقت ذاته طنب سرعة النجدة والإمداد من روجر الصقلي حاكم أنطاكية Roger prince of Antioch (٥٠٦ - ٥١٣ هـ / ١١١٢ - ١١١٨ م) ويونز كونت طرابلس Bons count of the Tripoli (٥٠٧ - ٥٢١ هـ / ١١١٣ - ١١٢٧ م)، لكن بلدوين لم ينتظر وصولهم بل سارع بالخروج بجيشه فوصل إلى جسر الصنبرة^(٤١) جنوبي غربي بحيرة طبرية^(٤٢)، وهناك أعد له مودود خطة عسكرية محكمة تتلخص في : أن يقيم المسلمون خيامهم في الجزيرة، ثم يرسلوا عدداً من الجند بحدود ألفين لكن يخرج منهم خمسمائة لمهاجمة الصليبيين.

ولذا تبادر إلى الملك بلدوين أن عدد الجند قليل، فجد مسرعاً نحوهم، وتظاهر الجند المسلمون بالهزيمة والتراجع نحو الجزيرة، لكن كانت المفاجأة أن خرج ألفان من جند المسلمين من كمينهم. وهذا الأمر قد غير موازين المعركة لصالح المسلمين، إذ شتوا هجوماً غليفاً على الصليبيين^(٤٣).

وقد تكللت هذه الخطة بنجاح، إذ أدت إلى وقوع عدد من المشاة في أيدي المسلمين، حتى إن بلدوين نفسه هرب من الأمر بصعوبة^(٤٤)، فضلاً عن غرق عدد من الجند في نهر الأردن وبحيرة طبرية، حتى قدرهم المؤرخون بألف ومائتين من المشاة، وثلاثين من الفرسان^(٤٥).

وعبر مؤرخي الحروب الصليبية عن هذه الهزيمة بكل ألم، حيث قال فوشيه الشارترى : «ياله من حزن عميق !! ففي تلك اليوم جلبت علينا خطايانا الكبيرة عارا عظيماً»^(٤٦). ووصفها ابن القلانسي بقوله : «وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب منها أياماً حتى صفت منه وراقت»^(٤٧).

وقال وليم الصوري : «جرت مذبحة مروعة في صفوف الهارين، حتى أن الملك ذاته ألقى بطلعه الذي كان في يده إلى الأرض، وكانت نجاته هو إحدى المعجزات. وهكذا استولى العدو على مخيمنا، وعوقبنا على خطايانا»^(٤٨).

من القراءة التحليلية للباحثة للنصوص السابقة يتضح لنا عدة أمور :

- عظم الهزيمة التي لحقت بالصلبيين وكثرة قتل جنودهم، حتى وصفت أرض المعركة بالمذبحة المروعة.
- تعجب واستنكار فوشيه للمصيبة العظمى التي حلت بهم.
- عجز الصليبيون عن الصمود بأرض المعركة، ولذا ولوا هارين وفي مقدمتهم ملكهم.
- اليأس الكبير الذي سيطر على الصليبيين، لذا اعتبروا نجاة ملكهم بلدوين الأول من القتل وهروبه من المعجزات الخوارق.
- الأثر النفسي الأليم الذي تركته هذه المعركة في نفوس الصليبيين حيث سطرت في أنفسهم الحزن العميق، وهذا دلالة واضحة على انهيار روحهم المغوية.
- استيلاء المسلمين على المخيم الصليبي وخيمة بلدوين وما فيها من أثاث وأواني فضية.
- اتفاق وليم وفوشيه أن هذه الهزيمة المنكرة، والمذبحة المروعة، قد حلت بهم كنوع من عقاب الرب لهم، لأنهم غرقوا في الخطايا والآثام.
- كثرة القتلى في الجيش الصليبي، حتى إنها أثرت في صلاحية مياه البحيرة للشرب.
- جرح عدد كبير من جنود الجيش الصليبي.
- أن سرعة فرار الصليبيين من أرض المعركة، نتيجة للذعر الشديد، أدى إلى غرق عدد كبير منهم في البحيرة.
- ولنا أن نقف على أسباب هزيمة الصليبيين في معركة الصنبرة، فإن ذلك من وجهة نظر الباحثة يمثل في عدة نقاط، وهي:
- عدم وضع بلدوين لأي خطة عسكرية لمواجهة الجيش الإسلامي، بل كان هجومه مفاجئا وعشوائيا، كما وصف : «وانقاعه ضد العدو بطريقة عشوائية متهورة»^(٤٩).
- توجه بلدوين من عكا مباشرة نحو الصنبرة، دون أن يعطي جيشه فرصة للراحة وتجهيز العتاد، قبل الانتقال لجبهة أخرى.
- استعجال بلدوين بالمسير نحو الصنبرة، دون انتظار وصول قوات روجر ويونز، حيث قال وليم الصوري : «ويرجع السبب في هذه النكبة إلى الملك الذي لم يطق صبرا حتى تصل إليه النجدة اطمئنانا منه إلى شجاعته الذاتية»^(٥٠). ومن وجهة نظر الباحثة أن استعجاله بالمسير بسبب خوفه من سرعة تقدم الجيوش الإسلامية، مما يعد نذيرا بتطلعهم لاسترداد بيت المقدس.
- عدم انتباه بلدوين لطبوغرافية أرض المعركة، حيث قال الشاريتري : «وقد أدانوا عدم فطنة الملك»^(٥١).
- فشل خطة بلدوين في ضرب التحالف الإسلامي، فلم ينجح عرضه في استمالة طغتكين لجانبه.

- لم يترك حامية عسكرية لحماية مؤخرة الجيش من أي هجوم مفاجئ.
 - أما بالنسبة للمسلمين فإن أسباب النصر لديهم تمثلت فيما يلي :
 - اتحاد قوات الموصل مع دمشق.
 - انتظار مودود لوصول النجدة الإسلامية وضمها إلى جيشه.
 - حسن اختيار المناطق المحصنة، حيث تمركزوا في ناحية طبرية، وفي هذه المنطقة عسكروا عند جسر الصنبرة في الجزيرة الآمنة، كما قال عنها الشارترى : «وكانت آمنة جداً بحيث أن أي أحد يتخذ موقعه هناك لا يمكن مهاجمته، بفضل المداخل الضيقة المؤدية إلى الجسور»^(٥٢).
 - استخدام الخطة العسكرية المناسبة، والتي اعتمدت على غنصر المفاجأة للجيش الصليبي، بظهور بقية جنود مودود بعد ملاحقة بلدوين لهم.
- وأهم النتائج لهذه المعركة :**
- أنها أدت إلى ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، ولفتت أنظارهم إلى أهمية الوحدة الإسلامية في تحقيق النصر على الصليبيين، وأن جهاد مودود كان بمثابة الفجر المشرق الذي ينبئ عن بناء الجبهة الإسلامية الموحدة.
 - أسهمت في تأكيد الوحدة والهدف والمصير بين أمراء المسلمين، بشمال الشام والجزيرة، مع إخوانهم في العراق ووسط بلاد الشام^(٥٣).
 - أن عصر مودود - رغم قصره - أصبح نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي، خلال تلك المرحلة المبكرة، فقد صارت فكرة الجهاد حقيقة واقعة؛ جعلت مملكة بيت المقدس تركز قواها للدفاع عن حدودها الشمالية، فاقصر بلدوين الأول، خلال السنوات الباقية من عمره، على الدفع عن الكيان الصليبي^(٥٤).
- وعن الأحداث بعد هذه المعركة: فإنه وصلت قوات روجر ويونز، وهذه القوات جددت الأمل في نفوس الصليبيين، لكن الهزيمة التي أصابت جيش بلدوين فرضت عليهما اللجوء إلى القتال غير المباشر، فقاموا بالاحتواء بمرتفعات غرب مدينة طبرية. فقام المسلمون برميهم بالنشاب، وقطعوا عنهم الميرة، لكنهم استمروا على نفس أسلوبهم في القتال. ولم يحسم هذا القتال بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين^(٥٥).
- ومما زاد الأمر سوءاً شدة حرارة الصيف^(٥٦)، وإذا استخدم المسلمون أسلوباً آخر في القتال وهو الغارات الخاطفة، وذلك بغرض الضغط على قوات أنطاكية وطرابلس، حتى يضطروا للانصياع، وحتى يحصلوا على غنائم يتقوى به الجيش الإسلامي، فساروا إلى بيسان^(٥٧) ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس^(٥٨)، كما زحفت حامية عسقلان الفاطمية على بيت المقدس، وهذا مما يضعف الجبهة الصليبية عندما تنتوع عليها أماكن الضرب الإسلامية، وتمكنت الحامية الفاطمية من الوصول إلى أسوار مدينة القدس الخارجية، وأشعلوا النيران في المحاصيل هناك. لكنهم ما لبثوا أن تسحبوا عائدين إلى عسقلان^(٥٩).

ومن الواضح أنه لو كانت هناك عندئذ خطة شاملة توحد جهود القوى الإسلامية، لأمكن أن تقوم الدولة الفاطمية بعمل حربي كبير يهدد الصليبيين تهديداً خطيراً ويجعلهم بين نارين^(١٠) كمن وقع بين السندان والمطرقة.

أما بالنسبة لمودود، فقد قرر العودة بقواته إلى بلاده، لأنهم مكثوا فترة شهرين دون تحقيق أي نصر يحسم الموقف، خاصة أن وصول الحجاج من بلاد ما وراء البحار، أدى إلى زيادة عدد الجيش الصليبي، بالإضافة إلى صعود رجال أنطاكية^(١١).

ولكل ماسبق أذن مودود لحلفائه بالعودة إلى بلادهم، لحلول الشتاء، كي يأخذوا فترة من الراحة، ويجمعوا به في الربيع القادم، لكن مودود ماثب أن قتل على يد أحد الباطنية في جامع دمشق^(١٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث المعنون معركة الصنيرة أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣ م. فمن خلال هذه الدراسة توصلت للنتائج التالية:

- لعبت الموصل دوراً كبيراً في تزعم مشروع الجهاد ضد الصليبيين، ودعوة أمراء الشام والجزيرة للمشاركة معهم.
- لما اتضح دور الموصل الرائد للجهاد، استغاث بهم أهل حلب عام ٥٠٥هـ/١١١١م، لدفع الخطر الصليبي عنهم.
- قاد شرف الدين مودود أعظم أنوار الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الفترة (٥٠٢ - ٥٠٧هـ/١١٠٨ - ١١١٣م).
- إن تقديم بعض الأمراء المسلمين مصالحهم الشخصية على الصالح العام، كما فعل رضوان بن تنش وقف حجر عثرة لإتمام الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- إن الدولة العباسية، بالرغم من ضعفها إلا أنها ظلت الحارس الحامي للمسلمين، فدائماً تصل للخليفة العباسي رسل الاستغاثة، وطلب النجدة ضد العدوان الصليبي.
- أوضحت الدراسة أهمية ارتباط المدن الإسلامية، كوحدة واحدة، أمام الشعور بالخطر الصليبي المشترك، ونبذ الخلافات الداخلية بينهم.
- أوضحت الدراسة أهمية تكامل الجهود بين الخليفة العباسي، وأمراء الدويلات الإسلامية المستقلة، في دفع الخطر الصليبي.
- أهمية تحقيق الوحدة بين شمال الشام والعراق لدفع الخطر الصليبي.
- كشفت الدراسة عن مدى حنكة مودود السياسية والعسكرية، في خطواته وقراراته أثناء قيادته للعديد من الحملات ضد الصليبيين.
- أثبتت الدراسة أن المكان والخطة لهم دور كبير في تحديد مصير أي معركة.
- كشفت الدراسة عن أهمية مراعاة قائد المعركة للجنود في أخذ رأيهم بعد المعركة؛ بالاستمرار في الجهاد أو العودة لموطنهم.
- اتضح دور الباطنية العدائي ضد المسلمين، فكثيراً ما قاموا باغتيال قادة الجهاد الإسلامي مثل مودود عام ٥٠٧هـ/١١١٣م.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية والمصرية

- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر ظليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١٩٦٣م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- أبو شامة : شهاب الدين محمد، ٦٥٥هـ/١٢٦٧هـ.
- الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، دار الجبل، بيروت، (د.ت).
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن العبري : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، ت ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
- تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط ١٩٥١م.
- العظيمي : محمد بن علي العظيمي الحلبي، ٥٥٦هـ/١١٦١م.
- تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.
- أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
- المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- فوشيه الشارترى :
- الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ابن القلانسي : أبو يعنى حمزة بن القلانسي، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

- نيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، القاهرة، د (ت).
- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ١٣٧٢هـ / ١٣٧٢م.
- البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
- ابن الوردي : أبو حفص زين الدين، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م.
- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- ولیم الصوري : - الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله، ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م.
- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).
- ثانيا : المراجع العربية والمحربة :**
- إبراهيم محمد المزيني :
- إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م.
- أحمد عطية :
- القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- إرشيد يوسف راشد :
- سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
- أرمنت باركر :
- الحروب الصليبية، ترجمة السيد البار العرني، دار النهضة العربية، بيروت.
- ريتيه جروسية :
- الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أبش، دار قتيبة، سوريا، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ستيفن رنسيان :
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة البار العرني، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.
- سعد أحمد برجوي :
- الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
- سعد عبد الفتاح عاشور :
- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م.
- عصام عبد الرؤوف الفقي :
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٧٥م.
- عليه عبد السميع الجنزوري :
- إمارة الرها الصليبية، ط القاهرة، ١٩٧٥ م.
- عماد الدين خليل :
- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
- فايد حماد عاشور :
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.

محمود سعيد عمران

- تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

مسفر سالم القامدي :

- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

محمد مؤنس عوض :

- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

موضي عبد الله السرحان :

- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، دار الأوفست، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

- هانن ماير

- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، ط١، ١٩٩٠م.

هنادي السيد محمود :

- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م.



الهوامش

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، ج ١٠، ص ٤٥٧ - ٤٥٩، ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المقتني، القاهرة، ص ١٦٠، ابن العربي : تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م، ص ١٧٣، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٣.
- (٢) خلاط : قصبة أرمينية الوسطى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢م، ص ٢٤١.
- (٣) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر، الحموي : معجم البلدان، م ٤، ص ٣٤٩.
- (٤) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، الحموي : معجم البلدان، م ٤، ص ١٩٤.
- (٥) ابن القلائسي : قبل، ص ١٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج ٢، ص ٢٦٩، ستيفن رنسيومان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط ٣، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ١٨٧.
- (٦) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٩ - ١٧٠.
- (٧) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٤، علي الجنزوري - إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٣٧.
- (٨) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٩ - ١٧٠، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٥، محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ٢٠٠٦م، ص ٤٥، هنادي السيد محمود : مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٩٩، ستيفن رنسيومان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٨٨.
- (٩) أبو الفدا : المختصر، ج ٢، ص ٤٤، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٠.
- (١٠) شيزر : قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم. الحموي : معجم البلدان، ٣م، ص ١٧١.
- (١١) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٢، ابن القلائسي : ذيل، ص ١٦٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٦.
- (١٢) الأثارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية. الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٨٠.
- (١٣) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٧٣، العظمي : تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعور، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٦٥.
- (١٤) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٧٣، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٧ - ١٥٨، آرنت باركر : الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٥٤.
- (١٥) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٣.
- (١٦) إرشيد يوسف : سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، ص ١٢١.
- (١٧) مراغة : بلدة مشهورة من أعظم بلاد أنريجان، الحموي : معجم البلدان، م ٤، ص ٢٣٨، أبو الفدا : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص ٣٩٩.

- (18) إريل : مدينة حصينة تعد من أعمال الموصل، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ١١٦.
- (19) تبريز : أشهر مدن أذربيجان وهي ذات أسوار محكمة، الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٣٠، أحمد عطية : القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج ١، ص ٦١.
- (20) ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ١٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن خلدون : العبر، بيروت، ط ١٩٧٦م، ج ٥، ص ٤١، ابن كثير : البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص ١٩٨٥م، ج ١٢، ص ١٨٥، ابن تقي بريدي : النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٥، ص ١٩٩.
- (21) محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.
- (22) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر، الحموي : معجم البلدان، م ٣، ص ٤٣.
- (23) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥، ابن خلدون : العبر، م ٥، ص ٤١.
- (24) تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب. الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٥١.
- (25) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن شداد : الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني منشورات وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩١م، ص ١٠٣، عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٢٣.
- (26) ابن القلاسي : نيل، ص ١٧٥.
- (27) ابن القلاسي : نيل، ص ١٧٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٩، رنسيما : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٩٧.
- (28) إبراهيم محمد المزيني . إمارة حلب، الحميضي، الرياض، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٢٥.
- (29) مرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة. الحموي : معجم البلدان، م ٤، ص ٢٨٧.
- (30) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧، عصام الفقي : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤٤.
- (31) فريد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥٥.
- (32) أقامية : مدينة حصينة من موانئ الشام وكورة من كور حمص. الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ١٨٣.
- (33) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧.
- (34) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤١، مسفر القامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات، جدة، ١٩٨٦م، ص ١٤٥.
- (35) هانس ماير : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ١١٤.
- (36) ابن القلاسي : نيل، ص ١٨٤، ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥.
- (37) سلمية : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص، الحموي : معجم البلدان، م ٣، ص ٦١.

- (38) الأخوانية : موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ جزيرة طبرية، الحموي : معجم البلدان، م، ١، ص ١٨٨.
- (39) ابن الأثير : الباهر، ص ٨١، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٦٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤٢.
- (40) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٤.
- (41) الصنبرة: موضع بالأردن مقابل لقبة أبق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، الحموي: معجم البلدان: م، ٣، ص ٢٠٣.
- (42) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٥.
- (43) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م، ص ٢٤٨، موسى السرحان : بيروت تحت الحكم الصليبي، ط ١، ٢٠٠١م، الرياض، ص ٩٠، أبو شامة : الروضتين، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص ٢٧.
- (44) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، رنيه كروسيه : الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أبيش ن دار قتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٧.
- (45) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٣٠١.
- (46) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (47) ابن القلائسي : ذيل، ص ١٨٥.
- (48) وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (49) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (50) وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (51) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (52) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (53) مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين، ص ١٤٨ - ١٤٩.
- (54) هنادي السيد : مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- (55) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (56) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠.
- (57) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي، الحموي : معجم البلدان، م، ١، ص ٤١٤.
- (58) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (59) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، وليم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (60) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٦٠.
- (61) فوشيه الشارترى: الوجود الصليبي، ص ٢٥١-٢٥٢، وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٣، سعيد برجاي: الحروب الصليبية في الشرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٢٨.

(⁶²) العظمي: تاريخ حلب، ص ٣٦٦، ولیم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٣، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٧، ص ١٢٣. عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، ص ٢٢٦.



مدارس أسبوط في العصر المملوكي

د. محمد أحمد محمد أحمد الكردوسي (*)

أولاً. ظهور المدارس في أسبوط

من الثابت والمعروف، لدى كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، أن المدارس ظهرت في مصر لأول مرة مع بدايات العقد الرابع من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في العصر الفاطمي، وأنها أنشئت في الأصل للدعوة للمذهب السني، وكان في ظلها مدرستان سنيتان تأسستا بالإسكندرية^(١).

وهناك من الباحثين من يقر بوجود المدارس في أسبوط منذ ذلك العصر، فيقول الدكتور محمد زغلول سلام^(٢): إن الخليفة الفاتح^(٣) الفاطمي بنى بأسبوط مدرسة عُرفت باسمه "الفانزية"، تولى التدريس بها بعض الشيوخ والعلماء. ويرى باحث آخر أن سبب بنائها إنما جاء تمثيلاً مع رغبة الخلفاء الفاطميين في بناء المدارس بصعيد مصر، بعدما أخذ المذهب الشيعي ينتشر في تلك البلاد، حتى اعتلى أعداد كبيرة من أهلها هذا المذهب^(٤).

وليس لدينا في الواقع من المادة المصرية ما يجعلنا نقطع بأن الخليفة الفاتح الفاطمي بنى مدرسة بأسبوط، أو حتى إن المدارس ظهرت أساساً في أسبوط في العصر الفاطمي، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماماً من أية إشارات تفيد بوجود مدارس في أسبوط في ذلك العصر. ويبدو أن ما أورده الدكتور سلام، بخصوص مؤسس الفانزية، كان رأياً استنتاجياً ارتكز فيه على مسمى المدرسة نفسه، حيث اعتبر تسميتها بالفانزية أمراً يشير إلى الخليفة الفاتح الفاطمي، والمدعش أنه أورد ذلك في كتابه: الأدب في العصر الأيوبي، والأدب في العصر المملوكي، في حين لم يشر إلى ذلك في كتابه المصنوع بالأدب في العصر الفاطمي، وكل ما أورده في ذلك الكتاب الأخير بخصوص وجود مدارس في أسبوط في ذلك العصر: أنه نقل عن الوطواط^(٥) قوله: "مدينة أسبوط على غربي النيل، بلد قرح بهيج، خطر، جليل، به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس...". ومعلوم أن الوطواط (أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي) لم يعيش في العصر الفاطمي، حيث ولد سنة ٥٦٣٢هـ/١٢٣٤م وتوفي سنة ٥٧١٨هـ/١٢١٨م.

ولهذا فإن القول بأن الخليفة الفاتح الفاطمي هو باني المدرسة الفانزية؛ قول بحاجة إلى تدقيق ومراجعة، فالخليفة الفاتح، المشار إليه، ولي الخلافة في الخامسة من عمره، ولم تزد فترة

(*) مدرس بكلية الآداب جامعة أسبوط.

خلافته عن ست سنين ونصف (٥٥٥.٥٤٩/١١٥٤-١١٦٠م)، ومات وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وست أيام، أي أنه كان طفلاً صغيراً^(١).

ولو أضفنا إلى ذلك ما اعتري هذا الطفل من اضطراب عقلي عند توليه الخلافة، ما شهدنا على أنه باتي تلك المدرسة. وسبب ذلك الاضطراب كما يقول المقرئ^(٢): "إن لباه لما قُتل ويكر عباس (أي الوزير أبو الفضل عباس) إلى القصر وفحص عن الخليفة الظافر وقتل أخويه وابن عمه لينفي عن نفسه وابنه التهمة، واستدعى ابن الظافر هذا وحمله على كتفه وله من العمر نحو الخمس سنين، ووقف به في صحن القاعة وأمر الأمراء فدخلوا عليه. فلما مثلوا بالقاعة قال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قُتل أبوه وعماه، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل. فقالوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل وداخله من تلك الصيحة، مع ما شاهده من رؤية عمه والخدام وهم في مآلهم ما خُبل عقله، وبال على كتف عباس، فسيروه إلى أمه؛ وأقام مختلاً بصرع وجنته تكفه".

هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تكن المدارس قد انتشرت في مصر في تلك الآونة، ومن المستبعد أن تكون أسبوط قد شهدت بطبيعة الحال بناء مدارس فيها في العصر الفاطمي، فمن المعلوم أن المدارس وإن كانت ظهرت في مصر مع أواخر العصر الفاطمي؛ إلا أنها لم تأخذ في الانتشار إلا بعد قيام الدولة الأيوبية، حيث عمد سلاطينها إلى الإكثار من بناء المدارس، لنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أنشأ عدة مدارس بالفسطاط والقاهرة، ثم اقتدى به أولاده، وأمرأؤه، في بنائها بالقاهرة ومصر وغيرها من أعمال مصر^(٣).

وبناء على ما سبق، لا نميل إلى الأخذ بالقول إن المدارس ظهرت في أسبوط منذ العصر الفاطمي، والأرجح أن ذلك كان في العصر الأيوبي؛ الذي جاء مقروناً بانتشار المدارس في ربوع مصر شمالاً وجنوباً. ويقف معنا شاهداً ودليلاً على صحة ذلك، تلك الإشارات المتفرقة التي دلت على وجود مدارس في أسبوط في العصر الأيوبي، نعل أبرزها ما ورد بخصوص المدرسة "الفانزية"، حول قيام العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي المعروف بالقصري^(٤) بالتدريس فيها أواخر العصر الأيوبي وبدايات العصر المملوكي؛ وذلك بعد أن ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العلم، فسافر إلى تونس وأقام بها مدة، ثم قدم دمشق وتفقه بها، ودخل حماة وبغداد ودرس بهما^(٥)، ثم انتهى مظافه العلمي بدخول الديار المصرية سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، حيث حظ رحاله بمدينة أسبوط ودرس بمدرستها "الفانزية"، ثم غين قاضياً لها، وظل بها إلى أن توفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م.

وليس ثمة شك في أن مثل تلك الإشارات المصدرة الواردة بخصوص التدريس بالمدرسة الفانزية بأسبوط، في تلك الفترة، تحملنا على التسليم بوجود مدارس في أسبوط في العصر الأيوبي، لكن مما يؤسف له أننا لم نعثر، في المصادر التي بين أيدينا، على ما يدلنا على بداية ظهور المدارس في أسبوط خلال ذلك العصر، أو حتى ما يُعرفنا إن كانت المدرسة الفانزية هي

أول مدرسة بُنيت في أسبوط أم لا ؟ والأدهى من ذلك: أن تلك المصادر لم تُشر حتى إلى مؤسس الفائزية نفسها .

وعلى الرغم من هذا، ويحكم أن المدرسة الفائزية تعتبر أقدم مدرسة في أسبوط وردت إشارات إليها في المصادر التي بين أيدينا حتى الآن، أرى من الأهمية بمكان محاولة معرفة مؤسسها بطريق الاستنتاج. ولنبدأ ذلك بتحديد الإطار الزمني الذي تأسست فيه فائزية أسبوط، وليكن هو الفترة المحصورة بين سنتي ٥٨٩/١١٩٣م و ٦٤٣/١٢٤٥م، فالأولى تمثل - فيما نراه صحيحا - الحد الأدنى لتاريخ تأسيس الفائزية، بوصفها السنة التي أنهت حكم السلطان صلاح الدين، ومن المستبعد بناء تلك المدرسة في عهده، والأجدر أن تكون بُنيت في عهد خلفائه، وذلك استنادا إلى ما أورده المقرئزي^(١٢) من أن السلطان صلاح الدين أنشأ عدة مدارس بالفسطاط والقاهرة، ثم اقتدى به من بعده أولاده، وأمرأؤه، في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر، أما السنة الثانية فيمكن اعتبارها الحد الأقصى لتاريخ تأسيس هذه المدرسة، ولا يمكن أن يكون بناؤها بعده، لأنه في تلك السنة جاء العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي إلى مصر، ودرس بالمدرسة المذكورة بأسبوط^(١٣)، وهذا معناه أنها كانت موجودة بالفعل في تلك السنة.

وبالتنقيب في المصادر، عبر الإطار الزمني الذي تم تحديده آنفا، لم يصادفنا غير رجلين من الممكن أن ينسب لأحدهما تأسيس الفائزية بأسبوط، وذلك من حيث مُسمّاها، ومن حيث وجود علاقة لكلا الرجلين بالصعيد، الأول منهما هو: الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، وكان يريظه بالصعيد تلك الاقطاعات^(١٤) التي أقطعها له والده هناك، والتي تمثلت في إقطاعه "الأعمال القوصية"^(١٥)، وإن كان وجود تلك الاقطاعات في الأعمال القوصية يجعلنا نستبعد نسبة الفائزية إليه، فتو كانت تلك الاقطاعات في السيوطية لكان من السهل علينا قول ذلك.

أما الرجل الثاني فهو: الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد، الفائزي، الذي خدم الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل كاتبًا، ونُسب إليه بالفائزي، ثم خدم من بعده السلطان "الكامل" ثم ولده "الصلاح نجم الدين أيوب"، وتدرج في الوظائف حتى صار وزيرًا للسلطان "المعز أبيك التركماني" سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م مع بداية دولة المعاليك البحرية. ولما قُتل المعز، باشر الوزارة لابنه "المنصور علي" أباما، ثم قبض عليه سيف الدين "قطز" مدير دولة المنصور وصادره، وسجنه، فمات في حبيسه مخنوقًا سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م.

وذاك الرجل الثاني نتوقع، بنسبة كبيرة، أن فائزية أسبوط تُنسب إليه، والذي حدا بنا إلى ذلك التوقع، فضلا عن مُسمّاها، ما لُمسناه في سيرته من وطيد علاقة كانت تريظه بأسبوط، فهو أسبوطي النشأة والهوى، والمتتبع لمسيرته في المصادر يمكنه أن يلمس ذلك، فقد ورد عنه أنه كان من جملة نصارى صعيد مصر، وعمل كاتبًا على المصايد بأسبوط^(١٦)، ثم قدم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة، ثم ولى بعض أعمال ديار مصر^(١٧)، وهذه الأخيرة لم تفسح عنها المصادر، وقد يكون من بينها أسبوط، أو غيرها، من أعمال الوجه القبلي القريبة

منها. وربما نتأكد لنا علاقته الوطيدة بأسبيوط والصعيد، في صورة أوضح، بعد توليه الوزارة وخروجه على رأس العساكر إلى تلك البلاد لمحاربة بعض الأمراء الخارجيين على النوبة هناك^(٢٠).

زد على ذلك: أن هذا الرجل كان عنده حسن تدبير، وسمو نفس، وأريحية، وكرم طباع^(٢١)، كثير الصدقات والبرّ والصلات^(٢٢)، فأولى اهتماما بالإنشاء والتعمير بدافع فعل الخيرات، سواء قبل توليته الوزارة أو بعدها، فيما يُجمّده لنا تلك المدرسة التي بناها بمصر (الفسطاط) سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م أو ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، والتي نسبت إليه بالفانزية، وكذلك القيسارية التي أنشأها بالقاهرة^(٢٣)، والتي وُسمت على اسمه بـقيسارية الفانزي، وهذا جعلنا نزيد في ترجيحنا، إلى حد التأكيد مرة أخرى، على توقعنا أن فانزية أسبيوط تنسب إليه، وأنها كانت من بين منشأته المعمارية الخيرية التي بناها قبل أن يلى الوزارة، فقد سبق وأسلفنا أن تلك المدرسة كانت موجودة بالفعل سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م.

وغاية القول، إن وجود المدرسة الفانزية بأسبيوط في تلك الآونة، يُعدّ مؤشرا على كون أسبيوط واحدة من الأعمال أو البلدان التي حظيت بظهور المدارس فيها منذ العصر الأيوبي، لاسيما وأنها كانت، وما زالت، واحدة من أبرز الحواضر المصرية في الصعيد.

ثانياً أشهر مدارس أسبيوط في العصر المملوكي

سار سلاطين المماليك، وأمراؤهم وأتباعهم، على نهج اساتذتهم الأيوبيين في بناء المدارس^(٢٤)، وشهدت مصر في عصرهم ازدهاراً غير مسبوق في الحركة المدرسية، حيث أكثر السلاطين والأمراء، وأصحاب البصار من الأعيان وغيرهم، من تشييد المدارس في الوجهين البحري والقبلي^(٢٥). ويبلغ من انتشار المدارس في الوجه القبلي أنه كان من الميسور على تلك المدارس استيعاب أعداد الطلبة، بما في ذلك الثوافرين على هذه البلاد من طلاب العلم^(٢٦). وكانت أسبيوط واحدة من بلاد الوجه القبلي التي تميزت بمدارسها في ذلك العصر، وقد وردت بالمصادر إشارات دلت على انتشار المدارس بها زمن المماليك، منها مثلاً قول الوطواط^(٢٧): "مدينة أسبيوط على غربي النيل، بلد ... به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس"، وقول ابن دقماق^(٢٨): "وبها عدة مدارس"، وقول القلقشندي^(٢٩): "وبها مساجد ومدارس".

والمحاولة تنصب هنا على تتبع أشهر مدارس أسبيوط التي وردت تسمياتها عبر إشارات مصدرية أو مرجعية، مع تفنيد هذه الأخيرة على أضواء الأولى وعلى ما لدينا من معطيات واقعية، من خلال ما قمنا به من زيارات ميدانية لمنطقة أسبيوط القديمة، فذلك كله يساعدنا في رسم صورة واضحة لتلك المدارس، من حيث نشأتها وموقعها وتطورها، وهي في الحقيقة مجموعة مدارس لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى تركيز اهتمام مؤرخي العصر المملوكي على مدارس العاصمة المملوكية، دون التطرق إلى مدارس الأقاليم، لدرجة أن كثيراً منها لم يحظ حتى بذكر اسمائها في المصادر. وعلى أية حال فلنفسح المجال هنا للتعرف على أشهر مدارس أسبيوط زمن المماليك.

١ - المدرسة الفانزية

تُعد المدرسة الفانزية من أشهر مدارس أسيوط وأقدمها، أنشأها شرف الدين هبة الله بن صاعد الفانزي في أواخر العصر الأيوبي على نحو ما أسلفنا، واستمرت تلك المدرسة تؤدي رسالتها العلمية والثقافية زمن المماليك. وكان مبناها^(٣٢) يقع أمام الجامع العمري^(٣٣) أو المسجد الأموي^(٣٤)، أو الجامع الكبير كما اصطلح الناس على تسميته.

وممن تولى التدريس بها في العصر المملوكي، الشيخ نجم الدين أبو نصر الأموي، وظل يُدرّس بها إلى أن توفي بأسيوط سنة ٨٦٣هـ/١٢٦٥م، وكان يُدرّس فيها الفقه على مذهب الشافعي، والأصول والنحو والعروض والحكمة والمنطق^(٣٥) وإشارات ابن سينا^(٣٦).

وممن أسند إليه تدريسها أيضاً، الصلاح الحسني السيوطي، محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر (٧٨٣ - ٨٥٦هـ/١٣٨١-١٤٥٢م)، الذي أورد عنه السخاوي^(٣٧) أنه ولد ونشأ بأسيوط، وقرأ القرآن وتلقى تعاليمه الأولى بها، ثم انتقل إلى القاهرة ونزس على أيدي علمائها، ثم عاد إلى أسيوط وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، فلقى تركيا سكراتاً فراجعها كلاماً فطغى عليه فقتله، فانتقل بأهله إلى القاهرة ففطنها، ويرع في كثير من العلوم والفنون، وكتب الخط الحسن ونسخ به الكثير لنفسه ولغيره، وكان يقات منه لتخليه عن الوظائف الدنيوية، لكنه ولى بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م تدريس مدارس بأسيوط ونظرها، وكان من بينها المدرسة الفانزية، فلم يتم له ذلك، فاستمر منقطعاً عن الاقتيات بالكتابة إلى أن بنى قراقبا الحسني^(٣٨) مدرسة ... وجعله خطيبها وإمامها وكفاه مؤونة كبيرة.

وتستوقفنا هنا العبارة الأخيرة الواردة في كلام السخاوي. سالف الذكر. لأنها تدل على أنه على الرغم من إسناد تدريس المدرسة الفانزية، وبعض المدارس الأخرى بأسيوط، إلى الصلاح الحسني بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، إلا أنه لم يرق بالتدريس في تلك المدارس بالفعل، كما ظن بعض الباحثين^(٣٩)، ولو كان الصلاح الحسني قد مارس مهنة التدريس بها، أو النظر عليها، لرأينا على الأقل إشارة إلى ذلك بكتب التراجم التي ورث بها تفاصيل عن حياته العلمية والعملية، منذ ولادته بأسيوط وحتى وفاته بالقاهرة^(٤٠). والراجح أنه تم تنحيته عن هذه المدارس قبل أن يتوجه إليها، وهذا ما توضحه بجلاء عبارة "لم يتم له ذلك" الواردة في كلام السخاوي، وقد يكون سبب ذلك سعي غيره من الطماء لتولي تلك المدارس بدلا منه، بوصفها من المدارس المتميزة في صعيد مصر، مستغنين عزوفه عن الوظائف الدنيوية، وتخوفه مما قد يجابهه من مشكلات عند عودته لأسيوط، بسبب قتله رجلا تركيا فيها منذ زمن مضى.

٢ - المدرسة الشريفة

أنشأها زين الدين محمد بن أبي بكر علي بن محمود الجعفري، المتوفى سنة ٨٧٨١هـ/١٣٧٩م، وهو من أبناء أسيوط، وأحد قضاتها المشهورين، تفقه على الدمنهوري^(٤١)، وكتب الخط الحسن، وشارك في الفضائل، وبنى بأسيوط المدرسة المذكورة، ونسبت إليه^(٤٢) بالشريفة لانتمائه إلى السادة الأشراف (آل البيت)، كما هو واضح من اسم الجعفري الوارد في

نسبه. ويزداد ذلك وضوحاً عندما نعلم أنه ابن عم شرف الدين عبد الوهاب، والد جلال الدين، الشريف الجعفري الزينبي الأسيوطي^(١٣).

يقول ابن حجر العسقلاني^(١٤) عن زين الدين مؤسس تلك المدرسة: إنه زين الدين بن الناظر الأسيوطي، وهذا القول بحاجة إلى مراجعته، لأن ابن الناظر الأسيوطي رجل آخر غير زين الدين، وعاش في فترة لاحقة له، وربما حدث خطأ أو خلط بين الرجلين من كون اسم كل منهما محمد بن أبي بكر، لأن ابن الناظر كما يقول عنه السخاوي^(١٥) هو "محمد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن عبد الغفار بن يحيى بن إسماعيل، الشريف الحسن بن المغربي، الفاسي الأصل، الصعيدي المالكي، نزيل الحجاز ويلقب أبوه بالناظر. ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، في نواحي الصعيد من بلاد مصر وزى في نواحي أسيوط من بلاد الصعيد ... وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين ... وارتحل لدمشق في سنة أربع وأربعين ... ثم عاد لمصر وركب البحر من القصير، في سنة ثمان وأربعين، فدخل لبندر شبع، فاتصل بصاحبها الشريف معزى، فجهزه للحج، ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام عند معزى، بقرى أولاده، إلى أن لقيه البقاعي في ربيع الآخر من التي بعدها ... وما علمت شيئاً من خبره بعد ذلك".

أما عن موقع المدرسة الشريفة بأسيوط؛ فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماماً من أية إشارات إليه، ونتوقع أنها كانت بدرب الشريفة، الذي من الواضح أنه سمي كذلك لوجودها به، وهو درب مشهور ومعروف بأسيوط القديمة، وبه مسجد صغير يعرف بمسجد الشريفة، بُني مكان المدرسة الشريفة، ويمرور الزمن ذرج الناس على تسميته بمسجد الشريفة بدلاً من الشريفة^(١٦).

ومن أسند إليه تدريس تلك المدرسة، الصلاح الحسن بن السيوطي، محمد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر، وكان ذلك بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، عندما أسند إليه تدريسها مع مدارس أخرى بأسيوط^(١٧)، لكن لسوء الحظ لم يتم له التدريس بتلك المدارس، كما سبق وأوضحنا في سياق الحديث عن المدرسة الفالزية.

ومن بين مدرسيها المشهورين في العصر المملوكي، جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، المتوفى سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م)، ووالده ابن عم زين الدين مؤسس تلك المدرسة كما أسلفنا. وما يجب ذكره هنا، أن جلال الدين هذا ليس هو جلال الدين الأبهسي، كما اعتقده أحد الباحثين^(١٨)، لأن جلال الدين الأبهسي هو الجلال أبو الفضل بن البدر بن فتح الدين أبي الفتح، الشافعي، نزيل القاهرة^(١٩)، ولم يرد عنه أنه نرس بأسيوط أو حتى زارها من الأصل.

وهناك من يعتبر أن الشيخ شرف الدين شارح المنارات (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م) تولى التدريس بتلك المدرسة^(٢٠)، لكن تلك المقولة بحاجة إلى مراجعة^(٢١)، لأن شرف الدين المذكور لم يدرس بها إطلاقاً، وهو من علماء قيريم^(٢٢)، وتوفي بمدينة أدرنة^(٢٣) التركية.

٣. المدرسة الخضيرية :

تعد تلك المدرسة من بين المدارس التي عُرفت بأسيوط في العصر المملوكي، وأوردها السخاوي^(٢٤) تحت مسمى "البدرية الخضيرية"، وتبعه في ذلك علي مبارك في خططه^(٢٥). وهناك

من المؤرخين المحدثين من قسم ذلك المسمى نصفين، معتبرين أن البدرية مدرسة، والخضيرية مدرسة أخرى^(٥٧)، والراجح أنهما مدرسة واحدة عرفت بالخضيرية وبالبدرية، كما هو ثابت بالمصادر، وإن كانت شهرتها بالخضيرية أوسع وأعم.

وليس لدينا في الواقع أية معلومات عن سبب تسميتها بالبدرية، أما بخصوص تسميتها بالخضيرية وفيما يتعلق بتاريخ إنشائها، فيرى أحد الباحثين - من خلال مطالعته لعدد من حجج الوقف الخاصة بتلك المدرسة في العصر العثماني - أنها وردت في الوثائق تارة مسبوقة بكلمة مسجد، وتارة مسبوقة بكلمة مدرسة، ويُرجح أن مبناها كان مسجداً مخصصاً للصلوات الخمس، ومدرسة لتعليم علوم القرآن واللغة، خاصة وأن الخضيرية، إحدى الطرق الصوفية التي كانت موجودة بمصر في العصر العثماني، قد اتخذت من هذا المسجد مقراً لها^(٥٨).

وهو بذلك يوصل لتلك المدرسة من حيث النشأة والتسمية على أنها تعود إلى العصر العثماني، مستندا في ذلك، على حد قوله، إلى أن أقدم ذكر لها، في حجج الوقف الخاصة بها، يرجع إلى ١٩ رجب سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م، حيث تشير حجة مؤرخة بهذا التاريخ إلى قطعة أرض مقدارها ثمانية فرائط، موقوفة على مسجد الخضيرية^(٥٩).

والحقيقة أن تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي، وليس إلى العصر العثماني، فقد يكون استدلال هو، بوصفه متخصصا في علم الآثار، من خلال مبناها على ما يوحى بأنها عثمانية الشكل من حيث طرازها المعماري، لكن هذا قد يكون من جراء إضافات أو تجديدات طرأت على مبناها زمن العثمانيين، لكنها هي في الأصل مملوكية، وهي مدرسة وليست مسجداً، وقد أوردها السخاوي في كتابه الضوء اللامع^(٦٠) على أساس أنها مدرسة كما ذكرنا آنفاً. وربما أطلق عليها مسجد من جراء التشابه الكبير ما بين المسجد والمدرسة، نتيجة تأثر عمارة المدارس بعمارة المساجد والجوامع في العصر المملوكي، والذي لم يقف عند حد تخطيطها فحسب، وإنما أيضا في انتقال بعض الوحدات والعناصر من المساجد والجوامع إلى المدارس، مثل: المنذنة والمنبر، ودكة المبلغ أو المؤذن، وخلوة الخطيب وكرسي المصنف^(٦١) لدرجة أن من المدارس ما كان على شكل المسجد تماما، ومن هنا وجدنا المدرسة الخضيرية يطلق عليها، في الوثائق العثمانية، كلمة مسجد في بعض الأحيان.

وعلى أية حال فما دامت تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي؛ فنرجح أن بانيها أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، العالم الجليل، صاحب التأليف والتصنيف المشهورة، لاسيما وأن أجداده كان يطلق عليهم الخضيرية أو الخضرية، ويتضح هذا بجلاء عند قراءة ترجمته لنفسه، أو لوالده كمال الدين أبو بكر (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، في أكثر من مؤلف له^(٦٢)، لاسيما في كتابيه "حسن المحاضرة" و"التحدث بنعمة الله"، وعلى وجه الخصوص الكتاب الثاني منهما، الذي وضعه السيوطي ليتحدث فيه عن نفسه وعن نسبه وعائلته وولد والده، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بحياته، والذي علمنا من خلاله، ومن غيره، معلومات تفيد بأن جدّه الأعلى الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى، وهو الجد الثامن له^(٦٣)، تعود نسبته بالخضيرى إلى محلة ببغداد، تعرف بالخضيرية أو الخضرية^(٦٤)، على حد قول

الشيخ جلال الدين السيوطي، خاصة وأنه سمع من مصدر موثوق به، عن والده، أن جدّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق^(١٥).

ولو ربطنا ذلك بما ساقه السيوطي^(١٦) في موضع لاحق في ثنايا ترجمته لوالده، لتبين لنا بالفعل أن أحد أجداده هو باتي المدرسة الخُضيرية بأسسيوط، إذ يقول عقب انتهائه من الحديث عن جدّه الهمام الخُضيري: "وأما من دون جدي المذكور من أجدادي، فقد كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولى القضاء بأسسيوط، ومنهم من ولى الحسبة بها، ومنهم من كان في صحبة الأمير شيخو^(١٧)، وبنى مدرسة بأسسيوط، ووقف عليها أوقافاً، ويحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البناء الذي بنى مدرسته بالصليبة^(١٨) أن يذهب معه إلى أسسيوط فيبنى له مدرسة نظيرها، فأجابته إلى ذلك...".

وثمة أمور ثلاثة مهمة يمكن استبحاؤها، أو استلهاها، من النص السابق الذي أورده السيوطي: أولها تاريخ بناء المدرسة الخُضيرية، والذي يمكن أن تحصره بين سنتي ١٣٥٥م/١٣٥٨م و١٣٥٧م، فلا يعقل أن تكون تلك المدرسة بُنيت قبل السنة الأولى، لأنها السنة التي بُنيت فيها مدرسة أو خانقاه شيخو^(١٩)، والتي على شاكلتها بُنيت الخُضيرية، كما لا يمكن أن تكون بُنيت، على وجه الترجيح، بعد سنة ١٣٥٨م/١٣٥٧م، لأنها السنة التي قُتل فيها الأمير شيخو^(٢٠)، والبناء الذي بنى المدرسة ذهب إلى أسسيوط بأمر منه.

والأمر الثاني الذي يمكن استلهاه من النص ذاته: أن باتي المدرسة الخُضيرية بأسسيوط، وهو أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، كان على اتصال بالأمير شيخو، وأن ثمة علاقة ربطت بينهما وساهمت في استجابة الأمير شيخو لإرسال البناء معه إلى أسسيوط، ولا نستبعد أن يكون سفر الأمير شيخو إلى أسسيوط، ونزوله بها مع أواخر سنة ١٣٥٤م/١٣٥٣م، وأوائل سنة ١٣٥٥م/١٣٥٤م، للقضاء على ثورات العريان هناك^(٢١) قد لعب دوراً فاعلاً في ربط أواصر الصلة بين الرجلين، حيث استقبله أهل أسسيوط وأطلعوه على أمور العرب وعلى أعدادهم، ومدى عزمهم على المحاربة^(٢٢)، ومن دون شك أن جدّ الشيخ جلال الدين المشار إليه، كان من بين المستقبّلين للأمير شيخو بأسسيوط، وكيف لا ؟ ! وهو بُعد واحدًا من غلبة القوم بأسسيوط، ومن وجهاتها^(٢٣) الذين عملوا بالتجارة^(٢٤).

أما ثالث أمر يعكسه النص المذكور، ولا يقل أهمية عن سابقه، أن المدرسة الخُضيرية بأسسيوط بُنيت على نمط المدرسة أو الخانقاة الشيخونية بالقاهرة، وهذا في حد ذاته يعكس أن مدارس أسسيوط في العصر المملوكي، كانت تُبنى على غرار مدارس العاصمة، الأمر الذي يجعلنا في محسب الحاجة هنا إلى توجيه دعوة لطعام الآثار، وعلى الأخص للمصريين منهم، لبذل مزيد من الجهود العلمية المتأنية، لكشف النقاب عن مثل تلك المدرسة بأسسيوط وغيرها، ومحاولة تقديم الدراسات الأثرية اللانفة بها، التي يمكن أن تُطّلع من خلالها على أوصاف تلك المدارس جملة وتفصيلاً، لا سيما وأنها كانت على شاكله مدارس العاصمة من حيث مبانيها وملحقاتها، ومن المؤكد أنه روعي عند بنائها الأغراض التعليمية، بحيث اشتملت على مواضع للتدريس، وخزانة للكتب، وأماكن للصلاة، ومساكن للطلبة والموظفين. وذاك أمر لم تتفرد به مدارس أسسيوط، وإنما كان من الأمور المرعية عند تشييد مدارس صعيد مصر بصفة عامة^(٢٥)، والمطلع

على ما كتبه الأندلسي^(٧٦) (ت ٨٧٤٨/١٣٤٧م)، في العصر المملوكي، بصادف وسط كتاباته إشارات إلى مثل هذه الأمور.

وعن موقع المدرسة الخُضيرية بأسسيوط: فإنها كانت تقع بمنطقة الخُضيرية (أو الخُضرية^(٧٧)) جنوب غرب مدينة أسسيوط، وتطل واجهتها الغربية على شارع الخُضيرية، وواجهتها الشمالية على شارع الطويجي^(٧٨).

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية، في أسسيوط، طوال العصر المملوكي، بل وبعد ذلك في العصر العثماني، وقد حُفّلت سجلات وقائع محكمة أسسيوط الشرعية، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، بالكثير من حجج الوقف الخاصة بها^(٧٩) خلال ذلك العصر الأخير.

ومن أسند إليه تدريسها ونظرها في العصر المملوكي: الصلاح الحسني السيوطي، الذي وليها هي والشريفية والفانزية، وكان ذلك بعد سنة ٨٨٣٥/١٤٣١م، لكن لم يتم له التدريس بتلك المدارس^(٨٠) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٤- مدارس أخرى :

إلى جانب المدارس السابقة، وجدت مدارس أخرى في أسسيوط، وفي بعض توابعها في العصر المملوكي، وقد ورد ذكرها عرضاً في المصادر والمراجع، ولم نقف حتى على مسمياتها، والأمانة العلمية تقتضي هنا إعطاء لمحة سريعة عنها، لأن عدم ورود تفصيلات عنها في المصادر والمراجع، تصرّحاً أو تلميحاً، لا يُعنى بالضرورة أنها لم تكن من المدارس المعروفة في العصر المملوكي، فمن المؤكد أنها كانت تُعرف لدى الدارسين آنذاك أو حتى على الأقل داخل الوسط الإقليمي الواقعة في إطاره، ومن المؤكد أيضاً أنها أسهمت مع نظيراتها من المدارس المشهورة سابقة الذكر، في تنشيط الحركة المعرفية والثقافية في أسسيوط في ذلك العصر، لكنها لم تحظ بتسليط الأضواء عليها عبر الكتابات التاريخية أو الأثرية أو غيرها، الأمر الذي ضاعت معه حتى مسمياتها نفسها.

ومن هذه المدارس: مدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي، وهو ذلك المسجد المشهور الذي يقع بشارع القيسارية، وعلمنا أن ثمة مدرسة كانت هناك مما أورده سيد علي الطويجي^(٨١) في سياق مقدمة كتابه الذي كتبه عن أسسيوط في العصر الحديث (سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م)، إذ يقول عن أسسيوط: "ولو لم أكن منها لتمنيت أن أكون منها، وقد سبقتني أبي وجدي، فجدي أثرها على بلدة السلعيمانية عاصمة الموصل، فأدى بها ثقافة علمية، تدريس اللغة التركية، بمدرسة كانت بمكان مسجد سيدي جلال، وكذا فقه الحنفية والحديث النبوي، وقد ذكر (تلك) جدي أحمد في سند رسمي صادر من السيد أحمد رافع عفيف الدين، والسيد محمد عبد الرحيم عفيف الدين سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م.

ويمطالعة ما كُتب في المراجع حول مسجد سيدي جلال، الذي كانت بمكانه المدرسة المذكورة، وجدنا عثمان فيض الله^(٨٢) يقول عنه: إنه كان يسمى قديماً باسم مسجد الجنصلي نسبة إلى أحد أهالي بلدة جنص بالشام، والذي قدم إلى أسسيوط واستوطن به مدة، ولقد جُدد المسجد عدة مرات، في العصر الحديث، بإشراف وزارة الأوقاف، ويقول عنه سيد علي الطويجي،

نقلا عن أحمد باشا تيمور: إنه عُرف بمسجد سيدي جلال عند العامة، وبمسجد الحمصي عند أهل العلم، وإن نسبته إلى الحمصي عند الخاصة ربما كانت لتجديده أو لتولييه الإمامة أو التدريس فيه أو النظر عليه، ولتحقق ذلك، فكله مبني على الظن والاحتمال^(٨٣).

وبناء عليه، حاولت تحقيق تلك النسبة من خلال تقصي المعلومات الواردة بالمصادر المملوكية، عن كل من لُقّب بالحمصي، فتبين لي أن الحمصي، الذي نسب إليه ذلك المسجد بأسبوط قبل أن يُعرف بمسجد سيدي جلال، هو الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن الحسن، القرشي المخرومي الحمصي، ثم القاهري الشافعي، ويعرف بابن الحمصي (ت ٨٦١هـ/١٤٥٧م)، فهذا الرجل ورد عنه بالمصادر: أنه ولي قضاء أسبوط سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، وأقام في قضائها مدة طويلة، وعُثر بها جامعا^(٨٤)، فمن المؤكد أنه هو الجامع أو المسجد المذكور الذي نسب إليه، والذي لا نعلم على وجه اليقين هل كان جامعا بالفعل، كما قال السخاوي، أم كان مدرسة كما اعتبره الطوحي؟ وإن كنت أميل إلى الأخذ برأي الأخير، وخاصة في ظل الخلط الذي كان سائدا، في عصر المماليك الجراكسة، بين كل من المسجد أو الجامع، والمدرسة، والخانقا، فمن المعروف أن المدرسة أصبحت زمن المماليك مكان عبادة ودرس، وكان أهم ما يميزها عن المسجد: مساكن الطلبة التي كانت تحقق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب والمدرسون^(٨٥).

وهذه المساكن من الصعب علينا، بالطبع، معرفة وجودها من عدمه في المكان الذي نحن بصدد الحديث عنه، أو حتى معرفة أوصاف المبني الذي كان قائما هناك من حيث تكوينه وعناصره المعمارية، فقد قدم ذلك المبني، وأقيم مكانه المسجد المعروف حاليا بمسجد سيدي جلال، والذي طرأت عليه تغييرات وتجديدات لم تبق للمبني القديم معالم أثرية مادية، كما لم يسجلها التاريخ، فضاعت تلك المعالم، وذهب معها الرسم والاسم.

ومهما يكن من أمر فقد اتخذ القاضي سراج الدين الحمصي من ذلك المكان الذي بناه بأسبوط سواء كان مدرسة، وهو الأرجح، أو جامعا اتخذ منه مكانا للتدريس، ومن تتلمذ على يديه فيه: والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، قبل انتقاله إلى القاهرة^(٨٦).

ولعل ارتباط اسم والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بذلك المكان، وتخرجه منه يفسر لنا نسبة المسجد، الذي حل مكان المدرسة إلى الشيخ جلال الدين السيوطي، وذلك من الأمور المهمة التي يجب التنبيه إليها وتصحيحها هنا، لأنها من الأخطاء الشائعة بين الناس إلى الآن، ومما يزيد في خطورتها أن تلك النسبة لم تقف عند حد المسجد، بل اتسحت كذلك على الضريح الموجود بالمسجد، فقليل إنه قبر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وصار ذلك من الأمور المُستَم بها، مع أن الشيخ جلال الدين السيوطي لم يأت إلى أسبوط ولم يرها، كما روى ذلك بنفسه، في قوله عن أسبوط: "وقد أفردت لها تاريخا حسنا في مجلد لطيف"^(٨٨)، اقتداء بمن أفرد من المحدثين لبلده تاريخا، مع أنني لم أرها إلى الآن، فبأتي إنما ولدت بمدينة مصر، ولم أسافر إليها البتة، وإنما فطنت ذلك لكونها بلد الوالد والأجداد"^(٨٩). وقد حقق أحمد تيمور قبر الإمام السيوطي وموضعه بالقاهرة ونقل عنه سيد علي الطوحي^(٩٠) قوله: إن في مدينة أسبوط مسجدا يعرف بجامع سيدي جلال الدين السيوطي وبه ضريح تزعم العامة جهلا أنه

ضريحه، إلى أن قال: والذي أراه أن ذلك الضريح هو المكان الذي كان يدرس به كمال الدين أبو بكر والد الإمام جلال الدين السيوطي قبل انتقاله إلى القاهرة، فنسبة المسجد إلى السيوطي إنما هي لوالده لا للمنفون في الضريح، فمن توالي الأيام ظنّوه أنه السيوطي، مع أنه مكان أبيه.

ويمكن أن نضيف هنا: أن ذلك الضريح إنما هو للشيخ همام الدين الهمام الخضيرى، وهو الجَد الأعلى للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وذلك استناداً إلى ما قاله السيوطي^(١١) عن جده هذا: إنه كان أحد مشايخ الصوفية وأرباب الأحوال والولايات^(١٢) إلى أن قال: "ولجدنا هذا ضريح بأسبوط يُزار ويُتبرك به".

فمن المؤكد أنه هو ذلك الضريح، ولما بنى السراج الحمصي بجواره المدرسة أو المسجد، عرف أولاً بمسجد الحمصي، ثم صار يطلق على ذلك المسجد اسم السيوطي، نسبة إلى والد الشيخ جلال الدين الذي تعلم به، ونُسب كذلك الضريح إلى السيوطي على اعتبار أنه لجدّه، ثم مع مرور الزمن، وغموض الحقيقة، نُسب المسجد والضريح إلى جلال الدين السيوطي نفسه لشهرته. وربما وجود هذا الضريح بالمسجد جعلنا نعود لنؤكد، من جديد، على أن ذلك المكان الذي غُثِرَ الحمصي إنما هو في الغالب مدرسة وليس مسجداً. ذلك لأن المدرسة لم تكن في عديد من الحالات، في ذلك العصر، بناءً مستقلاً قالما بذاته، وإنما كانت جزءاً ملحقاً بالقبة المدفون بها أحد الأشخاص^(١٣).

وعلى كل حال، لم يقتصر وجود المدارس في أسبوط على المدارس آنفة الذكر، أو بمعنى آخر لم يقف عند حد مدينة أسبوط بوصفها قاعدة أو مركزاً للأعمال السيوطية، وإنما وجدت المدارس أيضاً في بعض المدن الأخرى التابعة لذلك الإقليم، وإن كنا لم نحظ في المصادر بإشارات كافية عن تلك المدارس، فيكفي للتدليل على وجودها، على سبيل المثال، ما أورده ابن دقماق^(١٤) (ت ٨٠٩/١٤٠٦م) في سياق وصفه لمدينة بوتيغ^(١٥)، التي كانت - وما زالت - إحدى المدن التابعة لأسبوط، إذ يقول عنها: "وهي مدينة على ضفة النيل الغربية بعيدة عن النيل قليل، وبها جامع كبير قديم وبها مدارس..."

ويمكن الاستدلال من وجود تلك المدارس في مدينة بوتيغ على المكانة التي تتبوأها تلك المدينة كواحدة من المراكز العلمية المهمة بصعيد مصر في العصر المملوكي^(١٦)، وقد وردت بمصادر ذلك العصر إشارات إلى أسماء علماء وفقهاء نشأوا بتلك المدينة وتلقوا تعليمهم بمراكزها التعليمية^(١٧).

وصفوة القول: إن وجود هذه المدارس في أسبوط وفي بعض توابعها، في العصر المملوكي، يعكس وجود حركة مدرسية، ونهضة تعليمية، واسعة النطاق داخل الإقليم الأسبوتي في تلك الآونة.

ثالثاً الحياة التعليمية في مدارس أسبوط في العصر المملوكي .

كانت مدارس أسبوط، وغيرها من المدارس، في العصر المملوكي تمثل المرحلة العليا من مراحل التعليم آنذاك، أو بمعنى آخر كانت عبارة عن كليات إسلامية عالية، يلتحق بها الطلاب لإتمام الدراسة. ويكون الالتحاق بها، في الغالب، عقب سن البلوغ بعد الانتهاء من مرحلة

التعليم الأولى بالكتاتيب (أو الابتدائية^(١٧)). فمن الثابت والمعروف: أن الطفل كان يلتحق بالكتاب أو المكتب وعمره سبعة أعوام، وإن كان كثير من الآباء، في العصر المملوكي، يلحقون أبناءهم به في سن أقل، ليستريحوا من تعبهم، وليس من أجل القراءة^(١٨)، ويستمر الطالب في المكتب منتقلا بين حلقاته: من حفظ للقرآن، أو سماع للحديث أو تعلم للفقهاء، أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط، حتى سن البلوغ، ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروى له، ليلتحق بإحدى حلقاتها، وإن لم يرغب فيصرف لشؤون الحياة^(١٩).

وعندما يلتحق الطالب بالمدرسة ينخرط في حياة تعليمية مفعمة بتلقي معارف مختلفة وعلوم متنوعة، وقد شهدت المدارس بصعيد مصر، بما فيها مدارس أسيوط، ذلك التنوع فيما كانت تقدمه لأبنائها من العلوم والمجالات المعرفية المختلفة، فكان يُدرس بها آنذ العلوم الدينية، كالفقهاء والأصول والحديث والتفسير والقراءات، فضلا عن العلوم اللغوية، كالنحو والصرف والبلاغة، كما اتسع المجال فيها لتدريس العلوم العقلية، كالفلسفة والمنطق، وكذلك العلوم الصلية، كالطب والكيمياء والفلك والهندسة^(٢٠).

ولدينا من الشواهد ما يمكن الاستناد إليه للتدليل على التنوع المعرفي داخل مدارس أسيوط المملوكية، وأول هذه الشواهد: أن المدرسة الفانزية كان يُدرس فيها، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ الفقه على مذهب الشافعي، والأصول، والنحو، والعروض، والحكمة، والمنطق^(٢١) والأدب والشعر^(٢٢).

ومن الشواهد الثابتة لذلك، أيضا، أن السير الذاتية الواردة في ثنايا المصادر لبعض العلماء الذين تلقوا تعليمهم، أو بعضها منها، في أسيوط زمن المماليك، حوت في سياقها معلومات تفيد بذلك التنوع في العلوم والتخصصات التي سادت الوسط التعليمي في أسيوط وغيرها، ليس في عصر المماليك البحرية فحسب، وإنما كذلك في عصر المماليك الجراكسة، ويمكننا من خلال نظرات سريعة في مثل هذه السير، التأكد من ذلك، فطلى سبيل المثال: أورد جلال الدين السيوطي^(٢٣) في سيرة والده كمال الدين أبي بكر السيوطي أنه "ولد في أول القرن (أي التاسع الهجري) تقريبًا، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، وبرز في الفقه والأصول، والنحو والصرف، والمعاني والبيان، والفرائض والحساب بأنواعه، والمنطق، والوثائق".

وبمطالعة سيرة أخرى، مثل سيرة الشريف الحسني، محمد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب، الملقب أبوه بالنّاظر، يمكننا التأكيد على ما سبق، بل إن هذه السيرة تمدنا بتفاصيل أدق عن التخصصات والعلوم التي كانت تُدرس بأسيوط، في العصر المملوكي، لأنها تفيد في معرفة أشهر الكتب والمؤلفات والمتون المعتمدة أو "الكراريس" التي كان المتعلمون ملزمين بحفظها، وعرضها على مشايخهم قبل أن يأخذوا معهم في مباحثها ويسطّ قواعدها، إذ ورد في ثنايا تلك السيرة أن صاحبها "ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في نواحي الصعيد من بلاد مصر وزبي في نواحي أسيوط من بلاد الصعيد فقرأ بها القرآن وتلا به لأبي عمرو على مؤيد الشريف محمد بن أحمد بن علي التمساني، وحفظ العدة^(٢٤)، وأربعي النووي (في الحديث)، والرسالة (في أصول الفقه للإمام الشافعي رحمه الله)، وأكثر المختصر الفرعيني (في الفقه)، وجميع جمع الجوامع (في أصول الفقه)،

والفقيه ابن مالك (في النحو)، والمنحة^(١٠٥)، والجرومية^(١٠٦) وتصريف العزى^(١٠٧)، والرحبية^(١٠٨) في الفرائض، وإيساغوجي^(١٠٩) (في المنطق)، والنفحة الوردية (في النحو لعمر بن الورد المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، والبعض من المفصل (في النحو للزمخشري)، والحاجبية (في النحو والصرف لابن الحاجب)، وأكثر ناظر العين^(١١٠)، والصدقات في علم الهيئة (أي الفلك)، والفية العراقي^(١١١)، والشاطبيتين^(١١٢)، والساوية^(١١٣) في العروض، وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين...^(١١٤).

وفي الإطار ذاته: يمكن أن نأخذ من سيرة محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، الشمس الأسبوطي المنهاجي، شاهدا جديدا على صحة كلامنا، حيث يقول السخاوي^(١١٥) في سياق تلك السيرة: "ولد كما قال لي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وقيل سنة عشر بأسبوط، ونشأ بها فحفظ القرآن عند سعد الدين الواحي وغيره، والعمدة، وأربعي النووي، والشاطبية والمنهاج الفرعي والأصلي، وسطور الإعلام في معرفة الإيمان والإسلام^(١١٦) للحمص، فيما زعمه". ثم يستطرد السخاوي بعد ذلك بكلام عن هذا الرجل، يفيد أنه عرض محفوظاته وتلقى تعليمه في علوم الفقه والنحو والحديث والقراءات والأدب، على مشايخ وعلماء بالقاهرة وأسيوط. وعلى كل حال، ففي ظل هذا التنوع في العلوم والمجالات المعرفية، كان الطلبة في المدارس يختارون العلوم التي يدرسونها، وكثيراً ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العالية^(١١٧).

وتكشف لنا الحياة التعليمية في مدارس أسبوط، في العصر المملوكي، عن وجود مدرسين أو أساتذة ومشايخ بارزين بتلك المدارس، عكفوا على تدريس صفوف العلوم بها، وساهموا من خلال مؤلفاتهم التي وضعوها في تلك العلوم، ومن خلال قيامهم بشرحها وتدريسها، مع غيرها من مؤلفات سابقينهم من العلماء أو المعاصرين لهم، في نشر الثقافة والمعرفة بأسبوط في ذلك العصر، وتخريج جيل من العلماء المتميزين، كانوا على شاكلتهم، فجاءوا كثيراً من مدن مصر وغيرها، تاركين بها بصمات واضحة في المجالين العلمي والمعرفي، جاءلين بذلك من مدارس أسبوط ومؤسساتها التعليمية الأخرى، رافداً مهماً من روافد التعليم في مصر في تلك الآونة، وليس أدل على ذلك مما أورده السيوطي في كتابه المَعْنُون بـ "التحدث بنعمة الله"^(١١٨)، عن كثير من أسماء العلماء الخارجين من أسبوط أو المنسوبين إليها، والذين يحمل كل منهم في اسمه لقب السيوطي أو الأسبوطي، فمنهم رواة للحديث النبوي ومسندون، ومنهم أدباء ونحاة وشعراء وأولياء، وغير ذلك، ومن المؤكد أن من بين هؤلاء العلماء من درس أو درس بالمدارس الأسبوطية، وللتدليل على ذلك يكفينا في مجال الحديث، على سبيل المثال لا الحصر، ودون الخوض في ذكر تفاصيل أو أسماء، أن نأخذ من كلام السيوطي في هذا الصدد قوله: "وقد خرج من أسبوط ونُسب إليها خلانق من رواة الحديث... ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والخفّاء".

ولنعرض هنا نماذج لبعض المدرسين الذين شغلوا وظائف التدريس في مدارس أسبوط، زمن المماليك، للتعرف على جوانب من حياتهم العلمية والتعليمية، ومكانتهم العلمية الرفيعة التي وصلوا إليها، ومدى مساهماتهم في حركة التعليم ونشر الثقافة في العصر المملوكي.

وأول أولئك المدرسين: العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي، الفتح بن موسى بن حماد، المعروف بالقصري، وهو من العلماء الذين اضطلعوا بالتدريس بالمدرسة الفانزية بأسبوط، ومن قضاتها المشهورين، وتناولنا التعريف به من قبل^(١١٩)، ويطوافه في كثير من بلدان العالم الإسلامي طلباً للعلم، وانتهاءً تلك العطاف بدخوله مصر سنة ١٢٤٣هـ/١٢٤٥م، ثم استقراره في أسبوط لحين وفاته بها سنة ١٢٦٣هـ/١٢٦٥م. وبقي أن نشير هنا إلى مؤلفاته، والتي من أشهرها: نظم المفصل^(١٢٠) للزمخشري في النحو، ونظم كتاب الإشارات (أي الإشارات والتنبيهات في الحكمة) لابن سينا، ونظم السيرة لابن هشام^(١٢١) المسمى بـ "الوصول إلى السؤل في نظم سيرة الرسول"^(١٢٢)، وهو على قافية رالية في اثني عشر ألف بيت^(١٢٣)، وله أيضاً منظومة في العروض^(١٢٤).

ومن المدرسين والعلماء الأجلاء الذين درّسوا بأسبوط أيضاً: الحسن بن عبد الرحيم بن الأثير، القرشي، محيي الدين الأرمني، الفقيه الشافعي، الذي أورده الأذفوي ضمن من ترجم لهم في كتابه^(١٢٥)، وقال عنه: إنه كان من العلماء الصالحين الفقهاء العلماء العاملين، وتولى التدريس بمدينة أسبوط، وأقام سنين يُدرّس بها، وسافر من أسبوط، فتوفي في الطريق، وحمل إلى مصر، ودفن بسفح الجبل المقطم، وكان ممن يتبرك الناس به ويقصدون الدعاء منه، وكانت وفاته في سنة ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م.

ومنهم أيضاً: تقي الدين يحيى بن عبد الرحيم بن الأثير الأرمني، الذي يصفه الأذفوي^(١٢٦) بقوله: "كان من الفقهاء الشافعية المشاركين، درس بمدرسة سيوط سنين كثيرة، وتولى الحكم بإطفيح"^(١٢٧) ويمقلوط (إحدى مراكز أسبوط حالياً)، وسهرته فيه حميدة، وهو من بيت علم ورياسة، وجلالة ونفاسة، وحكم وعدالة، وسيادة وأصالة، وولده سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي بمدينة سيوط سنة ثمان وسبعمائة.

وجدير بالملاحظة هنا أن الأذفوي في ترجمته لتقي الدين المذكور؛ لم يوضح لنا في أي مدرسة كان يُدرّس، ونتوقع أنه كان يدرس بالفانزية، حيث لم تكن الشريفة أو الخضيرية أنشئتاً بعد، وربما كانت الفانزية هي المدرسة الوحيدة في أسبوط وقت تدريسه بها، ولهذا نقرأ في كلام الأذفوي عبارة "درس بمدرسة سيوط". فلو كان بأسبوط مدارس غيرها ما وصفها الأذفوي بأنها مدرسة أسبوط.

ومن كبار المدرسين كذلك: جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، الشريف الجعفري الزينبي الأسبوطي، مدرس المدرسة الشريفة بأسبوط، وكان ممن أسند لهم الحكم أو القضاء بها مدة، وتوفي سنة (١٢٤٧هـ/١٢٤٣م). وقد سبق التعريف به في سياق الحديث عن المدرسة الشريفة.

ولا يغيب عن البال هنا: الشيخ كمال الدين أبو بكر الخضير السبوطي (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، والد الإمام جلال الدين عبد الرحمن السبوطي، الذي يقول عنه ولده^(١٢٨): "إنه اشتغل بالعلم ببلده أسبوط وولي بها القضاء قبل قدومه إلى القاهرة. ونتوقع أنه درس بأسبوط بالمدرسة التي كانت مكان مسجد سيدي جلال الدين السبوطي حالياً، وهو المكان الذي تتلمذ فيه على يد القاضي سراج الدين الحمصي، كما سبق ذكره.

ومصادر العصر المملوكي المتأخرة، وما بعده، تحمل في طياتها مادة علمية غزيرة، ترجم فيها أصحابها لشخصية هذا العالم الجليل^(١٣١) ومن بين تلك التراجم نسوق مقتطفات من ترجمة ابنه له في كتاب "التحدث بنعمة الله"، ففيها الكفاية للتعرف على مشواره العلمي، ومكانته العلمية، وبالتالي؛ مكانة خريجي مدارس أسبوط، وإسهاماتهم في إثراء الحياة العلمية في العصر المملوكي.

يقول السيوطي^(١٣٢) عن والده: "كان مولد والدي بأسبوط في أوائل القرن تقريباً ... واشتغل بالعلم ببلده، وولي بها الحكم نيابة. وقدم القاهرة سنة ثمان وعشرين، فسمع صحيح مسلم على الحافظ ابن حجر، في سبع وعشرين. وكتب له الشيخ برهان الدين بن خضر^(١٣٣) ... ولازم العلامة شمس الدين القاباني^(١٣٤) فأخذ عنه الكثير في الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والبيان والمنطق، وأجازه بتدريس هذه الفنون كلها في سنة تسع وعشرين. وأخذ عن الشيخ باكير علم المعاني والبيان. وتلا على الشيخ محمد الجبلاني، وبرع في الفنون وتصدى للتدريس والإفتاء زماناً. وكتب الخط المنسوب الفائق، وبلغ في فن الإنشاء والبراعة والترسل والتوثيق نهاية أذعن له فيها أهل عصره قاطبة، وانعقد الإجماع على انفراده بهذا الفن في عصره. وكان الأكابر من أهل هذا الفن يخضعون له ويأتون إليه ... وللوالد تعاليق وفوائد ضاعت. ولم أقف عليها. ومما رأيته من تعاليقه حواشي على شرح الألفية لابن المصنف ... وحاشية على "العقد". ورسالة في أعراب قول "المنهاج": وما ضيَّب بذهب أو فضة". وحواشي على "أدب القضاء" للقرني، وأجوبة اعتراضات ابن المقرئ على "الحاوي". وأخذ عن الوالد جماعة فضلاء وانتفعوا به...".

والملاحظ من خلال النماذج السابقة ومن غيرها من الأمثلة - منعنا الخوف من الإطالة ذكرها هنا، لبعض المدرسين بمدارس أسبوط، في العصر المملوكي، أنهم كانوا يشغلون بجانب وظائفهم التدريسية وظائف القضاء والنيابة في الحكم^(١٣٥).

كما نلاحظ أيضاً: أن المدرسين بمدارس أسبوط لم يكونوا كلهم من أبناء أسبوط، وإنما كان منهم علماء من البلاد المصرية الأخرى من الصعيد ومن الوجه البحري، بل كان من بينهم علماء غير مصريين، منهم من كان من المغرب مثل الفتح بن موسى بن حماد، ومنهم من كان من الشام مثل سراج الدين الحمصي، وهذا أمر طبيعي في ظل اعتبار مدن العالم الإسلامي مدينة واحدة، بحق للعالم وللمتعلم والتنقل بينها جميعاً، بل والاستقرار بأي منها، ما دام يجد بها ما يشبع فيينا من نهمة العلمي على أيدي علمائها، أو تقديم ما ينفع طلاب مدارسها، دونما وجود عوائق أو عقبات تحول دون ذلك العطاء العلمي.

وفي ظل هذه الحرية في الحركة العلمية والتعليمية، داخل العالم الإسلامي في تلك العصور، لم يأل الطلبة في مدارس أسبوط جهداً في تحصيل العلم، سواء من المدرسين والعلماء القاطنين بها، أو حتى من العلماء وطلاب العلم الغريباء النازلين بها عبر رحلاتهم وأسفارهم، إذ كان نزول أمثال هؤلاء بالمدارس يعطى الفرصة لطلاب المدرسة لمناقشة ومناقشة القادم إليهم، ويوسع آفاق المتعلم للاطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته، ويحبب إليهم الرحلة، وكل ما يثري الحركة العلمية^(١٣٦)، وفي هذا الصدد يمدنا السخاوي^(١٣٧) بمثال في غاية الروعة عن:

مُحمَّد بن أحمد، الأسيوطي المنهاجي، الذي تلقى نصيباً من تعليمه بأسيوط ثم أكمله بالقاهرة، إذ يقول عنه: "وأخذ عن الشهاب السخاوي^(١٣٦) القادم عليهم أسيوط؛ مجموع الكلاني^(١٣٧) والملحة، وقيل الشهاب العجيمي^(١٣٨) وهو الذي سمعته منه".

لكن هذا ليس معناه أن يبقى الطالب في أسيوط قابلاً في مدارسها، وإنما كان من الأمور المتعارف عليها في الحياة التعليمية آنذاك: أن يُعَمَّ طالب العلم وجهه شطر أي بلد به عالم أو شيخ نال من الشهرة العلمية ما يستحق السفر إليه للنهل من علمه، وبناءً عليه كان طالب العلم يجول في مختلف البلاد، والأقطار ليسمع من مشاهير العلماء فيها^(١٣٩).

ويمكن استخلاص بعض الأمثلة على هذا الترحال والتنقل بين البلاد طلباً للعلم ويقصد الاستفادة والإفادة العلمية، مما سطره لنا أصحاب كتب التراجم في العصر المملوكي، ومن ذلك مثلاً: ما ورد عن يوسف بن أبي محمد بن أبي البركات، السيوطي (ت ٨٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، الذي يقول عنه الأقفوي^(١٤٠): "...اشتغل بالفقه في بلده وبمصر، وناب في الحكم ببوتيج وطما^(١٤١) وغيرهما من بلاد سيوط، ثم توجه إلى مصر واشتغل بها"، ثم يستكمل الأقفوي سيرته بكلام يفهم منه أنه شغل وظائف القضاء والتدريس ببعض بلاد الصعيد؛ كقوص وأرمنت وإسنا وأدفو وأسوان.

وهناك عبد الرحمن بن غنبر بن علي بن أحمد بن يغوب، الزين العثماني البوتيجي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، الذي تلقى شطراً من تعليمه الأولى بمدينة أبوتيج، ثم سافر إلى القاهرة مع أبيه في سنة ٨٧٨هـ/١٣٨٢م، وعرض علي بعض علمائها، في سنة ٨٧٩هـ/١٤٩٤م وأجازوا له، ثم قطن القاهرة^(١٤٢).

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك: أن الصلاح الحسني السيوطي، مُحمَّد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، بعد أن تلقى تعليمه الأولى بأسيوط، انتقل به والده إلى القاهرة، ليعرض كتاب "العمدة" على الشيخ الزين العراقي، ويعد أن تأكد الشيخ من إمامه به، كتب له إجازة، ثم عاد مع والده إلى أسيوط، وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، ويعدها انتقل بأهله إلى القاهرة فقطنها، ونهل من علم علمائها، وبرع في كثير من العلوم والفنون، ثم أسند له بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، تدريس بعض المدارس بأسيوط، ولكن لم يتم له ذلك^(١٤٣)، كما سبقت الإشارة إليه في موضع متقدم من هذا البحث.

وهناك أيضاً محمد بن أحمد، الأسيوطي المنهاجي، وكذلك كمال الدين أبو بكر الخضيري والد الإمام جلال الدين السيوطي، اللذان تلقيا شطراً من تعليمهما بأسيوط، ثم اتجاها إلى القاهرة فحصلوا كثيراً من المعارف والعلوم على أيدي علمائها^(١٤٤).

وعلى أية حال، فمن الأمور المهم ذكرها هنا، والتي أمانت الحياة التعليمية في مدارس أسيوط الثام عنها: أن تلك المدارس ضمت في نظامها التنظيمي "معيدين"، بوصفهم طرفاً معاوناً للمدرسين أو الأساتذة، وهو ذلك النظام المعمول به حالياً في نظم التعليم الحديثة بالجامعات العربية والأجنبية على حد سواء. ومن الذين شغلوا وظيفة الإعادة بأسيوط: أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن، الأسفوني، السيوطي المولد والمنشأ، والذي يقول عنه الأقفوي^(١٤٥): "إنه كان فقيهاً فاضلاً متديناً، تولى الحكم بأبي تيج، وتولى إسنا، وأعاد بمدرسة أسيوط، وتوفي سنة

اثنين وعشرين وسبعمان، وجد أبيه من أسفون^(١٤٦)، وأقام جدّه بها، وانتقل إلى سيوط، وتاهل بها.

وكان هؤلاء المعيدون يقومون بدور مهم في العملية التعليمية، من خلال جلوسهم مع الطلبة قبل الدرس أو بعده، لمساعدتهم على استذكار دروسهم ومراجعتها، ليستوعبوها ويفهموها^(١٤٧)، فضلا عن تشجيع المتعلمين على طلب العلم وحثهم على تحصيله، والمعيد بهذا يساعد المدرس في أداء عمله ويوفر عليه بذل الجهد والوقت لإعادة شرح بعض الدروس، لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، وكان القصد من قيام المعيد بمهمة الإعادة: المحافظة على وقت المعلم وعلى احترامه ومكانته، وتخفيف الجهد عنه وعن المتعلمين معا، والمساهمة في إعداد المعيد وتهينته للقيام بوظيفة المدرس مستقبلا^(١٤٨).

وعن عملية التعلم أو طرق التدريس المتبعة في مدارس أسيوط في العصر المملوكي: فلم تسعنا المصادر في الحصول على توصيف لها، لكن يمكن القول، بوجه عام، إنها لم تخرج عما كان مأثورا أو معهودا في كافة المدارس، خلال العصر المملوكي، من التفاف الطلبة بقاعة التدريس حول أستاذهم، في صورة مجالس أو حلقات تدريسية، مستمعين لما يلقى عليه على مسامعهم، وما يقرأه زملاؤهم من الكتب المختلفة ليتم التباحث فيه^(١٤٩)، فمن المعروف أن التدريس بالمدارس في تلك العصور، وما قبلها، عادة ما كان يعتمد على الإنقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه، وكان هناك تنظيم مطبق في قاعات التدريس بغية العمل والإفادة^(١٥٠).

وبخصوص مواعيد الدراسة بتلك المدارس: فمن المؤكد أنها لم تخرج عن إطار التقليد المصول به في العصر المملوكي، والذي حددته وثائق الوقف بدقة تامة، وهو أن اليوم الدراسي كان ممتدا من طلوع الشمس إلى أذان العصر، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب إمكانيات المكان، وحسب ظروفه، خلال اليوم الدراسي. أما أيام الدراسة فكانت تتراوح ما بين ثلاثة أيام وخمسة أيام، من كل أسبوع، حسب شرط الواقف، وكان هناك إجازات سنوية يحددها الواقف، وتتفق في الغالب والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة، سواء كانت فرضا أم سنة^(١٥١).

ولم تخل الحياة المدرسية في أسيوط، كشأن كافة المدارس زمن المماليك، من ضروب الترويح عن النفس، فأقيمت بالمدارس، بين حين وآخر، حفلات لمختلف المناسبات العلمية، كختم البخاري، أو الانتهاء من تصنيف كتاب، وجرت العادة أن يقوم الداعي بإحضار الأطعمة من الحلوى والفاكهة، ويجلس الطلبة والشيوخ ومعهم الأعيان والقضاة، حيث يمضون بعض الوقت في أحاديث ومناقشات علمية مفيدة، وربما صرفت المدرسة على الحفل من أوقافها^(١٥٢).

وكان إذا أتم الطالب دراسته، حصل من شيخه على إجازة (الشهادة حاليا)، وهي بمثابة ورقة كتابية يجيزه شيخه من خلالها بالفتيا والتدريس، يذكر فيها اسم الطالب ومذهبه وتاريخ الإجازة واسم مجيزها وغير ذلك^(١٥٣)، وهذا النوع من الإجازات يكون غالبا في تخصص بأكمله أو أكثر، ومن الأمثلة عليها ما ورد ببعض المصادر: من تلك الإشارات التي تفيد منح الشيخ سلیمان البيوتيجي^(١٥٤)، المتوفى سنة ٨٧١١/١٣١١م بأسيوط - إجازات لعلماء من الصعيد في

علم القراءات^(١٥٥). ولم تقتصر الإجازات آنذاك على هذا النوع، وإنما وجدت أنواع أخرى من الإجازات عرفها المعاصرون، منها الإجازة "بإعاضة الكتب"، فإذا حفظ الطالب كتابا في الفقه أو أصول الفقه أو النحو، أو غيره من الفنون، يعرضه على أحد مشايخ العصر، فيختبره فيه، ويستقرأه في عدة مواضع متفرقة منه، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلثم؛ استدل من ذلك على حفظه للكتاب، وكتب له إجازة بذلك^(١٥٦)، ومن أمثلة هذا النوع: تلك الإجازة التي حصل عليها الصلاح الحسني السيوطي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، من الشيخ، الزين العراقي، عندما عرض عليه كتاب "المعدة"، وأجاز له^(١٥٧).

وهناك أيضا الإجازة بالمرويات^(١٥٨) ويمكن أن نسميها الإجازة الحديثية أو إجازة الرواية، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه بالرواية عن طريقه، وتكون بالسماع، أو أن الطالب قرأ على شيخه متنا من المتن، أو كتابا من كتب الحديث، فيجيزه بروايته، وأتوقع أن ذلك النوع من الإجازات كان يمنح بكثرة في أسبوط في تلك العصور، لاسيما وأنها خرج منها ونُسب إليها كثير من رواة الحديث، ورجل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والخلفاء^(١٥٩). الأمر الذي يعكس معه توفر قاعدة علمية في أسبوط في هذا المجال منذ فترة قد تكون سابقة، لدرجة أن وجد بها نساء حافظات، كن يمنحن مثل هذه الإجازات، نخص بالذكر منهن هنا: ست الشام بنت أبي صالح زواحة بن علي بن الحسين بن زواحة، التي عاشت في القرن السابع الهجري، وسمعت من أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن زواحة الأربعين البلدانية للسلفي^(١٦٠)، وغير ذلك، وحدثت عنه، وكانت تجيز بالرواية عنها، ويقال لها شامية^(١٦١).

وقبل أن نطوي الحديث عن الحياة التعليمية في مدارس أسبوط المملوكية؛ بقي أن نؤكد على أن الأوقاف كانت هي مصدر التمويل الأساسي، الرصين والمستديم، لتصرف على هذه المدارس وضمان استمرار العملية التعليمية بها، فمن الثابت تاريخيا أن الأوقاف في العصر المملوكي هي التي ثبتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها^(١٦٢)، وكان الريع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة، شهريا أو سنويا، نقدا أو عينا، هو ضمان استمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة، بالإضافة إلى الأصناف العينية التي تصرف لهم يوميا، فضلا عن المخصصات السنوية لهم في المواسم والأعياد^(١٦٣)، وكل ذلك بالطبع حسب شروط الواقف.

ونتوقع أنه: ما من مدرسة بأسبوط، زمن المماليك، إلا وخصصت لها أوقاف معينة من قبل مؤسسها للتصرف على شئونها، وإن كنا، لسوء الحظ، لم نعثر حتى الآن على وثائق أو حجج وقف نستدل منها على ذلك الأمر، إلا أن ما ذكره السيوطي^(١٦٤) عن أحد أجداده من أنه: كان في صحبة الأمير شيخو، وبني مدرسة بأسبوط، ووقف عليها أوقافا. لخبر شاهد على أن نظام الوقف على المدارس كان معصولا به، في أسبوط، في العصر المملوكي.

ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما أورده السخاوي^(١٦٥) عن الشيخ الصلاح الحسني السيوطي، محمد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) من أنه: ولي بعد سنة ٨٢٥هـ / ١٤٣١م تدريس مدارس بأسبوط وهي: الشريفة والفازية والبدرية الخضيرية ونظرها، فلم يتم له ذلك. فمعنى توليه نظر تلك المدارس، أي نظر أوقافها والإشراف عليها، وهذا يعكس أن تلك المدارس

خصصت لها أوقاف للصرف عليها، كما يعكس، معه أيضا، أن الإشراف على المدرسة لم يوضع، في كل الأحوال تحت تصرف المشرف على الوقف أو صاحبه، وإنما كان يعهد بذلك أحيانا لبعض المدرسين، فيجمع المدرس بذلك بين التدريس وبين نظار الأوقاف الموقوفة على المدرسة، أو بمعنى أدق: بين وظيفتي الإشراف العلمي والإداري^(١١٦) على المدرسة. وهذا أمر طبيعي وكان متبعاً في كثير من مدارس مصر المماليكية^(١١٧).

وختاماً: يمكن القول بناء على ذلك الطرح العلمي: إن مدارس إسبوط كانت في أوج نهضتها العلمية خلال العصر المملوكي، وإنها كانت بمثابة كليات إسلامية عالية ساهمت بشكل أو بآخر في تخريج أجيال من العلماء، كان لهم باع طويل في تنشيط الحركة العلمية والمدرسية، ونشر الثقافة العربية والإسلامية خلال ذلك العصر، ويكفي أن تلك المدارس ظلت في صيرورة عطائها كمنازل للعلم ببلاد الصعيد، خلال العصر الجراكسي، على الرغم مما منيت به بلاد الصعيد، خلال ذلك العصر، من تدهور في الحياة الثقافية وإغلاق الكثير من دور العلم بها، نتيجة الفتن والاضطرابات التي كانت تموج بها تلك البلاد من جراء ثورات العريان، فضلاً عما أصاب البلاد من مجاعات وأوبئة وطواعين، وغير ذلك من مؤثرات سلبية على الحركة التعليمية^(١١٨). والمدقق في صفحات ذلك البحث، يجد أن كثيراً من المعلومات الواردة في ثناياه، عن الحياة التعليمية وعن العلماء بتلك المدارس، إنما تعود إلى العصر الجراكسي، الأمر الذي يحمل معه التأكيد، من جديد، على النهضة العلمية بتلك المدارس طوال العصر المملوكي.

ARCHIVE

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج ٣ ص ٤١٧. القلقشندي: صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م ج ١٠ ص ٤٥٨، ٤٥٩. جمال الدين الشبلي: أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مقال منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد (١١)، ١٩٥٧م، ص ١٣، ١٤ وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢١، ١٣٧. أيمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية الذي تضمن أبحاث تدوة المدارس في مصر الإسلامية التي عُقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية في أبريل ١٩٩١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٦، ١١٧.

Lane Poole (S.): A history of Egypt in the middle ages, London 1924, p.188.

(٢) الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٨١. الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى (٦٤٨هـ - ٧٨٣هـ)، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية) منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص ١٣٣.

(٣) هو الخليفة الفالز بنصر الله؛ عيسى أبو القاسم بن الخليفة الظاهر بأمر الله.

(٤) نصر جمعة محمد نصر: الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م، ص ٩٩، ١٠٠.

(٥) الوطواط: من مباهج الفكر ومناهج العبر "صفحات من جغرافية مصر"، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م، ص ٩٤. محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص ١١٤.

(٦) المقرئ: اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشتون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م، ج ٣ ص ٢٣٨.

(٧) المقرئ: اتعاط الحنفا، ج ٣ ص ٢٣٩.

(٨) المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أو (الخطط المقرئية)، مكتبة الآداب، القاهرة (د. ت)، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(٩) هو فتح بن موسى بن حماد بن عبد الله بن علي بن عيسى، ولد سنة ٥٨٨/١١٩٢م بالجزيرة الخضراء بالأندلس، وغرف بالقصري لأن والده نقله إلى قصر ابن عبد الكريم المعروف بقصر كتامة

وعمره مقدار خمس سنين، فنشأ بالقصر، فلهذا نسب إليه (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج ٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤٩ ص ١٥٣، ١٥٤). وسوف يتم استكمال الترجمة لحياة ذلك الرجل وإسهاماته العلمية في جزء لاحق من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١٠) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م، مج ٢ ص ٥١٨، ٥١٩. ابن المبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج ٨ ص ٣٤٨. ابن قاضي شهاب: طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العظيم خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٧٩م، ج ٢ ص ١٨٥. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، (د. ت)، ج ٢ ص ٢٤٢. (١١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.

(١٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م، ص ٢٣٣. الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٨. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن المبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٤٤٨. المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢ ص ٢٩. ابن قاضي شهاب: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٣٥٨.

(١٣) الخطط، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(١٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.

(١٥) ساد نظام الإقطاع مصر في عصر الأيوبيين، وصارت أراضي مصر كلها تقطع للسلطان وأمراله وأجناده، وكانت الاقطاعات توزع على المقطعين مقابل خدمات مدنية يؤديها المقطع في إقطاعه، فضلا عن الخدمات الحربية التي يلتزم بها (محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٨٧، ص ٥١).

- (١٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ٢٩ ص ٨٥. والأعمال القوصية المذكورة كانت عملاً متسعاً ينتهي آخره إلى أسوان آخر الديار المصرية في البر الشرقي والغربي، ويضم عدة مدن وقرى بالصعيد الأعلى، ومقر ولايته مدينة قوص الواقعة على الشط الشرقي للنيل (العربي: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٤٩٩- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠، ٤٠١).
- (١٧) الصلدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٢٧ ص ١٦٣، ١٦٤.
- (١٨) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩ ص ٤٥٩. المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (١٩) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٠) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٦ والسلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ص ٤٨٧ وج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.
- (٢١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٨٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨ ص ٢٢٠. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٧ ص ٥٥.
- (٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية، دار التقوى، القاهرة ١٩٩٩م، ج ١٣ ص ٢٠١.
- (٢٣) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٦.
- (٢٤) ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأسرار، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٩، ج ٤ ص ٩٢.
- (٢٥) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٦) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٣.
- (٢٧) مصطفى عبد الله محمد شوحة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمينية، بحث نُشر بكتاب "تاريخ المدارس في مصر الإسلامية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٤٢٦.
- (٢٨) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٩، ٢٦٠.
- (٢٩) من مباهج الفكر ومناهج العبر صفحات من جغرافية مصر، ص ٩٤.
- (٣٠) الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٢٢.
- (٣١) صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠.
- (٣٢) اعتبر الدكتور ضياء محمد جاد الكريم مبنى الفانزية ضمن الآثار الدارسة، وأدرجه ضمن القائمة التي أعدها بهذا الخصوص في ملاحق كتاب (تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤) (الآثار

الإسلامية والقبطية)، أسيوط ٢٠٠٨م، ص ٢٤٠) وعندما زرت المكان الذي كانت به المدرسة، تبين لي من سؤال القاطنين هناك أن ميناها كان قائما حتى سنة ٢٠٠٦م حيث شب فيه حريق، فأهمل، ثم هدم بعد ذلك، ويعاد الآن بناؤه تحت مسمى "مجمع الفائزية"، ولحسن الحظ عثرت على صور فوتوغرافية لهذا المبنى قبل أن يهدم، التقطها الشيخ حسن سيد حسن اليذاك، إمام الجامع الكبير (الأموي)، وحصلت منه . مشكورا . على نسخة منها، وأدرجت بعضها كملحق لهذا البحث، خشية ضياعها، خاصة وأنها لم تحظ بالنشر من قبل، وكإسهامة للفت نظر المهتمين بعلم الآثار إلى مثل تلك المعالم الأثرية المهملة، التي تحتاج عناية ودراسات متأنية لإمطة النام عن كثير من جوانبها الغامضة.

(٣٣) يقع هذا الجامع في وسط مدينة أسيوط تقريبا ويطل بواجهته الشرقية على شارع المحضر، وتطل واجهته الشمالية الغربية على شارع الجامع الكبير، ويشتمل جداره الجنوبي على فتحة باب تفضي إلى الميضاة التي تطل على شارع كوم الغزاة، وأسماء ذلك الجامع تدل على أنه من أوائل الجوامع التي أنشئت بمدينة أسيوط (ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ١٧).

(٣٤) سيد علي الطويجي السيوطي مجمل تاريخ حاضرة الصعيد أسيوط، ج ١ (المقال الموجز في مدينة أسيوط)، المطبعة الفاروقية بأسيوط، ١٩٤٩م، ص ٢. وعن سبب تسمية ذلك المسجد بالأموي، فلم أحظ بأية إشارة إليها في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، والذي يتبادر إلى الذهن من تلك التسمية أنها مرتبطة ببناؤه أو تجديده في العصر الأموي، وحسب ظني أن الأمر ليس كذلك، والأرجح أنه سمي بها في العصر المملوكي، نسبة إلى العالم الجليل نجم الدين أبو نصر الأموي الذي درس زمانا بالمدرسة الفائزية أمام ذلك المسجد، ثم غين قاضيا لأسيوط (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨) ومن غير المستبعد أنه ولي إمامة ذلك المسجد والنظر عليه، فاشتهر ذلك المسجد بالأموي نسبة إليه.

(٣٥) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ . محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص ١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)، ص ١٣٣.

(٣٦) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسيوط، ص ٢ .

(٣٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د. ت)، ج ٧ ص ١٧٨ . التبر المصبوك في ذيل الملوك، المطبعة الأميرية، بولاق ١٨٩٦م، ص ٤١١، ٤١٢.

(٣٨) هو الأمير قراقجا الحسني الظاهري برقوق، رقي في الرتب إلى أن استقر به الظاهر رأس نوبة النوب في سنة ٨٨٤٢/١٤٣٨م، ثم نقله فيها إلى الأخورية الكبرى، فأقام فيها سنين، وكان ذنباً متواضعا عفيفاً، مات سنة ٨٨٥٣/١٤٤٩م بالطاعون (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ٢١٦).

(٣٩) سيد علي الطويجي السيوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٤. ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤٥. كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، نُشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٣٢٣.

(٤٠) انظر: السيوطي: نظم العقيان في أعيان الأعيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤٠، ١٤١. ابن الجنصي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز فياض، دار النقائس، بيروت ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٦٠. خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج ٦ ص ٥٧.

(٤١) هو سراج الدين أبو حفص، عمر بن محمد بن علي بن فتوح، الدمنهوري، مولده بعد سنة ٨٦٨٠/١٢٨١م، برع في النحو والقراءات والحديث والفقه، وكان جامعاً للعلوم، دُرِسَ وأُفْتِيَ، وحذّث عنه أبو اليمن البصري، مات سنة ٨٧٥١/١٣٥٠م (السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٢٣). ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٨ ص ٢٩٤).

(٤٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٢٠٧. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٨ ص ٤٦٩).

(٤٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣. السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥. وعن لقب الجعفري الزينبي، يقول المقرئ: إن العشيرة المعروفة ببني ثعلب التي نزلت بحرجة مير من أعمال سيوط، هم من الجعافرة الزينبية أولاد علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرف بنو علي هذا بالزياتبة؛ لأن أمه السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، ويقال: فيمن هو في بني ثعلب، الثعلبي الجعفري الزينبي (المقرئ: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، مصر ١٩١٦م، ص ٣٩، ٤٠).

(٤٤) إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣.

(٤٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.

(٤٦) بتيت ذلك الاستنتاج من خلال زيارتي لذلك المكان، وغرقت من الناس هناك أنه كان يوجد به فعلا مسجد أو زاوية قديمة هُدمت وبُنِي مكانها مسجد يسمونه مسجد الشريفة، وهم يعتقدون أن الشريفة هذه كانت ست صالحة، ومنهم من يقول إنها الست خضرة الشريفة، وهناك ضريح لها بغرفة أعلى المسجد، وهو من نون شك اعتقاد خاطئ، والذي يقرأ تاريخ أسبوط خلال فترات لاحقة على العصر المملوكي يمكن له تبين صحة ما توصلنا إليه من استنتاج، فعلى سبيل المثال يقول عثمان فيض الله عند حديثه عن أسرة الخازندار: رب هذه الأسرة هو الحاج حسن الخازندار، وغين في هذه الوظيفة في عهد محمد علي باشا، وكان منزله في صقع من مدينة أسبوط كان ينزل به الحكام والأشراف ويسمى درب الشريفة (حارة الخازندار الآن) ولا يزال البيت القديم قائما إلى اليوم. أي سنة ١٩٤٠ م. (الظر، مدينة أسبوط بحث في بينها بين الماضي والحاضر، الهيئة العامة لفنصور الثقافة، القاهرة، ط ٢، ١٠، ٢٠١٠ م، ص ١٨٩).

(٤٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣. السخاوي: التبر المسبوك، ص ٨٦ والضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٩) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٤، ٢٤٥. قد يكون السبب الذي جعل الدكتور ماهر يقول: إنه هو جلال الدين الأبهسي أنه تعجل في نقل أول اسم أورده السخاوي ضمن مجموعة أشخاص حوت أسماؤهم اسم جلال الدين، وكان من بينهم ابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري مدرس الشريفة بأسبوط، فالتبس الأمر على الدكتور الكريم واعتبر أن مدرس الشريفة هو جلال الدين الأبهسي. حيث يقول السخاوي في ذلك: "(جلال الدين) بن الأبهسي في الأبهسي، وابن الأسبوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي، وابن الأمانة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان، وابن السيرجي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يوسف، وابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري الزينبي الأسبوطي مدرس الشريفة بأسبوط وهي من إنشاء ابن عم أبيه زين الدين، وكان قد ولي الحكم بها مرة، مات سنة سبع وأربعين، وابن العلقن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن أبي الحسن و..... و..... الخ" (الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦).

(٥٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩ ص ٢٤٤.

- (٥١) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٢) في تقديري أن الذي حدا بالدكتور ماهر إلى القول بهذا؛ تصوره للعبارة التي اختتم بها السخاوي كلامه عن جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، في ثنايا كتابه التبر المصنوع (ص ٨٦، وكرر الكلام نفسه في الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥) والذي اعتمد عليه الدكتور ماهر في توثيق مقولته هذه، على أنها عبارة موصولة بترجمة شرف الدين شارح المنار الذي ترجم له السخاوي عقب ترجمته لجلال الدين مباشرة في الصفحة ذاتها، فتلك العبارة يقول فيها السخاوي "وكان قد ولى الحكم بها مرة: أي بأسبوط . وهنا ينتهي كلامه عن جلال الدين، وهذا هو الطبيعي، وللتحقق منه يمكن مراجعة كتاب إنباء الغمر (ابن حجر العسقلاني، ج ٤ ص ٢٢٣) وهو المصدر الذي نقل عنه السخاوي أصلاً العبارة المذكورة. لكن الدكتور ماهر قرأها موصولة بما بعدها، فصارت العبارة حسب قراءته وكأنها تقول: وولى الحكم بها مرة شرف الدين شارح المنار. الأمر الذي عكس لديه أن شرف الدين ولى التدريس بالمدرسة الشريفة، مع أن هذا أمر لم يحدث.
- (٥٣) المقصود بها إقليم شبه جزيرة القرم، وتقع جنوب أوكرانيا على البحر الأسود.
- (٥٤) أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج ٢ ص ١٤٢.
- (٥٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.
- (٥٦) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ج ١٢ ص ١٠٧.
- (٥٧) محيي الدين الطعمي: الذهب المنقوط في تاريخ أعيان أسبوط، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١١٩. ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٨) ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ٦٤.
- (٥٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٤.
- (٦٠) ج ٧ ص ١٧٨.
- (٦١) محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، بحث نشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٧٧.
- (٦٢) انظر: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢. التحدث بنعمة الله، تحقيق إليزابيث ماري ساريتين، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥: ١١. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٨٠، ٣٨١. نظم العقيان، ص ٩٥.

(٦٣) لأن والده هو كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن تجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضير. وهذا النسب ورد في صداق لابن عم والده، نور الدين علي بن جمال الدين عبد الله بن سابق الدين أبي بكر (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥).

(٦٤) يقول ابن عبد الحق (ت ٥٧٣٩هـ/١٣٣٨م) عن الخضرية إنها: محلة كانت ببغداد، في الجانب الشرقي، وكانها المحلة التي يستقونها الآن الخضرية، مجاور مشهد الإمام أبي حنيفة، ويعرف بسوق خضير. (مراسد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت ١٩٩٢م، ج ١ ص ٤٧٢).

(٦٥) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥، ٦. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٦) التحدث بنعمة الله، ص ٧. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٧) هو سيف الدين شيخو العمري، اشتراه الناصر محمد بن قلاوون وجعله من مماليكه فعرف بالناصرى، تدرج في المناصب إلى أن صار من كبار رجال الدولة، وغين في وظيفة رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م في سلطنة الناصر حسن الثانية. ولقب بالأمير الكبير، وقتل سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٣-١١٥. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١١٥، ٢٣٣).

(٦٨) يقصد بتلك المدرسة خانقاة شيخو التي بخط الصليبية خارج القاهرة تجاه جامع شيخو (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والسلوك، ج ٤ ص ٢١٩. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٣٣).

(٦٩) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والسلوك، ج ٤ ص ٢١٩.

(٧٠) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٥.

(٧١) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٤ والسلوك، ج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.

(٧٢) المقريزي: السلوك، ج ٤ ص ١٩٣.

(٧٣) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٧.

(٧٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٧٥) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٥، ٢٦١.

(٧٦) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعبد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م. على سبيل المثال لا الحصر ورد في ذلك الكتاب (ص ٥٨٠) أن خزانة الكتب بالمدرسة النجيبية بمدينة قوص كانت تحتوي على جملة كتب، من بينها كتاب يقع في ثلاثين مجلد .

(٧٧) عثمان فيض الله: مدينة أسيوط بحث في بينها بين الماضي والحاضر، ص ٩٢.

(٧٨) زرت المنطقة التي كانت بها المدرسة الخضيرية، ووجدت تلك المدرسة قد هُدمت، ويبقى الآن مكانها مسجد يسمونه مسجد الخصري أو الخضيرى، ولحسن الحظ فقد احتفظ لنا الدكتور ضياء محمد جاد الكريم بصور لمدرسة أو مسجد . على حد قوله . الخضيرية قبل أن تهدم، ونشرها في كتاب تاريخ أسيوط وحضارتها عبر العصور، وللاطلاع عليها انظر الكتاب المذكور، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦.

(٧٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٧ .

(٨٠) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨ . علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٢ ص ١٠٧.

(٨١) المقال الموجز في مدينة أسيوط، ص ١ .

(٨٢) عثمان فيض الله: مدينة أسيوط بحث في بينها بين الماضي والحاضر، ص ٢٠٩.

(٨٣) سيد علي الطوبجي: ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، مطبعة المنير بأسيوط، ط ١، ١٩٣٣م، ص ١١، ١٢.

(٨٤) سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم العربي بحلب، سورية ١٩٩٧م، ج ٢ ص ١٦٣، ١٦٤. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٨٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤٠، ١٤١.

(٨٦) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٢٥٠-١٢٥٠/١٩٢٣-١٩٢٣م دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٢٨، ٢٣٩.

(٨٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤١ و ج ١١ ص ٧٢.

(٨٨) يقصد كتاب "المضبوط في أخبار أسيوط"، وللأسف هذا الكتاب مفقود، وعلمت أن منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين بألمانيا محفوظة تحت رقم ٩٨٤٥/ ٥٧، فراسلت تلك المكتبة عبر موقعهم الإلكتروني، لطلب تلك النسخة، وجاءني الإفادة أن رقم المخطوطة موجود بالفعل في الفهارس لديهم، لكن المخطوطة نفسها غير موجودة، وكان هذا ردهم نصا: "Dear Dr. Al-

Kardousi,

Unfortunately, this manuscript is not in the state library. In the catalog it is mentioned only as an example for other manuscripts on this subject, but in Berlin we don't have this manuscript.

With best regards, T. Hanstein"

(٨٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٦.

(٩٠) ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، ص ١٠، ١١.

(٩١) التحدث بنعمة الله، ص ٥ .

(٩٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية،

القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٦٦.

(٩٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٢٤.

(٩٤) هي مدينة ومركز أبوتيج الحالية، وتقع جنوبي مدينة أسيوط، وهي من المراكز المهمة بالمحافظة.

(٩٥) ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٦.

(٩٦) انظر: الأنكوي: الطالع السعيد، ص ٥٣٠. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤ ص ٧. السخاوي. الضوء اللامع، ج ٢ ص ١٢٤، ٢٥٤

وج ٤ ص ١١٥ وج ١١ ص ١٨٢.

Mahamid (Hatim): Curricula and educational process in Mamluk (٩٧)

Madrasas, Education Research Journal Vol. 1(7), December 2011,

p.145, 146.

(٩٨) ابن الحاج: المدخل، بيروت ١٩٩٥م، ج ٢ ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٩٩) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة الطمعية في الإسكندرية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨٨.

(١٠٠) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٦.

(١٠١) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص

١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)،

ص ١٣٣.

(١٠٢) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٩. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة

لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٥ ق ١

ص ٥٣٣.

(١٠٣) نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص ٩٥.

(١٠٤) كتاب في فروع الشافعية، للإمام أبي بكر: محمد بن أحمد الشاشي (ت ٥٠٧/١١١٣ م)، صنفه لعمدة الدين ولد المستظهر وهو: المسترشد الخليفة الفضل المتوفى سنة ٥٢٩/١١٣٥ م، ثم اعتنى به العلماء فشرحه كثير منهم بعد ذلك، مثل ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢/١٣٠٢ م)، وتاج الدين الفاكهاني (ت ٧٣١/١٣٣٠ م)، وعلاء الدين البغدادى (ت ٧٤١/١٣٤٠ م)، وابن العلقين (ت ٨٠٤/١٤٠١ م)، وغيرهم (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ج ٢ ص ١١٦٩، ١١٧٠).

(١٠٥) المقصود بها اللحة البدرية، وهي في النحو، للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥/١٣٤٤ م)، (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٨١٨).

(١٠٦) تعرف أيضا بالمقدمة الآجرومية، ألفها أبو عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المتوفى سنة ٧٢٣/١٣٢٣ م، وتعتبر من أهم متون النحو العربي، ولأهميتها تصدى لشرحها جهابذة العلماء والنحاة قديما (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٧٩٦).

(١٠٧) كتاب في علم الصرف لعز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني (ت بعد ٦٥٥/١٢٥٧ م)، وشرحه التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١/١٣٨٩ م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١١٣٨، ١١٣٩).

(١٠٨) هي أرجوزة أو قصيدة تعرف بالفرائض الرحبية أو غنية الباحث، وهي للشيخ صلاح الدين يوسف بن عبد اللطيف بن الرحبي الشافعي الحموي (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٢١١).

(١٠٩) إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو: باب من الأبواب التسعة للمنطق، وصنف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين، والمشهور المتداول منه كتاب (المختصر) المنسوب إلى أثير الدين الأبهري (توفي حوالي ٧٠٠/١٣٠٠ م)، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق، وسمي إيساغوجي مجازا من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته وله شروح وحواش كثيرة (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٢٠٦).

(١١٠) كتاب في المنطق لشمس الدين أبو الثناء الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٧٤٩/١٣٤٨ م (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٣٢٧، ٣٢٨).

(١١١) منظومة في علوم الحديث، المسماة "التبصرة والتذكرة في علوم الحديث"، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦/١٤٠٣ م، وهي مطبوعة الآن.

(١١٢) قصيدتان في علم القراءات للشاطبي، القاسم بن فبره بن أحمد (ت ٨٥٩/١١٩٤م)، إحداهما هي القصيدة اللامية أو "حز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع المئاني" وهي مشهورة للغاية ولها شروح كثيرة، وتعرف بالشاطبية، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٦٤٦). والأخرى هي القصيدة الرائية أو "عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد"، وهي في بيان رسم المصحف (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤ ص ٣١١).

(١١٣) في علم العروض والقافية؛ لصدر الدين محمد بن الحسن المساوي (ت ٨٧٤/١٣٤٨م)، ويوجد منها نسخة خطية بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣٩٥٥ / ٤١٦ م.س.

(١١٤) السقاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.

(١١٥) السقاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١١٦) يسمى هذا الكتاب أحياناً بسطور الإعلام في مباني الإيمان والإسلام، وهو من تأليف عمر بن موسى بن الحسن، الحمصي (ت ٨٨٦/١٤٥٧م). ويوجد منه نسخة خطية محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ١٤٧١ / ٢١٤ م.س. ح.

(١١٧) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط، نُشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، ص ٣٢١.

(١١٨) انظروا ص ١٥، ١٦.

(١١٩) وذلك في سياق الحديث عن ظهور المدارس في أسبوط

(١٢٠) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، ص ٢٣٣.

(١٢١) ابن المسبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٥٨.

(١٢٢) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٣٤.

(١٢٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن قاضي شهاب: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥.

(١٢٤) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢.

(١٢٥) الطالع السعيد، ص ٢٠٦.

(١٢٦) الطالع السعيد، ص ٧٠٨. وانظر أيضاً: الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م، ج ٥ ص ٥٦٦. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٢٧) إطفيج: إحدى مراكز محافظة الجيزة، وتقع على الضفة الشرقية من النيل في مواجهة مركز العياط، وكانت في عهد المماليك، تعرف باسم الأعمال الإطفيجة.

(١٢٨) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٨.

(١٢٩) انظر مثلاً السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ٧٢، ٧٣. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢.

وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٨٠، ٣٨١ ونظم العقيان، ص ٩٥. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع

الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٢٨٩.

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٩ ص ٤١٥، ٤١٦. علي مبارك: الخطط التوفيقية،

ج ١٢ ص ١٠٦.

(١٣٠) التحدث بنعمة الله، ص ٧ : ١٠.

(١٣١) هو الفقيه إبراهيم بن خضر بن أحمد، الشافعي، القصورى الأصل، نسبة إلى القصور قرية

بالصعيد، ولد بالقاهرة سنة ٨٧٩هـ/١٣٩٢م، ومات سنة ٨٨٥هـ/١٤٤٨م (السيوطي: نظم العقيان،

ص ١٥، ١٦).

(١٣٢) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياني، الشافعي، قاضي القضاة بالديار

المصرية، ولد في سنة ٨٧٨هـ/١٣٧٨م، وقيل سنة ٨٧٨هـ/١٣٨٣م. كان إمام عصره في العلوم،

تولى التدريس بعدة مدارس، مات سنة ٨٨٥هـ/١٤٤٦م (السيوطي: نظم العقيان، ص ١٥٤).

(١٣٣) كان لكل قاضي قضاة أعوان ينوبون عنه في مصر والقاهرة بسمون "النواب من الحكام" (محمد

فتنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، نشرت كملحق لكتاب صبح الأعشى (ج ١٥)، القاهرة

٢٠٠٦م، ص ٣٥٣). وبالنسبة إلى أعوان أسيوط، ومن بينها أسيوط، أعوان ينوبون عنهم، مثل

مصر والقاهرة تماماً، ويطلق على كل منهم نائب الحكم، ومن الأمثلة على ذلك فيما يخص أسيوط

أن والد جلال الدين السيوطي "ولي بها الحكم نيابة" (السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٨).

(١٣٤) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص ٢٩٥.

(١٣٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٣٦) هناك أكثر من شخص عرف بالشهاب السخاوي، ونرجح أن المقصود هنا هو الشهاب ابن مؤن

السخاوي المالكي، أحمد بن محمد بن زين، الذي برع في العربية والفقه وأصوله وغيرها وتصدى

للإقراء بأبوتيج (إحدى مدن أسيوط) وكان مقيماً بها وبالقاهرة، وعمر بحيث جاز التسعين أو

قاربها، ومات في سنة اثنتين وستين وثمانمائة (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥.

٢٦٢).

(١٣٧) كتاب المجموع في علم الفرائض، للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلالي،
الثقافي المتوفى سنة ٥٧٧٧هـ/١٣٧٥م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٦٠٥، ١٦٠٦)
(١٣٨) ترجم السخاوي لاثنتين كل منهما يعرف بالشهاب العجيمي، أولهما أحمد بن عبد الله الشهاب
العجيمي الحنبلي، أحد الفضلاء الأذكياء، أخذ عن شيوخ عصره، ومهر في العربية والأصول وقرأ
في علوم الحديث، ولزم الإقراء والاشتغال في الفنون، ومات عن ثلاثين سنة بالطاعون في
رمضان سنة تسع بالقاهرة. أما الثاني فيقول عنه السخاوي "هو أحمد بن محمد الشهاب
العجيمي الصوفي بالخانقاه السرياقوسية، قرأ على شيخنا الترمذي في سنة أربع وأربعين وبلغ له
بالشيخ، وكان متوددا، مات فيما أظن بعد الستين" (انظر: الضوء اللامع، ج ١ ص ٣٧٢ وج ٢
ص ٢١٧). وإن كان المنهاجي السيوطي تعلم على يدي الشهاب العجيمي، فأكبر الظن أنه
الشهاب العجيمي الحنبلي، المذكور أولا، لأن الواضح من سياق الترجمتين أن الأول منهما هو
الذي اشتغل بالعلم والتدريس.

(١٣٩) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط، ص ٣٢١.

(١٤٠) الطالع السعيد، ص ٧٢٦ : ٧٢٨.

(١٤١) طما: مدينة بالصعيد، تقع غرب النيل، شمال طهطا وجنوب صدفا، وتتبع الآن محافظة سوهاج.

(١٤٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص ١١٥.

(١٤٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٧، ١٧٨.

(١٤٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٤٥) الطالع السعيد، ص ٥١٨. وانظر أيضا: الصفدي: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٤٦) قرية تسمى أيضا أصفون، وتتبع حاليا مركز إسنا في محافظة الأقصر. وكانت في العصر

المملوكي تابعة للأعمال القوسية (ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٣٠).

(١٤٧) ابن جماعة: تذكرة السامع والمُتَكَلِّم في أدب الغالم والمُتَعَلِّم، تحقيق عبد السلام عمر علي

الجزائري، مكتبة ابن عباس، سمود، مصر ٢٠٠٥م، ص ٢٦٠. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥

ص ٤٦٤.

(١٤٨) للمزيد حول طبيعة عمل المعبدن ومهامهم في العصر المملوكي، وأسس اختيارهم، وتولييتهم،

وتحديد أعدادهم، وإقامتهم بالمدارس، ودورهم في إثراء الحياة العلمية، وشغل بعضهم وظائف

أخرى بجانب الإعادة، وعزلهم وتنازل بعضهم عن الإعادة وأسباب ذلك، والمناصب التي شغلوها

بعد الانتهاء من الإعادة. (انظر: محمد أحمد محمد الكروسي: الإعادة بمدارس مصر المملوكية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٤٠)، أكتوبر ٢٠١١م، ص ٥٠: ١٥٩).
(١٤٩) انظر: ابن جماعة: تذكرة السامع والمُتَكَلِّم، ص ٢٢٩: ٢٣٧- ابن السبكي معيد النعم ومبيد النقم، دار الحديث، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٠٨.

(١٥٠) عفاف سيد محمد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية- الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٩٠.

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 148.

(١٥١) انظر: محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢٤٩: ٢٥١.

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 146.

(١٥٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣- محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحصرة في مصر الغيب، ص ٢٦١.

(١٥٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٢٢- ٣٢٦. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٢، ١٦٣.

(١٥٤) هو سليمان بن أبي الطاهر بن أبي القاسم بن عبد الكريم البوتيجي، الفقيه الضريح، كان مقرباً مجوداً مشهوراً بالدين والصلاح. ومات بأسيوط في آخر سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م أو أول السنة التي تليها (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٥٣).

(١٥٥) الطالع السعيد، ص ٥٣٠، ٧١٧، ٧٢٠. الصفدي: أعيان العصر، ج ٤ ص ٤٩١ والوفاي بالوفيات، ج ٣ ص ١٩٨- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٧- السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ١٥٨.

(١٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٣.

(١٥٧) المخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(١٥٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٣٢.

(١٥٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٥. من المحدثين المشهورين بطو الإسناد، الذين رحل إليهم الناس لسماع الحديث منهم بأسيوط: زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح روضة بن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن روضة الأنصاري الحموي الشافعي، (ت ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م)، سمع

من جدّه لأُمّه أبي القاسم بن راحة، وصفية القرشية (الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعد بن بسيوني زغول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٦٥، ٦٦. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأبصار، ج ٢٧ ص ٥٢٨. الصفدي: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٣ ص ٢٦، ٢٧ والوافي بالوفيات، ج ١٨ ص ٨٧. المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٥٦. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٢٨. السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٣٨).

(١٦٠) هو الحافظ أبو طاهر السلفي: أحمد بن محمد الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م)، من أهل أصفهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالي كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الخليفة الظاهر الفاطمي) مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م فأقام إلى أن توفي فيها. وكتاب الأربعين البلدانية، من تأليفه، وهو المسمى "الأربعين المستغني بما فيه عن المعين"، وهو في علم الحديث، حققه عبد الله رابح، وطبع بمكتبة دار البيروني بدمشق سنة ١٩٩٢م.

(١٦١) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٢٦.

(١٦٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣.

(١٦٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٤٠: ١٤٦، ٢٤٠. محمد أحمد محمد بدوي:

مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١، ٢٦٢.

Haarmann (Ulrich): "Mamluk Endowment Deeds as a Source for the History of Education in Late Medieval Egypt", in al-Abhath/American University Of Beirut, Vol. 28, 1980, P. 34.

(١٦٤) التحدث بنعمة الله، ص ٧. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(١٦٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(١٦٦) عفاف سيد محمد صبرة: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ص ١٨٢.

(١٦٧) انظر على سبيل المثال، النويري: نهاية الأرب، ج ٣١ ص ٩٥- السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٦٣.

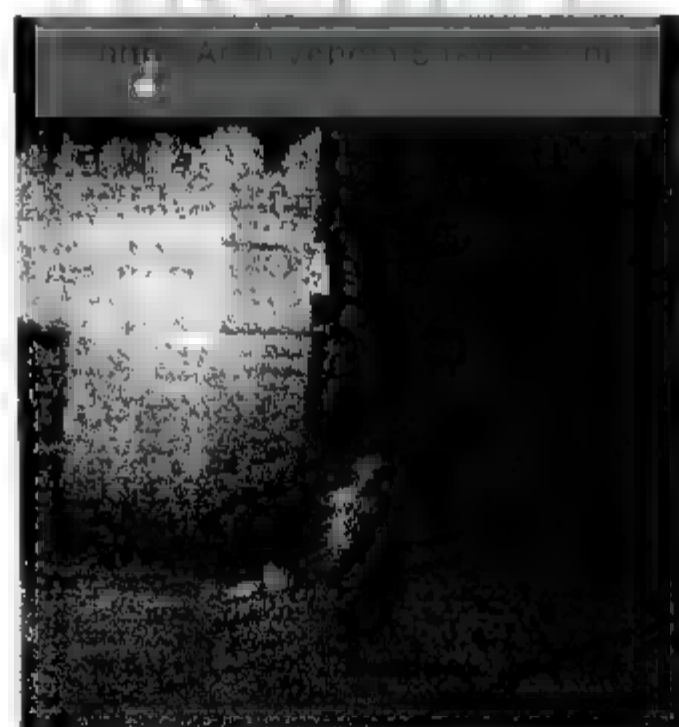
(١٦٨) ماهر أحمد مصطفى: سعد مصر في عصر المماليك الجراكسة ص ٢٤٣، ٢٤٤.

ملحق عبارة عن مجموعة صور للمدرسة الثانوية قبل هدمها
من تصوير الشيخ حسن سيد حسن التوذك، إمام الجامع الكبير (الأموي)

١. باب ومدخل الثانوية



٢- الفائزية من الخارج



٣. الفانزية من الداخل



الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية من خلال المصادر الحبشية

(٨٢٨-٩٤٧هـ/١٤٢٤-١٥٤١م)

د. محمد أحمد محمد بهنساوي (*)

واجه أباطرة الأسرة السليمانية، في العصر الثاني لها، العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطرابات السياسية التي جاء على خلفتها الإمبراطور زره يعقوب Zar'a Y'aqob (٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) على عرش البلاد، ولقد روي قبل الخوض في هذا الموضوع: إعطاء نبذة مختصرة عن هذه الصراعات التي سادت في العصر الأول (٦٦٩-٨٣٨هـ/١٢٧٠-١٤٣٤م) من حكم هذه الأسرة.

يعد الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزغايوية^(١) (٣٢٩-٦٦٩هـ/٩٤٠-١٢٧٠م) أحد أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة، وليس أدل على ذلك من قيام منبحة كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة، في دبرا دامو Debra Damo، في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت- أسترا-Esthera)^(٢) (٣٢٩-٣٧٠هـ/٩٤٠-٩٨٠م) اليهودية الأصل، وقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من دينيات مختلفة على رأس المملكة^(٣)، لذا أنشأ الملك (لاليبالا-Lalibela)^(٤) (٥٨٥-٦٦٢هـ/١١٩٠-١٢٢٥م) صرخاً كبير ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتتلافى الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه "السجن الملكي أو أمبا جيشن"^(٥) حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة، حتى بدايات العصر الحديث^(٦).

وعلى الرغم من وجود هذا السجن الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات، في بطون المصادر الحبشية، التي تدل على استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية^(٧). فالإمبراطور (أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، ونظامه ملكي استبدادي، يستند حكمه إلى حق إلهي ورثه بتسلسل عن منليك الأول (طبقاً للأسطورة المعروفة)^(٨). وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن لابن الأكبر بقدر ما كان لابن الأقوى^(٩). وربما يمكن التلليل على صحة هذا الرأي بالإشارة إلى فترة حكم يجيبا صيون Yagba soyan (٦٨٤-٦٩٤هـ/١٢٨٥-١٢٩٤م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب^(١٠)، إلا أن آخر أبنائه، والذي يدعى سابا أسجد Sab'a Asgad (٦٩٨-٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م)

(*) باحث حاصل علي درجة الدكتوراه.

لم يصير حتى تنتهي نهاية فترة حكم أخيه (جين أسجد Djinn Asgad ٦٩٧-٦٩٨ هـ/١٢٩٧-١٢٩٨ م)، فدير مؤامرة للقبض عليه وأخوته الآخرين، إلا أنه لم يعيش طويلاً^(١١). كما أن يجيباً صيون نفسه قد ورث الحكم عن أبيه يكونوا أملاك، برغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن أخوته جميعاً^(١٢). وفي نفس الصدد أيضاً فقد استطاع ودم بن سيف أريد Wedem Sayfa Ar'ed (٧٧٤-٧٨٤ هـ/١٣٧٣-١٣٨٢ م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (٧٨٤-٧٨٤ هـ/١٣٨٢-١٤١١ م) برغم صغر سنه^(١٣)، وهكذا فإذا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الطامعين^(١٤).

أما في الحالات التي كان يتوفي فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية فور موت الإمبراطور تسرع إلى السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالباً ما يكون أخو الإمبراطور السابق^(١٥). ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلى شقيقه كان بعد حائناً مهماً في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأمراء أمبا جيشن ليتوج بدلاً من الإمبراطور الراحل^(١٦).

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لانتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة السليمانية، حتى عهد الإمبراطور (دواد)، فالتقاء حياة هذا الإمبراطور أشارت مصادر القديسين الأحباش إلى أن القديس (ماري) St. Mary جمع حوله العديد من رجال الدين، واستقر رأيهم على وجوب تنازل (دواد) عن العرش لابنه (تيودورس)^(١٧)، وقد استعان (دواد) بـ (العقابي ساعات سيجاقا) Saraqa في دهر حيق، وبعض قادة الجيش الذين طلبوا العفو والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه، بل أنه صلى من أجله، وتتفق تلك المصادر على أن (العقابي ساعات) مات في عام ١٤٠٣ م، أي أن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ساعات) دوراً رئيساً في استقرار المملكة فترة من الوقت، فقد أبقى (دواد) على عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة^(١٨).

وهكذا بدت المملكة الحبشية على شفا هاوية عندما اعتلى الإمبراطور زرع يعقوب عرشها، ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطى. ويبدو أنه ليس من الواقع في شيء أن نعد زرع يعقوب أول الملوك المصلحين الذين عملوا على إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا على عرش المملكة الحبشية من أحسوا بخطورة الموقف ورغبوا في الإصلاح، لاسيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة "المؤسس الحقيقي للأسرة السليمانية"^(١٩).

أما عن الصراعات والثورات الداخلية، التي قامت في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية، فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب قرض المزيد من الضرائب، وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية، بقدر ما

كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء على العرش، من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة، وبعض كبار النبلاء ورجال الدين .

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام مثل هذه الدسائس تبعاً لأحوال كل عصر، إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زرع يعقوب) إلى كثرة الارتعاد والخوف الذي كان في أيامه؛ نتيجة قوة حكمه وقضائه تحت ستار الشرعية الدينية^(٢٠)، حتي إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة، كانوا يسجدون على ركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الإمبراطور^(٢١).

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (بنيد ماريام ٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) فقد كانت على العكس من ذلك تماماً، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور، وأحسن به الشعب، بعد ظلم مرير إيان عصر أبيه، مما سمح للشعب بطو الأصوات التي صممت طويلاً، بينما يشير النص الملكي الحبشي، في عهد الإمبراطور (الكساندر ٨٨٣-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) إلى تطلع بعض رجال الدين إلى إدارة شئون المملكة^(٢٢)، فضلاً عن قيام المنازعات بين كبار مسئولى المملكة، بسبب صغر سن الإمبراطور، وعدم داريته بالحكومة وشئون البلاد^(٢٣).

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، مما أدى إلى تطلع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في فترة حكم (عمدا صيهون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م) والتي اشتهرت - برغم قصرها - باشتعال الحروب الأهلية، وإراقة الدماء بين أنصاره وأنصار عمه الإمبراطور (ناوود ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م) الذي تولى الحكم من بعده، فقد استطاع أحد رجال الدين، ويدعى (تكلا كريسبوس)، إثارة الشعب ضده، وكادت الثورة أن تهلك البلاد لولا نهايته السريعة^(٢٤).

والملاحظ أن هذه الثورات اختلفت تقريباً بشكل كبير في عهد الإمبراطور لبنا دنجل، ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م، بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين^(٢٥). أما عن أحداث هذه الصراعات والدسائس، فسنتناولها بشئ من التفاصيل في الفقرات التالية :-

١- في عهد (زرع يعقوب ٨٢٨-٨٧٢هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) :

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زرع يعقوب) كواحد من أقوى أباطرة الحبشة في العصور الوسطى، إذ لم يوضع أحد مقامه سوى الإمبراطور (عيزانا) كأقوى أباطرة الحبشة، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والدسائس التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو: انحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية، لذا جبغت الدسائس، وقامت الثورات من جانب أبنائه وبناته وأزواج بناته، بالإضافة إلى رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقصائه عن عرشه^(٢٦)، وذلك على النحو التالي:-

أ- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلاط الملكي :

على الرغم من أن الإمبراطور أعطي لبناته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكم بعض المقاطعات، إلا أنهن أردن التصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاد، و تشير المصادر الحبشية إلى التمرد الذي قام به البحث ودد (عامد مسقل) الذي دعي فيما بعد باسم (عامد الشيطان) وهو زوج ابنة (زرع يعقوب) التي تدعي (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية، وشاية وصلت إلى الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سرا بامرأة أخرى، بمساعدة "الصاسرجوية" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعي (أمخا إياسيوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلسا عسكريا، وكشف أمام قانته جرائم (عامد مسقل) وانتهى المجلس إلى الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه - (عامد مسقل) - إلى مكان لا يطمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه على ذلك، مثل (النورايدي نوب) - حاكم أكسوم - في دبرا دامو وأعدم معه^(٢٧).

وتشير المصادر الحبشية أيضا إلى أكبر حركة تمرد في عصر (زرع يعقوب) وهي تمرد البحث ودد (إيساياس Isaias) الذي كان أيضا زوجا لإحدى بنات الإمبراطور (أدل منجشا)، وكان (إيساياس) حاكم منطقة تيجري وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعيينه في منصب البحث ودد، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة جني بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة، انضمام بعض فرق الجيش وقادته مثل (بدل وني) الذي كان رئيس "فرقة الشباب"، ورئيس فرقة الجان بلو، و"بدل كفت" رئيس فرقة الصراوجيت"، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلي في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوهم بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيساياس) أن يكون حاكما لمقاطعتي جوجام وجني معا، وعندما رفض الإمبراطور طلباتهم، بدأت هذه القوات في إحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة، وعلى الرغم من قتل بعض قادة القصر في التخلص منهم، إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم، كما أثرت ضدهم بعض الدعاية السيئة، فراح مؤرخ البلاط ينسب قيام زعمائهم ببعض الأعمال المنافية للأداب، حيث يشير النص الحبشي إلى أن (بدل وني) قد زنى بامرأة أبيه، كما كان لزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها، وكلاهما يطم^(٢٨).

على أن أمر هذه الدسائس والمؤامرات لم تقف عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن، بل امتد لتشمل أولاد الإمبراطور الذكور، فيحكي (زرع يعقوب) نفسه في كتاب "مصحف ميلاد" عن أولاده (جلادبوس) و (عامد ماريام) الذين اتجها بمساعدة أميها إلى السحرة والعرافين، وأجبروهما على تقديم القرابين للشيطان، بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهم على أن يأتي (جلادبوس) ببعض مؤلفات أبيه "ظومار تصبنت" - مصحف برهان - لحرقها، وذلك في مقابل الاعتراف به ملكا على البلاد، وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة، وعاقبهما الإمبراطور بالضرب بالسوط، فمنهم من عاش ومنهم من مات^(٢٩).

كما ثار أيضا (بنيد ماريام) ابن (زرع يعقوب) بمساعدة أمه، وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه، بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه ولرغبته الجامحة في تولي الحكم، إلا أن هذه

المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضاً، و أمر الإمبراطور بربط يدي وقدمي ابنه (بنيد ماريام) وجلده حتى كاد أن يهلك هو وخادمه (محاري كرسستوس Mahari Krestos) لولا شفاعته بعض رجال الدين، وعلي رأسهم كل من: رئيس دير ليبانوس Dabra Libabos ، ودبر كاسوا Dabra Kaso والأب الرحيم (أبو قبر) التابع لدير اندجيطن، فأطلق الإمبراطور سراحه و أنعم عليه بمنحه بعض المناصب الشرفية^(٣٠).

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية تمرد أولاد وبنات الإمبراطور، و ذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور، إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشئ من التفاصيل، كما ذكرت عقابهم أمام الناس، ليروا بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح، إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر، وهو الأمر الذي يقضي إلى عقوبة الموت^(٣١).

ب- تمرد بعض رجال الدين :

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب، بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تنحية (زرع يعقوب) عن العرش وتولية غيره، وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء "بالرجال الأشرار" الذين يدعون (تعاوق برهان) و (زرع صهيون)^(٣٢). والجدير بالذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات، وبعض الرهبان مثل الأب (أندروس Abba Indiriyas) رئيس دير دبرا ليبانوس، والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد، ربما يرجع ذلك إلى أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما يسجل من مثل هذه الأحداث، فيذكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء الحقيقية، وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوى أنهم كانوا يعبدون الأوثان، كما أن أمهاتهم كن سبياً في ضلالهم إلى السحر الأسود، فضلاً عن ادعائهم باطلاً أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة؛ بمسكون ببعض أفراد الشعب ليحطموا أنوفهم بمسامير حديدية ويجمعوا دماءهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه، وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده^(٣٣)، علي أن (زرع يعقوب) قد نفى عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبلهاء^(٣٤).

ومن خلال سيرة حياة القديسين نتعرف علي بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات، من ذلك مناقشة القديس تكلا هاوتريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات، وعندما اختلف مع الإمبراطور اختلفاً بيناً رأي فيه الإمبراطور تطاولاً علي شخصه؛ ألقى به في السجن^(٣٥). وهكذا لجأ الإمبراطور إلى سياسية الحديد والنار لقمع هذه الثورات جميعاً، كما أنه لجأ إلى البطريك والقضاة والمطران المصري، إذ إنه نجح في إقناع البطريك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا (٨٣١-٨٥٧هـ/١٤٢٨-١٤٥٣م) "كل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره علي عرش المملكة يكون مطروذاً ومحروماً بكلمة الرب"^(٣٦).

ومنذ ذلك الحين، في عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، عاش (زرع يعقوب) بحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات، إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة، في هذه الفترة، في ارتداد

وخوف من شدة حكم الملك، فقد كان (زرع يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعقو عمن يريد، ويقدر من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور^(٣٧).

٢- في عهد (بنيد ماريام) (٨٧٢-٨٨٢هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) :

رغم شدة حكم (زرع يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده، إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بنيد ماريام)، ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عن ما كانت عليه في عهد أبيه، إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها، ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسم الإيطالي (فرانسيسكو دي ليون) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلًا صغيرًا على ذراعها الأيسر، كما درجت عليه العادة في أوربا آنذاك، إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدى الأحباش عمومًا بأن اليد اليسرى هي علامة الشر، بخلاف اليد اليمنى التي تدل على الخير، مما أدى إلى قيام الأحباش بثورة اعتراضًا على هذه الصورة^(٣٨).

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا واختلفت أهدافها، إذ تحولت من الثورة على الحكم إلى المجادلات الدينية والعقائدية، من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريانيين وإخوانهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح، فقد رأى فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب، لأنه إله ابن إله، بينما رأى فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب، لأن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فائقة الوصف، فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرابين.... إلخ^(٣٩)، وعلى هذا فقد أمر (بنيد ماريام) بالقبض على هؤلاء وأمر بعقابهم بالجلد والقضبان الحديدية، تبعًا لدرجة عقوباتهم كل حسب درجته^(٤٠).

على أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر على النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتد إلى طريقة عمل الإمبراطور ذاته، ومن ذلك أنه أثير جدل واسع عن كثرة تنقلات (بنيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كيفما يريد، فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته على ظهور الخيل، وأهمل المملكة وترك شئونها الداخلية، وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب، وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، ويشير كولمبس إلى اشتراك بعض قادة الجيش في هذه الوشائيات^(٤١)، وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك، وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والليقائطاني (قاض من القضاة) واجتمع الجميع في إحدى قاعات الملك، وقال لهم "وقلتم أن ملكنا لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل - هكذا قلتم، لأن هذا التقليد - ركوب الفرس وإطلاق السهام - لم يكن لدى آيالي الأقدمين من قبل" وأمر بتقديم أصحاب هذه الوشائيات للمحاكمة، وإلا فالموت للجميع، ورغم إنكار الجميع لهذه التهمة؛ إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلى عدة أماكن مختلفة^(٤٢).

وعلى الرغم من شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت ووصلت إلى الإمبراطور نفسه، فبكر النص الملكي أن الليقائطاني (يكني) اتفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش^(٤٣) تمردوا عليه، وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه، وفي اليوم التالي أمر

الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعاً لاستجلاء الحقيقة، وعلى الرغم من أن الجميع أقسم بكثيرة صهيون على تقيده القيام بأي محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم^(٤٤).

وهكذا اضطر (ماريام) إلى اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حكت ضده، لذلك فقد دخل الرعب إلى قلوب الشعب^(٤٥) والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه، بدليل إصداره العفو العام عن جميع المسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرع يعقوب) وأعادهم إلى ديارهم، بالإضافة إلى أنه سمح لجميع الناس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان مختلفة^(٤٦). إلا أنه انتشر بين الشعب الحبشي في ذلك الوقت: أن الإمبراطور أشد قسوة من أبيه، ومما يدل على ذلك عقابه للvasarjovia الذي يدعى (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب المملكة فيما لا يحق له^(٤٧).

٢- في عهد (ألكساندر ٨٨٢-٨٩٨ هـ ١٤٧٨-١٤٩٢ م) :

كانت إدارة المملكة الحبشية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa - Giyoris)^(٤٨) وكل من الوزيرين: البحت ودد اليمين الذي يدعى (أمادا ميكلا Amda - Mikal el)، والبحت ودد اليسار الذي يدعى (بدالي ردد Badla - Redd) فضلاً عن وصاية أمه، إذ كان طفلاً صغيراً^(٤٩).

وقد انفراد بإدارة أمور المملكة (أمادا ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة، وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرع يعقوب)، لذلك كانت له اليد الطولى في الحكومة أيام (ألكساندر) حتى إن الملكة (روماته) اختلعت تقريباً من الساحة السياسية في ذلك الوقت، مما أثار حفيظة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الأب (حسيو Abba - Hasabo) و(مايمون باسيدك Meeman Basedequs) والأب (أمادوا Abba - Amdu) لإسقاطه، وعلى الرغم من ذلك استطاع البحت ودد (أمادا ميكلا) القبض عليهم جميعاً، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفيهم جميعاً، وأثناء سيرهم إلى المنفى لقي بعضهم مصرعه^(٥٠).

وهكذا انتصر (أمادا ميكلا) على أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازادت المعارضة ضده وخاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطاً بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلى البحت ودد وكأنه عقبة تقف في طريق طموحاتهم، وقد أرادوا وضع حد لسلطته، وعلى الرغم من أن النص الملكي لا يشير، على وجه الدقة، إلى الأسباب التي أدت إلى سقوطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزلوه عن الإمبراطور الشاب، وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، مما جعل الإمبراطور يصدر أمراً بالقبض عليه ونفيه إلى مكان مجهول^(٥١).

وتشير المصادر الحبشية إلى أن (أمادا ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخرى بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلى البلاط، وراح جنوده يعيثون في البلاد سلباً ونهباً، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام^(٥٢).

كما تشير الأحداث أيضاً إلى أن الموت أدرك الملك فجأة، وهو في سن صغيرة فلم يكد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، فأخفت الملكة الكبيرة (إيليني) خبر وفاته، وأمرت بحفظ

جثته خوفاً من محاولة (زا سليوس) اغتصاب العرش، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة^(٥٢).

٤- في عهد (عمدا صهيون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/ ١٤٩٢-١٤٩٣م):

على إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (ألكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة، فقد زحف (زا سليوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل الملوك "أمبا جيشن" في أمهرة، واستطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (ناوود)، وأعلنه ملكاً على البلاد ثم اختفى بسرعة خوفاً من قوات رجال الحرس الملكي^(٥٣).

وعلى الرغم من إعلان (ناوود) إمبراطوراً على الحبشة، إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة الملكة (إبيني) وتأييد أقوى مسئولى البلاط الذي يدعى (تكلا كرسبيوس Takla - Kristos) سارعا بتتويج ابن (ألكساندر) الذي يدعى (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسبيوس) ومعسكر أنصار عمه (ناوود) بزعامة (زا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلى العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسبيوس) من هزيمة (زا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، و عاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلى، إلا أن هذا الحداد انتهى بموت الإمبراطور، حتى أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتياحه لموته، وبشر بعهد الخير والسلام بعد أن تولي (ناوود)^(٥٤).

٥- في عهد (ناوود ٩٠٠-٩١٤هـ/ ١٤٩٤-١٥٠٨م):

وهكذا انقلب الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأمس هم أنفسهم أصدقاء اليوم، فها هو (ناوود) الذي رشحه (زا سليوس) قبل ستة أشهر فقط بتولي العرش، وكان الصراع ما زال مشتتلاً على السطح في بعض المقاطعات، عندما أعاد (زا سليوس) إعلانه للمرة الثانية (ناوود) ملكاً في أمهرة في (ذي الحجة ٨٩٩هـ/ أكتوبر ١٤٩٤م)، وقد أدى هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والنبلاء الذين كانوا معارضين إعلانه إمبراطوراً، كما فر (تكلا كرسبيوس) إلى إيفات عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، وراح يثير أهالي إيفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرسانه، إلا أن أهالي إيفات نجحوا في القبض عليه، واقتادوه مقيداً بالسلاسل إلى الإمبراطور الذي قام بنفيه، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بفقن عونه أثناء ترحيله إلى المنفى^(٥٥).

ويذكر النص الحبشي أن الراهب (يوحنا) بشر بأن (ناوود) سوف يكون عهداً مليئاً بالخير والهدوء والسلام^(٥٦).

كما أصدر الإمبراطور قراراً بالعمو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة، وراحوا يثيرون الفتن الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسئولى البلاط،

وكان علي رأس هذه الفتنة الراهب (أندرو Andrew) ، وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه^(٥٨).

٦- في عهد (أبنا دنجل ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م):

اعلى (أبنا دنجل) العرش في ٢٢ أغسطس ١٥٠٨م، بعد أبيه (ناوود)، وكان لديه أربعة أخوة هم: (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (ناوود)، بالإضافة إلى (كلوديوس) و(مينا)، وكان اختيار وريث من بينهما أمراً صعباً، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (أبنا دنجل) لصغر سنه، وكان في الثانية عشرة من عمره^(٥٩).

وعلى الرغم من موافقة كبار النبلاء على هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (أبنا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه، نظرًا لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (ناوود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة السليمانية الجديدة في عهده^(٦٠).

ولم يذكر النص الحبشي في عهد (أبنا دنجل) أي إشارات أخرى ربما تشير إلى ظهور أي تمردات أو دسائس على حكمه، سواء من رجال الدين، أو كبار مسؤولي البلاط أو النبلاء، ورغم بدء التدخلات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت، بل على العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية، في عهد هذا الملك إلى أنه لم يجرؤ أحد من الشعب على إحداث أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني^(٦١).

وهكذا، فقد ساد طيلة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية، داخل وخارج البلاط الملكي، التي لم يخل عهد حاكم منها (الهم في عهد أبنا دنجل)، فضلاً عن ثورات قوات الحدود نتيجة بضع السلطة المركزية، كل ذلك أدى إلى ضعف المملكة المسيحية، وخاصة منذ بداية عهد (ألكساندر) الذي عانى من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي على حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين، والمذابح الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي .

ترجمة وثيقة الحرمان

" أنا يوحنا عبد سيدنا يسوع المسيح الذي دعاني بما لا يحق لي لأخدمه فوق عرش مرقص أقول " :

باسم سيدنا يسوع المسيح، بينما كان الابن المبارك والمحبوب عظيم المقام الإمبراطور زره يعقوب، الذي دعي قسطنطينوس، الجالس على عرش داود برحمة الرب، ملك ملوك إثيوبيا الثابت على العقيدة الأرثوذكسية الحقّة فلا يتعدى أحد أوامره، ويكون هو السيد العظيم المسموح كلامه، ويكون الكل خاضعاً له .

وكل من تعدى أمرنا الذي حددناه وسجلناه وقضينا به، كائناً من كان من بني أم من الرؤساء والأمراء وجميع الجنود، الصغير والكبير، الرجال والنساء. وإن أرادوا تولية غيره بينما زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس موجود على عرش مملكته، سواء هؤلاء أو من أراد أخذ ملكه ليكن محروماً بأسماء الرب الثلاثة التي هي الأب والابن والروح القدس. وإن وجد من تعدى ما حددناه وحكمنا به وعصى أمر ملكنا زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس الجالس على عرش مملكة إثيوبيا، أو من أراد قتله وإزاحته من عرش ملكه سرّاً أو علانية أو بلسحر، أو من اجتمع ضده بتدبير أثم، ليكن ممنوعاً ومحروماً بكلمة الرب القاطع الأول الذي هو الثالوث المقدس . الأب والابن والروح القدس".

المصدر الاصلي :

Rossini,C : Il Libro della luce del negus zar a ya qob,(Mashafa Berhan), Il (Text)pp20-21

نقلاً عن مجدي عبد الرازق سليمان : النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري

الإمبراطورين زره يعقوب وابنه بند ماريام، ص ٤٩-٥٠

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق الحبشية :

- 1- Jules Perruchon (traduction) : Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892.
- 2- : Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889.
- 3-: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Baeda Maryam, Rois d'Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893.
- 4-: Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie . Texte ethiopien inedit comprenant en outre un fragment de la chronique de Ba'eda- Maryam, leur Precededdeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894 .319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzahlung .
- 5- Manfred Kropp : : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopici, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988

ثانياً . المخطوطات .

مجهول .

1 - سيرة الأنبا تكلأ هيمنوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت.

ثالثاً . المصادر العربية المطبوعة :

١- القرآن الكريم :

عرب فقيه : (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجيزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي).

٢- تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره ربنيه ياسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

: (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله، ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .

العمرى

٣- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر

خريسات وعصام مصطفى هزايمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد

للثقافة والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

المقرينى : (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤١هـ / ١٤٤١م) .

٤- الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف،

القاهرة، ١٩٥٨م.

رابعاً - المراجع العربية والمعربة

- (١) راشد البراوي : الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
 - (٢) زاهر رياض : كنيسة الإسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
 - (٣) —: تاريخ أثيوبيا، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م.
 - (٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.
 - (٥) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.
- خامساً : المراجع الأجنبية :**

- 1) A.H.M. Jones and Elizabeth Monroe : A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press, 1974.
- 2) Budge (E .A .W) : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia, London, 1928.
- 3) Charles F . Rey , F.R G.S : Unconquered Abyssinia As It Is To-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923.
- 4) Edward Ullendorff : The Ethiopians an introduction to country and people, London, oxford university ,Press Newyork.toronto, 1965 .
- 5) Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003.
- 6) Francisco Alvarez : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961.
- 7) Hiob Ludolf : A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984.
- 8) J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929.

- 9) John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901.
- 10) Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980 .
- 11) Paul B . Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000.
- 12) Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter,1985.
- 13) Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998.
- 14): The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967.
- 15) Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 1972.
- 16) Thomas P. Ofcansky and Laverie Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004.

سادساً : الدوريات العربية

- ١) كرم الصاوي باز : عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥ هـ / ١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م.

سابعاً . الدوريات الأجنبية

- 1) Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000).
- 2) Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in(RA).1970.
- 3) : The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535. in(JES), VIII, no.1, 1970.

ثامناً - الرسائل العلمية :

- ١) زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السلیمانیة فی الحبشة من (یکونو املاک) إلی (زرع یعقوب) وعلاقة المسلمین بالمسیحیین بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دکتوراه غیر منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- ٢) مجدي عبد الرزاق سلیمان: النص الملكي فی تاریخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورین (زرع یعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (بنید ماریام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دکتوراه غیر منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.



الهوامش

1 - هي الأميرة التي حكمت الحبشة قبل مجيء الأسرة السلিমانيّة ويختلف كل من عبد المجيد عابدين وراشد البراوي و Edward Ullendorff في بداية حكمها، حيث يذكرون أنها تمكنت من الاستيلاء على حكم الحبشة عام ١٥٣٢هـ / ١١٣٧م وهو يختلف بذلك عن جميع المراجع التي بين أيدينا، كما أن هناك اختلافاً آخر بين الباحثين على عدد ملوك هذه الأسرة، فبينما يشير البعض أنهم كانوا أحد عشر ملكاً تذكر القوائم الملكية لتلك الفترة أنهم كانوا تسعة فقط وهم Djan Germe - Djan Seyum - Pantadem - Pantaw- Yemrehana - Na'akueto La'ab - Lalibala - Arbe - Yetbarak ، إلا أن هناك اتفاقاً عاماً بين معظم الباحثين على أن مدة حكم الزغاوة كانت ثلاثة قرون وثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. للمزيد انظر عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٦٦، راشد البراوي، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥١، كذلك :

Budge : (E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London , 1928, p.277 see also Edward Ullendorff, The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university Press Newyork. toronto, 1965 , p.64.

2-جوديت: يشير بعض الباحثين أنها كانت من العائلة السلیمانيّة القديمة، استطاعت الوصول إلى الحكم بمساعدة بعض قبائل الأجاو وذلك بسبب موقفهم المتشدد من عدم ترشيح النساء للحكم، وقد ساعدتها ظروف البلاد في الوصول إلى العرش إذ اشتد التنافس بين اثنين من الأمراء على الوصول للحكم وراح كل منهما يدعم موقفه بتأييد العديد من رجال الدين، مما جعل جوديت بعد وصولها للعرش تزداد في اضطهاد رجال الدين المسيحيين بل وقتل ونفي الكثير منهم، فضلاً عن إحراق جميع الكنائس وإلحاق جميع أنواع الخراب بها، وتعقب المسيحيين في كل مكان، في حين يشير بعض الباحثين إلى أن هذا كان بسبب تعصبها للديانة اليهودية، وبسبب ذلك وضعها الأحباش بالاشتراك مع الإمام أحمد الجران في قائمة وحوش التاريخ الحبشي، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت حكم البلاد طويلاً أربعين عاماً حققت فيها نوعاً من الاستقرار والسلام، للمزيد انظر المقرئزي : الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة المؤلف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٢، أيضاً

- Paul B.Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

٣ - أشار العديد من المراجع التاريخية إلى أن الملكة (جوديت) لم تكن وحدها من ملوك الزغاوة التي تنبئ باليهودية، فقد أشار بعض المؤرخين إلى تقسيم ملوك الزغاوة إلى قسمين من حيث الديانة، إذ يشار إلى أن عدد ملوك القسم الأول والذي يبلغ خمسة ملوك كانوا يدينون جميعاً بالديانة اليهودية، أما القسم الثاني فكان عدد ملوكه ستة ملوك كانوا يدينون بالديانة النصرانية. لمزيد انظر

-Charles F. Rey : *Unconquered Abyssinia as it is to-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation*, London, 1923, p 86.

٤ - اتخذ الملك لاليبالا لنفسه لقب جبرامامقال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بترميم العديد من الكنائس وبني أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقياً حتى الآن استعان فيها بعدد من العمال المصريين بالإضافة إلى بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفى بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها على الحكم في عهد أخيه الكبير لذا يعتقد أنه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه (١١٨٩ - ١٢٢٩م) بينما يذكر آخرون أنها (١١٨٠ - ١٢٢٠م) وبينما نجد فريقاً ثالثاً يؤكد أنه كان معاصراً للحليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦-١٠٢٠م) ولكنهم يجتمعون على أن مدة حكمه كانت أربعين عاماً انظر زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٢٦ - ١٢٧ كذلك

- Jules Perruchon (traduction) : *Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia*, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892, p.51.

٥ - يقول ألفاريز إن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك يمرها Yimrha " حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة على العرش بين أبناء الأسرة الأجوية ووقوعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة على هذا الجبل هو الملك "لاليبالا". أما عن تنظيم "جيشن" كسجن ملكي فربما يرجع إلى الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر :

-Francisco Alvarez: *The Prester John of the Indies* translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.165.see also Hiob Ludolf, *A New History of Ethiopia*, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

ولوصف جبل أميا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر:

-Alvarez : op . cit , pp. 237-248.

6-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: *A history of Ethiopia*, oxford university, at the clarendon press, 1974 , pp.26-31.

7- John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris,1901,p.38.

8- تنسب الأسرة السليمانية إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وتقول الأسطورة أن ما كيدا ملكة سبا قامت بزيارته حيث أعجب بها وتزوجها وحملت منه ثم عادت إلى قومها وأنجبت ابنه حكيم، وقد شب الغلام في رعاية أمه إلى أن كبر وأراد أن يزور أبيه، فأرسلته إليه حيث فرح به سليمان كثيراً وغير اسمه إلى منليك وعلمه حكمته، ولما صمم على أن يعود إلى أمه وقومه، تمكن أن يأخذ من أبيه تابوت العهد الذي كان سليمان يحفظ فيه الألواح الإلهية التي كتبها الله للنبي موسى عليه السلام، ثم عاد به إلى الحبشة ليحكمها ومعه أسباط إسرائيل ومنه تسلسل ملوك الحبشة منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي حين اغتصب العرش منها أسرة أخرى حكمت البلاد حوالي أربعة قرون حتى تمكن يكونو أملاك من طردها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وإعادة الأسرة القديمة إلى عرشها ممثلة في شخصه. انظر مجهول : سيرة الأنبا تكلأ هيمنوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت، ورقة ٣، زاهر رياض، العصر الأول من الأسرة السليمانية في الحبشة من يكونوا ملاك إلى زرم يعقوب وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٤.

9 -Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in Rural Africana,1970, p.105.

10 - Mordechai Abir : Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980,p . 21.

11 - Budge : op . cit . p. 287 .

12- Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003, p36.

13-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress,2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon ,Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889,p.xx.

14 - الجدير بالذكر أن الملك الحبشي كان يمنح ابنه الأكبر بعض السلطات السياسية والإدارية أثناء حكم أبيه، فقد أعطي يكونو أملاك ابنه بعضاً من هذه السلطات، وكذلك فعل عمدا صيون الذي أعطي إدارة إقليم التجري لأحد أبنائه حيث منحه لقب بحر ساجاد - Bahr Sagad ، كما أضيف إلى مهامه حكم المقاطعات المجاورة للبحر الأحمر وذلك عام ١٢٢٨هـ / ١٣٢٨م، كما تذكر المصادر الحبشية أنه عندما اقترب موعد موت زرم يعقوب تم إلقاء القبض على بعض الأمراء الذين كانوا حاضرين في بلاط الملك، حيث أعلن تولي ابنه بند ماريام ملك الحبشة بمباركة من زرم يعقوب نفسه . انظر العمري،

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ٤٢، مجدي عبد الرزاق سليمان، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرع يعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (بنيد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ٩٨-٩٩، زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، ص ١٣١ وعن حكم عمدا صيون وتنظيم مملكته الداخلية . انظر، كرم الصاوي باز، عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥هـ/١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م، ص ص ٨-١١، انظر أيضاً

-Jules Perruchon : Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893,pp124-125.

15-Taddesse tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 197., p. 282.

16- زاهر رياض: كنيسة الأسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص ٥٣.

17-Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

18 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

19- Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211.

20- "وكان في أيام ملكنا زرع يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل أثيوبيا، بسبب قانون حكمه وشدته" انظر:

- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda – Maryam, p.4.

21 - "وحين يدخل هؤلاء القادة- حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، يسجد الجميع بركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الملك " انظر :-

- Perruchon : op, cit , P.33.

22 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p.292.

23 - " وبالنسبة للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شئون الحبشة- لأنه كان وقتئذ طفلاً صغيراً" انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

24 - " وتآمر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك " انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

25- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopici, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.

26- عرب فقيه : تحفة الزمان وفتوح الحبشة، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ١٣٢، انظر ايضاً

-Taddesse Tamrat : op, cit , P.282.

27 - 'حين سمع الملك عنه أمر ظلم كثير وتمرد وقد فعل خطيئة أخرى حين تزوج سراً امرأة- وهو زوج لإسرائيلية- وهبه إياها الصاسرجويه أمخا إياسوي ليتزوجها. وبمجرد أن سمعت زوجته برهان زمدا، أخبرت أياها الملك " انظر

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam, pp.10-11. see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.

28 - مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ص ٤٦-٤٧

29 -"وفي ذلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأطلعهم علي عقوبات أولاده ومحاكماتهم القاسية قائلاً : انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أجمعوا علي الرب، وغيرة له لم نرجمهم" انظر

- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.99.

مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ٤٤.

30- "وحمل الرسل الذين أرسلهم بنيد ماريام إلي القديسين بشارة هؤلاء القديسين : من دير ليهانوس، ودير كاسو، ومن الأب الرحيم أبو فير التابع لدير إندجبتن" انظر

Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.108.

31- مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨

32- "وفي ذلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم : تعاوي برهان، وزر صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شراً، فافتروا ظلماً علي هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.98.

33 - Coulbeaux: op, cit,p.137.

34 - مجدي عبد الرازق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨

35 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 241

36 - انظر وثيقة الحرمان في الملاحق.

37 - "وهناك (في دير برهان) قتل الكثيرين من الناس ونفي البعض حين اقتروا علي الرب ومسيحه، وقدر الكثيرين وعظمتهم، ممن نفذوا مشيئة الرب، وأمر الملك" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.73.

38 - Budge : op, cit ,p.304.

39 - تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إذ قسمت العالم المسيحي إلى قسمين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالأسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس -وهو كاهن سكندري مثقف- أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقاً للإله الأب فهو إذاً دونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة . وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وعبادة إلهين. أما أثناسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كانا شخصين متميزين . ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتفق ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يقيم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأثناسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأثناسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغلبة في الشرق للبهني للمذهب الأريوسي. هذا فضلاً عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأباء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدنيا التي انتمى إليها رجال الدين من الأثناسيوسيين . للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور. تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٣٩-٤١ .

40-Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 45.

41 - Coulbeaux: op, cit, p.166.

42 - Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal, p.47see also Perruchon , op, cit, p. 128.

43 - الجان مساروتش: جمع مفرد لكلمة (جان مساريه) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسلول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك" انظر مجدي الرازي سليمان، المرجع السابق، ص ١١٢.

44 - وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجمعوا جميع الجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلى القصر . وحين أدخلهم إلى القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخنقوه بمفرده، حتي اضطرب وارتعد جداً كل الذين شاهدوهم....بينما ظلوا معلقين من رقابهم في ذلك اليوم من الفجر حتي الساعة التاسعة" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, pp.162-163.

45-"ولهذا السبب دخل الرعب في قلب كل الشعب حتي تحادثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam,p.129.

46 - "وفيما بعد نادي المنادي قائلاً : من الآن فصاعدا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء. وأنتم أيها السجناء، يا من كنتم عن قرب أو عن بعد عودوا إلي منازلكم" انظر - Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p. ١٦٨, see also Richard Pankhurst : op, cit, pp.43-44.

47 - "وقد أمر ملكنا ثانية بأن يجعلوا في ملابسهم زيتاً ويدهنوه كثيراً، ويشعلوا ناراً، ويأخذوا ملابسهم التي دهنت بالزيت، ويحرقوه مربوطاً مصلوباً ورأسه إلي أسفل" انظر

Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p. ١٦5.

48 - أحد أبرز الذين حاربوا البعث ودد أماد ميكلأ وقد أنصت عليه الكنيسة بلقب " - Makbiba - Beta - Kristiyan وهو لقب أعلي من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه علي رجال الدين، إذ ورد هذا اللقب في قداس ديني عن طريق القديس تكلأ إيسوبوس مو . انظر

- Taddesse Tamrat: The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp.109-111.

49 - "ووالدته رومانة والعقابي ساعات تاسفا جورجيس والبعث ودد أمادا ميكلأ اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها" انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

50 - "ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبي والأب أمادا ميكلأ ومايمون باسبيدك ضد البعث ودد أمادا ميكلأ عندما أدركوا أنه الحاكم الوحيد لأثيوبيا" انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.353.

51 - Coulbeaux: op, cit, p. 171.

52 - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.354.

53 - Budge : op, cit ,p.322.

54 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, pp.290-293.

55-Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36

56 - "ووصل إلي محافظة إيلات وسمي أن يضم إلي عمله الظالم كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة ولكن هؤلاء وهم عارفون بتفكيره تركوه بسبب خيانتة وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلي الملك" انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

57 - " حيث كانت كل البلاد هادئة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئة ما يلي " نقد سمعت صدى من السماء يقول " ناوود يحكم ممتدخاً ومختلفاً " انظر

- Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.363.

58 - Budge : op, cit ,p.323.

59 - " تَبَوَّأَ هَذَا الْمَلِكُ الْحُكْمَ وَهُوَ فِي عَمْرِ الثَّانِيَةِ عَشَرَ " انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.3.

60 - Budge : op, cit ,p . 324

61 - "وفي عهده لم يقم متمرد ثالر ولم ينبت أحد حيف.... لأن العدل والقسطاس قد باتا زينة عرشه، وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.5.



التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإيلخانيين (٦٦٣ : ٧٢٦ هـ / ١٢٦٥ - ١٣٢٥ م)

د. محمد سيد كامل (*)

من أوائل الإصلاحات الإدارية التي اهتم بها الإيلخانيون^(١) في دولتهم: التنظيمات العسكرية والخطط الحربية، نظراً لأهمية الجيش في تعزيز مكانة الدولة، والقضاء على الفتن والثورات الداخلية، فضلاً عن دحر الأخطار الخارجية، والتوسع في البلدان المجاورة. لقد أدرك المغول الإيلخانيون^(٢) أهمية الاتحاد كقوة عسكرية، بين أفراد القبائل التتارية والمغولية، في إعداد جيشهم وتنظيمه، فبعد أن اتحدوا بدأوا مهاجمة المناطق الشرقية للعالم الإسلامي كقوة موحدة، فنجد "جنكيزخان" يجهز قواته تجاه "خوارزم"^(٣) ويقضي على دولة "خوارزمشاه"، ويجبر السلطان "جلال الدين منكبرتي" على عبور نهر السند مخترباً بلاد الهند، مع عدد قليل من رجاله لاجئاً إلى السلطان "شمس الدين ألتمش" طالباً منه تخصيص منطقة من أملاك دولة المعاليك الأتراك ليقوم عليها هو وأتباعه، بعد هزيمته المنكرة على يد "جنكيز خان"^(٤).

لقد اهتم المغول اهتماماً كبيراً برفع كفاءة جنودهم إلى أعلى درجة ممكنة، منذ عهد "جنكيزخان"، وقد اكتملت قوة وكفاءة هذا الجيش في عهد "هولاكوخان"^(٥)، الذي أثر تأثيراً كبيراً في تاريخ الأمم والشعوب الواقعة في أواسط آسيا وجنوب شرقي أوروبا، وأصاب المسلمون بالكثير من الأضرار، وخاصة بعد إسقاط الخلافة العباسية في بغداد وقتل الخليفة "المستعصم" سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م^(٦).

وبالرغم من إغارة "هولاكو" على بغداد بحملة استطلاعية قوامها "توماتين"^(٧)، وما تعرض له العالم الإسلامي على يد المغول من تخريب ودمار وسفك للدماء، إلا أن "هولاكو" وأبناءه من بعده أسسوا دولة حاکمة أطلق عليها في التاريخ: الدولة الإيلخانية التابعة للخان الأعظم في عاصمته "قراقورم" بالصين، في عدة مناطق من "أذربيجان" و"فارس" و"خوزستان" و"كباريكر" و"خراسان" و"بلاد الروم"^(٨) وغيرها، حيث ارتبطوا بهذه البلاد التي توارثوا حكمها، وجعلوا "تبريز"^(٩) عاصمة لمملكهم، ومن ثم تأثروا بالحضارة الإسلامية، وشيئاً فشيئاً اعتنقوا الإسلام، وتلاشت تدريجياً صلتهم بمغول الصين^(١٠).

أولاً: نبذة عن مغول الإيلخان

حكم مغول الإيلخان في "فارس" و"العراق" و"كبار بكر" عقب وفاة "هولاكوخان"، في الفترة ما بين سنة ٦٦٣ هـ : ٧٥٦ هـ / ١٢٦٤ م : ١٣٥٥ م، وتعاقب على حكمهم ستة عشر حاكماً،

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة المنيا.

ونقتصر هذه الدراسة على دور ثنائي الأيلخانات منهم حتى عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، أي حتى نهاية عهد السلطان "أبو سعيد خان"، مركزاً على دورهم العسكري والحربي.

يعتبر "أباخان" أول حكام الإيلخانية في الفترة ما بين ٦٦٣هـ - ٦٨٠هـ / ١٢٦٤م - ١٢٨٠م، الذي ساندته الأمراء وكبار القادة ووالتته السيدة "دوقوزخاتون" حتى وصل للعرش. طبقاً لأحكام الياسا الجنكيزية^(١١). وفي عهده تحركت جيوش الإيلخانية في عدة اتجاهات، منها جيش الأمير "يشموت" أخو الإيلخان إلى "تريند"^(١٢)، ضد "توقاي" حاكمها، فسيطر "يشموت" على نواحها وعلى "شروان" و"موغان" حتى حدود "النان"، كذلك سير الأمير "توبسين" إلى "خراسان" و"مازندران" حتى ضفاف نهر "جیحون"^(١٣). كذلك خرج "أباخان" بنفسه، في سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، لمحاربة "براق" في بلاد ما وراء النهر، الذي أغار على "ختن"، رغباً في مهاجمة "منكو تيمور" - وهو أخ آخر للإيلخان - في "قايدو"، حيث أعد كميناً فأوقع الهزيمة بجنودهم وقتل وأسر الكثير منهم، ثم حصل على غنائم وافرة، إلا أن جيش "أباخان" أنزل به الهزيمة وردّه عن ما وراء النهر^(١٤).

وفيما تجدر الإشارة إليه: أن "أباخان" خرج بنفسه على رأس عدة حملات عسكرية، منها تجاه بلاد الروم، حيث فرض الجزية السنوية على أهلها وهي حوالي أربعمائة ألف دينار، وعزل سلطاتها "غياث الدين" - من سلاجقة الروم - وعين بدلاً منه ابنه "ركن الدين"^(١٥). هذا ومن أهم حملات "أباخان" العسكرية موقعة "أبلستين"^(١٦)، حيث التقى مع سلطان مصر المملوكي "الظاهر بيبرس"، والذي كان أمراء بلاد الروم، وعلى رأسهم الأمير "ابن الخطير" والأمير "معين الدين البرواناه" قد راسلوه للتصدي لجيش "أباخان"، الذي رغب في التوسع في داخل بلاد الشام، معزلاً بجيش أخيه "منكو تيمور" والذي سار إلى حلب، وقد انتهت هذه المعركة بقتل أمراء بلاد الروم^(١٧)، وإنزال الهزيمة بجيش المغول، ففضل "أباخان" تجنب القتال مع المماليك، حتى يتفرغ لجهة "أرمينا" و"القباقي"^(١٨)، وقد قيل إن القائد "منكو تيمور" مات كمداً، متأثراً بتلك الهزيمة التي حلت به في حلب^(١٩).

خلف الإيلخان "أباخان" على العرش أخاه "تكودار" بن "هولاكو" فترة قصيرة، من ٦٨٠هـ - ٦٨٣هـ / ١٢٨٠ - ١٢٨٣م^(٢٠)، وذلك وفقاً لتعاليم الياسا الجنكيزية التي تنص قوانينها وشروطها على: أنه إذا مات الحاكم لا يجلس بدلاً منه إلا أكبر الأمراء سناً^(٢١)، وهذا الشرط كان ينطبق على "تكودار"، ولا ينطبق على "أرغون" بن "أباخان". وقد واجه "تكودار" عقبة أخرى في سبيله، لاعتلاء العرش، حيث إن مجلس "القوريلتاي"^(٢٢) اختلف في أمر تعيينه حاكماً على الإيلخانية، بسبب اعتناقه الدين الإسلامي^(٢٣)، وإطلاق اسم "أحمد" على نفسه^(٢٤).

لقد نتج عن دخول "أحمد تكودار" الإسلام عدة نتائج من أهمها، عدم إرسال الخان الأعظم فرمان التولية له^(٢٥)، وكذلك خروج أحد الأمراء عليه ومحاربتة، وبذلك اضطر "أحمد تكودار" إلى تجريد جيش ضده بقيادة "اليناق" نائبه، ثم اضطر للخروج بنفسه على رأس جيش قوامه أربعين ألف فارس تجاه خراسان، فأنزل الهزيمة به وأسر^(٢٦). ولابد أن نشير هنا إلى أن "أحمد تكودار" قام ببذل الأموال والعطايا، وأغدى من أموال الخزائن على أخوته وأمرائه وقادة

جيوشه لكي يستأنوه ، لدرجة أنه أطلق سراح "أرغون" منافسه على العرش في محاولة منه لاستمالة^(٣٧).

ومن الطبيعي أن يبحث تكودار^(٣٨) عن حليف قوى يؤازره ويقف إلى جانبه، لذا أرسل سفارة على رأسها الشيخ كمال الدين عبد الرحمن^(٣٩) إلى سلطان مصر "المنصور قلاوون" تحمل رسالة يوضح فيها مدى حبه للدين الإسلامي^(٤٠)، إلا أن هذه السفارة لم تؤت ثمارها، نتيجة لأن مجلس القوريكتاي والجيش انقسم على نفسه، وتحالف عدد من القادة مع "أرغون"، مثل الأمير "قرنغرتاي" القائد على جيش بلاد الروم، والأمير "اليناق" قائد جيش "الكرجي" والأمير "بوغا" والأمير "طغاجار" الذين رغبوا في تسخير جيش ضد بلاد الشام والممالك في مصر، وقد انتهى الموقف بقتل أحمد تكودار وتولية الحكم لـ "أرغون"^(٤١).

واستمر حكم "أرغون" حتى سنة ٦٩٠هـ/ سنة ١٢٩١م، وكان من المتوقع أن يرسل جيشاً لبلاد الشام، إلا أنه أرسل جيشاً تجاه جبال "هكتار" بكرمنستان، لقتال الأكراد الذين كانوا يقطعون الطرق ويثيرون الفتن ، قوام هذا الجيش ستة عشر ألف فارس وعلى رأسه عدد من الأمراء منهم الأمير "مازون" و"القوشجي" و"تورين"، كما تحرك "أرغون" عندما وصلت الأخبار من خراسان بتقديم ثلاثين ألفاً من الفرسان من جند "قائد" ومقدمهم "بيسون نويان"، وعبورهم "البنجاب" ونهبهم جهات "بلخ" و"مرو"، فصددهم "أرغون" في سنة ٦٨٧هـ/ سنة ١٢٨٨م^(٤٢). كذلك تصدى في ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م لـ **تمرد الجنود في ناحية "دريند"**، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة فارس وأسر عدداً آخر، والجدير بالذكر أن "أرغون" لم تكن في عهده أي حملات خارج إيران، فلم يتقدم تجاه بلاد الشام التي كان الممالك فيها يهدفون إلى تصفية بقايا الصليبيين بالشام، وبذلك كانت الفتن الداخلية في الإيلخانية بمثابة معاول تعمل على إضعاف الدولة^(٤٣).

وفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م توفي "أرغون" متأثراً بمرض ألم به، فتولى بدلاً منه العرش "كيخاتو بن أباقا"، حتى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م^(٤٤)، والذي عمل على تحسين أوضاع البلاد المالية عن طريق استبدال العملة الذهبية والفضية بالعملة الورقية المسماة "الجاو"^(٤٥)، ولابد أن نشير هنا إلى أنه في عهد "كيخاتو" ظهرت عدة فتن داخلية، منها فتنة "أفراسياب" حاكم "كوسستان" وثورة "الطور"^(٤٦)، إلى جانب ثورة التركمان واليونان في بلاد الروم، لذا صمم "كيخاتو" على الخروج بنفسه لمحاربتهم، فأسند شئون البلاد لنائبه المسمى "شيكاتور نويان"، وزحف على بلاد الروم وقضى على الفتنة بمساعدة عنصر "الكرج"^(٤٧).

وبرغم هذه الإنجازات، إلا أن أمراء الإيلخانيين تأمروا على "كيخاتوخان" بسبب ضعف شخصيته، وانتقاده لقائد جيشه الأمير "طغار"، الذي أقعته بالمسير لمحاربة الأمير "غازان" في خراسان، ثم ما لبث أن تركه وانضم إلى صفوف معارضيه، وبذلك دارت الدائرة على "كيخاتو" فتم قتله في ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م^(٤٨).

تعتبر فترة حكم "غازان" الذي تولى الحكم سنة ٦٩٤هـ- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م، والذي اتخذ لنفسه اسم محمود، بعد اعتناقه للإسلام وإعلانه ديناً رسمياً للبلاد، من أهم الفترات التي ظهرت فيها التوسعات الخارجية، بعد ازدياد قوة الخلاف بينه وبين السلطان "الناصر محمد بن قلاوون"، بسبب فرار العديد من المغول المؤيدين لسادس ملوك الإيلخانيين الأمير "بايدو" من

إيران - ويقدّر عددهم بعشرة آلاف فرد - إلى الديار المصرية، وترحيب سلطان مصر بهم، وإتزالهم في ساحل بلاد الشام، وإحضار رؤسائهم لاستقباله في مصر. فزحف "غازان" بنفسه على رأس ثلاث حملات حربية لغزو بلاد الشام، تمكن في الحملتين الأولى والثانية من الاستيلاء على عدة مدن، فانتصر في "مرج المروج" سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م^(٣٨).

وفي الحملة الثانية، سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، سار الأمير "قتلغ شاه" على مقدمة جيشه^(٣٩)، ثم تقدم "غازان" تجاه الفرات ومنها إلى حلب، ومن اللافت أن سلطان مصر لم يخرج بجيشه لصد الإيلخانيين، وقد قيل إنه خرج بجيشه حتى "حماء" دون أن يتم الاشتباك بين الطرفين^(٤٠). هذا وقد قيل إن السبب الرئيس في زحف "غازان" هو رغبته في التوسع^(٤١) أولاً، ثم استتجاد بعض أمراء المماليك به، وهم "سيف الدين قبحق"، والأمير "قارس الدين البكي"، و"سيف الدين بكتمر السلحدار"، الذين زينوا له مهمته لغزو الشام^(٤٢)، والذين كانوا على خلاف مع سلطان مصر، نتيجة لذلك فقد كافأ "غازان" الأمير "سيف الدين قبحق" بتعنه حاكماً على المنطقة الشامية، ومن ثم عاد "غازان" إلى "تهريز"^(٤٣).

تجددت مسيرة "غازان" للمرة الثالثة على بلاد الشام، في ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، حيث زحف "قتلغ شاه" بجيش قوامه مائة ألف شخص، ومعهم أعوانهم من "الكرج والأرمن"، فخرج "الناصر محمد" من مصر، مصطحباً الخليفة "المستوفي بالله العباسي"، وتمركز القتال في "مرج الصفر" على مقربة من حمص، فدارت الدائرة على "غازان" وجنوده. ففر قائد جيشه وغرق كثير من جنده، ومات آخرون في الصحراء من شدة الجوع والعطش^(٤٤)، وبذلك حلت الهزيمة بالإيلخانيين، وأصيب "غازان" بحالة من الوجوم، وأمر بمحاكمة قواد جيشه المهزومين، فأعدم منهم اثنين، وأمر بضرب اثنين آخرين، وهما "قتلغ شاه" و"جويان"، ضرباً مبرحاً^(٤٥)، وسرعان ما أصابته حالة نفسية سيئة مات على إثرها في ٧٠٣هـ/١٣٠٣م^(٤٦).

خلف "غازان" في عرش الإيلخانية أخاه "أولجايتو بن أرغون"، الذي بويع بالعرش بحضور الأمراء والوزراء، إلا أن القائد العام للجيوش "هرقداق" كان ميالاً إلى تولية الأمير "الأفرنگ بن كيكاتو"، ولكن "أولجايتو" تمكن من القضاء على معارضيهِ والوصول إلى الحكم، واستمر طوال الفترة ما بين ٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م^(٤٧).

اعتنق "أولجايتو" الإسلام على المذهب السني، وتسمى "بمحمد"، وشرع في بناء مدينة "السلطانية"، الذي خصص لها دخل بعض الولايات لسد نفقات البناء، حيث استمر العمل في بنائها حوالي عشر سنوات، حتى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م^(٤٨).

أما عن نشاطه الحربي: فقد بدأ "أولجايتو" حياته العسكرية بغزو منطقة "جبلان" بأربعة جيوش إيلخانية، أجبرت أمرانها على دفع الجزية التي كانت عبارة عن كميات من منسوجات الحرير^(٤٩)، كذلك فتح في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م مدينة "هراة"، التي فرض عليها الحصار الشديد الذي أدى إلى ظهور مجاعة شديدة مع قلة الأقوات والأطعمة، فاستسلم أهلها، وبالتالي كان سقوطها فرصة كبيرة للإيلخانيين، حتى يتمكنوا من فرض سلطتهم على إقليم خراسان ككل^(٥٠).

وبذلك فقد أظهر "محمد أولجايتو" نشاطاً عسكرياً كبيراً، وفتح عدة مناطق وأحمد أكبر تمرد في "هراة" ولكن محاولته فتح "مازندران" باءت بالإخفاق، بسبب سوء الأحوال الجوية وارتفاع

درجة الحرارة في المنطقة^(٥١)، كذلك جهاز حملة على بلاد الشام في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، بعد فرار عدد من أمرائها إليه، وعلى رأسهم الأمير "قراسنقر" حاكم دمشق، فزين له مهاجمة بلاده، فتقدم إلى الموصل وحاصر الرحبة، إلا أن حاكمها رفض تسليمها إليه وأبلى بلاء حسناً في الوقوف في وجهه، ومن ثم أصدر الإيلخان أمره بفك الحصار والانسحاب إلى إيران^(٥٢).

تولى "أبو سعيد بهادرشاه" الحكم في خراسان ولياً للعهد، في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، ولم يكن عمره يتعدى التاسعة، حيث أسند والده "أولجايتو" إلى الأمير "سونج" الأتابكية عليه^(٥٣)، ولما توفي "أولجايتو" رفع إلى العرش، وقد تعرض في بداية حكمه إلى عدة ثورات، منها ثورة "الجغتايون" في خراسان الذين تقدموا إلى "مازندران"، وكذلك لفتنة "أوزبك خان" ملك صحراء "الغجاق" الذي تقدم إلى "اران" و"أذربيجان" على رأس جيش كبير، هذا إلى جانب هجوم جيش مصر على حدود نبار بكر^(٥٤)، ولكن "أبو سعيد" بمساندة أتابكه تمكن من القضاء على تلك الفتن والثورات. كما تمكن، في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، من الدخول في مفاوضات صلح وعلاقات طيبة مع "الناصر محمد بن قلاوون"، نتج عنها عقد معاهدة صداقة وود بين الدولتين^(٥٥).

دخلت الدولة الإيلخانية في فترة ضعف عقب وفاة "أبو سعيد"، وتولى حكمها عدد من الإيلخانات، منهم "موسى خان" حفيد "بايدو"، الذي اتجه بحيش تجاه إقليم أذربيجان، وألحق الهزيمة بـ"أريخان" ووزيره "غياث الدين محمد"، وقتله سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م^(٥٦). ونتيجة لضعف حكام الإيلخانية، فقد استطاع الأمير "حسن كوجاك" بن جويان من تأسيس الدولة "الجلانرية" في حدود سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، والقضاء على آخر الإيلخانات وهو "أنوشيران العادل"^(٥٧).

ثانياً- التنظيمات العسكرية في الدولة الإيلخانية

اعتمد الإيلخانيون على العديد من التنظيمات العسكرية في الحروب والقتال، فالفترة التي حكم فيها الإيلخانات إيران تعد من أخطر فترات تاريخها، وأكثرها اضطراباً، وأشدّها فتكاً وإيلاماً بالنسبة لشعبها، نتيجة لما ارتكبه المغول من مجازر ومذابح وتدمير، ولم يوقفهم عند حدهم إلا دخولهم الإسلام، الذي هذب نفوسهم فتركوا قوانينهم وعاداتهم المغولية. واتبعوا الشريعة الإسلامية، وهي الفترة الثانية من حكمهم، والتي تبدأ من عهد "غازان" إلى نهاية دولتهم^(٥٨). ومن أهم هذه التنظيمات العسكرية :

١- اعتماد المغول على العامل النفسي والتعبئة الروحية لجنودهم.

اعتمد الإيلخانات على العامل النفسي في تسير جنودهم للقتال، فحرصوا على زيارة المتجمين في محل إقامتهم، وأخذ رأيهم في نتيجة الحرب، ثم نشرها بين الجنود والقادة، فقد كانوا لا يعنون الجيوش أو يدخلون حرباً إلا بعد الرجوع إلى كهنة البوذيين، والأخذ بموافقتهم، فبلى جانب الاستعداد المادي للحرب، كان هناك التعبئة الروحية، وهي ضرورة لازمة لكسب الحرب، لأنها تعنى بالشعور وتقوى العزيمة وتمد المحاربين بالقوة المعنوية، وتطعمهم الصبر والثبات وتهون عليهم الصعاب^(٥٩). كذلك لجأ بعض حكامهم إلى الاعتقاد في السحر والشعوذة والنجوم،

فقد كان "أرغون خان"، مثل أغلب سلاطين المغول الأوائل، يعتمد عليهم في تحركاته، ووصل القامون على تلك الأمور إلى منزلة كبيرة في الدولة^(١٠).

أما في عهد إيلخانات المسلمين، فإن روح الإسلام طغت عليهم، فكانوا يؤدون ركعتين قبل بدأ المعركة مثلما حدث في سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، عندما سار "غازان خان" إلى مدينة حمص بالشام، حيث صلي "غازان" مع جميع رجاله جيئته ركعتين، ثم ركب وواجه السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" بما جمع له من الجنود والقادة^(١١)، وذلك تقرباً لله تعالى، طالبين النصر والتأييد منه تعالى.

هذا التغيير في الفكر العسكري ظهر بصورة واضحة كذلك في عهد "محمد أولجايتو"، الذي حاول كسب وتأيد الأهالي عن طريق الاختلاط بالرموز الصوفية، فنراه يكرم مولانا قطب الدين الشيرازي، ويجالس "سیدی سیف الدین علی الرفاعی"، ويطلب منه التأييد الروحي لجيشه وتجهيزاته العسكرية^(١٢).

٢ - الاهتمام بوضع قواعد وقوانين تحكم العمليات العسكرية للجيش

ومن أهم التنظيمات العسكرية في دولتهم أن يخرج الجنود والقادة بحسب تقاليد وقواعد منظمة مرعية فيما بينهم، مشابهة لترتيبات رحلات الصيد الجماعي وقنص الفريسة، وكان لهذا قواعد وشروط موجودة في لباس الجنكيزية. فقد كانوا يقومون بتحريك ألف شخص، طبقاً لقواعد الحرب نفسها، من ميمنة وميسرة وقب، وإذا فلتت فريسة أجريت التحقيقات، وكانوا يعتبرون ذلك من الواجبات، وقد يقتل المتسبب في فشل ذلك^(١٣). وفي حقيقة الأمر فإن الإيلخانيين اهتموا اهتماماً كبيراً بتعليم صفار الأمراء فنون الفروسية والصيد، لكي يأهلوهم لقيادة جيوش دولتهم^(١٤).

لقد جرت العادة على تعبئة الجيش وإعدادها (إعداداً دقيقاً، من حيث استدعاء آلاف الجنود المدربين على استخدام أدوات الحرب والقتال، مثل المنجنيق وقاذفات النقط والمسامير، وتجهيز الأعداد الغفيرة من الجنود حتى تشاع الرهبة والرعب منهم).

أما في حالة تفهقر الجيش، أو فرار الجنود والقادة، فكان يعقد مجلس أعلى لمحاكمة القائد العام للجيش والقواد الفارين، يتم في هذه المحاكمة سماع أقوالهم ومعاقبتهم بقدر جرمهم، مما يترتب عليه خشية الجنود والقادة محاولة الفرار أو التفهقر من ساحة القتال، مثلما حدث في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، عندما عقدت محاكمة للقائد "قتلغ شاه" والأمير "جويان" وغيرهما من القادة، الذين فروا من موقعة "مرج الصفر" في عهد الإيلخان "غازان"، وقد ترتب على هذه المحاكمة أن استمر الاستجواب يومين كاملين، وأعدم اثنين من القادة، وحكم على كل من "مولاي" و"قتلغ شاه" و"جويان" بالضرب المهين بالهراوات دون أدنى شفقة أو رحمة^(١٥).

وهكذا كانت عادة الإيلخانات هي: عقد مجالس لمناقشة أي أخطاء في أثناء القتال ومحاسبة المقصر، وبالتالي مكافأة المنتصر والفائز^(١٦).

٣ - قيادة الجيش

اهتم الإيلخانيون بقيادة جيوشهم، واختيار الأمراء بعناية كبيرة، فقد كان تعيين قيادة الجيش يتم بواسطة الإيلخان نفسه، فهو صاحب الحق الأول والأخير في اختيار القادة

وترشيحهم لمهامهم، وكانتشارات القيادة والإمارة هي البوق والعلم والطبل، حيث تقرر الطبول على يابه صباحاً ومساءً، بالإضافة إلى أن هناك عدداً من الحراس على يابه^(٧٧).

لقد اهتم الإيلخانيون بتلك القيادة التي هيمنت على مقدرات الجنود وتحركاتهم، والتي عملت على خلق جيوش قوية تحمل الولاء التام لحكامها، والتي تنزل الرهبة في قلوب الأعداء، وتدل على مقدرة فذة في فن تنظيم الرجال ودعم قوتهم بالعتاد والسلاح، والسيطرة النفسية على جنودهم، فكانت حياة الجندي هي المهيمنة على مقاليد الأمور، لدرجة إطلاق المقولات التي تشير إلى أن جيش المغول قوة لا تقهر.

جرت عادة القيادة العامة للجيش الإيلخانية أن تركز السلطة في الجيش، في أغلب الأحيان، في يد الأسرة الإيلخانية نفسها، فقد تولى معظمهم قيادة الجيش بأنفسهم، حيث اعتبر القائد الأعلى للجيش والمحرك الأول له، وفي هذه الحالة يكون موضعه في القلب. وللحقيقة فقد قاد "أباخان" جيشه ضد بلاد الروم، واستطاع أن يلغز الجزية السنوية عليهم^(٧٨). وفي عهد "كياتوخان" خرجت الجيوش، وعلى رأسها الإيلخان، للتصدي لفتنة "أفراسياب" حاكم "لوسستان" وثورة "الور"، وفتنة التركمان واليونان في بلاد الروم، والذي استطاع أن يتصدى للفتن ويقضى على الثائرين، وذلك في سنة ٦٩٠هـ/١٣٩٠م^(٧٩). كذلك خرج "غازان" على رأس جيوشه في ثلاث حملات على الشام، ضد دولة المماليك في عهد "الناصر محمد"، انتصر في حملتين سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، وسنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، وهزم في الحملة الأخيرة في "مرج الصفرة" سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م^(٨٠). حيث تأثر بما حل بجيوشه فمات "غازان" متأثراً بتلك الهزيمة^(٨١).

هذا وقد أظهر "أولجايتو" نشاطاً حريماً كبيراً بفتح منطقة "جيلان" وسيطرته عليها، ونجح "أولجايتو" في فتح مدينة "مرأة"، إلا أنه أخفق في حملته على بلاد الشام، ومحاصرته للرحبة، فاضطر للعودة إلى عاصمته من جديد^(٨٢).

أما في عهد السلطان "أبي سعيد" والذي قاد عدة حروب، وكان على رأس جيوشه وفي قلب تشكيل الجيش، فقد خرج بجيشه ضد ديار بكر وحاكمها، وأبدى الإيلخان صموداً منقطع النظير، حتى لقب "ببهادرخان" - أي الخان البطل - هذا اللقب الذي أصبح من الألقاب المحببة إليه، لدرجة أنه أمر بكتابته في الغرامات والمراسيم الرسمية التي تصدر عن دولته^(٨٣)، تشبهاً بجده "جنكيزخان" الذي كان يحمل لقب ملك العالم أو فاتح العالم^(٨٤).

ومن البديهي ألا يفهم من كلامي السابق أن قيادة الجيوش قاصرة على الإيلخان فقط، فإن قيادة الجيوش أيضاً كانت بيد أمراء "الألواس"، وهم أربعة أكبرهم برتبة "البكلاوى بك" وإليه أمر قيادة الجيوش، ثم يليه أمراء "الألواس" الثلاثة ويقال لكل منهم "النوين"، وهو أمير عشرة آلاف ويعبر عنه بأمير "التومان"، ثم هناك أمير ألف، فأمر مائة، وأخيراً أمير عشرة^(٨٥).

ومن أهم قيادات الجيوش القائد العام للجيش، أو ما يطلق عليه لقب أمير الأمراء، ومن أبرز من تولوا هذا المنصب الأمير "يشموت" والأمير "منكوتيمور" - أخوان "أباخان"^(٨٦)، كذلك نرى القائد "قرنغتاى"، في عهد "أرغون"، يعتبر من أمراء "الألواس"^(٨٧). أما في عهد "غازان" فهناك الأمير "قتلغ شاه" القائد العام للجيش الذي كان مقره في العاصمة تبريز، وعليه شئون الجيوش وتجهيزهم بالأسلحة ونفقاتهم، ثم أسند "غازان" منصب أمير الأمراء والإشراف العام على

الجيش للقائد حاجي نوزيك^(٧٨)، كذلك كان الأمير "جويان" في عهد "أولجايتو"، هذا إلى جانب قائد عام الجيوش في عهده الأمير "هرقداق"^(٧٩).

ولا بد أن نشير إلى أن الجيوش الإيلخانية كان لها قواد صغار يتبعون القائد العام لهذه الجيوش، وذلك من منطلق أن جيوشهم كانت تقسم إلى يمينية وميسرة وقلب، لذا كان لكل قسم من هذه الأقسام قائد يرأسها، ويتعاون الجميع في تنفيذ الخطة العسكرية بإشراف وتوجيه القائد العام، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٣٧٥م، خرج الجيش في عهد "أباقاخان" إلى بلاد الشام متجهاً إلى منطقة "أبلستان"، وذلك في جيش جرار عليه عدة أمراء، مثل "طوقرين إيلكاي نويان"، والأمير "درغتو وتودان بن سودوم"، ومع كل واحد منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل^(٨٠).

وفي ختام كلامنا عن قيادة الجيوش؛ لا بد أن نشير إلى أن الجيش لا يبقى عاطلاً في أوقات السلم، بل يعمل في ميادين الصيد^(٨١)، الذي خصص له مبالغ كبيرة لتربية وتدريب فهود وكلاب الصيد، فالصيد فرصة كبيرة لتدريب الجنود، وتعودهم على الخشونة، وتوفير الطعام من صيدهم للجنود، وكذلك يعتبر ترفيحاً للقادة.

٤- التنظيمات المتبعة في تحرك الجيوش لساحات القتال.

من الثابت تاريخياً أن المغول، بعد أن ثبتوا حكمهم في إيران وغيرها من البلدان بأساليبهم الإرهابية، ركبهم الفرور والخطورة، ونظروا إلى غير بنى جنسهم على أنهم أقل منهم، وأنهم السادة والصفوة وما دونهم خاضعين لسيادتهم^(٨٢)، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنهم اتبعوا نظاماً واحداً في تحريك جيوشهم في ساحات القتال، وكانت أولى خطواتهم التنظيمية هي: إرسال قوة صغيرة لا تتجاوز ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، كقوة طليعية استطلاعية على رأسها قائد، إلى الجهة التي يرغبون في اقتحامها. هذه القوة الاستطلاعية لها عدة مهام رئيسة من أهمها: استطلاع الطرق والمسالك، وجمع أسرار وأخبار الجنود وتبليغها للقيادة الرئيسية في جيوشهم، وكشف بعض نقاط الضعف وعورات الجيش المعادي، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، قاد الأمير "كراي" قوة استطلاعية من ثلاثة آلاف فارس مجهزين تجاه بلاد الشام، فتصدى لهم حاكم دمشق الأمير "سنقر الأشقر"، وذلك في عهد "أباقاخان"^(٨٣).

كما جرت العادة في عهد "غازان"، على إخراج قوة استطلاعية أمام جيوشه، مثل ما حدث في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، عندما أرسل قوة طليعية بقيادة "قتلغ شاه"، فحبر نهر الفرات، ووصل إلى حلب، ثم تجاوز حماه، ونزل بمحاذاة مدينة "السالمية"^(٨٤).

لم تكن القوة الاستطلاعية يقتصر خروجها على الحملات الخارجية، فقد كانت أيضاً تخرج في الفتن والثورات الداخلية في الدولة، ففي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، في أثناء فتنة الأمير "نوروز"^(٨٥)، سير "غازان" قوة استطلاعية على رأسها الأمير "قيرتو" لاستطلاع الأخبار، فعادوا بأخبار مهمة هي زحف نوروز على رأس جيش كبير تجاه العاصمة "تهريز"، مما أدى إلى قضاء جيش غازان عليه وقتله^(٨٦).

كذلك أنقذت القوة الاستطلاعية جيش "أرغون خان" من الهزيمة المحققة، لوصول الأخبار عن طريق الطليعة بأن الأمير "إيلناق" الناصر على الإيلخان؛ قد سار من "موغان" إلى

الرى وقزوين وخراسان، وبذلك حشد أرغون جيشه، وأسرع إلى هذه المناطق، وتصدى لهذا الثائر، وانتصر عليه، وذلك في صفر سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م^(٨٧).

ومن أهم التنظيمات العسكرية لدى الإيلخانيين: تقسيم جيوشهم في ساحة القتال إلى عدة أقسام وهي الميمنة والميسرة والقلب، والقلب يعتبر من أهم أقسام الجيش، يكون فيه الإيلخان في الغالب، أو على رأسه القائد العام للجيش. وقد أشار معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن حروب الإيلخانيين إلى هذا التقسيم، ففي حرب "أباقاخان" ضد الأمير "براق"، جعل الخان ميمنة جيشه إلى الأمير "تبشدين أغول"، وكان معه للمساعدة الأمير "سماغار" والأمير "هندويان"، وعلى الميسرة أخيه "شموت"، ومعه للمساعدة الأمير "سونتاي" والأمير "أرغون آقا"، أما القلب فقد أسند إلى القائد العام "أيتاي نويان"^(٨٨)، شريطة أن تقوم تلك التقسيمات كلها بمهاجمة قوات العدو في وقت واحد، مما يؤدي إلى تشتت انتباه قوات العدو وعدم تركيزها في جبهة واحدة.

صار تقسيم الجيوش الزاحفة على أعداء الإيلخانية سمة من سمات الجيش، وتنظيماً عسكرياً لا بد من اتباعه في معظم حروبهم، سواء تم لهم النصر أو عكس ذلك، ففي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م قسم "غازان خان" جيوشه على نفس الطريقة. ووضع "قتلغ شاه" و"مولاي" على ميمنة جيشه، و"كربوغا بهادر" ويسانده أربعة قادة آخرين على الميسرة، وفي القلب كان الإيلخان بنفسه يسانده الأمير "جويان"^(٨٩)، وهو نفس النظام الذي اتبعه الإيلخان في موقعه "مرج الصفر"، وزحف بخمسين ألف مقاتل، وأسندت قيادة الجيوش لعدد من القادة الكبار، مثل "قتلغ شاه" والأمير "جويان"، و"مولاي"، والأمير "تيبان" و"سونتاي"، ورغم هذه التنظيمات العسكرية، وتقسيم الجيش على النحو السابق المتبع في تنظيمات الإيلخانات، فإن هذا لم ينقذ الموقف وحلت الهزيمة بالقوات، وسقط عدد كبير منهم أسرى، قدر عددهم بحوالي عشرة آلاف جندي^(٩٠).

٥- نظام تعبئة الجيوش وتجهيزها بالعتاد

اتبع الإيلخانيون نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز قواتهم، وفق الظروف التي خلقتها هزيمتهم في عين جالوت^(٩١)، من منطلق الحفاظ على جنودهم وعدم تعرضهم لأية هزيمة جديدة، خاصة وأن هؤلاء الجنود امتازوا بالشجاعة في القتال وأنهم لا يفرون أبداً من ساحة الوغى^(٩٢)، ومن المعروف عنهم أنه إذا سقط منهم أحد في الأسر، إنما يصل بكل الوسائل على قتل نفسه أو التخلص من أسره بأية طريقة كانت، مع انتشار مقولة مؤداها: أن الجيش المغولي لا يقهر.

هذا وقد كان ضبط الجيش وتنظيمه كما نصت عليه قواعد الياسا الجنكيزية بأن على الأمير أو القائد أن لا يتربد إلى باب أمير آخر، ولا يغير المكان المخصص له، وأن يقوم الجنود بعرض آلاتهم الحربية على أمرائهم كاملة عند التحرك إلى القتال، وكان على الجندي أن يطيع قائده طاعة عمياء، وإذا أخطأ أحد الأمراء فإن عليه أن يسلم نفسه لرسول الإيلخان، حتى لو كان من أخس وأحقر الناس، وأن يلقي نفسه بين يديه ذليلاً، ليأخذه بموجب خطائه، ولو كان فيه القتل^(٩٣).

ومن هذا المنطلق فإن "أباخان"، بمجرد أن خلف والده "هولاكو" على العرش، بادر إلى العمل على إعادة سمعة المغول الحربية إلى سابق عهدها، فمار على سياسة مناوأة المماليك ومصادقة الصليبيين، ومحاولة التوسع في بلاد الشام^(١١٤)، وفي بداية عهده نجح في إنزال الهزيمة بجيوش "مغول القبجاق" بقيادة "بركة خان بن جوجي"، و"مغول التركمستان" بقيادة "براق خان"^(١١٥)، فتنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وعلى القائد المحنك أن يضع في فكره عامل الوقت، وعدم القتال في جبهتين في آن واحد، والقضاء على الفتنة في مهداها. وفي حقيقة الأمر فإن نظام تعبئة الجيش يتم بتقديم لواء الأحمال الثقيلة وخيام القلمان والأطفال والنساء، ويعرف هذا باسم "أعزوق"، وإقامة منازل للقوافل لإمداد الجيوش بالعلف والطعام والشراب^(١١٦)، وكانت تصدر الأوامر من الإيلخان بتعبئة الجيش، ويسند هذا الأمر إلى أمير الإشراف، الذي يشرع في إصدار أوامره للجنود بنقل الغلال من المخازن، التي يأكلون منها في أثناء تنقلاتهم ويطعمون دوابهم، ولا بد أن تكون تلك الغلال كثيرة وكافية قدر الإمكان^(١١٧).

هذا عكس ما كان متبعاً مع المقاتل المغولي قديماً، الذي كان يحمل كل ما يحتاجه أثناء الحرب، فيحمل آلات نشط رماحه، ويحمل الإبرة والخيوط لاستعمالها عند الحاجة، ولا يأخذ معه من المؤن إلا قرياً من اللبن وأنية من الفخار، ليطهي فيها طعامه، وخيمة صغيرة وآلة لحفر الأرض، وكيساً من الجلد يحمل فيه ملابسه، ويستعمله في عبور الأنهار^(١١٨).

ولم يكن لرواتب الجنود وقواد الجيش نظام ثابت قبل عهد "غازان خان"، فقد كان بعض القادة يحصلون على كمية محددة من الغلال، فحدد "غازان" رواتب للجنود يزيد معدلها سنوياً، وقد أصدر مرسوماً بتحديد إقطاعات للجنود أطلق عليها اسم: "الياسا الغازانية"^(١١٩) على غرار الياسا الجنكيزية.

ومن أهم التنظيمات التي اهتمت بها الإيلخانات: نظام استعراض الجنود والاطمئنان على معداتهم وأسلحتهم ولوازمهم، حيث كان الإيلخان يقوم بمهمة استعراض الجنود بنفسه، كذلك الاهتمام باستعداداتهم العسكرية، وخاصة قبل المسير إلى ساحة القتال، فعلى سبيل المثال: كان غازان يستعرض جنوده بنفسه قبل المسير للقتال في حربه على بلاد الشام^(١٢٠)، وذلك حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش.

كذلك أقاموا على ديوان الجند رئيساً أطلق عليه اسم: العارض أو رئيس ديوان العرض^(١٢١)، المختص بشئون الجيش ونفقاته، وجميع فرقته وإمداداته، وأشهر من عمل في هذا المنصب "ضياء الملك" في عهد "غازان"^(١٢٢). ومن هنا نستنتج أن من أهم مهام العارض: استعراض الجنود في الميادين قبل الخروج للقتال، وفي المناسبات العامة، والاطمئنان على حالة الجند واستعداداتهم العسكرية، وصرف أرزاقهم، فقد بسط "غازان" يديه وأغدق على القواد في خمسة عشر يوماً ثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، وعشرين ألف خلعة، وخمسين منطقة مرصعة، وثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، كذلك أمر بتعيين الكتاب والفرق، وكتابة أسماء الجنود ورتبهم في السجل، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر، لتفقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاة، بموجب الضبط والقانون^(١٢٣).

كذلك عمل "أرغون" على إحضار الأموال من عاصمته، وقسمها على الجنود، حتى تستقر الأوضاع ويأخذ الجنود أرزاقهم^(١٠٧). وقد اهتم الإيلخانيون اهتماماً كبيراً بمخصصات الجنود ورواتبهم، وخير دليل على ذلك أن "أحمد تكودار" أمر بفتح الخزائن، وقسمها على الخواتين - نساء القصر - والأمراء وقادة الجيوش، وأعطى كل واحد منهم مائة وعشرين ديناراً^(١٠٨)، كذلك قام "أبو سعيد"، وهو حاكم على خراسان، بمطالبة "أولجايتو" بإرسال الأموال لدفع مرتبات الجند^(١٠٩).

والخلاصة: أنه كان هناك فرق كبير بين المغول في عهدهم الأول في معاملتهم لجنودهم، لدرجة أنه كان لابد من إبقاء الجنود في حالة من الفقر والاحتياج حتى يحرصوا على النصر، وبين عهد الإيلخانيين، الذين اهتموا بتنظيم الإنفاق على الجنود، وإقطاعهم الإقطاعات في المدن والقرى.

ثالثاً: الخطط الحربية

بعد التخطيط الحربي الجيد مفتاح النصر في المعارك، وعلى القيادة المحنكة أن تضع نصب عينيها أن يكون هناك عدد من الخطط التي تسير عليها في تحريك جيوشهم، فمن مبادئ الفكر العسكري للمغول: عدم تغيير الفكر التخطيطي لهم في حروبهم، فكان التهديد والوعيد من أساليبهم، ومن وسائلهم العمل على جذب عناصر من البلاد الراغبين في غزوها إلى صفوفهم، من أمثال الأمير "سنقر الأشقر" حاكم دمشق^(١١٠)، الذي سهلوا له مهمة الفرار إلى عاصمة الإيلخانيين "تبريز" والاستقرار بها، لكي يفشي أسرار الجيوش المملوكية والأوضاع السياسية في الشام ومصر، وذلك في عهد "أباخان".

أما في عهد "غازان" فقد تمت الخطة نفسها بأن رحب الإيلخان بالأمراء الفارين من بلاد الشام في عهد السلطان "الناصر محمد" إلى سلطنته، وهم الأمير "سيف الدين فبجق"، والأمير "فارس الدين الزكي" والأمير "سيف الدين يكتمر السلحدار"^(١١١). وقد نتج عن ذلك انتصار "غازان" في موقعه "مرج المروج" في سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م^(١١٢).

هذا وفي محرم سنة ٧١١هـ/١٣١١م، فر الأمير "شمس الدين قراسنقر" نائب السلطنة بحلب إلى الإيلخانية، ولحق به كل من الأمير "جمال الدين أقوش" الأقرم الدواداري نائب طرابلس إلى "أولجايتو" ملك الإيلخانية، فأكرمهم ورفع من قدرهم، وقد استمروا هناك حتى وفاتهم^(١١٣).

ومن البديهي أن نشير إلى استمرار الإيلخانيين، في نهاية عهدهم في عهد "أبي سعيد"، على نفس النهج والخطط الحربية، وهي جذب العناصر الناقمة على أعدائهم المماليك في مصر والشام، فنرى في معاهدة الصلح التي تمت بين الإيلخان و"الناصر محمد" أن أحد شروط المعاهدة تشير إلى أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم "قراسنقر"^(١١٤) الفار، وألا يكلف الغداوية الإسماعيلية بأي مهام في ممالك الإيلخانية^(١١٥).

لقد كان دأب المغول استخلاص بعض العناصر الناقمة على الحكم في بلادها، للاطلاع منها على أسرار الجيوش، ولم يظهر هذا في حروبهم ضد المماليك فقط، بل في حرب "أباخان" مع الأمير "براق خان" حاكم ما وراء النهر، في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، وذلك بأن استعان "أباخان"

برجل هندي لكي يدلهم على أسهل الطرق لعبور نهر "جيحون"، وتوصيلهم إلى حاضرة "براق" في ضواحي كبودجامة، وبالتالي أكرمه "أباقا" ومنحه لقب "ترخان" (١١٣).

ومن خططهم الحربية: إرسال وفد من الرسل محملين برسائل تحمل التهديد والوعيد للبلدان الراغبين في حربها، حيث تعتبر الرسائل من أنظمة جيوش المغول التي اتبعوها في حروبهم، فعندما عزم "أباقا" على المسير إلى بلاد الشام. أرسل رسولا إلى الظاهر بيبرس حاملا رسالة على سبيل التهديد والتخويف فيها: أن جيوشنا مستعدة لقتالك..... وإذا امتدت أيدينا في الشام، فإنها بلا ريب سوف تأتي على كل ما لكم فيها... لأن الله قد وهب جنكيزخان وذريته بلاد العالم (١١٤)، ويضيف قواد الصياد (١١٥) إلى هذا الخطاب أنه ذكر: "وأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا..."، واتهمه بأنه عبد مملوك، مما يدل على احتقاره والتقليل من قدره.

كذلك عمل "أرغون خان" على إرسال الرسائل والسفارات إلى الغرب الأوربي والبابا "هنريوس الرابع"، لخلق تحالف مع الغرب لدرء خطر المسلمين المماليك، يقترح فيها على البابا توجيه حملة مشتركة لقتال المماليك، قائلا: "إذ تقع بلاد الشام بيننا وبينكم فسوف نطوقهما" (١١٦)، إلا أن هذه الرسائل لم تسفر عن شيء ذي بال، وبذلك أخفق "أرغون" في تحقيق آماله في غزو الشام وضمتها إلى ممتلكاته.

وعلى نفس النمط أرسل "غازان خان" رسله إلى السلطان "الناصر محمد" قبل خروجه بحملته على بلاد الشام، وقد تلقى الإيلخان الرد، وكانت رسالة "غازان" تحمل التهديد والوعيد، وأنه أولى برعاية الإسلام والمسلمين من "الناصر محمد"، ولكن سلطان المماليك رفض التلبية، ولم يجب على طلبات الإيلخان بذكر اسمه في الخطبة والدعاء له على منابر المساجد (١١٧)، وبذلك لم تحقق رسائله وسفارته هدفها ولم تسفر عن شيء النهم إلا تبادل النهم والتراشق بالألفاظ والتهديد والوعيد.

وقد سار الإيلخانيون على نفس سياستهم في حربهم ضد حاكم "هراة" الملك "فخر الدين" في عهد "أولجايتو"، حيث أرسل قائده العام على الجيوش "دانشمند بهادر" سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، برسالة بها تهديد ووعيد يطالب فيها بالإسراع إلى تلبية مطالب الإيلخان، والدخول تحت طاعته، وإلا فسوف ينتزع منه الملك والحكم قهراً وقسراً بناء على أوامر "أولجايتو" (١١٨).

ومن أهم الخطط الحربية المستخدمة في الإيلخانية: اكتشاف كل صغيرة وكبيرة عن تحركات أعدائهم وكشف نقاط ضعفهم ومراكز قوتهم، وهي استخدام التجسس والجواسيس، التي وضعت قواعد متعددة لنظامهم، والتي لم يحد عنها المغول طوال فترة حكمهم، وكان من أهمها الأمر بقتل الجاسوس الذي يفشل في مهمته، وإجزال الهبات والعطايا للجاسوس النشط لتحفيزه على النجاح في أعماله ومهامه، فقد أرسل "أباقا خان" في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م جاسوساً هو "قبرتو بهادر" للاستطلاع والتجسس على الأمير "براق خان"، فلم يستطع الاقتراب من خطوط العدو، وبالتالي تم القضاء عليه، وأرسل الإيلخان جاسوساً ثانياً هو "تويجاك بهادر" ويسأده الأمير "تيكباي بهادر" مع مائة فارس، فعادوا وقد شرحوا الأحوال التي كان عليها أمور العدو (١١٩).

وفي حقيقة الأمر فإن المغول درجوا على إرسال جواسيسهم إلى بلاد العدو، فيجمعون لهم الأخبار من هنا وهناك، ويستقصون حالة الجيوش والحصون، ثم يعولون بهذه المعلومات فيطلعون عليها القادة^(١٢٠)، لقد أرسل "أرغون" سنة ١٢٨٧هـ / ١٢٨٨م جواسيس إلى منطقة هكنار في كردستان قبل الخروج إليها، لذا عاد الجواسيس يحملون أخباراً بأن جنود الملك "قيدو" ببلاد ما وراء النهر تعدادها ثلاثين ألفاً^(١٢١)، وبذلك كانت مهمة القائد "طغاجار" سهلة وحقق النصر عليهم.

لقد اشتهر عن "غازان خان" أنه كان يحث قواده على إرسال الجواسيس والأدلة والعارفين بالدروب قبل التحرك، مع بذل كل الجهد للحفاظ على النظام والانضباط في جيشه^(١٢٢)، ولم يكن استخدام الجواسيس قاصراً على حروبهم الخارجية، بل تعداه إلى استخدامهم ضد الأمراء وأفراد الأسرة نفسها، فترى "غازان" يوعز إلى "صدرجهان"^(١٢٣) بإرسال جاسوس من قبله إلى الأمير "طغاجار" لكي يحاول الإيعاز له بضمه إلى صفوف "غازان"، وترك مساندة "بابدو خان"^(١٢٤).

وفي عهد "أباقاخان" قدم عليه جاسوس هو "مسعود بن محمود بلواج" -الذي كان حاكماً إدارياً في بلاد ما وراء النهر- من قبل الأمير "براق" ملك "أولواس جغتاي" على هيئة سفير، وكانت مهمته في الظاهر توطيد أواصر الصداقة بين العاهلين، ولكن في الباطن التجسس على تعداد الجيوش وجمع المعلومات، ومن ثم اكتشف "أباقا" أمره، ولكن بعد أن عاد إلى بلاده^(١٢٥).

ومن عادة الإيلخانيين استغلال الجواسيس المرسلين إلى بلادهم في عمل عكسي لصالحهم، ففي سنة ١٢٦٨هـ / ١٢٧٠م، عندما علم "أباقا" بوجود ثلاثة جواسيس في بلاده^(١٢٦)، أمر باعتقالهم ثم استجوبهم، وأمر بقتل اثنين منهم، وأطلق الثالث لكي يحمل الأخبار التي يريد توصيلها إلى عدوه، وهي أخبار غير صحيحة، ومن الملاحظ أنه بمجرد وصول الجاسوس إلى الأمير "براق" أعلن قوته: "أن عندهم الكثير من الأسلحة والدواب، ولكن ليس في الأمراء والقادة شجاعة أو قوة"، وبذلك اتخذ "براق" بهذه المعلومات واستبشر بالنصر، فنزلت به الهزيمة^(١٢٧).

وفي حقيقة الأمر فإن سقوط جاسوس تابع للإيلخانية في يد أعدائهم كان يترتب عليه قتله فوراً، ففي أثناء حملة غازان الثالثة على الشام قبض على رجل من أمراء حلب جنّذه المغول للعمل لحسابهم، فقبض عليه، وأمر السلطان "الناصر محمد" بتسميره على خشبة والطواف به على حمل في مدينة دمشق وضواحيها، جزاء ما قدمه من التجسس على بلاده^(١٢٨).

كذلك يعتبر من أهم الخطط الحربية للمغول اهتمامهم بالحرس الخاص، ذلك الحرس الذي أنشئ في عهد "جنكيز خان"، وأطلق على أفرادها اسم "كشيكي" ^(١٢٩)، وهم عبارة عن ثمانين حارساً لحراسته بالليل، وسبعين لحراسته بالنهار، بالإضافة إلى فرقة من صفوة المقاتلين عددها ألف أطلق على كل منهم اسم "بهادر" وتعنى المبارز الشجاع، عتو من طلائع حرس الجيش المغولي، وهؤلاء الحرس لم يدينوا بطاعة إلا طاعة أوامر الحاكم، وتوفر تحت أيديهم جنود بطيعون أوامرهم طاعة عمياء، وينفذونها تنفيذ الآلة لأمر صاحبها^(١٣٠).

استمر اعتماد الإيلخانيين على فرقة الحرس في تعيين شئون الحراسة الخاصة بالمنشآت الحيوية، مثل السدود والخنادق، مثلما أمر "أباقاخان" بعض حرسه بحماية

الخنابق^(١٣١). ومن مهامهم أيضاً مراقبة المقبوض عليهم والثائرين على الإيلخان، مثلما حدث مع الأمير "أرغون"، عندما وضعت عليه حراسة مشددة مقدارها أربعة آلاف جندي لحراسة خيمته، حتى لا يستطيع الفرار من سجنه، وذلك في عهد "أحمد تكودار"^(١٣٢).

عمل "غازان" على رفع شأن فرقة الحرس العسكرية، وذلك بأن اشترى عدداً كبيراً من أولاد المغول، الذين يباعون في أسواق النخاسة بعد أسرهم^(١٣٣)، وكون منهم حرسه الخاص، وعين لهم المرتبات والمؤن وأتزلهم في ولاية "المراغة"، وعهد بإمارة كتبتهم المكونة من عشرة آلاف جندي إلى القائد "بولاد جينكساتك"^(١٣٤)، هذا وأوكل إلى هؤلاء الحراس مهمة حمايته والسير على حراسة خيمته أثناء نومه، وحراسة آلات الحرب وأسلحته من أي إغارة^(١٣٥).

على عكس ذلك، فقد عامل المغول أسراهم معاملة تنطوي على القسوة والوحشية، فكانوا يضعونهم في مقدمة الجيش حتى يتلقوا السهام المنهالة عليهم، وليمهدوا الطرق للجيش، ويكلفوا بحفر الخنادق ونصب أدوات الحصار والأعمال الحربية الغريبة الشاقة^(١٣٦)، ففي سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١م، قام "أباقا" بإرسال قائده تيكى بهادر مع عشرة آلاف مقاتل، فقام بالقتل والنهب في أهل بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى، فخرت بخارى عن آخرها^(١٣٧).

وفي عهد "أرغون" سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، هوجمت ناحية "تريند"، فأصدر الإيلخان أمره بزحف الأمير "توكال" و"شيكور نويان" بقواتهم لقتالهم فقتل ثلاثمائة فارس، وأسر نقرأ منهم كان من جملتهم الأمير "حريكتماي"^(١٣٨)، الذي سيق إلى سوق النخاسة، فبيع هناك. بينما يشير الهمذاني^(١٣٩) إلى "غازان" وعطفه على الأسرى من "هراة" ونسانهم وأطفالهم، بحيث إنه أمر بإطلاق سراح بعضهم، ويزيد على ذلك بأنه طيب خاطرهم، وإن كان ذلك غير معهود في حروب المغول مع البلاد التي يغزوها.

وقد دارت الدائرة على جيش المغول، في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، عندما هاجم "غازان" للمرة الثالثة بلاد الشام، فانتصر عليه السلطان "الناصر محمد"، وأسر عدداً كبيراً منهم بقدر بألف وثمانمائة مغولي، ومائة وثمانون من جنود الأرمن، وسرقوا أسرى إلى الديار المصرية^(١٤٠).

ومن أهم ما يميز الخطط الحربية التي اتبعتها الإيلخانيون في حروبهم: اعتمادهم على عدة أجناس معينة التي تعددت في جيشهم، ويمكن حصر تلك الأجناس في عدة عناصر رئيسة يأتي في مقدمتها الاعتماد على العنصر المغولي^(١٤١)، وهم من أهم عناصر الجيش، منهم قادة الجيوش والقائد العام عليه، وهم المقربون من الإيلخان^(١٤٢)، أما المرتبة الثانية من عناصر الجيش فهو عنصر الأتراك، الذين كانت لهم اليد الطولى في ذلك، فقد فرضت طبيعة الدولة العسكرية أن يقوموا بشراء القلمان العبيد الأتراك، وتربيتهم تربية عسكرية، حيث امتاز الأتراك كجنس عسكري بسميزات كثيرة، من أهمها الشجاعة والفروسية والإقدام، ففي عهد "أحمد تكودار" أطر الأتراك جيوش الأعداء بالسهام^(١٤٣)، هذا وكان أكثر من نصف جيش "هولاكو" يتألف من الأتراك^(١٤٤).

ومن العناصر التي اعتمد عليها الإيلخانيون في حروبهم أهل "جورجيا"، فقد مالوا إلى استخدامهم بسبب قدرتهم العسكرية الكبيرة وصبرهم على النزال والحرب^(١٤٥)، هذا إلى جانب

استخدام عنصر المسلمين والأرمن والكرج، فقد أعد "أحمد تكودار" أكثر من مائة ألف فارس من صفوة هذه العناصر مجهزين بالعدد والآلات وسيرهم، في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٤م^(١١٦)، لمحاربة "أرغون" - الطامع في العرش - كذلك كان جيش أباقاخان يضم ثلاثة آلاف من الكرج، قتل منهم ألفان في معركة "أبلستين"، وكانت قوة "أباقا" في حربه ضد "الظاهر بيبرس" ثمانين ألف جندي منهم ثلاثين ألف من حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل الكرج والأرمن والعجم^(١١٧).

ولابد من الإشارة إلى أن التشكيلات العسكرية في عهد الإيلخانيين كانت تتكون من صنفين رئيسيين هما، الفرسان وهم ما يطلق عليهم "كشركجي"^(١١٨)، وهم عماد الجيش الذي يكونون حرس الإيلخان الخاص، الذي يتحرك إلى ساحات القتال بأمره، ويكون موقعهم في القلب حوله، والذين كانوا يحملون الرماح والسيوف، ويلبسون الدروع^(١١٩)، كما شكلت الخيول أهمية كبرى في استخدامهم، وخاصة الخيول العربية بالذات^(١٢٠)، فقد قر الأمير "أرغون" من سجنه في عهد "أحمد تكودار" على جواد عربي، وكان للقائد "عليناق" قائد عام الجيوش فارس عربي أصيل^(١٢١).

أما الصنف الثاني من الجيوش الإيلخانية فهم الرجالة - أي المشاة - الذين ينحصر دورهم في الحروب المحلية، وأثناء الحصار، وكانت أهم أسلحتهم الدروع والسهام، وكان على كل أمير أو جندي أن يحمل جعبة من الجلد أو الخشب، لا ينزعها إلا وقت الصلاة، يضع فيها مجموعة من السهام^(١٢٢)، يترشقون بها عند التحام الطرفين في القتال^(١٢٣)، هذا ولابد أن نشير إلى أن هناك فرقة من الرجالة مهمتها ضرب الطبول في بداية القتال، وفي حالة الانتصار على الأعداء^(١٢٤)، وهو ما يطلق عليه اسم قرع الطبول، لإدخال الرهبة والخوف في صفوف الأعداء. هذا ومن عادة المغول رفع الأعلام البيضاء في حالة استسلام العدو^(١٢٥)، كما حدث في عهد "أبو سعيد" ضد الأمير "أيرنجين" حاكم ديار بكر، ووالد السيدة "قتلغشاه خاتون" زوجة الإيلخان، التي رفعت الرايات البيضاء عند استسلام الأمير^(١٢٦).

وخلاصة الأمر فإن الدولة الإيلخانية دولة عسكرية، اعتمدت على جيوشها في فرض نفوذها وتوسيع ممتلكاتها، منذ أن غزا "جنكيز خان" أراضي الدولة الخوارزمية، وأسقط "هولاكو" قلاع الإسماعيلية والخلافة العباسية في بغداد، هذا وإن الإيلخانيين اتبعوا نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز جيوشهم، خاصة وأن تنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وأن القضاء على الفتنة في مهداها يحقق النصر في المعارك، وأن استعراض الجنود والتأكيد على سلامة أسلحتهم ودوابهم من أهم لوازم القتال. هذا وقد اتبع الإيلخانيون نفس مبادئ وقوانين التياسا الجنكيزية في تحريك جيوشهم، ومنها إرسال القوة الاستطلاعية وإرسال الوفود والرسائل، إلى جانب الجواسيس لإبلاغهم بالمعلومات القيمة عن جيوش أعدائهم، هذا إلى جانب اعتمادهم على عناصر وأجناس معينة في جيشهم على رأسها: المغول والأتراك والجورجانيين والكرج والأرمن والمسلمين وغيرهم.

ملحق رقم (١)

أسماء إيلخانات إيران (٦٥١ هـ - ٧٥٦ هـ / ١٢٦٢ - ١٣٥٥ م)

- ١- هولاكو خان بن تولوي بن جنكيز.
- ٢- أباقا بن هولاكو.
- ٣- أحمد نكو دار بن هولاكو.
- ٤- أرغون خان بن أباقا.
- ٥- كيخاتو بن أباقا.
- ٦- بایدوخان بن طوغاي بن هولاكو.
- ٧- غازان خان بن أرغون.
- ٨- أولجايتو خدابنده بن أرغون.
- ٩- أبوسعید بهادر خان بن أولجايتو.
- ١٠- أریاجاون بن أرتویرکا بن تولوي.
- ١١- موسی خان علي بن باينو.
- ١٢- محمد خان بن منجو تیمور بن هولاكو.
- ١٣- سانی بيك ابنة أولجايتو.
- ١٤- شاه جهان تیمور بن آلاؤنك بن كيخاتو.
- ١٥- سليمان خان بن يشموت بن هولاكو.
- ١٦- طغاتیمور خان.
- ١٧- أنوشیروان العادل.
- من ٦٥١ هـ إلى ٦٦٣ هـ
- من ٦٦٣ هـ إلى ٦٨٠ هـ
- من ٦٨٠ هـ إلى ٦٨٣ هـ
- من ٦٨٣ هـ إلى ٦٩٠ هـ
- من ٦٩٠ هـ إلى ٦٩٤ هـ
- من جمادي الأولى ٦٩٤ هـ إلى ذي القعدة ٦٩٤ هـ.
- من ٦٩٤ هـ إلى ٧٠٣ هـ
- من ٧٠٣ هـ إلى ٧١٦ هـ
- من ٧١٦ هـ إلى ٧٣٦ هـ
- من ٧٣٦ هـ
- من شوال إلى ١٤ ذي الحجة إلى ٧٣٦ هـ
- من ذي الحجة ٧٣٦ هـ.
- من ٧٣٩ هـ إلى ٧٤١ هـ
- من ٧٣٩ هـ إلى ٧٤٠ هـ
- من ٧٤١ هـ إلى ٧٤٥ هـ
- من ٧٣٦ هـ إلى ٧٥٣ هـ
- من ٧٤٤ هـ إلى ٧٥٦ هـ (١)

(١) عباس إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩ ، زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٦٢ : ٣٦٣.

المواضيع

- ١- انظر ملحق رقم (١) الخاص بأسماء الحكام الإيلخانيين.
- ٢- الإيلخان: كلمة مغولية الأصل ، تتكون من مقطعين "إيل" بمعنى الخاضع أو التابع، و"خان" بمعنى الحاكم وبذلك بصير معنى الإيلخان الخاضع للحاكم ، وذلك لأن هولاكو كان تابعاً لأخيه الخان الأعظم منكوقاً أن في الصين عندما زحف علي بغداد (فؤاد عبد المعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين - أسرة هولاكو خان ، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية قطر سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٨).
- ٣- خوارزم : أكثر ضياع مدنها ذات أسواق وخيرات وكنائس ، ومن النادر أن تكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطعامينة تامة (باقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٢ ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٩٦).
- ٤- الجويني : تاريخ جهانكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، ترجمة وتحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٠ ، ١٤٨ السلطان شمس الدين ألتمش من حكام سلطنة دهلي المملوكية ببلاط الهند ، وهو في الأصل من العبيد المجلوبين من تركستان ، ترقى في المناصب الإدارية حتي وصل إلي حاكم مدينة **يداون (الجوزجاني : طبقات ناصري ، جلد أول ، به تصحيح ومقابلته وتحشيه وتعليق عبد الحي حبيبي قندهار ، كابل ، سنة ١٣٤٣ هـ ، ص ٢٤١)** ، حكم ما بين سنتي ٦٠٧ هـ : ٦٣٣ هـ / ١٢١٠ م : ١٢٢٦ م . وتصدي للسلطان جلال الدين منكبرتي عندما طالبه بموضع في دهلي للإقامة فيه هو ورجاله ، فكان رد السلطان ألتمش عليه قاطعاً بأن هواء دهلي لا يصلح لإقامة الجوارزمية ، ثم أرسل جيشاً بقيادة ناصر الدين قباچه للتصدي له (النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره و ترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٣ م ، ص ١٦٥) اتصف ألتمش بالحزم والقوة ومال إلي العلم والعلماء ، وأنشأ المدرسة الشمسية في دهلي ، وأهتم بنسخ المصاحف الشريفة .
(Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi , P. 179 , (Delhi , 1944)
- تعاقب علي حكم دهلي من بعده خمسة من أبنائه ، وهم ركن الدين فيروزشاه ، ورضيه ومعز الدين بهرامشاه وعلاء الدين مسعود وآخرهم ناصر الدين محمود (الجوزجاني : طبقات ناصري ، ج ١ ، ص ٤٥٤).
- ٥- هولاكو : أخو الخان الأعظم منكوقاً ، الذي أمره بإعداد حملة عسكرية وأمدّه بكثير من الجنود وزحف بجيشه إلي إيران ، فانضم إليه حاكمها أرغون وحاكم ما وراء النهر مسعود بك ، ثم عبر نهر جيحون واستولي علي قلاع الإسماعيلية في فارس (رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ - الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلي كيخاتو خان ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ص ٣٤٠) توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ، (م.م الرمزي : تطبيق

الأخبار وتلخيص الآثار في وقائع قرآن وبلغار وعلوك النثار ، مجلد ١ ، طبعة المطبعة الكريمة والحسينية ببغداد أورينورج ، ص ٣٦١).

٦- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٩٩ م ، ص ٢٢٣.

٧- التومان فرقة عسكرية يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل (القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م ، ص ٤٢٣).

٨- القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة : البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م ، ص ١٣ ، برنولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة ، دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٥٩.

٩- تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وهي مدينة عامرة ، ذات أسوار محكمة مبنية بالآجر والجص ، في وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها ، والفواكه بها رخيصة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣).

١٠- البناكتي : روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي ، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي ، المركز القومي للترجمة القاهرة ، سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٤٥٨.

١١- الياسا الجنكيزية : "اليسق والتورا" واليسق هو الترتيب ، والتورا : المذهب باللغة التركية وأصل اليسق : سي يسا . وهي لفظة تركية من كلمتين سي بالعجمي ، بها بالتركي . لأن بالعجمي ثلاثة ، ويسا بالمظلي الترتيب (ببيرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك ، تحقيق زبدة محمد عطا ، ج ٩ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م ، هامش ص ١٥٦) هي الفرمانات والتعليمات التي وضعها جنكيز خان لحكام المغول للسير عليها في سياستهم بمعنى المياسة والقانون الذي يقضي باحترام المجتمع المغولي وتلقوه على غيره من المجتمعات وذلك في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (محمد أحمد محمد : إسلام الإبلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ١٧) تنص الياسا الجنكيزية في شأن تولية العرش أن تتولى زوجة الخان المتوفي إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين حاكم جديد (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، وضع حواشيه الأب أنطون صلحاني اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨ م ، ص ٢٨٥ ، شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران في العصر المغولي ، طبعة سوهاج ، سنة ١٩٩٦ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٠).

١٢- دريغ : هي من بلاد ما وراء النهر ، وتسمى باب الأبواب والنسب إليها الدريغدي (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٩).

١٣- الهذائي : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩.

- ١٤- بيبيرس الدودار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج ٩ ، ص ١٢٢؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٣٢.
- ١٥- ابن بيبى : تاريخ سلاجقة الروم المعروف بملجوقنامه، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية بالقاهرة ، يناير ١٩٩٤ م، ص ٧٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر، ج ٤ ، ص ١١١ عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبدالوهاب علوب، المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٢١٧.
- ١٦- أبلستان: وتكتب أبلستين، وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم (بافوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٧).
- ١٧- ابن بيبى : سلجوقنامه، ص ٧٩ ؛ بيبيرس الدودار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١١٥٨ ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٨١.
- ١٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٤ ، ص ٢٣ ؛ Howarth :History of the Mongols, Vol. 3, P.270 (London, 1975).
- ١٩- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور مراجعة محمد مصطفى زيادة و فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦.
- ٢٠- زامباور : معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٢.
- ٢١- بيبيرس الدودار : زبدة الفكرة ، ص ٢٣٣.
- ٢٢- القوريلتاي : هو مجلس شورى المغول ، يجتمع فيه الأمراء وقادة الجيوش والخواتين - نساء الطبقة الحاكمة - لدراسة أحوال الدولة ، وفي بداية عهد الإيلخانية كان يعقد في قراقورم عاصمة المغول في الصين (الجويني : تاريخ جهانكشاي ، ج ١ ، ص ١٧٥).
- ٢٣- اعتنق أحمد تكودار الإسلام وهو صغير السن علي يد أحد المتصوفة الذي ينسب إلي الطريقة الأحمدية (عبدالله الشبرازي : تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بنياد فرهنگ إيران، تهران، ص ١١٠٥ م.م الرمزي : تلفيق الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٦١ ؛ رجب محمد عبدالحليم : انتشار الإسلام بين المغول ، طبعة دار النهضة المصرية ، ص ١٧٨ ؛ وقد قام أحمد تكودار بتحويل المعابد البوذية والكنائس إلي مساجد(خواندمير : حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، جلد سوم ، جزء أول ، انتشارات كنبخانه خيام ، ص ١١٩).
- ٢٤- اليناكتي : تاريخ اليناكتي ، ص ٤٦٧.
- ٢٥- شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران ، ص ٤٢ ؛ نقد أشار المؤرخ Howarth إلي أن أحمد تكودار اعتنق المسيحية في بداية حياته وتسمي بنقولا (، Vol. 3 , History of Mongols , P. 270).

٢٦- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٤ ؛

D'OHsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol.III,

P.535 (Amesterdam, 1834)

- ٢٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٣٥.
- ٢٨- ابن القوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م ، ص ٤٣١.
- ٢٩- أبو القداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة.
- ٣٠- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤٠٣ : ٤٠٤ ؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٦٠.
- ٣١- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ : ١٣٨ ؛ استعان أرغون بأحد اليهود في إدارة دولته وهو سعد الدين اليهودي (خواندمير: دستور الوزراء ، ص ٢٦٠) الذي أسند حكم الولايات إلى بني جلدته من اليهود ، مثل فارس وديار بكر ، ونقل الحراسة من بغداد إلى داره (ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ هـ ، ص ١٧٣).
- Howorth History of Mongols , Vol. 3 , P. 350).
- ٣٢- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، ص ٢٠٠.
- ٣٣- زامباور : معجم الأسرات الحاكمة ، ص ٣٦٢.
- ٣٤- الجاو : عبارة عن قرطاس مختوم بخاتم الملك يتعامل به في جميع بلاد الخطا بالصين ، بدلاً من الدراهم ، وأما عملتهم النقدية فهي الباشي - السبالك - التي تصل إلى الخزائن ، وفي سنة ١٢٩٤ هـ / ١٢٩٤ م ، أظهروا الجاو في مدينة تبريز وروجوه ، وكانت الأوامر تقضي بقتل كل من لا يتعامل به في الحال (الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨١ : ١٨٢).
- ٣٥- برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ص ٧١.
- ٣٦- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨.
- ٣٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٤٠.
- D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III, P.115
- ٣٨- ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت روير ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠ م ، ص ٢٢ ؛ ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ اعتنق غازان الإسلام علي يد الأمير نوروز وبحضور الشيخ صدر الدين إبراهيم حموية ، وبذلك أعلن الدين الإسلامي ديناً رسمياً للبلاد ، وأطلق علي غازان اسم محمود ، ولبست العمام بدلاً من القلائص ، وأمر بتحويل الكنائس ، والمعابد إلى مساجد (رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ ، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر القاهرة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ١٢٧ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٥ ، البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٥ م.م الرمزي : تلخيص الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ رجب محمود : انتشار الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ فؤاد الصياد :

- الشرق الإسلامي ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩) ؛ كذلك أصدر غازان عملة إسلامية نقش عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأمر بنقش اسمه على العملة وذكره في الخطبة دون الخان الأعظم ، وطرد نائبه من بلاده ، وألغى لقب أيلخان أي نائب الملك ، واتخذ لنفسه لقب خان (رجب عبدالحليم : انتشار الإسلام ، ص ١٩٣ ، محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧٢) .
- ٣٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١١٦٧ ؛ ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٧ .
- ٤٠- لقد أطلق العيني علي غازان اسم قازان (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك - حوادث وتراجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٢٨) .
- ٤١- ابن حبيب : تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢١٠ ؛ العيني : نفس المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .
- ٤٢- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٧ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨ .
- ٤٣- ابن دقماق : الجوهر الشين ، ص ٣٣١ ؛ عبدالسلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٩ .
- ٤٤- العيني : عقد الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ ؛ خواندمير : حبيب المسير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٧ ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ ؛ عبدالسلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ؛ شعبان طرطور : موجز ، ص ٥٥ .
- ٤٥- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
- ٤٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٩٥ ؛ ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٦ ؛ Sykes : History of Persia , Vol. II , P.234 , (London, 1958)
- ٤٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ ؛ فؤاد الصياد ، الشرق الإسلامي ، ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .
- ٤٨- عبدالله الشيرازي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٢٠ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والتوزيع والنشر بالقاهرة ، ص ٤٧٧ .
- ٤٩- جيلان : ولاية صغيرة تمتد من حدود أردبيل واخلخان حتى حدود كلارست ومنطقة مازاندران (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤) ؛ وفي جيلان قوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحي اصطخر فنزلوا بطرف من البحرين ففروا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بني عجل (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠١) .
- ٥٠- ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

- ٥١- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ : ٧٧ .
- ٥٢- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٨٧ : عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ .
- ٥٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٢٠ .
- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 115.
- ٥٤- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤١١ ، ٤١٤ .
- D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III, P. 600 - 601.
- ٥٥- تقرر سفر سفير من إيران لإبرام معاهدة مع مصر واستقبل من قبل سلطانها الناصر محمد بالود والتكريم وتم عقد المعاهدة ، ومن أهم بنودها ما يلي :
- ١- ألا يكلف سلطان مصر الغدانيين الإسماعيلية بأي مهام في الممالك الإيلخانية.
 - ٢- ألا يطالب أي من الجانبين بترحيل رعاياه ممن يلجئون إلى أرضه.
 - ٣- ألا يحرض سلطان مصر أعراب البادية والتركمان على مهاجمة الممالك الإيلخانية.
 - ٤- ترسيخ علاقات الود بين الدولتين وتمكين التجار من حرية التجارة والحركة.
 - ٥- حرية حركة قوافل الحجيج السنوية من العراق إلى مكة على أن ترفع علمين أحدهما باسم سلطان مصر ، والآخر باسم إيلخان إيران أبوسعيد.
 - ٦- أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم الأمير قراسنقر الفار إلى دولة الإيلخان (عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٤٢).
- ٥٦- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خاتبا بياتي ، شركت نضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ ، ص ١٩٣ .
- ٥٧- البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٨ ، انظر الملحق رقم ١ ، الخاص بأسماء الإيلخانيين .
- ٥٨- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٨٤ : عباس إقبال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .
- ٥٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٩ .
- ٦٠- فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير ، ص ٦٤ .
- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 90.
- ٦١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .
 - ٦٢- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٥٠١ .
 - ٦٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٨ : ١١٩ .
 - ٦٤- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٨٢ .
 - ٦٥- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٤ .
 - ٦٦- الهمداني : تاريخ غازان ، ص ٤٣ .
 - ٦٧- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٩٥ .
 - ٦٨- ابن بيبى : سلجوقنامه ، ص ٧٩ : أبو الفداء : المختصر في أخبار ، ج ٤ ، ص ١١ .
 - ٦٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ : برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧١ .
 - ٧٠- ابن أبيك النوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٢ : النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ .
- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢ : ابن

حبيب: تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١٠ ؛ ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ العيني : عقد
الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ .

٧١- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 234

٧٢- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ ؛ فؤاد
الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤ ؛ برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ .

٧٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .

D'OHsson : Histolre des Mongols , Vol.III, P. 600.

٧٤- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ١٦ .

٧٥- الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .

٧٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ؛
Howorth : History of Mongols , Vol.3 , P. 270.

٧٧- بيبيرس الدودار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٦٠ .

٧٨- الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ؛ البديسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٦ .

٧٩- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ .

٨٠- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٤ .

٨١- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٩ .

٨٢- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧١ .

٨٣- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٦ .

٨٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .

٨٥- فتنة نوروز : لقد كان نوروز أتابكا لغازان في أثناء حكمه علي حراسان ، ثم تولى منصب أمير

الأمرأ ، وتم اعتناق غازان للدين الإسلامي علي يديه (عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص

٣٢٢ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٧ ؛ ٣٠٨) ؛ ولكن نتيجة للصراع الذي قام بين

الوزير جمال الدين الدستجرواني ونوروز والاتهامات التي قبلت بتدبير مؤامرات مع بعض الأمرأ

ضد غازان ، وإتهامات الوزير صدر الدين الزغاني له بمراسلة سلطان مصر ، وأنه سوف يسلم

البلاد للمماليك ، فإن غازان أمر بالقبض عليه وعلي أتباعه وأمر بإعدامهم ، هذا وقد نزلت

الهزيمة بنوروز وقواته بالقرب من نيسابور ، فالتجأ إلي هراة ، لالذأ بحماية منكها فخر الدين

كرت ، الذي أسرع بتسليمه إلي غازان في شوال سنة ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦ م (الهمذاني: تاريخ

غازان ، ص ١٢٣ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٤ ؛ خواندمير : حبيب السير

، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٣٥ ؛ فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٧٨) .

٨٦- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٦ .

٨٧- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٥٢ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٤١ .

٨٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ٤١ ؛ ٤٢ .

٨٩- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٠ .

٩٠- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

- ٩١- عين جالوت : موقعة عظيمة بين الملك المظفر قطز مملوك الممزر أيبك ومعه الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل وبين التتار بقيادة كتبغا نائب هولاكو وكان النصر فيها لقوات قطز وكانت في رمضان سنة ٦٥٨هـ (أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ، ج ٣ ، ص ٢٤٥).
- ٩٢- Howarth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 91
- ٩٣- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣١١ : ٣١٢.
- ٩٤- عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٥٤.
- ٩٥- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ١٢ : شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٣.
- ٩٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١٢٤.
- ٩٧- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١١١ : ١١٢.
- ٩٨- عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٧.
- ٩٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٣٨ : عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٤.
- ١٠٠- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٧.
- ١٠١- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٧٩.
- ١٠٢- البديليسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٢٧.
- ١٠٣- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٧ : عباس إقبال ، تاريخ المغول ، ص ٢٨٥.
- ١٠٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٥.
- ١٠٥- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٨ : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٥.
- ١٠٦- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٦١.
- ١٠٧- دار النزاع بين الأمير سنقر الأشقر والسلطان قلاوون علي تولية العرش ، وبالتالي تم تبادل الرسائل بينه وبين أباخان للمآذرة والوقوف إلى جانبه ضد قلاوون وجيشه (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٧).
- ١٠٨- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ : البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ : ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ١٢ : ابن حبيب : تذكرة النبى ، ج ١ ، ص ٢١١.
- ١٠٩- العيني : عقد الجمان ، ج ٤ ، ص ٢٨١ : ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨.
- ١١٠- ابن حبيب : تذكرة النبى ، ج ١ ، ص ٣٧.
- ١١١- لقد خرج الأمير شمس الدين قراسنقر منتجاً إلى الإيلخان أولجايتو ، وقد أرسل إليه الإيلخان أميراً مغولياً هو سوتاي علي رأس عشرة آلاف جندي ، لاصطحابهم إلى داخل الإيلخانية (ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٦٤).
- ١١٢- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢.

- ١١٣- الهمذاني : جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١٦ : ترخان : لقب يفيد امتياز حامله بالإعفاء من كل التكليف ، فهو لا يدفع نصيباً مما يقسم في الحرب ، ويدخل على الملك وقت ما شاء ، وترخان اسم قبيلة جغتائية كذلك ، (الهمذاني : نفس المصدر السابق والجزء ، هامش ص ١٧).
- ١١٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ٦٣ : ٦٤.
- ١١٥- الشرق الإسلامي، ص ٧٥.
- ١١٦- فؤاد الصياد : نفس المرجع السابق، ص ١٩٢ : محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين، ص ٦٨.
- ١١٧- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٤٥ : ١٤٣ : كان علي رأس تلك السفارة كل من القاضي نصير الدين التبريزي والشيخ قطب الدين الموصلني (البديسمي : شرفنامه، ج ٢، ص ١٩).
- ١١٨- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٦١.
- ١١٩- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٤.
- ١٢٠- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٤.
- ١٢١- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ١٨٩ : ١٩٠.
- ١٢٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٥٣ : عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٨.
- ١٢٣- الأمير صدر جهان . اسمه صدر جهان أحمد الخالدي الزنجاني وزير غازان ، وهو أحد أبناء قضاء ولاية زنجان ، والتحق بالخدمة للأمير طعاجار ، ولما أصبح طعاجار أميراً للأكراس في عهد أرغون جعل صدر جهان أحد مسؤولي تنظيم أموال البلاد ، فنظم أعماله تنظيمًا كاملاً (خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٦٦ : عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ : فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٦٨).
- ١٢٤- الهمذاني : تاريخ غازان خان ، ص ٥٣ : ٥٥.
- ١٢٥- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٣٢.
- ١٢٦- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦١.
- ١٢٧- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٧ : ٣٩.
- ١٢٨- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٣.
- ١٢٩- كشيكي : كلمة مغولية معناها النوبة ، وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس ، مكونة من ألف رجل هم نخبة المحاربين لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان الإيلخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال (فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٠).
- ١٣٠- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١.
- ١٣١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ : خواندمير : حبيب السير ، ج ١ ، ص ١٠٨.
- ١٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤١.
- ١٣٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٥.
- ١٣٤- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٨.
- ١٣٥- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣.

- ١٣٦- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٦ .
- ١٣٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٣ .
- ١٣٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ : ١٥٥ .
- ١٣٩- تاريخ غازان ، ص ١٠٤ ويشير الهمذاني في موضع آخر في تاريخه بأن غازان كان رحيماً مع أسراه ، وأنه أمر بأن يحضروا من خزائنه قباء وقلنسوة ومنطقة - حزام وحذاء - وألبسوا الأسير هذه الأشياء وهو الأمير أرسلان أغول ، ثم أركبوه جواداً من جياد الخاصة ، كما أمر غازان بإحضار جرحى المعركة ، وصار يضع الأدوية على جروحهم ، مما يدل على مدى رحمته وإسلامه (تاريخ غازان ، ص ١١٥ : ١١٦) .
- ١٤٠- أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٥٨ ، عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٠ .
- ١٤١- أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٥ .
- ١٤٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٢ .
- ١٤٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
- ١٤٤- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٥٧ .
- ١٤٥- برتولد شبولر : نفس المرجع السابق ، ص ٦٩ .
- ١٤٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤٤١ .
- ١٤٧- أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٥٠ : ١٥١ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٢٧ .
- ١٤٨- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١ .
- ١٤٩- ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٥ .
- ١٥٠- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- ١٥١- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ١٠٦ ، ١١٥ .
- ١٥٢- حافظ أهره : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ٢١٠ .
- ١٥٣- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ .
- ١٥٤- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٧١ .
- ١٥٥- حافظ أهره : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٤٨ .
- ١٥٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .

أسماء المصادر والمراجع

أولاً . المصادر والمراجع العربية

- ١- ابن أبيك الدوادري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : أبويكر بن عبدالله المنصوري . كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٠م .
- ٢- بيبيرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) : ركن الدين المنصوري المصري . زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك ، ج ٩ ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠١م .
- ٣- ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) : الحسن بن عمر . " تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه " ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م .
- ٤- ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) : إبراهيم بن محمد بن أيذر العلاني . " الجواهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢م .
- ٥- رجب محمد عبدالحليم : " انتشار الإسلام بين المغول " ، طبعة دار النهضة المصرية .
- ٦- م.م. الرمزي : " تلقيب الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قرآن وبلغار وملوك التتار " ، مجلد ١ ، طبعة المطبعة الكريمة والحسينية ببلدة أورينورج .
- ٧- شعبان طرطور : " موجز تاريخ إيران في العصر المغولي " ، طبعة سوهاج ، ١٩٩٦ م / ١٩٩٧ م .
- ٨- عبدالمعلا عبد العزيز فهمي : " تاريخ الدولة المغولية في إيران " ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨١م .
- ٩- ابن العمري (ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٦ م) : غريغوريوس الملقبي أبو الفرج بن اهرن " تاريخ مختصر الدول " ، وضع حواشيه الأب انطون صلحاتي اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨م .
- ١٠- العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : بدر الدين محمود " عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك " ، حوادث وتراجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م .
- ١١- أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي " المختصر في أخبار البشر " ، ج ٣ ، ج ٤ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حمين ، طبعة دار المعارف ، ١٩٩٩م .
- ١٢- فؤاد عبدالمعطي الصياد : " الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولاكو خان " - منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .
- ١٣- _____ : المغول في التاريخ ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م .

- ١٤- _____ : " مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ١٥- ابن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) : كمال الدين أبو الفضل عبدالرازق : " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في السانة الثامنة " ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- ١٦- القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) . أبو العباس أحمد بن علي : " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م .
- ١٧- ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) : الحافظ بن كثير : " البداية والنهاية " ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف بيروت ، لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- ١٨- أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) : محمد جمال الدين يوسف بن تغري بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ١٩- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م .
- ٢٠- النويري (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : " نهاية الأرب في فنون الأدب " ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عشور ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٢١- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٣٣٩ م) : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي : " معجم البلدان " ٥ أجزاء ، طبعة دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

ثانياً المصادر والمراجع الفارسية :

- ٢٢- البديسي (ت بعد ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) : شرف خان " شرفنامه " ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م .
- ٢٣- البناكتي (ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م) : أبو سليمان داود بن أبو الفضل محمد " روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي " ، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- ٢٤- ابن بيبى (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) : ناصر الدين يحيى بن محمد " تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلاجقنامه " ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، يناير ١٩٩٤ م .
- ٢٥- الجوزجاني (ت ٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م) : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين " طبقات ناصري " جلد أول به تصحيح ومقابله وتحشيه وتعليق عبدالحى حبيبي قندهار ، كابل سنة ١٣٤٣ هـ .

- ٢٦- الجويني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني : " تاريخ جهانكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم " ، تحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٧- حافظ أبرو (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن لطف الله : " ذيل جامع التواريخ رشدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خانباياني ، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ . ش.
- ٢٨- خوانصير (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) : غياث الدين بن همام الدين : " حبيب السير في أخبار أفراد البشر " جلد سوم جزء أول ، انتشارات كتبخانه خيام.
- ٢٩- _____ : " دستور الوزراء " ترجمة حري أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م.
- ٣٠- رشيد الدين الهمذاني (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) : رشيد الدين فضل الله : " تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ " دراسة وترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣١- _____ : " جامع التواريخ - الإبلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من أباقا خان إلى كيخاتو خان " المجلد الثاني الجزء الثاني ، ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسي هندوي ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومي
- ٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية " ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
- ٣٣- _____ : " تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية " ، ترجمة عبدالوهاب علوب ، المجمع الثقافي أبوظبي ، الإمارات العربية ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣٤- عبدالله الشيرازي (ت ق ٨ هـ / ١٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن فضل الله. تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بنباد فرهنگ، إيران ، تهران.
- ٣٥- ميرخواند (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) : محمد بن خاوند شاه. " روضة الصفا " ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ هـ . ش.
- ٣٦- النسوي (ت ق ٧ هـ / ١٣ م) : محمد بن أحمد : " سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي " ، نشره وترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٣ م

ثالثاً المراجع الأجنبية والمترجمة

- ٣٧- برتولد شبولز : " العالم الإسلامي في العصر المغولي " ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حمان للطباعة والنشر دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٣٨- زامياور : معجم الأسماء والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

39- D'Ohsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol III
(Amesterdam, 1834)

40- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , (London , 1975).

41- Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi, (Delhi, 1944).

42- Sykes : History of Persia . Vol. II , (London , 1958).



التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

د. حسام محمود المحلاوي (*)

المقدمة

يقصد بالأندلس، في عصر بني الأحمر، مملكة غرناطة الإسلامية منذ قيامها في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها في أيدي القوى المسيحية في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وفي تلك الفترة، كانت دولة بني الأحمر تمثل الكيان الإسلامي الذي تدخل تحت لوائه كل البلاد والمدن الإسلامية؛ التي لم تكن القوى المسيحية قد نجحت في الاستيلاء عليها.

وقد استمرت دولة بني الأحمر قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان، تطلحن من أجل البقاء وسط أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها، التي كانت تتحين الفرصة من الحين للآخر للانقضاض عليها والاستيلاء على أملاكها، وطردها المسلمين نهائياً من بلاد الأندلس، وهو ما تحقق لها في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م.

ولأن الاستحكامات الدفاعية كانت أهم أسباب بقاء مملكة غرناطة واستمرارها قرنين ونصف من الزمان، كان لزاماً دراستها والتعرف على طرقهم في تحصين دولتهم وحدودها الخارجية، وكذلك كيف أنعم الله، سبحانه وتعالى، على أهل مدن مملكة غرناطة بـتـحصين بلادهم بموقعها المتميز والفريد.

وقد انشغل سلاطين بني الأحمر بتشييد الاستحكامات الدفاعية طوال عمر دولتهم، فعمدوا إلى تشييد الحصون، والرباطات، والأسوار، والأبراج، وغيرها من المنشآت الحربية المهمة والتي لقيت اهتمام سلاطين الدولة، وكذلك عموم المسلمين في بلاد الأندلس في تلك الفترة، وبخاصة في المناطق الحدودية.

الأندلس عصر بني الأحمر:

بعد ضعف دولة الموحدين في بلاد الأندلس، عقب هزيمتهم في موقعة العقاب Las Navas de Tolosa^(١) في ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م، بدأت ثورة بعض القادة الأندلسيين ضد الموحدين وإعلانهم الاستقلال عنهم، وكان منهم محمد بن يوسف بن هود^(٢) الذي بدأت ثورته في شرق الأندلس، ثم نجح في إقامة دولته بالأندلس والتي استمرت عشر سنوات، من عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، وحتى وفاته عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. كما التف الكثيرون

(*) حاصل علي درجة دكتوراة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة المنصورة.

حول القائد محمد بن يوسف بن نصر^(٣) المعروف بابن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة، وعقدوا عليه الآمال في جمع شمل المسلمين في الأندلس، ويابغوه في يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٣٤هـ / ٢٩ أبريل ١٢٣٧م^(٤). وبعد وفاة ابن هود في عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م^(٥)، تهيأت الأوضاع لسيطرة ابن الأحمر، وثار أهل غرناطة ضد حاكمهم من قبل ابن هود، عتبة بن يحيى المغنلي، وقتلوه، وأعلنوا بيعتهم لابن الأحمر، واستدعوه، فدخل غرناطة في أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ / أبريل ١٢٣٨م^(٦) واتخذها عاصمة لدولته، وأعلن قيام مملكة غرناطة التي استمرت قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان.

التحصينات الطبيعية للمملكة :

وهب الله سبحانه وتعالى جنوب بلاد الأندلس الإسلامية، وهو موقع مملكة غرناطة، موقعا فريدا، كان ذلك الموقع بمثابة حماية طبيعية منحها الله إياها، فكانت أحد أهم الأسباب التي حفظت حدودها كثيرا، ورثت عنها أعداؤها مرات عديدة، لذا وجب التعرض لتناول هذا الموقع المحصن طبيعيا، وما أهم ملامح تحصينه.

فمملكة غرناطة كان يحيط بها ويخترقها عدة جبال، كانت لوعورتها وارتفاعها، عاملاً وحصناً طبيعياً لها. فقد كانت سلسلة الجبال العالية، التي تحيط بغرناطة العاصمة، تشكل سوراً طبيعياً منيعاً أمام الهجمات الكثيرة التي تعرضت لها. وأهم هذه الجبال جبل شيلر (ضمن سلسلة جبال تعرف باسم سيررا نيفادا *Sirra Nevada*) وهو تحريف للاسم اللاتيني القديم *Solorius* أي جبال الثلج، لشدة لمعته لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج. ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ متراً^(٧) ويذكر الزهري أنه لا ينبت في قممه نبات ولكن النباتات ينبت على سفحه^(٨).

كما أن وجود جبل طارق *Gibraltar* (نسبة إلى طارق بن زياد) بمثابة حصن طبيعي للمملكة من ناحية الجنوب، وخاصة بعد أن أنشأ الموحدون على سفحه مدينة الفتح، لتكون مركزاً للعمليات الحربية (لذلك سمي جبل الفتح). وقبل الفتح الإسلامي أطلقت عليه أسماء عديدة، أهمها الاسم الفينيقي *Calpe* ومعناه تجويف، حيث كان يطلق على مغارة كبيرة في هذا الجبل. أما عن مضيق جبل طارق، أو بحر الزقاق، فهو ممر مائي ضيق، يبلغ عرضه في أضيق جهاته حوالي ١٥ كم، وهي مسافة ساعدت على عبور المغاربة إلى بلاد الأندلس^(٩)، وهو بوابة الأندلس إلى بلاد المغرب والعكس، وعنه يذكر ابن الخطيب:

هو الباب إذ كان التزاور واللقيا وغوث وغيث للصريح وللمسقى

فإن تترك الأيام فيه بحادث وأعزز به كل السلام على الدنيا^(١٠)

كما أن جبل فارة (بتشديد الراء وضمها) *Gibralearo* الذي يشرف على مرسى مدينة مالقة *Malaga*^(١١) كان بمثابة حصن طبيعي للميناء^(١٢).

وكما كانت الجبال تحمي المملكة، كانت الأنهار التي تخترقها بمثابة أحد عوامل التحصين الطبيعي لها، وعاملاً مساعداً لوقوفها في وجه أعدائها. فقد كان يخترقها عدد كبير من الأنهار، منها نهر الوادي الكبير الذي يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس، وتتفرع منه عدة أنهار أخرى، أهمها نهر شنيل *Genil*، وهو النهر الذي تقع عليه العاصمة غرناطة، وينبع من

جبل سيرانيغادا^(١٣)، وهو يؤمن المدينة من ناحية الجنوب^(١٤) ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب العاصمة غرناطة.^(١٥) كما يوجد نهر حدة Derra (بفتح الحاء والراء) والذي يتحدر من جبل قرب مدينة وادي آش Guadix^(١٦) شرقي جبل شيلر، وينتهي إلى غرناطة العاصمة ويمر شرقها، ويلتقي بنهر شنيل خارج المدينة، وطوله ١١ كم^(١٧) كما أن نهر وادي المنصورة والذي يسميه العرب وادي بيرة - لأنه يصب في البحر المتوسط عند بلدة بيرة - كان بمثابة حصن طبيعي لغرناطة^(١٨).

ولوجود الجبال والأنهار، سألقة الذكر، باتت بعض المدن الأندلسية محصنة طبيعياً، فكانت بمثابة حماية طبيعية لها للتصدي لهجمات الممالك المسيحية، وبخاصة التي عاصرت بني الأحمر. ومن هذه المدن مدينة مالقة ذات الموقع المتميز، فهي تقع على البحر المتوسط في وادي عميق، يحد هذا الوادي من الشمال المرتفعات الشاهقة، ومن جنوبيه منطقة وعرة كلها جرداء^(١٩). ومدينة وادي آش التي تطل من الشرق على نهر الوادي الكبير، ومن الغرب على صخرة منيعة عالية تشرف على واديهما الأخضر، وتبدو من بعده جبال سيرانيغادا الشاهقة على بعد اثني عشر كيلومتراً منها.^(٢٠)

كذلك كانت مدينة المرية Almeria^(٢١) محصنة بجبل شمالاً والساحل جنوباً، ومن الشرق والغرب واديان ضحلان.^(٢٢)

وبذلك، فإن الناظر لحدود مملكة غرناطة، يجد أنه يحدها من الشمال مرتفعات جبال سيرانيغادا ونهر الوادي الكبير، ومن الجنوب والشرق البحر المتوسط، ومن الغرب ولاية قادس وأرض الفرنجية^(٢٣)

اهتمام المسلمين بتحصين المملكة :

كان لوجود مملكة غرناطة الإسلامية في مكان تحيط به الممالك المسيحية المتربصة بها من كل جانب، وبخاصة مملكتا قشتالة وإراجون، بالغ الأثر في انشغال الغرناطيون حكومة وشعباً بإقامة التحصينات الحربية التي تساعد في عملية الدفاع عن البلاد، والمدن التابعة للمملكة، إذا ما تعرضت لهجوم القوى المسيحية في أي من الأوقات. وسادت حالة فريدة من التعاون بين الحكومة الغرناطية والشعب الغرناطي في مسألة إقامة التحصينات اللازمة لحماية البلاد والمدن. ويذكر المؤرخ المقرئ: أن الدولة الغرناطية كانت تحت رعاياها الأندلسيين على المساهمة في إقامة التحصينات الدفاعية لأن أموال الدولة كانت تصرف في أوجه مختلفة أخرى، من شراء أسلحة والإنفاق على الجيش، لذلك كان الملوك يطلبون من الرعية المشاركة في إقامة الحصون والأسوار والأبراج للحماية^(٢٤)

وقد استجاب الغرناطيون لرغبة ملوكهم، فشاركوا في تشييد الاستحكامات الدفاعية لمنهم، خشية وقوعها في أيدي القوى المسيحية، وتزعم العلماء هذه الحركة، ومنهم أبو البركات بن الحاج البلقي (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧١م) - من أشهر العلماء المجاهدين في عصر بني الأحمر - وقد شارك في تحصين بلدته خشية الوقوع في قبضة النصارى، فشارك في بناء الأسوار وحفر الآبار، بل قام بتشيد سور حول أحد الحصون، وكان ذلك من ماله الخاص.

وفي ذلك يقول أبي البركات بن الحاج :

وانتقال التراب والجيار
وجص والطوب والحجار
ورأسي ولحيتي بالغبار^(٢٥)

في اقتحار الأساس والآبار
وقعودي ما بين رمل وأجر
وامتهان بُردى بالطين والماء

كما أن سكان المناطق الحدودية كانوا يقومون بنفع ضراب مخصصة لإقامة التحصينات الدفاعية وبخاصة الأسوار لحماية البلاد من هجمات القوى المسيحية، وقد وافق العديد من فقهاء غرناطة على فرض هذه الضريبة، وذلك لما بها من مصلحة عامة تعود على المسلمين في بلاد الأندلس^(٢٦).

كما اهتم المرينيون^(٢٧) بتحسين المدن الأندلسية التي كانت خاضعة لسيطرتهم، وقاموا بتشييد العديد من الحصون والأسوار والأبراج بها، علاوة على الاهتمام ببناء مخازن الأسلحة والنخيرة. ويذكر المورخ ابن مرزوق: أن السلطان المريني أبو الحسن علي^(٢٨) قام بتحسين مدينة رندة وعملوا على إنشاء عدد كبير من المنشآت الحربية بها، وعن ذلك يذكر: "... وفي بلدة رندة من آثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة..."^(٢٩)

وبعد أن نجح المسلمون، أندلسيون ومغاربة، في استرداد جبل طارق من أيدي القوات القشتالية في عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م^(٣٠) اهتموا بإقامة تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون الهجوم عليه مرة أخرى، **منعتهم** التحصينات من الاستيلاء عليه. وأشرف على هذه التحصينات القائد أبو مالك بن السلطان المريني **أبي الحسن علي**. وقام المسلمون ببناء حصن بالجبل، كما عملوا على إحكام السور حوله. وبناء مسجد جامع به، ومرافئ برية وبحرية. واستخدم المسلمون في هذه التحصينات المون والعتاد اللازم لذلك، والذي أرسله السلطان المريني أبو الحسن علي لإقامة تلك التحصينات^(٣١).

أهم المنشآت الحربية :

الحصون

الْحَصْنُ في اللغة: من حصن المكان بخصن خصائنه، فهو حصين: متع، وأخصنه صاحبه وخصنه. والحصن كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه، والجمع حصون^(٣٢).

وكان بنو الأحمر مثل أسلافهم حكام الأندلس، يعمدون إلى بناء الحصون لحماية البلاد الإسلامية من هجمات القوى المسيحية، وهذه الحصون تتقدم الأسوار لحمايتها وقت الهجوم، والحصن في غالبه عبارة عن بناء ذي متاريس مسننة، له عدة أبواب متداخلة، عادة ما تكون في أحد زواياه. ويذكر ابن الخطيب أن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول^(٣٣) (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٢-١٣٥٤م) قام ببناء حصن على أحد الجبال المطلة على ميناء مالقة مباشرة، والمسمى جبل قارة لحماية الميناء من أي هجوم مسيحي متوقع، وعن ذلك يذكر

أن: ".... وفى أيامه بنى الحصن السامى الذروة، المبنى على القفرة، فى الجبل المتصل بقصبة مالقة، فعظم به الفخر، وجل الذكر..."^(٣٤)

كما أن السلطان الغرناطى محمد الخامس^(٣٥) (٧٥٥هـ-٧٩٣هـ/١٣٥٤م-١٣٩١م) قلم بتجديد هذا الحصن، وأصدر بعض الظهائر إلى رعيته من أهالى مالقة بضرورة الاهتمام ببناء الحصون القوية على هذا الجبل حماية للمدينة وإعانة للمسافرين^(٣٦). ويعد حصن جبل قارة: صرخا إسلاميا يشهد على عظمة العمارة الإسلامية فى تلك الفترة، وقد اختار المسلمون لبنائه ريوه عالية تشرف على البحر، ويقع على مسافة صغيرة من القصبة ويفصل الحصن عنها رقعة خضراء، ويرتبطان بطريق مسور، وأسوار الحصن الخارجية مشيدة من الآجر الأحمر، وبه برج رئيسى أبيض اللون، مستدير الواجهة، ويشرف الحصن على المدينة من ارتفاع شاهق، وأمام الحصن من الناحية الأخرى منحدر الجبل، وكان للحصن أربعة أبواب كبيرة فى سوره الأسفل، أحد هذه الأبواب يؤدى إلى قصبة المدينة.^(٣٧) وقد سقط الحصن فى أيدى الملكين الكاثوليكين عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، بعد حصار دام أربعين يوما^(٣٨) وما زال الحصن يحتفظ حتى الآن بطابع الطراز الإسلامى، فقد تبقى منه اليوم أسوار السياجين وجزء من البرج الأعظم^(٣٩)

ومن أشهر حصون مملكة غرناطة: حصن العقاب، على مقربة من غرناطة، وحصن شلويانية وهو حصن بحرى، وحصن البيول Bauel^(٤٠)، كما أنه بالقرب من غرناطة العاصمة، وعلى بعد اثنين وثلاثين كيلو مترا شمال غربي المدينة، كان يوجد حصن موكلين المنيع، على ريوه عالية هرمية الشكل، وتشرف من ارتفاعها الشاهق على سائر البسائط المجاورة، وفى أسفل الحصن تقع قرية موكلين، وقد لعب حصن موكلين دورا بارزا فى حرب غرناطة الأخيرة، وكان من أمنع خطوط الدفاع الشمالية عن المدينة، وكان سببا فى رد القشتاليين عن غرناطة فى شعبان ٨٩٠هـ/يونيه ١٤٨٥م، بعد هزيمتهم هزيمة فاحشة على أعقاب هذا الحصن^(٤١). وقد حرص سلاطين بنى الأحمر على تشييد العديد من الحصون ووضعوا عليها الأبراج بطول ساحل المرية لحماية مينائها من الهجمات المسيحية المتكررة على السواحل الإسلامية، بهدف السيطرة على الموانئ والمدن^(٤٢).

الأربطة

تعددت الوظائف التى تقوم بها الأربطة، بين حربية ومدنية ودينية، حيث كانت فى البداية قد نشأت حربية، واستخدمت للعبادة والتصوف، كما استخدمت أيضاً كمحطات تجارية، ومستودعات لحفظ المواد التموينية والغذائية، وأيضاً محطات بريدية، كما أشرفت على أمن الطرق، بالإضافة إلى حفظ الخيول والمواشى، وأيضاً حفظ المياه فى الخزانات والصهاريج. ولقد ظلت الأربطة تؤدى دورها الحربي طوال عصر بنى الأحمر، ومثال ذلك: سلسلة الرباطات التى كانت تحيط بمدينة المرية مثل الرباط المسمى 'برباط القبطة Cabo de Gata' على ساحل المدينة، والذي تم تشييده فى عهد السلطان محمد الخامس، لحماية الساحل من أى هجوم

مسيحي محتمل ^(٤٢) . كما كان هناك رباط بجانة ^(٤٣) القريب من ميناء المرية أيضاً، وكذلك رباط عمروس ورباط الخشنى ^(٤٤) .

وفى رحلته: تعرض ابن بطوطة لذكر الرباطات الأندلسية، فيذكر أنه فى طريقه إلى مالقة مر برباط سهيل، والذي قضى فيه ليلته ^(٤٥) . كما أنه يذكر أنه فى زيارته لمدينة غرناطة العاصمة توجه مع الشيخ الولي الصالح أبى عبد الله محمد بن المحروق لزيارة رابطة الغقاب، وزاوية بنى المحروق، ويذكر أن الغقاب جبل مطل على خارج غرناطة ^(٤٦) .

الأسوار:

كانت عمليات تحصين المدن والأحياء السكنية الكبرى الغرناطية تبدأ بتشبيد الأسوار المرتفعة والمتينة، وكانت هذه الأسوار مزودة بأبراج على طول مسارها، لحمايتها إذا ما قامت القوى المسيحية بشن الهجوم عليها فى أى من الأوقات . وفى عهد السلطان الغرناطى يوسف الأول: تم تشييد السور الأعظم الذى كان يحيط بأكثر المناطق السكنية فى مدينة غرناطة العاصمة، وهو ريبض البيازيين ^(٤٧) .

والسور الغرناطى مثله مثل العديد من الأسوار فى البلاد والمدن الإسلامية، فى تلك الفترة، فهو فى الغالب يتألف من درب فى أعلاه، يسير عليه المحاربون، يطلق عليه فى الغالب ممشى السور، وفى السور شرفات يقدف منها بالسهم، كما يضم السور بعض الدورات التى تستخدم فى الاحتماء ^(٤٨) .

وما يزال بعض أجزاء من سور مدينة غرناطة قائما حتى اليوم، يشهد على متانة بنائه وعظمة تشييده، وأغلب الأجزاء الباقية من السور تلك التى تقع فى الجهة الشمالية الغربية، وتمتد نحو كيلو متر، كما بقيت بعض أجزاء من سور الجهة الشرقية، والتى تشهد على متانة التحصينات الغرناطية. ^(٤٩)

كما أن الحمراء ^(٥٠) كان يحيط بها سور حول قصورها كلها، وكان السلطان الغرناطى محمد بن الأحمر قد أنشأ بعض أسوار الحمراء، كما قام ابنه محمد الثانى الفقيه، فى أواخر القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى، باستكمال بعض أجزاء السور، والعمل على تحصينه ^(٥١) وتوالت الإنشاءات فى السور بعد ذلك حتى اكتمل حول الحمراء كلها فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول، كما أتم بناء أبراجه ويواباته ^(٥٢)، وتكمل هذه الأسوار القصبة فى ناحية الغرب، وهذه الأسوار كانت منيعة ومشيقة بالحجارة الصلبة، ويتألف السور من جدار واحد فقط، وكانت هذه الأسوار شاهقة الارتفاع ^(٥٣) .

كذلك كان جبل طارق يحيط به سور قام السلطان محمد الخامس الغنى بالله فى عام ١٣٥٥/٨٧٥٦م بعمل تغلية له، وإصلاح الأجزاء المتهاكلة به. ^(٥٤)

كما أن أسوار مدينة المرية يرجع بناؤها إلى مؤسسها عبد الرحمن الناصر، وكان قد أقامها في عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م^(٥٦) إلا أنها شهدت على مدار تاريخ المدينة منذ تأسيسها وحتى سقوطها في أيدي القشتاليين عام ٨٩٥هـ/١٤٩٠م^(٥٧) عدة تجديدات وتحصينات، ازدادت في عصر بني الأحمر، عندما اشتدت وطأة الممالك المسيحية على البلاد الإسلامية^(٥٨). وللمدينة سور كبير منيع عال من ناحية البحر لتحصين المدينة، وسور آخر بُني حول ريفها الشرقي لحمايته، كما كان ريفها الغربي محصناً بسور كبير أيضاً، وكانت مدينة المرية قد تعرضت لهجوم شديد وحصار قوي من جانب القوات الأراجونية في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م^(٥٩) ورغم أن آلات الحصار الأراجونية كانت حديثة وقوية، فإنها لم تتمكن من اقتحام أسوار المرية المتينة، فاضطرت إلى رفع الحصار عنها^(٦٠).

الأبراج :

البرج في اللغة : تباغذ ما بين الحاجزين، وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإنما قيل للبرج بروج لظهورها وبياتها وارتفاعها، والجمع أبراج^(٦١).

والأبراج بناء حربي قد يأخذ شكل المربع، أو المثلث أو المستدير أو غير ذلك من الأشكال، وتكون في موضع بارز فوق الأسوار، وكانت من أهم الاستحكامات الدفاعية في العمارة الحربية الإسلامية، وبخاصة في بلاد الأندلس، لرد أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها. فقد قام السلطان الغرناطي محمد الثالث^(٦٢) (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م) بإنشاء خمسة أبراج على مشارف فحص غرناطة لحماية أهل الريف وقت مجوم النصارى عليهم^(٦٣)، ويذكر ابن الخطيب: أن عدد أبراج مملكة غرناطة بلغ أربعة عشر ألفاً^(٦٤)، ووقت استيلاء حملة قشتالة على مالقة وجدوا عدد أبراجها وقد بلغ ألف وثلاثين^(٦٥).

وكان نور الأبراج المراقبة، فيذكر ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد الأندلس: أنه توجه من مدينة مريّة إلى مدينة سهيل، ويذكر أنه بعد دخوله في حوز مدينة سهيل، رأى برجاً للمراقبة هو برج الناظور، وقال في نفسه "... لو ظهر ها هنا عدو لأنذر به صاحب البرج..."^(٦٦) وبينما هو كذلك حتى شن أربعة أجفان^(٦٧) للنصارى على المدينة، ولم يكن الناظور بالبرج، ولم يطمعهم أحد بالغارة، وكانت النتيجة أن قتل فارس مسلم وتم أسر عشرة، ونجح فارس في الفرار^(٦٨).

كما قام سلاطين بني الأحمر ببناء الأبراج المختلفة حول المدن للدفاع عنها فمدينة مالقة كان بها عدد كبير من الأبراج، والتي شُبهت أبراجها ببروج السماء في كثرتها وضيقها^(٦٩)، واستمرت هذه الأبراج حتى كان تدمير أغلبها على أيدي الحملة التي عمدت إلى الاستيلاء عليها، في عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وكانت عقبة كبيرة في وجه الحملة القشتالية، إلا أن تفوق سلاح المدفعية القشتالية، الذي نجح في تدمير هذه الحصون، كان سبباً في نجاح تلك الحملة^(٧٠).

كذلك عُرف من الأبراج الغرناطية، في تلك الفترة، أبراج الطليعة أو المراقبة Torres Atalaya، وهي مأخوذة من الكلمة العربية الطليعة، وهي أبراج قام المسلمون بتشييدها على ارتفاع كبير حتى يمكن من خلالها مراقبة تحركات القوى المسيحية، وتقوية الاستحكامات حول المدن والمناطق الحربية في المملكة ومنها السواحل والموانئ. وكانت هذه الأبراج ملاذاً آمناً للمسلمين إذا ما شنت القوى المسيحية هجوماً مباغتاً عليها^(٧١) ومن أشهر أبراج الطليعة: الأبراج التي شيدت حول المدن المهمة كغرناطة والمرية ومالقة، علاوة على مدينة جيان Jaen^(٧٢) التي عن طريقها كانت تكثر الغارات القشتالية على الأراضي الإسلامية^(٧٣).

وقد عمد سلاطين بني الأحمر إلى تشييد أعداد كبيرة من هذا النوع من الأبراج، لما لها من دور حيوي في حماية المدن الإسلامية، ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول؛ شيد الحاجب أبو النعيم رضوان، عدداً كبيراً من أبراج الطليعة بطول الساحل الغرناطي، بلغ عددها أربعين برجاً، بهدف تأمين الساحل الغرناطي^(٧٤). وكانت أبراج الطليعة تلقى اهتمام العديد من القيادات المسيحية، في حربهم ضد البلاد والمدن الإسلامية، فكان القادة المسيحيون حريصين حرصاً شديداً على تدمير أبراج الطليعة، في البلاد الإسلامية، وخاصة الحدودية، لأنها كانت تعوق حركتهم وتمنع تقدمهم في الأراضي الإسلامية مرات عديدة، لما تقوم به من إبصار المسلمين بقوات النصارى عند تقدمها^(٧٥).

وقام المسلمون في غرناطة بتشييد أنواع أخرى من الأبراج، كانت مربعة الشكل، تقام بين مسافة وأخرى، وكثر تشييدها في غرناطة والمرية ومالقة، كما قاموا بتشييد أبراج مستديرة الشكل، وكان الهدف من هذه الأبراج هو زيادة الاستحكامات الدفاعية على المدن الإسلامية^(٧٦). وكان البرج يتألف من نصفين: نصف أدنى مصمت، ونصف علوي تشغله غرفة، وينفتح سطحه مع سور الممشى، وتعلو جدرانه العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى، تخصص عادة للحماية. وتروى جدران البرج، في الغالب، بمنافذ للسهم تنفتح فيه، ويغطي الغرفة في الغالب قبوات نصف كروية^(٧٧).

وعرف في عصر بني الأحمر البرج المسدس والمثلث والمتعدد الأضلاع، وهو ليس ابتكاراً إسلامياً، وإنما كان معروفاً في العمارة الرومانية والبيزنطية^(٧٨) وتأثرت العمارة الموحدية والمرابطية بالعمارة الرومانية والبيزنطية، وشيدوا أبراجاً مسدسة الشكل. كما شيد الموحدون الأبراج المثلثة الشكل، وكذلك الأبراج متعددة الأضلاع، ونقل عنهم بنو الأحمر هذه الطريقة^(٧٩).

كما شيد الغرناطيون الأبراج المربعة الشكل التي استخدموها في الدفاع، ومن أهم الأمثلة تلك الأبراج المربعة الشكل الموجودة في قصر الحمراء، والناظر إلى هذا النوع من الأبراج يجده من الداخل على شكل فراغ مكعب الشكل، يكون في الغالب جزءاً من قصر، ويدل هذا النوع من الأبراج على تداخل فن العمارة العسكري مع فن العمارة المدنية، ومنها الأبراج التي كانت تشكل جزءاً من قصر برج قمارش Comares وبرج معشوقة Machucas وبرج العفائل

Damas وكانت بعض أبراج الحمراء تشكل قصورًا كاملة، مثل برج هوميناخ Homenaje، وبرج الأسيرة Cantiva، وبرج الأميرات Infantas ^(٨٠).

وشيد الغرناطون الأبراج البرانية، وهي ابتكار موحدى الأصل، والهدف منها تدعيم السور الخارجى للمدينة أو الحى، والبرج البرانى يرتبط بالسور الأسمى عن طريق ستارة ثانوية، تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء فى أضعف مناطق السور. ومن الأبراج البرانية ما هو مربع الشكل وما هو ثمانى ^(٨١). ومن أشهر هذه الأبراج: برج السيدات، وبرج الأسيرة، وبرج مخدع الملكة، وبرج الأمراء وبرج قمارش.

وتشهد أسوار المرية على قوة تحصين المسلمين لبلادهم، فقد شيد بنو الأحمر عدد من الأبراج على أسوار المرية لحماية المدينة ضد أى هجوم مسيحي محتمل، ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم: أن الأبراج التى شيدها بنو الأحمر على أسوار المرية، كانت فى غالبيتها اسطوانية الشكل، ويرى أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى. ^(٨٢)

الأبواب:

كما أن أبواب المدن، والأحياء السكنية الكبيرة، كانت ضمن اهتمامات المسلمين بتحصين مدنهم فى العصور المختلفة، وبخاصة فى عصر بنى الأحمر، وكانت أبواب المدينة تلعب دورًا مهمًا فى إحكام غلق حلقة الدفاع، إذا ما حاول العدو الاقتراب من المدينة، واقتحامها، فهى جزء أساسى من الأسوار وتستخدم فى الدفاع والهجوم، لوجود سقطات وفتحات لرمى السوائل المحرقة وفتحات لرمى السهام على المهاجمين، ولذلك اهتم أهل الأندلس بنظام بناء أبواب المدن الإسلامية، وهى بجانب دورها الدفاعى كانت منافذ للدخول إليها والخروج منها، وكانت هذه الأبواب، فى الغالب، تسمى بأسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق مباشرة بينها وبين المدينة التى تقابلها. ^(٨٣) فمدينة غرناطة العاصمة كان بسورها أكثر من عشرين بابًا ما زالت حالة بعضها مقبولة، ومن أهم الأبواب باب البيرة Puerta de Elvira، والذى يقع شمال غربى المدينة، ومنه يبدأ شارع البيرة، الذى ما زال يحمل اسمه العربى حتى الآن، وكان ارتفاع هذا السور حوالى اثنى عشر مترًا، ولا يزال باقيا حتى اليوم ^(٨٤).

كما أن أسوار مدينة المرية كانت تحتوى على العديد من الأبواب التى كانت تمثل مداخل المدينة، أهمها باب موسى، وربما يرجع إلى أحد أعلام المدينة، وباب بجانة، وباب السودان، وباب المرى، وباب دار الصناعة، نسبة إلى دار الصناعة، وباب العقاب، وباب الزياتين، وباب البحر ^(٨٥).

ومن أهم الأمثلة لأبواب الأحياء السكنية الكبيرة: أبواب حى البيازين أكبر أحياء مدينة غرناطة، والذى شيد المسلمون حوله سورًا لحمايته، به ثلاثة أبواب كبرى محصنة أيضًا، وهى

باب البيازين Puerta de Albaicin ويقع في نهاية السور، وباب فحص اللوز أو فج اللوزة Puerta de Las Pesas وباب الزيادة Puerta de Fajalauza.^(٨٦)

القصبات

علاوة على الحصون والأسوار المشيد عليها العديد من الأبراج لحمايتها، عمد سلاطين بنى الأحمر إلى بناء وتشيد العديد من القصبات بالمدن الأندلسية، وتجديد القصبات التي تحتاج إلى تجديد وترميم، وهذه القصبات تعتبر بمثابة ملاجئ في المدن الكبرى المأهولة بالسكان، مثل المرية ومالقة ووادي آش، علاوة على العاصمة غرناطة. فيذكر المؤرخ ابن الخطيب: أن السلطان الغرناطي محمد الخامس القنى بالله، عمل على تجديد القصبات في مدن الأندلس، فيذكر أنه عمل على .. إطلاق البنى للمدة القريبة والزمان الضيق باثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو . والمشاركة الحدود، مع أراضيها المترامية النيران لقرب جوابه منها ثغر أرجونة المستولى عليه الخراب، أنفق في تجديد قصبته، واتخاذ جبهه ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب فهو اليوم شجى العدو ... وحصن آش وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج على بعد أقطاره ... ثم ختم ذلك بتجديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، ومعقل الإسلام ومعقل الملك ومعقل الأبدى وصوان المال والذخيرة، بعد أن صار قاعاً صفصفاً، وخراباً بلقاعاً...^(٨٧). وفي غرناطة العاصمة توجد قصبة الحمراء، وهي ثلاثة أقسام: القصبة الجديدة أو القسم العسكري شمالي شرق القصر، وهي عبارة عن قلعة تحرس الحمراء، ولها برجان عظيمان أحدهما يسمى برج الشمعة أو الحراسة الذي يسهر على رقاد المدينة، وفي وسط الحمراء يقع القصر الملكي، ثم الحمراء العليا التي تضم مجموعة من البيوتات كانت مخصصة للخدم والحرفيين علاوة على المسجد، ودار السكة.^(٨٨)

وتعد قصبة وادي آش، التي ما تزال باقية حتى الآن، تشهد على عظمة بناتها من المسلمين، فهي تقع فوق ريو عالية، بل هي أعلى مكان في الريف، بها برج كبير، وبرجان صغيران فيألتها، يتصلان لسور ذي مشارف عربية، كما يوجد برج رابع في زاوية منعزلة منها، وهذه الأبراج تشرف على المدينة كلها، وربما كانت القصبة هي أعلى بناء للمسلمين بوادي آش.^(٨٩)

كما أن قصبة مالقة الحصينة، والتي لا زالت أجزاء عديدة منها باقية، تشهد على حصانتها، وهي تقع على منحدر صخري قريب من البحر، وأقيمت القصبة في المرة الأولى في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، ثم جددت هذه القصبة وأعيد بناؤها في عصر باديس بن حبوس حاكم غرناطة في عصر الطوائف^(٩٠) ثم شهدت قصبة مالقة عدة تجديدات في عصر بني الأحمر، على مرات متعاقبة، منذ أواخر القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين، ولعبت قصبة مالقة دور كبيراً في تحصين المدينة أثناء حصار القشتاليين لها غداة سقوطها في أيديهم عام ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، وتضم القصبة عدة مباني منها الأبراج والأسوار، وكذلك بها أبنية سكنية، وكل هذه الإنشاءات تعود إلى عصر بني الأحمر^(٩١). وكانت

أسوار القصبة شاهقة الارتفاع، مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل، تمتد من مسافة لأخرى^(١٢). وكان بها اثنا عشر باباً، ومائة وعشرة أبراج كبيرة عدا الصغيرة^(١٣)، كما كان بالقصبة قصر فخم يسمى قصر باديس مؤسسه، علاوة على مجموعة من الدور الصغيرة، لا تقل أهميتها عن القصر، ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها ربما كانت مخصصة لكبار الزوار.^(١٤)

كما أن مدينة المرية كان بها قصبة منيعة لحمايتها تقع في الجزء الشمالي من المدينة، على ريو جبل عالية صخرية، يبلغ ارتفاع الجبل عن سطح الأرض خمسة وستين متراً، ويصعب ارتفاعه نوعيته، وهو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر أندرش وتشرف القصبة على ميناء المرية^(١٥). ووقوع القصبة على الجبل المرتفع حتى يتسنى الإشراف منها على النهر، وتمتد القصبة من الشرق إلى الغرب بطول ٥٣٠ متر، وكان يصل القصبة بوسط المدينة باب، كما كانت مزودة بباب شرقي يخرج من أسوار المدينة، وكان بها مسجد جامع لا تزال آثاره باقية حتى الآن^(١٦)، واهتم المسلمون بتلك القصبة ومبانيها وأسوارها وعملوا على تحصينها بالأبراج، حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية في تلك الفترة^(١٧).

أما عن صورة قصبة المرية فهي: عبارة عن ثلاثة مرتفعات غير متساوية، يفصل بين كل منها سور، والمرتفع الأول وهو الأعلى يقع غربي القصبة، ويتصل بسور ريش الحوض في خط يتفق مع طريق قالم اليوم، وهذا الجزء من القصبة هو معقلها المنيع، وأبراج هذا الجزء أسطوانية الشكل، أما المرتفع الثاني فيكاد يكون مربعاً منبسطاً في سطحه، وكان يشغله القصر وملحقاته، ويتصل سور ريش المصلى، والمرتفع الثالث طويل للغاية، كانت في موضعه بساتين وحدائق. وتشتمل أسوار القصبة على عدد كبير من الأبراج لحمايتها.^(١٨)

الخاتمة

خلص الباحث من هذا البحث بعدة نتائج منها:

أولاً : الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة: كان من أهم النعم التي منّ بها الله سبحانه وتعالى على أهل تلك البلاد فكانت محصنة طبيعياً إلى حد كبير، فكانت كل مدينة من مدن الأندلس تتميز بميزة في موقعها إما أن تكون محصنة من ناحية البحر فيتم إقامة سور على البحر في تلك الجهة فيأمن المسلمون شر الهجوم على مدنها من ناحية البحر، أو أنها تطل على أحد الجبال التي يحميها من الهجمات المسيحية أيضاً، أو أن نهراً من الأنهار تطل عليه المدينة فتكون في مأمن من تلك الجهة .

ثانياً : تشييد الاستحكامات الدفاعية في عصر بني الأحمر: لم يحظ باهتمام سلاطين بني الأحمر فحسب بل شارك فيه الأندلسيون كافة، وعمل العلماء والفقهاء في تلك الفترة على بث روح التعاون فيما يخص هذا الأمر، فضرب المسلمون في بلاد الأندلس أروع المثل في ذلك، كما أن سلاطين بني مرين كانت لهم بصمة في بناء الاستحكامات الدفاعية في بلاد الأندلس، وهذا قليل من كثير قنمته دولة بني مرين لدولة بني الأحمر، وكان من حسن طالع دولة بني الأحمر أنها تأسست في نفس الفترة التي قامت فيها دولة بني مرين في بلاد المغرب .

ثالثاً : تشهد العمارة الأندلسية، في عصر بني الأحمر، على أحد أهم الفنون الإسلامية وهو: فن العمارة الأندلسية التي تطورت ووصلت إلى أوج ازدهارها في بلاد الأندلس في تلك الفترة فكانت خبرة المسلمين قد ازدادت وتبلورت فضربوا أروع المثل في أعظم مبانيهم وهو: قصبة وقصور الحمراء التي لا تزال تشهد على عظمة المسلمين وروعة فنهم في تلك الفترة.

المصادر والمراجع

أولاً. المصادر العربية.

- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)
 - النفحة النسرينية واللمحة المرينية - تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر، ط ٢، ١٩٩٢ م.
- الإدرسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبئي (ت حوالي ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م)
 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨ م)
 - رحلة ابن بطوطة - بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢ م.
- الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ق ٩ هـ / ١٥ م)
 - الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤ م.
- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)
 - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٧٤ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، دار المكتشف، ط ٢، ١٩٥٦ م.
- خيرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط ١، ١٩٨٣ م.
- اللمحة الهدية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠ م.
- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط ١، ١٩٨٣ م.
- مفاخرات مالقة وسلا - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط ١، ١٩٨٣ م.
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م).
 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت بعد عام ٧٢٦ هـ)
 - الأنيس المطرب بروض القرطاس - الرباط، دار المنصور، ط ١، ١٩٧٣ م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢ م.
- الزهري: أبو عبد الله محمد (ت في أواسط ق ٦ هـ / ١٢ م)
 - كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- العمرى: شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، مجلة البدر، ١٣٤١هـ.
- المراكشى: عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٧ م)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجاني، ١٩٩٤ م.
- مجهول:
- أخبار العصر في انقضاء دولة بنى نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩١ م.
- ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م)
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريّا خوسبوس بويغرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية، ١٩٨١ م.
- المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٥٣١ م)
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وتكر وزيرها لسان الدين الخطيب - تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨ م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)
- لسان العرب - تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
- معجم البلدان - بيروت، دار صادر، ١٣٨٨ هـ.

ثانياً المراجع العربية والمعرية

- أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحصار فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط ١، ١٩٩٧ م
- أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس - الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨ م.
- صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس - الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠ م
- أندرية جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية - ترجمة محمد مزالى، تونس، الدار التونسية، ١٩٧٨ م
- أولغ غرايبار: نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإسبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٩٩٨ م.
- جيريلين دوتز: فنون الأندلس - ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط ١، ١٩٩٨ م.
- السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمطرد، ١٩٧٥ م
- البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس - بالاشتراك مع د. أحمد مختار العبادى، بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٩ م.
- تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس -، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٩ م
- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط ١، ١٩٨١ م.

- العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها - مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م
- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية، شباب الجامعة، ١٩٨٩م
- عبد الحكيم الذنون : آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م
- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م.
- محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٧م
- دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب العربي والأندلس في العصر المريني - الكويت، دار القلم، ١٩٨٥م.
- محمد كمال شيبانة : يوسف الأول سلطان غرناطة - القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م
- محمد ياسين الحموي : الأسطول العربي - دمشق، مطبعة النور، ١٩٤٥
- مونتغمري وات : في تاريخ أسبانيا الإسلامية - ترجمة محمد رضا المصري، بيروت، شركة المطبوعات، ط ١، ١٩٩٢م
- واشنطن إفرنج: - أخبار سقوط غرناطة - ترجمة هاني يحيى نصرى، بيروت، الانتشار العربي للنشر، ٢٠٠٠م
- يوسف شكرى فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر - بيروت، المؤسسة الحامدية، ط ١، ١٩٨٢م.

المصادر والمراجع الأجنبية

- Ahmad Muhtar Al-Abbadī . El Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973
- Arie: (Dr. Rachel): L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides (1232-1492) - Paris, 1973
- El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992.
- Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953
- Harvey: (L. P.): Islamic Spain (1250 - 1500) - London, 1990.
- Luis Seco de Lucena: : El Hâ'yib Ridwân, la Madraza de Granada Y las murallas del Albayzín - (AlAndalus, Madrid Y Granada), Vol. XXI, 1956
- Mackay: (Angus):-La Espana de la Edad Media (1000-1500) - Madrid, 1977.

الهوامش

- (١) معركة العقاب Las Navas de Tolosa: سميت بذلك نسبة إلى قرية العقاب التي تقع بين جيان وقلعة رياح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين. الإسلامي بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحي تنزعه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfonso VIII، وضم أيضا قوات من أراجون والبرتغال ونافار، وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. وللمزيد عن معركة العقاب انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجانين ١٩٩٤م، ص ٢٦٥، ٢٦٣.
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي، ينتمي إلى أسرة بني هود الذين حكموا سرقسطة زمن ملوك الطوائف. وهو أول من ثار على الموحدين في الأندلس ولقب بأمير المسلمين، والمتوكل على الله، وسيف الدولة، ويسميه الأسبان ذافادولا Zafadola. كانت بداية ثورة ابن هود في مرسية، ويبيع له بها في عام ١٢٢٥هـ/١٢٢٨م. ودعا للخليفة المستنصر العباسي، دخلت في طاعته معظم مدن وقواعد الأندلس بعد ذلك مثل مدينة قرطبة، وبطليوس وغرناطة. وحاول الخلفاء الموحدين القضاء على دولته لكنهم فشلوا في ذلك. وقد دامت دولته بالأندلس عشر سنين (١٢٢٥ - ١٢٢٨/١٢٣٨م). عن ابن هود ودولته انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثاني، تحقيق ليفي بروفسال، بيروت، دار المكشوف، ط ٢، ١٩٥٦م، ص ٢٧٨، الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ص ١٢٨ - ١٣٢؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر - تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٧، ص ص ٢٥١ - ٢٥٢.
- (٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري، ويلقب بالغالب بالله، ويعرف أيضاً بالشيوخ، يعود نسبه إلى سعد بن عباد سيد الخزرج، فهو بذلك من أعرق البيوت العربية، ولد في بلدة أرجونة Arjona التابعة لمدينة قرطبة، في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، وهو عام موقعة الأرك، ونشأ في تلك البلدة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٢، اللوحة البدرية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث العربي، لبنان، دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠م، ص ٣٣.
- (٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٤.
- (٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٨١ - ٢٨٢، الإحاطة، ج ٢، ص ص ١٢٩ - ١٣٢.
- (٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٨٦، الإحاطة، ج ٢، ص ٩٨، اللوحة البدرية، ص ٤٧.
- (٧) أبو عبد الله الزهرى: كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٩٦، الحميري: الروض المعمار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤، ص ص ٣٤٣ - ٣٤٤.
- (٨) الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ٩٦.

- (٩) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣، ص ص ٧٤-٧٥، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.
- (١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ص ٧٤-٧٥
- (١١) مالقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس، يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق.م في عهد الفينيقيين، والذين أعطوها اسم مالقة Malako أي المملح، نسبة إلى الأسماك المملحة التي كانت تحفظ فيها، وفي عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مالقة عاصمة الحمويين الأكراسة من ملوك الطوائف. انظر: ابن الخطيب: مفاخرات مالقة وسلا - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣، ص ص ٨٧ - ٨٩ الحميري: الروض المعطار، ص ص ١٧٧-١٧٨:
- Guillén Robles, F: Málaga Musulmana - Málaga, 2ed, 1957, Vol., I, pp.30-31.
- (١٢) أحمد مختار العبادي: صور من حياة العرب والجهاد في الأندلس - الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٧.
- (١٣) الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ٩٨.
- (١٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص ٩١.
- (١٥) العمري: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك - تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، مجلة البدر، ١٣٤١هـ، ص ٣٧.
- (١٦) وادي آتش Guadix: مدينة قريبة من غرناطة يقع في الشرق منها جبل شيلر أو جبل الثلج وتقع على ضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة الزروع والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعاب والزيتون. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص ص ٦٠٤-٦٠٥ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٤٨.
- (١٧) الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ص ٩٣-٩٤؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - الإسكندرية: شباب الجامعة، ١٩٩٧م، ص ٥١.
- (١٨) ابن الخطيب: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣، ص ٣٦.
- (١٩) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال - القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٧، ص ٢٤٢.
- (٢٠) نفس المرجع، ص ٢١٥.
- (٢١) المرية: تقع على الساحل الشرقي للأندلس، جنوب شرقي بجانة، على حافة البحر المتوسط، وهي مدينة برية بحرية، وكانت عاصمة ولاية المرية في زمن بني الأحمر. شيدها الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (الناصر) في عام ٩٤٤هـ/٩٥٦م، لتكون قاعدة بحرية. بينها وبين مالقة ٢٢٢ كم، انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ١٠١؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ٥٧ الحميري: الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٢٢) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م، ص ١٤٠.

(٢٣) أرض الفرنجة: هي بسط قرطبة وإشبيلية وطليلة وجيان، أخذ من جوف شمال الجزيرة من الغرب إلى الشرق، ومعناها بالأسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين. انظر: ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٢٩.

(٢٤) المقرئ: نفح الطيب، ج ٩، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٢٥) نفس المصدر، ج ٥، ص ٤٧٢.

(26) Ahmad Mujtar Al-Abbadl : El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973, p.132.

(٢٧) بنو مرين فخذ من أفخاذ قبيلة زناتة، تولى زعامتهم في عهد الموحدين أبو بكر بن حماسة، ثم خلفه أبو خالد محيو بن أبي بكر، الذي أصيب في موقعة الأرك عام ٥٩١هـ/١١٩٥م إصابة كانت سبباً في وفاته، وعندما دب الضعف في دولة الموحدين استقل أبو محمد عبد الحق المريني بمكناسة وتازا، ثم تدعمت أركان الدولة في عهد أبي سعيد عثمان بن عبد الحق. وفي عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م تمكن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني من إنهاء حكم الموحدين والاستيلاء على العاصمة مراكش. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس - الرباط، دار المنصور، ١٩٧٣م، ص ص ٢٧٨-٢٩٠، ابن الأحمر: النفحة النسرنية واللمحة المرينية - تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر، ١٩٩٢م، ص ص ٣١-٣٥: محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني - الكويت، دار القلم، ط٢، ١٩٨٧م، ص ص ٣٦-٣٧.

(٢٨) هو السلطان علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا الحسن، ولد في عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وتولى في ذي القعدة سنة ٧٣١هـ / أكتوبر ١٣٣١م بعد وفاة والده السلطان أبي سعيد عثمان، وتوفي السلطان أبو الحسن في عام ٧٥٢هـ / ١٣٥٢م. عنه انظر: ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريّا خوسروس بيغرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية، ط ١، ١٩٨١، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢٩) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٣٩٢.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) - Paris, 1973, p.159.

(٣٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ الإحاطة، ج ١، ص ١٥٣٧ اللوحة البدرية، ص ٩٤، ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ٣٣٧.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953, pp. 266-268.

(٣١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ص ٣٩١-٣٩٢، ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ١٢٥٦ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) - Paris, 1973, p.159.

- (٣٢) ابن منظور : لسان العرب - تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، دت، المجلد الثاني، ج١١، ص ٩٠٣.
- (٣٣) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. توفي في عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. عنه انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٣٠٤-٣٠٦، الإحاطة، ج ٤، ص ص ٣١٨-٣٢٠، محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة-القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م، ص ص ٣٠-٥٠.
- (٣٤) ابن الخطيب: اللوحة البدرية، ص ١٠٩.
- (٣٥) السلطان محمد الخامس: هو محمد بن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٣٩هـ/٢١ يناير ١٣٣٨م وتوفي في عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م وتوفي في عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م. عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٣.
- (٣٦) المقرئ: نوح الطيب، ج ٩، ص ١١٠.
- (٣٧) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٦ - ٢٤٨.
- (٣٨) عن حملة سقوط مملكة انظر : مجهول : أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١، ص ص ٩٧ - ٩٨ : مؤنقمرى وات : تاريخ أسبانيا الإسلامية ترجمة محمد رضا المصري، لبنان، شركة المطبوعات، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٥٩.
- Arié, R.: El Reino El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992, pp. 95 - 96.
- (٣٩) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ١٣٨.
- (١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٠٧.
- (١١) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢١٨-٢٢٠.
- (١٢) يوسف فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر- بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢، ص ٧٢.
- (١٣) السيد عبد العزيز سالم و أحمد مختار العبادي: البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس- بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٩، ج ٢، ص ٣٠٥.
- (١٤) Pechena: بفتح الباء ويدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف ويدها الألف نون وهي مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضاً ألس اليمن لأن الأمويين أنزلوا قبيلة بني سراج القضاعيين في هذه المنطقة وألزموهم بحراسة الساحل، بينها وبين المرية خمسة أميال . انظر : الحميري : الروض المعطار، ص ص ٧٩-٨٠.
- (١٥) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٤٧.
- (١٦) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٦٦٩.
- (١٧) نفس المصدر، ص ٦٧٢.
- (١٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.

- (٤٩) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس - القاهرة، دار النهضة، ط ١، ١٩٦٩، ص ١٣٦.
- (٥٠) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ١٧٥.
- (٥١) بعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة في عام ١٢٣٨هـ/١٢٣٨م وإعلان قيام دولته، واتخاذها من مدينة غرناطة عاصمة له، رأى أن يقيم حصناً أو قلعة تكون حامية له، فاختار الحمراء، ويقع قصر الحمراء في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة، ويعود تاريخ إنشائه إلى بداية دولة بني الأحمر، حيث أمر ابن الأحمر بإنشائه بعد استقرار الأمر له في غرناطة، وفي عهد هـ تم إنشائه القصر، وبعض الأبراج المنبوعة، وأنشأ سوراً حولها، ثم أمر ابنه محمد الثاني الفقيه باستكمال الحصن، والقصر الملكي، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبي لإنشاء قصر الحمراء، ثم أكمله ابنه محمد الخامس. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٢٩٦؛ اللوحة البدرية، ص ٤٣؛ السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص ص ٢٠٤-٢٠٦؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ص ٦٣-٦٠.
- (٥٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخالجي، ١٩٩٧، ج ٧، ص ٢٨٩.
- (٥٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٣٩٨.
- (٥٤) عبد الحكيم الذنون: آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م، ص ٨٠.
- (٥٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٢٣.
- (٥٦) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ج ٥، ص ١٥٦٢ الحميري: الروض المعطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.
- (٥٧) عن سقوط المرية انظر: مجهول: أخبار العصر، ص ١٠٠.
- L.P. Harvey: Islamic Spain 1250-1500-London, 1990., p. 304; Arié, R: El Reino Nasri, p. 100.
- (٥٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ١٤٣.
- (٥٩) عن تفاصيل الحملة الأراجونية على مدينة المرية انظر: ابن الخطيب: اللوحة البدرية، ص ١٧٥.
- ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٦٠) ابن الخطيب: اللوحة البدرية، ص ٥٦.
- (٦١) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٤٣.
- (٦٢) هو السلطان محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بني نصر، كان ضعيف البصر، لمواصله السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، باشر السياسة في حياة والده، وكان شاعراً، يقرض الشعر، ويصفى إليه. تولى في يوم وفاة والده في يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ/الثامن من أبريل ١٣٠٢م، وتوفي في آخر شهر شوال سنة ٧١٠هـ/مايو ١٣٠٩م. والملقب بالمخلوع لأنه خلع من الحكم عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ص ٥٤٣-٥٤٤؛ اللوحة البدرية، ص ٦١.
- (٦٣) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.

- (٦٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٢٤.
- (٦٥) واشنطن إرفرنج: أخبار سقوط غرناطة- ترجمة هاني يحيى نصرى، بيروت، الانتشار العربى للنشر، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٨٣.
- (٦٦) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (٦٧) والجمع أجفان، وهى سفينة حربية وتجارية. ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجفان الغزوية. وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجفان التجارية المقرى : نفع الطيب، ج ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى: الأسطول العربى- دمشق، مطبعة الترقى، ١٩٤٥، ص ٤٤.
- (٦٨) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (٦٩) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.
- (٧٠) واشنطن إرفرنج: أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤. ويضيف أن المسلمين المدافعين عن الأبراج والمتحصنين بها استعملوا فى الدفاع عنها، ولكن تمكن القائد القشتالى فرانشيسكو دى مادريد قائد قوات المدفعية من التسلل إلى البرج الأول ووضع تحته عبوة كبيرة قابلة للاشتعال، ولما نجح فى إشعال النيران فيها انفجر البرج محدثاً صوتاً قوياً ففرغ المسلمون لذلك، فاستولى النصارى على البرج ثم تقدموا نحو الأبراج الأخرى الموازية له، حتى تمكنوا فى النهاية من دخول المدينة بعد سقوط الأبراج فى أيديهم. انظر: واشنطن إرفرنج : أخبار سقوط غرناطة، ص ص ٢٨٣-٢٨٤.
- (٧١) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
- (٧٢) مدينة جيان Jaen تنطق بالفتح ثم التشديد وأخره نون، مدينة اندلسية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة البيرة Elvira، بينها وبين بياضة مسافة تقدر بـ٥٠ ميلاً انظر: الحميرى: الروض المعمار، ص ص ١٨٣-١٨٤.
- (٧٣) أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٥.
- (٧٤) ابن الخطيب : الإحاطة، ج ١، ص ١٧٠.
- (٧٥) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
- (٧٦) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس- مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م، ص ١٢٨.
- (٧٧) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
- (٧٨) السيد عبد العزيز سالم : أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمديرى، ١٩٧٥م، ص ١٥٢.
- (٧٩) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
- (٨٠) جيريلين دودز: فنون الأندلس- ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشره. سلمى الخضراء الجيوشى، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٨٨٥.
- (٨١) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها، ص ص ١٢٨-١٢٩.
- (٨٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة الإسلامية، ص ١٤٤.
- (٨٣) محمد أحمد أبو الفضل: المربة، ص ١٤٨.
- (٨٤) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ص ١٨١-١٨٢.

- (٨٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ١٩٩٢ المقرئ: نفح الطيب، ج ١، ص ١١٠١ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المربة الإسلامية، ص ١٢٥.
- (٨٦) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ١٦٨.
- (٨٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ص ٥١-٥٢.
- (٨٨) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١١٨٩ محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ١١٨٤ أولغ غرابار : نظرتان متضاريتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإيبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ص ٨٥٠-٨٥١.
- (٨٩) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ٢١٦.
- (٩٠) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩١) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٤-٢٤٣.
- (٩٢) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩٣) محمد عبد الله عنان : الآثار الإسلامية ، ص ٢٤٦.
- (٩٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩٥) محمد أحمد أبو الفضل: المربة، ص ص ١٤٢-١٤٣.
- (٩٦) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.
- (٩٧) الحميرى : الروض المعطار، ص ١١٨١ المقرئ : نفح الطيب، ج ١، ص ١٥٣.
- (٩٨) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.

موقف ابن إياس من العثمانيين

د. محمد أسامة زكي زيد (*)

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله مالك الملك على الدوام، الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بالتمام،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية
الزمان.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وادكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران ١٠٢، ١٠٣].

ثم أما بعد... المؤرخ الكبير أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، الذى توفى
عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م^(١) هو شيخ مؤرخى مصر فى زمانه. ولا تكون قد ذهبنا بعيداً إن قلنا أن
كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) الذى ينتهى بأحداث عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م، هو أهم
مصدر لتاريخ سلطنة المماليك بعد وفاة المؤرخ الكبير أبو المحاسن جمال الدين ابن تغرى بردى،
صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) الذى توفى عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.

ولابن إياس مصنفات أخرى منها (نزهة الأمم فى العجائب والحكم)، (تشقى الأزهار فى
عجائب الأقطار) (عقود الجمان فى وقائع الزمان)، (الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة)^(٢). وبالرغم
من مكانة ابن إياس العلمية إلا أن من خلفه من المؤرخين لم يهتموا بالترجمة له فى كتبهم، فلم
يترجم له نجم الدين الغزى فى (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ولم يترجم له عبد القادر
العيروس فى (النور السائر عن أخبار القرن العاشر)، ولم يترجم له ابن العماد الحنبلى فى
(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)، لذلك فنحن لا نعرف عن ابن إياس القليل، ومن ذلك ما بن
برقوق، وأما والدى فإنه عاش من العمر نحواً من أربع وثمانين سنة وجاءت من الأولاد خمسة

(*) باحث.

وعشرون كتبه هو عن نفسه في ذكر خبر وفاة والده في شعبان عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م فقال ما نصه^(٣٧): (وفي يوم الجمعة ثالث عشره توفي والدي المرحوم الشهابي أحمد بن المرحوم إياس الفخري من جنيد، وكان أصله من مماليك الظاهر برفوق، وقرر دوا دار ثانی في دولة الناصر فرج ولداً ما بين ذكور وإناث غير المسقوط، وعاش له من ذلك ثلاثة صبيان وبناتاً وكان كثير العشرة للأمرأء وأرباب الدولة رحمة الله عليه، وكان من مشاهير أبناء الناس)^(٣٨).

وقد عاصر ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وشهد زوال السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م، ودون الوقائع والأحداث بتفصيلاتها في الجزء الخامس من تاريخه (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، وكان آنذاك في العقد الأخير من عمره وقد بلغ مبلغاً من الحكمة والعلم وسعة الإدراك، وقد ذم ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وذم السلطان سليماً الأول خاصة، ورجال الدولة العثمانية عامة بغير حق في كثير من الأحيان، فمن يطالع الجزء الخامس من كتابه المذكور بعناية وتدقيق نظر سيتبين له أن ابن إياس الذي بدأ كتابة تاريخه وفقاً لمنهج يتسم بالحياد وحسن التحقيق وكمال التدقيق، استصعبه حتى نهاية الجزء الرابع، قد فقد شيئاً من حياده وإنصافه في تدوينه للجزء الخامس المتعلق بوقائع الفتح العثماني لمصر والشام، والسنوات الأولى من الحكم العثماني في مصر. ولست أرى ما إن كان ابن إياس مدركاً لحال العالم الإسلامي آنذاك، ومدركاً لضرورة وحتمية ما قام به السلطان سليم الأول من إعادة توحيد بلاد المسلمين لمواجهة الأخطار الثلاثة التي تكاثرت عليهم في آن واحد، أم أنه كان غافلاً عن ذلك فظن أن الفتح العثماني لمصر والشام ما هو إلا بغى وعدوان غاشم !! وقبل أن أقدم الأدلة على تحامل ابن إياس على العثمانيين ينبغي توضيح حال قلب العالم الإسلامي قبيل الفتح العثماني لمصر والشام، والذي دفع السلطان سليماً للقيام بفتوحاته.

فبعد أن استولى الإسبان والبرتغال على الأندلس وطردوا المسلمين منها توجهت أنظارهم إلى سائر بلاد المسلمين وطمعوا فيها وعزموا على أخذها، ففي عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م تم توقيع إتفاقية (توردي سيللاس) بين إسبانيا والبرتغال برعاية البابوية في روما لاقتسام أجزاء من بلاد المسلمين بينهما لتلا بختلفوا، فقد حصلت إسبانيا على المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وحصلت البرتغال على المغرب الأقصى والساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي وبموجب ذلك شن الإسبان والبرتغال حروباً على تلك البلاد طالت سنوات عديدة، ولم تكن الروح الصليبية غالبية عن الأوروبيين يومئذ، بل كانت أهدافهم تنطلق من تلك القاعدة، وقد أرسل كريستوفر كولومبوس رسالة إلى ملكي إسبانيا فردناد وإزبيللا عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م يطلب منهما تجهيزه بحملة عسكرية للاستيلاء على بيت المقدس^(٣٩). وكان الإسبان والبرتغال آنذاك أقدر دولتين في أوروبا على الاضطلاع بمهمة تجهيز الحملات الصليبية على المسلمين لأنهما كانتا الأكثر تطوراً بفضل ما آل إليهم من تراث المسلمين في الأندلس. ولكن بفضل من الله وإحسان باءت جهودهم بالفشل، وتلاشت أحلامهم، وتحطمت تلك الموجة العاتية من الحملات الصليبية على صخرة آل عثمان " بفضل من الله الكريم المنان ".

فوفقاً للاتفاقية المذكورة قام الإسبان بالاستيلاء على بجاية^(٦) ثم وهران^(٧) في عام ١٥١٣م/ ١٥٠٧م ثم على طرابلس الغرب^(٨) عام ١٥١٦م/ ١٥١٠م، وقد عمدوا إلى التتصير الجماعي أو الإبادة الجماعية لأهل تلك البلاد، وقد نقل (شارل فيرو)^(٩) نص خطاب فرناند ملك إسبانيا إلى الكونت (بترودى تافارا) وهو في طريقه إلى الاستيلاء على طرابلس، وقد جاء فيه: (سبق وأن ذكرتم لي في خطاباتكم مراراً أننا إذا ما أردنا أن نحافظ على وجودنا في إفريقيا، فإنه يتحتم علينا أن نحتل مدن وهران وبجاية وطرابلس، وفي حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يتوجب علينا أن نعرها برمتها بالتصاري وإلا فإن المغاربة بما أنهم يسودون بقية مناطق البلاد، إذا ما سمحنا لهم بالسكن في مدن الساحل فإنه سيستحل علينا أن نحفظ بما احتلناه وقتاً طويلاً. وإذا فإن انتظاراً لما هو أفضل، يتحتم أن تصكر في المدن الثلاث المذكورة حامية كبيرة من النصاري وألا يسمح لأي مغربي أن يطأها). وقد علق فيرو على ذلك بقوله: (وتبعاً للبرنامج الملكي الذي وضعه فرناند ملك إسبانيا والذي سبق لجانب منه أن نفذ باحتلال مدينتي وهران وبجاية فإن جميع الطرابلسيين قد طردوا من مدينتهم وهدمت فيها المنازل والمباني العامة كلية)^(١٠). قلت: ولا ريب أن الإسبان كانوا بخططون لمد ملكهم إلى بنى غازي، ثم الإسكندرية، ثم دمياط ثم العريش وربما لأبعد من ذلك.

أما البرتغال فبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م/ ١٤٩٠م أصبحوا ملوكاً على الساحل الإفريقي للمحيط الأطلسي، كما أسسوا لهم قواعد في الساحل الغربي للهند المسمى ساحل ملبار وتعرضوا للمسلمين ونكلوا بهم وسبوا دينهم ومنعوا قوافل الحج من الخروج، وأحرقوا المساجد والمصاحف، وكل ومن كان يتصدى لهم من المسلمين لا يناله إلا التعذيب أو القتل^(١١) ثم استولوا بعد ذلك على جزيرة سقطرى^(١٢) عند مدخل خليج عدن، ثم امتد نشاطهم إلى الخليج العربي فاستولوا على قلهات^(١٣) ومسقط^(١٤) وهرمز^(١٥) في عام ١٥٠٧م/ ١٥٠٧م^(١٦). وباستيلائهم على جزيرة سقطرى دخلوا البحر الأحمر وتعرضوا لسفن المسلمين وهاجموا سواحل الحجاز، كما أصبح بإمكانهم إغلاق البحر الأحمر إغلاقاً تاماً ومنع السفن القادمة من الهند من الدخول فيه، وقد ذكر ابن إياس في عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م أن البضائع لها ست سنوات لم تصل من الهند إلى جدة^(١٧). ثم استولى البرتغال على جزيرة كمران^(١٨) في جنوب البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م. وكانت الدولة العثمانية آنذاك تقدم المساعدات العينية والفنية للمماليك حتى يتمكنوا من التصدي للهجمات البرتغالية، وقد استمر ذلك الدعم العثماني لعدة سنوات في عهد السلطان بايزيد الثاني^(١٩)، وابنه السلطان سليم الأول إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري، كما سبأى بيته، ولكن الغوري وإن كان قد حقق انتصارات في بداية الأمر إلا أنه أخفق في النهاية في طرد البرتغال من البحر الأحمر، ولعل السبب في ذلك أن دولة المماليك كانت قد بلغت آنذاك حدّاً من التدهور والانحيار لا تجدى معه أى محاولات لإصلاحها والنهوض بها، وأياً كانت الأسباب فإن الأمر لم يكن خطراً على السلطنة المملوكية فحسب بل على العالم الإسلامي كله، إذ جرى تطويق بلاد المسلمين من الشمال والجنوب.

وفي نفس الوقت كان هناك خطر ثالث يهدق بالعالم الإسلامي لا يقل عن الخطر الأوروبي ذي الدوافع الصليبية، ألا وهو خطر الرافضة^(٢٠) في فارس فقد ظهر الشاه إسماعيل الصفوي^(٢١) واستولى على تبريز^(٢٢)، ثم فرض فيها عقيدة الشيعة الاثنى عشرية على الناس قهراً، وسعى لتشرها خارج فارس، فاجتاح العراق ودخل بغداد عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م^(٢٣). وقد قال عنه النهر والي: (كاد أن يدعى الريفية، وكان يسجد له عسكره ويأتمرون بأمره وقتل خلقاً لا يحصون ينوف على ألف ألف نفس، بحيث لا يعهد في الإسلام ولا في الجاهلية ولا في الأمم السابقة من قتل ما قتله شاه إسماعيل، وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم في بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة، وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها)^(٢٤).

وفي عام ٩١٧هـ/١٥١١م. أشعل الشاه إسماعيل تمرداً في الأراضي العثمانية في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يسمى شاه قولي، جمع حوله بعض الأسافل والرعاع ممن استجابوا لدعوته، وصاروا يهجمون على البلاد يقتلون وينهبون ويسلبون من لا يستجيب لعقيدتهم الفاسدة، وقد تصدى لهم وحدات من الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم على باشا، فانتصر عليهم إلا أنه قتل في المعركة، وبعد بضعة أشهر رعى الشاه إسماعيل تمرداً آخر في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يدعى نور على خليفة، ومعه بعض الأسافل والرعاع ففعلوا كما فعل سلفهم^(٢٥).

فهذه الأخطار الثلاثة، الخطر الإسباني من الغرب، والخطر البرتغالي من الجنوب، والخطر الصفوي الرافضي من الشرق، تكالبت على قلب العالم الإسلامي في نفس الوقت - انظر الخرائط في آخر البحث - والأنكى من ذلك أن الصفويين تحالفوا مع البرتغال في عام ٩٢١هـ/١٥١٥م عن طريق دى البوكيرك نائب ملك البرتغال في المستعمرات الهندية الذي كان مقيماً بالهند آنذاك^(٢٦). الأمر الذي مكن البرتغال من إحكام الحصار على قلب العالم الإسلامي بإغلاق طرق التجارة الثلاثة :

أولاً : طريق البحر الأحمر الذي كان عماد الاقتصاد لدولة المماليك، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى السويس عن طريق البحر الأحمر ثم تنقل برّاً إلى القاهرة، ثم تنقل عبر النيل إلى الثغور على البحر المتوسط كرشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية^(٢٧). وكانت سفن البنادقة والجنوية تحمل البضائع من تلك الموانئ وتعود بها إلى أوروبا الغربية وكذلك كانت السفن العثمانية تحمل تلك البضائع إلى موانئها في اليونان وأوروبا الشرقية. فإغلاق البرتغال للبحر الأحمر سدّ ذلك المنفذ التجاري الهام.

ثانياً : طريق الخليج العربي، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى البصرة عبر الخليج، ثم تحمل عبر نهري دجلة والفرات، ثم تحمل برّاً إلى الثغور الشامية على البحر المتوسط، ثم تحملها سفن

البنادقة والجنوية والعثمانية على النحو الذى سبق، أو كانت تبحر فى نهر الفرات إلى جنوب الأناضول. وهذا الطريق قد أغلقه البرتغال أيضاً بقاعدتهم فى هرمز وتحالفهم مع الصفويين.

ثالثاً : الطريق البرى من الهند إلى الثغور المملوكية فى الشام و الثغور العثمانية فى الأناضول فقد أغلقه الصفويون من أرض فارس وأذربيجان^(٢٨).

هكذا حوَصِر اقتصادياً أكبر وأهم دولتين فى العالم الإسلامى آنذاك، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، وبالتطبع لم تكن السلطنة المملوكية قادرة على التصدى لفق تلك الحصار لما أصابها من وهن وضعف وتدهور، وما كانت لتستطيع أن تقود المسلمين لمواجهة تلك الموجة من الحملات الصليبية، فكانت السلطنة العثمانية هى المعول عليها فى ذلك الشأن، وكانت الدولة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد تقدم الدعم العينى والغنى للإخوة عروج وخضر وإسحاق وحسن، فى تصديهم للسفن الإسبانية فى البحر المتوسط، وكان يتولى تلك الأمر الأمير قورقد بن بايزيد الذى قدم لهم سفينتين حربيّتين عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م فتمكنوا من من إحراز انتصارات كبيرة^(٢٩). كما قدمت السلطنة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد الثانى وابنه السلطان سليم الأول مساعدات كبيرة للسلطنة المملوكية للتصدي للبرتغال فى البحر الأحمر وفى البحار الهندية. ففى عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قال ابن إياس : (حضر إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان، وقد ترجعوا كمال هذا بتراجم عظيمة بأنه لا يكمل ولا يكمل من الجهاد فى الفرنج ليلاً ونهاراً حتى أعصى الفرنج أمره، وأنه رأس المجاهدين المرابطين فى الإسلام)^(٣٠).

قلت : وكمال المذكور هو الرئيس كمال، أحد أشهر رجال البحرية العثمانية. وهو أول من ثبت المدافع بعيدة المدى على السفن، وصاحب المعارك البحرية الشهيرة فى المورة، وصاحب الغارات على السواحل الإسبانية، ولا ريب أن حضوره إلى مصر كان لتقديم النصيح والمشورة للبحرية المملوكية فى حروبها ضد البرتغال. وفى عام ٩١٦هـ/١٥١٠م قام السلطان بايزيد بإرسال المساعدات العسكرية التى طلبها السلطان الغورى، فقد قال ابن إياس : (فكان من جملة ذلك محاحل سبقيات العدة ثلاثمائة ونشاب ثلاثين ألف سهم، ويارود مطيب أربعون قنطاراً ومقانيف خشب العدة ألف مقذاف، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال وسلب ومراسى حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب فشكره السلطان "الغورى" على ذلك، وكان السلطان أرسل مالا على يد بونس العائلى إلى بلاد ابن عثمان ليشتري له أخشاباً ونحاساً وحديداً، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهز ما ذكرناه من عنده تقبلة للسلطان)^(٣١) وقد قال السلطان بايزيد : (هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة)^(٣٢).

وبعد أن توفى السلطان بايزيد الثانى ظل الدعم العثمانى للمماليك قائماً، فقد ذكر ابن إياس فى أحداث رمضان من عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أى بعد سبعة أشهر من ولاية السلطان سليم الأول : (حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربى، وكان السلطان "الغورى" أرسله إلى

بلاد ابن عثمان ليشتري أخشاباً وحبال ومكاحل ونحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدة مكاحل ونحاس وحديد وأخشاب وحبال وغير ذلك أشياء كثيرة في مراكب موسوقة^(٣٣).... وفي صفر عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري ذهب إلى السويس لمتابعة خروج الأسطول لقتال البرتغال فقال ابن إياس : (وكان جماعة ابن عثمان هناك نحواً من ألفي إنسان... وكان الرئيس سلمان العثماني هو الشاد على عمارة تلك الأغربة وهو المشار إليه)^(٣٤). لعل في تلك النقول عن ابن إياس ما يبطل قول بعض أساتذة التاريخ أن السلطان سليماً لما تولى السلطنة منع المساعدات التي كان يرسلها أبوه للمماليك.

وبالرغم من تلك المساعدات العثمانية الكبيرة للسلطنة المملوكية إلا أنها لم تفلح في دفع الخطر البرتغالي، والألنكي من ذلك هو تحالف المماليك مع الصفويين، فلما توجه السلطان سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوي في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، قام على دولات أمير دلفادر^(٣٥) التابع للمماليك والذي يتولى إمارته بتقليد من السلطان المملوكي بقطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني، وقد ذكر ابن زنبيل الرمال أن السلطان الغوري شكر على دولات على ذلك وأرسل إليه يقريه على قتال السلطان سليم^(٣٦)، كما ذكر ابن إياس وغيره أن على دولات اشتبك مع فرقة من الجيش العثماني ونهب ما معهم^(٣٧)، كما ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري أرسل أفيالاً إلى الشاه إسماعيل سرا^(٣٨)، وذكر آخرون أن قطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني كان بأمر السلطان الغوري نفسه^(٣٩) ومن جهة أخرى عثر رجال السلطان سليم على جواسيس تحمل الرسائل بين الغوري والصفوي بما يفيد التحالف بينهما لقتال السلطنة العثمانية، قال ابن طولون الدمشقي عن السلطان سليم : (أنه أطلع على مطالبات من سلطاننا "الغوري" إلى الخارجي إسماعيل الصفوي "الصفوي" يستعينه على قتال ملك الروم سليم خان على يد البهلوان أحد جماعة سلطاننا)^(٤٠). وقد ذكر د. محمد حرب أن الخطاب موجود حالياً في متحف طوب قبو في اسطنبول^(٤١).

هنا أدرك السلطان سليم الأول أنه ينبغي عليه أن يتصدر لمواجهة كل تلك الأخطار التي تحدى بقلب العالم الإسلامي منفرداً، كما أدرك أنه لا سبيل لذلك إلا بإعادة توحيد بلاد المسلمين، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتم إلا بإزالة دولة المماليك. والمقام هنا لا يتسع للتفصيل في تلك المسألة، وقد أفردت مبحثاً بعنوان: (لماذا وجب إزالة دولة المماليك) في كتابي منهل الظمان لاتصاف دولة آل عثمان (٢٨١-٢٦١/٢) فليرجع إليه من شاء التفصيل.

وقد تلقى المظان سليم رسائل استغاثة من بعض بلاد المسلمين، فقد أرسل إليه شيوخ العشائر الكردية في شرق الأناضول رسالة جاء فيها : (نرجو قيامكم بمساعدتنا نحن المخلصين لكم. إن بلدنا قريب من ديار "قرل باش" ^(٤٢) وهم جيران لنا بل بلدنا مختلط، وكم من سنوات مضت قام هؤلاء الملحدون فيها بهدم بيوتنا وبالقَتال معنا كل ذلك بسبب محبتنا لسلطان المسلمين، ونحن ننتظر من عطفكم ومن شفقتكم القيام باتخاذ هؤلاء الناس الصائقي الإيمان من هؤلاء الظالمين ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف في وجه هؤلاء ومقاومتهم)^(٤٣)

كما أرسل وجهاء وأعيان حلب، منهم القضاة الأربعة، رسالة إلى السلطان سليم، وأصلها موجود في متحف (طوب قيو) باصطنبول برقم ١١٦٣٤ جاء فيها : (... وجميع أهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم بمجرد أن تضع أقدامكم في أرض عينتاب^(٤١) خلصنا أيها السلطان من يد الحكم الجركسي احمنا أيضاً من يد الكفار قبل حضور التركمان، وليعلم مولانا السلطان أن الشريعة الإسلامية لا تأخذ مجراها هنا...)^(٤٢).

فبدأ السلطان سليم بضم بلاد الأكراد في شرق الأناضول، وانتصر انتصاراً ساحقاً على الشاه إسماعيل الصفوي، ثم ضم الشام ومصر، وإبان إقامته بمصر جاءت البيعة من الحجاز، كما دخل في طاعته جزء من اليمن، كما أرسل السلطان سليم مساعدات عسكرية للأخوين عروج وخضر في الجزائر، الذين كانوا يتصدیان للحملة الإسبانية هناك فتمكن خضر من صد هجوم الإسبان على الجزائر وأعلنها تابعة للسلطنة العثمانية، كما تمكن السلطان سليم إبان إقامته بمصر من طرد سفن البرتغال من البحر الأحمر وأعاد الملاحة إليه^(٤٣) بعد توقف دام تسع سنوات منذ عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م^(٤٤). وفي عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل أهالي الجزائر رسالة إلى السلطان سليم، وقع عليها القاضي والخطيب والأئمة والأعيان، وهي محفوظة بمتحف طوب قيو في ااصطنبول برقم ٦٤٥٦^(٤٥) يطلبون فيها أن تكون الجزائر إيالة عثمانية حماية لها من الإسبان، وقد جاء في تلك الرسالة : (نحن نود أن نكون من أتباع الدولة العثمانية وأن تبقى ضمنها كولاية. وإذا كان من الممكن فنرجو أن تعينوا خضر رئيس والياً علينا). فاستجاب السلطان سليم لذلك ومنح خضر الذي أصبح يسمى خير الدين رتبة باشا ورفع الجزائر من لواء إلى إيالة. وجعل خير الدين أمير أمرائها، وأرسل له مدداً من عتاد حربي، وألقى جندي وأربعة آلاف من متطوعة الأناضول^(٤٦)، ثم بدأ رحمه الله في تجهيز حملة بحرية لفتح جزيرة رودس التي كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا (الإسبانية) آنذاك وكانت مركزاً للصليبيين للهجوم على سفن التجار والحجاج المسلمين، إلا أن الموت لم يمهلهم وتوفي رحمه الله عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م. وكان ابنه السلطان سليمان خير خلف له فأتم جهاد أبيه وفتحها عام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م، كما أسس قاعدة بحرية في جزيرة كمران عند باب المندب في جنوب البحر الأحمر لصد أي هجوم بحري عليه، وقد أشرف عليها الرئيس سلمان وأسند قيادتها إلى الرئيس صفر^(٤٧)، وتوالت بعد ذلك الانتصارات البحرية على البرتغال والإسبان والبنادقة في البحر المتوسط والبحار الهندية، مصحوبة بانتصارات برية في المعر والنمسا وفارس والقوقاز على مدار القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

فمن هذا المنطلق يمكن أن نقطع بأن العمليات الحربية للسلطان سليم التي أثمرت توحيداً لمباحات شاسعة من بلاد المسلمين ظلت قروناً مديدة تنبثق إليه، قد هيأت الساحة للتصدي لتلك الموجة الجديدة من الحروب ذات النزعة الصليبية على المسلمين، وقد انتصر المسلمون فيها إنتصارات ساحقة تفوق انتصاراتهم في موجات الحملات الصليبية الأولى. ولو لم يقم السلطان سليم بذلك لتجحت مخططات الصليبيين ولاختلق العالم الإسلامي كله من الحصار

التجارى الذى فرض عليه، وتسقطت بلاد المسلمين فى أيديهم واحدة تلو الأخرى، ولاستولى الإسبان على شمال مصر، وربما امتد نفوذهم إلى الساحل الشامى واحتلوا بيت المقدس، ولاستولى البرتغال على جنوب مصر وشرقها وعلى الحجاز أيضاً، ولاستولى الصفويون على الشام والأناضول، وأما ما تبقى من السلطنة العثمانية فكان سيقتسمه الأوروبيون فيما بينهم، ولتغير مجرى التاريخ كله، وربما بقيت أجزاء من بلادنا تحت الاحتلال الأوروبى حتى الآن، فإن ميناء " صبيته " المغربى الذى استولى عليه البرتغال عام ٨١٧هـ/ ١٤١٤م^(١١) ثم تنازلوا عنه بعد ذلك للإسبان مازال تحت الاحتلال الإشبانى حتى الآن، " نسأل الله أن يردها علينا ". وعلى هذا فإن فتوحات السلطان سليم الأول قد أجلت سقوط الكيان السياسى للإسلام المتمثل فى الخلافة الإسلامية مدة أربعة قرون كاملة، فكان سقوطها فى القرن الرابع عشر الهجرى/العشرين الميلادى عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، واستولت الدول الأوروبية على البلاد الإسلامية بعد سقوط الكيان السياسى الذى كان يجمعها، ومنئذ بدأت مراحل نقض عرى الإسلام كما نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَتَنْقُضَنَّ عِزَّ الْإِسْلَامِ عِزَّةً عُزَّةً، فَكُلَّمَا انْقَضَتْ عُزَّةٌ تَشَبَّهَ النَّاسُ بِالنَّبِيِّ تَلْبِهَا فَأُولَئِهِمْ نَقْضًا : الْخُفْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ)^(١٢).

والسؤال الهام الذى يطرح نفسه فى هذا البحث، هل كان ابن إياس مدركاً لحقيقة حال العالم الإسلامى آنذاك ؟! هل كان مدركاً لتلك الأخطار المحدقة به، ومدركاً لعجز سلطنة المماليك عن التصدى لها ؟! بل هل كان مدركاً أن وجود سلطنة المماليك فى حد ذاته كان عقبة كبرى فى سبيل التصدى لتلك الأخطار ؟! لأنك ترى أن ابن إياس شن الغارة على العثمانيين وعلى السلطان سليم بصفة خاصة بسبب فتحه مصر والشام، مع العلم أن ذلك لم يكن موقف سائر المؤرخين المعاصرين له من رعاية السلطنة المملوكية نفسها، كابن طولون الدمشقى، وأحمد بن الحمصى، وأحمد بن زنبيل الرمال، وغيرهم كعلى بن محمد الأشبيلى. ففى سرد ابن إياس لتلك الوقائع ترى أنه قد فقد حياده وإنصافه المعهود عنه. فهل كان ابن إياس غير مدرك لمدى خطورة الأمر، فاعتبر الفتح العثمانى لمصر والشام وإزالة دولة المماليك، عدواناً مجرداً من السلطان سليم ليس له ما يبرره، وأنه محض طمع ورغبة فى السيطرة والاستحواذ ؟! أم أنه كان مدركاً لخطورة الأمر ولكنه تعصب لأبناء جلدته تعصباً أفقده حياده وإنصافه ؟!.

والحق أننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال لأنه أمر متعلق بالنوايا والنوايا محلها القلوب ولا اطلاع لأحد عليها، ولكن ما نستطيع أن نقطع به هو أنه فقد الإنصاف والحياد فى تدوينه لوقائع تلك الفترة، فمن يقرأ الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس بعناية يتبين له أنه كان شديد التحامل على العثمانيين، إلى حد أنه لم يتوان عن تدوين أى شائعة تدبتهم أو تحط من قدرهم دون أن يتأكد من صحتها، فإن كثيراً من الأخبار التى سجلها عليهم كان يصدرها بقوله (أشيع)، (قيل)، أو كان يذيلها بقوله (هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك) أو بقوله : (ولم تتأكد صحته) فأغلبها شائعات ولم يكن هذا منهج ابن إياس فى كل تاريخه بل

فى ذلك الجزء الأخير فقط، وهو المتعلق بالفتح العثمانى لمصر والشام فيحتمل أن يكون بغضه للعثمانيين قد جعله يقبل على تدوين أى شائعة تدينهم، ولكن أمانته العظمى أبت عليه إلا أن يذكر صراحة أنها شائعة أو خبر لم يتأكد من صحته، ولكنه بذلك أوقفنا فى إشكال كبير، لأن كثيراً من الباحثين ينقلون عنه تلك الشائعات على أنها حقائق تاريخية، وهذا ظلم بين بلا شك، لذلك فإن المؤرخين الذين جاءوا من بعده كابن أبى السرور البكرى (ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) قد تجنبوا ذكر كثير من الأخبار التى أوردها ابن إياس فى تاريخه أما إبراهيم بن عامر العبيدى (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) فعندما تعرض للفتح العثمانى أثر أن ينقل رواية ابن زنبيل رغم ما فيها من تحيز للمماليك، فقد قال العبيدى : (وأحببت أن أخلص ما ذكره صاحب القانون العلامة أحمد بن زنبيل وإن هو معرض لجانب الجراكسة، يكاد تعبيره ينصرهم)^(٢٠)، وكان العبيدى بنيه أحباتاً على الأباطيل ويفتدها.

أدلة تحامل ابن إياس على العثمانيين :

أولاً : أنه كان يذكر كثيراً من الأقوال المتناقضة دون أن يبالى، ومن ذلك قوله فى ذم السلطان سليم : (ولما طلع ابن عثمان إلى القعة احتجب عن الناس، ولم يظهر لأحد وينصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأخذ أموال الناس بغير حق، وكان هذا على غير القياس، فإنه كان يشاع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان وهم فى بلادهم قبل أن يدخل سليم شاه إلى مصر فلم يظهر لذلك نتيجة)^(٢١).

قلت : هذا الكلام ذكره ابن إياس واتهم فيه السلطان سليم بمجافاة العدل وعدم الفصل فى الخصومات بالرغم من أنه هو نفسه فى مواضع أخرى من كتابه قد دون عدة وقائع تنفى ذلك عن السلطان سليم وعن وزرائه منها :

١- قال ابن إياس : (قبض الوالى على شخص من العثمانية قيل أنه اختطف امرأة من السوق وزنى بها، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالى أن يقطع رأسه، فقطع رأسه فى الحال وطاق بها فى القاهرة وهى على رمح، فظهر من ابن عثمان فى ذلك اليوم بعض عدل، فقل أن يعتبروا بقية عسكره ويكفوا عن الأذى)^(٢٢).

٢- ازداد عدوان العريان على قرى الشرقية، فأرسل السلطان سليم عدداً من الجنود على رأسهم الأمير المملوكى جان بردى الغزالى^(٢٣)، وفى ذلك دلالة على أن السلطان سليماً كان يهتم بأمر العامة ويحرص على مصالح الرعية وإلا فإنه كان بوسع أن يترك العريان يعتدون على القرى، فأى ضرر يعود على جنوده من ذلك ؟! وقد روى ابن إياس نفسه تلك الواقعة وفى ذيلها ما يؤكد أيضاً حرص السلطان سليم على الرعية، إذ أن جان بردى الغزالى لما دخل الشرقية أفسد فيها وأسر بنات وصبيان وأبقار وأغنام، وباعهم فى القاهرة بأبخس الأثمان، فكان الذى حال دون ذلك هو يونس باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم، قال ابن إياس : (ثم إن يونس باشا نادى فى القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام يرده على

أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام جان بردي الغزالي على فعله في الشرقية^(٥٧). فإن قيل : إن كان السلطان سليم عادلاً حقاً فكان ينبغي عليه معاقبة جان بردي الغزالي، وأن نوم يونس باشا له غير كاف، يقال : إن السلطان سليماً كان في حاجة إلى هؤلاء الأمراء المماليك لاستخدامهم في إدارة البلاد كمرحلة انتقالية من الحكم المملوكي إلى الحكم العثماني، لأن مصر بلد كبير لها نظام مالي وإداري معقد الأمر الذي حتم على العثمانيين أن يستخدموا المماليك في إدارة البلاد إلى أن يستوعبوا نظام البلاد وأسرار إدارتها وسياتى الحديث عن ذلك بمزيد تفصيل في نهاية البحث.

٣- بعد شهر من خروج السلطان سليم من مصر عادلاً إلى اصطنبول تم ضبط خمسة من الجنود العثمانيين يتعرضون للناس في الطرقات ويخطفون النساء والصبيان، فتم توقيع العقوبة الشديدة عليهم قال ابن إياس : (قلما قبض عليهم، رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن يشنقوا، فشنق منهم اثنان على باب زويلة، وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنان الآخريان فقد شفع لهما من الشنق ذلك اليوم فسجنا)^(٥٨).

فإن قيل إن استثناء اثنين من العقاب أمر بجافي العدالة، يقال إن الجريمة المذكورة تستوجب حد الحرابة لأنها تدخل تحت قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُخَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة ٣٣]. وقول جمهور العلماء في الآية أن (أو) هنا للتوزيع على حسب الجريمة، فمن قتل وأخذ المال يقتل ويصلب ومن قتل دون أن يأخذ المال يقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل تقطع يده ورجله من خلف، ومن خاف السبيل ولم يأخذ المال يفي من الأرض، والفي هو الحبس في أحد القولين. فلعن الاثنين الذين سجنا كاتا من الصنف الأخير.

٤- الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي كان مقيماً بالقاهرة وأخذه السلطان سليم إلى اصطنبول، قام ذلك الخليفة بحرمان أولاد عمه خليل من نصيبهم في إقطاع الخلافة في مصر، فرفعوا أمره للسلطان سليم، فأرسل قاصداً (مندوباً) من عنده إلى القاهرة ليقسم إقطاع الخلافة بينهم بالعدل، وقد سجل ابن إياس نفسه هذه الواقعة فقال عن السلطان سليم : (فحق من الخليفة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالسوية. فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك، فلما حضر القاصد رسم على مباشري الخليفة وعلى دوايره بردي بك وقال لهم : قيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات أبوهم وإلى الآن، واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب ذلك، وانتصفت أولاد خليل على الخليفة غاية الإنصاف)^(٥٩). وهناك وقائع أخرى يضيق المقام عن ذكرها، ولكنها تليد اهتمام السلطان سليم ووزرائه بالرعية وبالفصل في الخصومات وإشاعة العدل وقد أوردها ابن إياس نفسه في تاريخه، ومع ذلك يعد في كثير من الأحيان إلى وصف السلطان سليم خاصة،

ورجال دولته عامة بالظلم والتعدي، وعدم الحرص على إشاعة العدل بين الناس، فنتعجب من ذلك التناقض.

ثانياً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن ينسب إليهم تأمين طريق الحج. بعد أن كان محفوظاً بالمخاطر في أيام السلطان المملوكي قاتصوه الغوري، إلى حد أن تم منع خروج قوافل الحج من الشام أربعة أعوام متتالية^(١٠)، أما قوافل الحج من مصر فقد منع خروج النساء فيها لبضعة أعوام، وفي أحد الأعوام لم يخرج الحج أصلاً لا رجالاً ولا نساء، وكان ذلك بسبب الفتن في مكة وتعديات العريان على الحجاج^(١١). فقد كانت السلطنة المملوكية آنذاك قد بلغت حداً من التدهور والاحتلال لم تعد قادرة معه على تأمين قوافل الحج، أما في العصر العثماني فكان الأمر بخلاف ذلك، فعن موسم الحج في عام ٩٢٥ هـ قال ابن إياس : (دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف، وأمير الحاج الأمير برسباي، وقد أثنوا عليه الحجاج خيراً فيما فعله في طريق الحجاز وأخير الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق)... وفي موسم حج عام ٩٢٦ هـ قال : (دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جاتم أمير ركب المحمل... وتعرضت لهم جماعة من العريان في الطريق، فاتفقوا مع الأمير جاتم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة، فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جاتم، وأثنوا عليه كل جميل، وشالوا له الرايات البيضاء في بركة الحاج) وفي موسم عام ٩٢٧ هـ قال ابن إياس: (ولما رجع الحاج أثنى على الأمير جاتم أمير الحاج بكل جميل في حفظه للحجاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف)^(١٢).

أما عن الحج الشامي ففي عام ٩٢٤ هـ تمكن أمير الحج من الانتصار على العريان الذين تعدوا على الحجاج بسبب حسن تجهيز الجنود، قال ابن طولون دمشقي : (العرب من آل دغيم وقفوا للحاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القلندرية، وقصدوا أن يحلوا بين الحاج وبين الأخضر، فتحاربوا هم وإياهم نهاراً، ثم انتصر الحاج عليهم وأخذوا منهم ثلاثة من أعيانهم وعدة من الخيل بسبب رماة البندق^(١٣) التي معهم، ويقال عدتهم مائة، ثم توجهوا إلى الأخضر سالمين فدقت البشائر لذلك بدمشق)^(١٤).

الشاهد من ذلك أن ابن إياس رأى بعينه وكتب بيده أخبار عودة الحجاج سالمين من مكة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى، وبالرغم من ذلك لم يحمده للسلطان سليم ولا عده من منافقه، ولا نسب الفضل فيه للعثمانيين، وكان الأجدر به وهو يدون عودة الحجاج سالمين آمينين، ويدون ثناءهم على أمراء الحج أن يذكرنا بما كان يلاقيه الحجاج في أيام السلطان الغوري من قتل وهتك للأعراض ونهب للأموال على يد العريان، فكان يجدر به أن يشير إلى ذلك ويثني على السلطان سليم الأول، لكنه تغافل عن ذلك كما لو كان يأبى أن ينسب للسلطان سليم تلك المنقبة العظيمة. ومما تجدر ملاحظته أن أمراء الحاج المذكورين كانوا من المماليك !. فما الذي يدل أحوال الحجاج من الخوف والرعب إلى الأمن والاطمئنان ؟ إن الذي تبدل هو الحكم والإدارة بانتقالها من المماليك إلى العثمانيين، وهذا يدل على أن الأزمة في أيام الغوري كانت

أزمة إدارة وحسن تجهيز، فقد كانت الدولة المملوكية في تلك الفترة مبلّغا من العجز الإداري إلى حد عدم القدرة على تأمين طريق الحج !. فلما جاء بنو عثمان أعادوا الأمور إلى سابق الزمان.

قالنا : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه وصفهم بأبشع الصفات التي لا يمكن أن يصدقها العقل فقال : (كانوا جيعاتين العين، أنفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم في الأسواق، وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين، يتجاهرون بشرب الخمر في الأسواق بين الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلي في الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم ولا أسراؤهم ولا وذرأؤهم، وهم همج كالبهائم)^(١٠).

قلت : هذا كلام لا يمكن لعقل أن يصدق، ومع الأسف نقله كثير من أساتذة التاريخ في كتبهم وهو باطل بلا ريب عقلاً ونقلاً، فأما من جهة العقل فلا يمكن لجيش هذه صفته أن تقوم دولة عالمية عظمى على اكتافه أبداً ! من الممكن أن يحقق جيش كهذا انتصارات كاسحة مؤقتة كانتصارات جيش جنكيز خان على سبيل المثال، لأن نواحي القصور في النظام كان يجبرها وجود قائد عسكري لذي مثله، ولكن لما مات جنكيز خان سقطت دولته، وكذلك جيش تيمورلنك فقد حقق انتصارات كاسحة شرقاً وغرباً وأسس دولة عظمى، فلما مات تلاشى أمرها كان لم تغن بالأمس، ومن قبل هؤلاء الإسكندر المقدوني حقق انتصارات عظمى فلما مات انقسمت إمبراطوريته إلى دويلات صغيرة. أما السلطنة العثمانية العظمى فهي إحدى دول الإسلام، فلم تكن دولة فرد وإنما قامت على منهج حفظ لها الاستمرار قرونًا طويلة تنتقل من نصر إلى نصر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجيش نظامي خال من تلك النقائص، ومعلوم لكل من درس التاريخ العثماني أن دولة بنى عثمان قامت على أساس الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك هو باب النصر لها على مر العصور، ولا يمكن لرجل لا يصلي ولا يصوم ويشرب الخمر أن يكون مجاهداً في سبيل الله أبداً.

أما من جهة النقل فقد شهد العدو قبل الصديق بحسن نظام الجيش العثماني، وحسن إسلام أفرادهِ وتدينهم، وأنا لن أتيك بنقول من المصادر الإسلامية لنلا يقول قائل إنهم يزكون أنفسهم أو يداهنون حكامهم، بل سأتيك بما قاله المؤرخون الغربيون من الد أعداء العثمانيين في عصور مختلفة، فمنهم القس اللاتيني (ليوناردو الخيوسى) الذي كان شاهداً على فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣/٨٥٧م فقد قال في تقريره الذي رفعه لباپا روما : (وتودى في معسكر السلطان بأنه يجب إيقاد النيران في الأيام الثلاثة السابقة على يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو، وأن يتوجهوا فيها بالدعاء إلى ربهم علاوة على صيامهم أيضاً، وأن يعدوا أنفسهم للقتال من أجل الهجوم الرئيسي على المسيحيين... يا إلهي! إذا سمعت تلك الأصوات وهي ترتفع إلى عنان السماء، وهي تصيح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهي تعنى أن الله موجود وسوف يستمر إلى الأبد، وأن محمداً هو خادمه. لا بد أن لسانك سوف ينعقد

وتصاب بالدهشة والذهول لما جرى... وصاموا طوال اليوم ولم يقرّبوا الطعام حتى الليل، وأخذوا يحيون ويودعون بعضهم البعض ويتبادلون العناق والقبلات^(١٦).

وقال المستشرق الألماني كارل بروكلمان نقلاً عن المصادر الأوروبية، واصفاً جيش السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول الذي تولى الحكم في الفترة من (١٥٢٠م/٩٢٦هـ) وحتى (١٥٦٦م/٩٧٤هـ) : (والحق أن جميع المصادر الأوروبية حافلة بإطراء روح النظام التي تكشف عنها الجيش العثماني، فلم يكن فيه مكان للخمر أو القمار أو البغاء وهي آفات لم تسلم منها في يوم من الأيام جيوش أوربه لذلك العهد، وكانت الحرب ضد الكافرين لا تزال تعتبر واجباً دينياً، ولقد كان لذلك أثر كبير في ضمان الغلبة على النصارى يوم كان الجيش العثماني في أوج قوته)^(١٧).

وقال الراهب الدنماركي (أولوف إيلجسون) الذي كان أسيراً عند العثمانيين، فلما أطلق وعاد إلى بلاده كتب مذكراته، ونشرت في أوائل القرن ١٦م/١٧هـ، فقد جاء فيها : (كان الطعام الذي يقدم لنا نحن الفورسا " الأمرى المجدفون " من نفس الطعام الذي يقدم للضباط الأتراك في مقصوراتهم، وشيء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين البيرة الشراب والبراندى، رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء)^(١٨).

والكاتب الإنجليزي (وليم كونجريف) كتب مسرحية *The Way of the World* عام ١٧٠٠م جاء فيها أغنية تقول : (الشرب خاصة نصرانية. لا يعرفها التركي. دع المحمديين يعيشون ملتزمين بقواعدهم. ولكن دع الإنجليز يشربون ويشربون. على صحة الملك. وأف للسلطان والصوفية)^(١٩).

هذا وصف الجيش العثماني في عصور مختلفة كما جاء على ألسنة أعدائهم، فلست أدري من أين جاء ابن إيّاس بتلك الأوصاف البذيئة، وجدير بالذكر أن تلك الأوصاف الشنيعة قد تصدق على بعض الجنود، فهذا وارد في كل زمان لكن ابن إيّاس لم يستطع أن يمنع نفسه من تعميم ذلك على الجيش العثماني كله، مما يدل على شدة تحامله على العثمانيين فجافى الإنصاف في وصفه إيّاهم، لاسيما أن أقرانه من معاصريه لم ينكروا شيئاً من ذلك ولا حتى أشاروا إليه.

رابعا : ومن مظاهر تحامل ابن إيّاس على العثمانيين أنه أغفل أن يذكر للسلطان سليم أحد أهم مناقبه، وهي طرده البرتغال من البحر الأحمر، من خلال المعارك البحرية التي قادها الرئيس سلمان العثماني إبان وجود السلطان سليم في مصر، ففتح البحر الأحمر من جديد، وعادت السفن تبحر فيه بفضل الله بعد تسع سنوات من إغلاق البرتغال إيّاه، وفقا لما ذكره ابن إيّاس نفسه كما قدمنا. فمن العجيب أن المؤرخ الهندي زين الدين المعبري الذي كان بعيداً عن البحر الأحمر يذكر ذلك في كتابه قائلا : (فارسل الأمير سلمان وراءهم " البرتغال ".....)^(٢٠) فيهما ثلاثون رجلاً فأخذوا منهم غراياً صغيراً "مركباً" في كمران وفيه اثنا عشر نصرانياً ووصلوا بهم إلى

جدة، ثم إن الملاعين توقفوا في كمران لانقطاع الموسم الهندي، ثم رجعوا إلى كوهه^(٧١) خائبين بإذن الله تعالى، وذلك من فضل الله^(٧٢)... فهاهو المورخ المقيم بالهند يصف تفاصيل المعركة أما ابن إياس المقيم بالقاهرة، فلا يذكر ذلك ! ولا حتى أشار إليه إشارة ! وإنما اكتفى بذكر خبر عودة الرئيس سلمان إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم فقال : (ولما حضر الرئيس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسره من بحر الهند ممن كان يتبعث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون هناك)^(٧٣)... ولم يذكر ابن إياس أن الرئيس سلمان طرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل حتى أنه انسحبوا من كمران وعادوا إلى الهند. ولا نذكرنا ابن إياس أن الملاحة عانت إلى البحر الأحمر على يد السلطان سليم بعد تسع سنوات من التوقف التام، ولا شك أن ابن إياس كان على علم بطرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل لأنه ذكر أنه في عام ٩٢٨هـ / ١٥٢١م تم إرسال كسوة الكعبة وأموال الصدقات للحرمين الشريفين عن طريق البحر عبر ميناء جدة^(٧٤) ولا شك أن في ذلك دليلاً على أن الملاحة في البحر الأحمر كانت آمنة تماماً من أي تواجد للسفن البرتغالية، ولا شك أن إغفال ابن إياس لذكر ذلك صراحة فيه تحامل شديد على العثمانيين، كما لو كان يكره أن ينسب لهم أي مكرمة !

خامساً : وصف ابن الفتح العثماني لمصر بأوصاف فيها مبالغة شديدة، فشبهه باستيلاء بختنصر البابلي على مصر قبل الميلاد، **ويعدون هولاكو** على بغداد ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة الشديدة، فقد قال ابن إياس : (ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا أن كان في زمن البخت نصر البابلي لما أتى من بابل وزحف على البلاد بمسارعه وأخربها وهدم بيت المقدس، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف إنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار، فكان النيل يطلع وينفرض على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا ينفع به. ولكن هذه الواقعة لها فوق الألفي سنة، قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هولاكو ملك التتار، لما زحف على بغداد وأخربها، وأحرق بيوتها، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها فاستمرت من بعد ذلك خراباً إلى الآن، فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك)^(٧٥).

قلت : لا مجال إطلاقاً للمقارنة بين السلطان سليم وبختنصر أو هولاكو، لاختلاف الدوافع والأهداف بالكلية، كما أن من سقطوا من قتلى وجرحي خلال عملية الفتح العثماني لمصر، سواء من الجيش العثماني أو من الجيش المملوكي قد سقطوا في إطار عمليات حربية حتمتها الظروف السياسية والمصلحة العامة للمسلمين كما تقدم بيانه، فلم تكن أعمالاً انتقامية لمجرد التنكيل بالناس كأعمال بختنصر أو هولاكو. كما أنه لا يخفى ما في قول ابن إياس من مبالغة شديدة فلا يمكن أن يكون قد قتل من أهل مصر في غزو بختنصر هذا العدد الضخم (مائة مليار إنسان) ! إن سكان العالم كله في زماننا هذا سبعة مليارات فكيف بالحال قبل الميلاد ! ثم هل وقع من السلطان سليم مثل ما وقع من بختنصر ؟ هل قتل كل هؤلاء ؟ هل عدت مصر الناس أربعين عاماً ؟ ثم إن تشبيهه السلطان سليماً بهولاكو فيه تجاوز شديد أيضاً فقد قال

شعس الدين الذهبي عن دخول هولاكو بغداد : (قبِلُوا السيف في بغداد واستمر القتل والمسي في بغداد بضعا وثلاثين يوماً، ولم ينج إلا من اختفى، فبلغنا أن هولاكو أمر بعد ذلك بعد القتل فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر والأصح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف، ثم نودي بعد ذلك بالأمان وظهر من كان قد تخبأ وهم قليل من كثير^(٧٦).. وقال ابن كثير عن دخول هولاكو بغداد : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايع والكهول والشبان، ومخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقبي الوسخ، وكمثروا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويقفون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة فلما لله وإنا إليه راجعون^(٧٧)).

قلت : من المتفق عليه بين الجميع بمن فيهم ابن إياس نفسه أن السلطان سليماً لما دخل مصر لم يحدث من جنوده ريع معشار ما حدث من جنود هولاكو، ثم إن ما وقع من قتل على يد الجيش العثماني كان في إطار عمليات حربية سقط فيها قتلى وجرى من الطرفين، وهي عمليات حتمتها المصلحة العامة للمسلمين، وليس انتقاماً وتكيداً ورغبة في إثناء الشعب كالذي فعله هولاكو، فتشبيه ابن إياس السلطان سليماً ببختنصر أو بهولاكو، خطأ فادح وقع فيه ابن إياس. وإنما يدل على تحامله الشديد على العثمانيين وبغضه لهم إلى حد أفقده صوابه، فراح يقول مثل هذا الكلام الذي يناقض ما كتبه هو نفسه بخط يده من وقائع الفتح العثماني لمصر.

سادساً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه لما أمر به السلطان سليمان بن سليم من توحيد القضاء في مصر على المذهب الحنفي. بعد أن كان هناك قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة وبالرغم من أن ذلك كان عملاً جليلاً انتظم به القضاء في مصر، إلا أن ابن إياس بالغ في نومه.!. فإن الأصل في مصر منذ أن بنىها الإسلام أنه كان بها قاض واحد يستتب عنه نواباً في الأقاليم، وظل الأمر كذلك حتى زمن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إذ جعل قاضياً لكل مذهب من المذاهب الأربعة في عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م^(٧٨)، ولا يخفى ما في ذلك من المفساد كالاختلاف وتفرق الكلمة فمعطوم أن اختلاف الآراء قد يكون مفيداً ولكن بشرط وجود قيادة تحسمه، وكانت تتمثل تلك القيادة في منصب قاضي القضاة، ولكن منذ عهد الظاهر بيبرس أصبح هناك أربعة كل منهم قاضي القضاة لمذهبه وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في أحداث عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م أن القضاة الأربعة في حلب اختلفوا فيما بينهم، واتسع الخلاف، فأرسل كل منهم محضراً إلى السلطان بنفسه الآخرين فعزلهم السلطان جميعاً^(٧٩).

فلا ريب أن تلك البدعة التي ابتدعها الظاهر بيبرس حملت معها كثيراً من المفساد، وقد قال المقرئ : (زُيِّنَ السلطان بيبرس بعد موته في النوم ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما رأيت شيئاً أشد عليّ من ولاية قضاة أربعة وقيل لي فرقت الكلمة)^(٨٠).

ومما يدل على فساد نظام القضاة الأربعة الذي أحدثه الظاهر بيبريس أنه لما أراد أن يفعل ذلك في دمشق رفض بعض قضاتها ذلك، فقد رفض المالكي والحنبلي قبول المنصب حتى ألزمهما السلطان به فقبلا بشرط عدم الحصول على رواتب. قال المقرئ : لم يقبل المالكي ولا الحنبلي، وقبل الحنفى فورد مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن لم يفعلا فأجابا. ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلي من تناول جامكية (مرتب) على القضاء، وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة، كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

أهل دمشق استرابوا	من كثرة الحكام
إذ هم جميعا شمووس	وحالهم فى ظلام ^(٨١)

وقد علق ابن كثير على تلك البدعة بقوله : (وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم واستقرت الأحوال على هذا المنوال)^(٨٢).

ومن جهة أخرى كان نظام القضاء فى أواخر عهد السلطنة المملوكية قد اعتراه فساد كبير، وكان القضاة يدفعون مبالغ كبيرة للسلطان ليوليهم منصب قاضى القضاء، ومن ذلك ما ذكره ابن إياس فى أحداث عام ٩١١هـ/١٥٠٥م من أن القاضى جمال الدين القلقشندى تقلد قضاء الشافعية ثلاث مرات بتلك الطريقة. كانت آخرها بثلاثة آلاف دينار، فلما دفع القاضى ابن النقيب للسلطان الغورى خمسة آلاف عزل القلقشندى وولاه مكانه، قال ابن إياس : (أخلع السلطان " الغورى " على قاضى القضاء الشافعى محى الدين عبد القادر بن النقيب، وأعاده إلى قضاء الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندى، فكانت مدة جمال الدين القلقشندى فى القضاء نحواً من ستة أشهر، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار، وغرم نحواً من ألفى دينار للذى سعى له من الأمراء وغيرهم وكان الساعى له الأمير أزدمر الدوادار وغيره من خواص السلطان، وهذه ثالث ولاية وقعت لابن النقيب بمصر، وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء، ولم يقم بها فى الثلاث مرات إلا مدداً بسيرة ويعزل عنها)... وقد ذكر ابن إياس فى أحداث عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أن القاضى محى الدين يحيى السميرى تولى قضاء المالكية بألفى دينار^(٨٣).

ولا ريب أن تلك المبالغ كانوا يجيئونها من الناس بالرشوة، وذكر ابن إياس نفسه أن مما قاله الأمير المملوكى خشقدم للسلطان سليم عن فساد أحول مصر (أن قضاة مصر قاطبة يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية)^(٨٤).

وقد ظل القضاء يتولون القضاء بالرشوة حتى أبطل ذلك السلطان طومان باى عندما كان السلطان سليم فى طريقه إلى مصر، قال ابن إياس : (ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولاهم

الدرهم الفرد ومنع القضاة أن لا يسعوا في منصب القضاء بمبلغ وقال لهم : أنا ما أقبل رشوة في ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا أنتم رشوة من الناس أبداً^(٨٥)

لا ريب أن مؤسسة قضائية تدار على هذه الشاكلة إنما هي مؤسسة فاسدة، وقد روى ابن عباس واقعة مؤسفة تدل أبغ دلالة على ذلك في عام ٩١٩هـ/١٥١٣م مضمونها أنه تم ضبط قاض من نواب قاضي القضاء الشافعي متلبساً بالزنى بمحصنة، فرفع الأمر إلى السلطان الغوري فتم الحكم عليهما بالرجم بعد أن أقر ذلك الحكم القضاء الأربعة في نفس المجلس، ولكن رجع القضاء الأربعة عن حكمهم تعصباً للزاني لأنه من نواب القضاء، وأوجدوا لذلك تأويلات شرعية، فغضب عليهم السلطان غضباً شديداً واستدعاهم ولكنهم أصروا على ما قالوه، فقال لهم: (إنتم الأربعة قوموا ولا تروني وجوهكم قط) ثم عزل بعضهم^(٨٦).

فكان ينبغى على ابن عباس الذي علم ما آلت إليه المؤسسة القضائية في أواخر العصر المملوكي من فساد، أن يظن إلى أن توحيد القضاء بمصر في زمن السلطان سليمان القانوني على يد القاضي سيدي جلبي، إنما يعد من أجل الأعمال التي صلح بها حال الناس من وجهين:

الأول : أن وجود أربعة أنواع من المحاكم في بلد واحد يقصد مصالح الناس.

الثاني : أن المؤسسة القضائية في مصر كان الفساد ضارياً أظنابه فيها، فكان يجب أن تزال، لاسيما وأن قاضي القضاء الشافعي كمال الدين الطويل، وقاضي القضاء المالكي محي الدين الدميري الذين كانا في منصبيهما عندما صدر فرمان السلطان بتوحيد القضاء، كانا يتوليان هذين المنصبين في واقعة القاضي الزاني المذكورة آنفاً. ثم إن السلطان سليمان لم يبطل عمل القضاء الأربعة بالكلية، وإنما جعلهم نواباً للقاضي العثماني، من كل مذهب نائب، وأن تكون عقود الوصايا والأوقاف والأنتحة وغيرها منوطة بالقاضي العثماني دون غيره، وأظن أن السبب في ذلك هو فساد نواب القضاء في مصر آنذاك، والدليل على ذلك أنه في عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إبان وجود السلطان سليم في مصر، وبالرغم من أنه أمر ألا يعقد أحد من النواب عقداً إلا عند القاضي العثماني في المدرسة الصالحية، إلا أن نواب القضاء لم يلتزموا بذلك وياشروا كتابة العقود، حتى أن أحدهم باشر عقد زواج أرملة قبل أن تكمل عدتها، فعاقبوه وأشهروه في القاهرة^(٨٧). ولو أردنا أن نفصل في مظاهر فساد القضاء في مصر في أواخر العصر المملوكي لطل بنا الكلام ولخرجنا عن مقصدنا، ولكن تكتفي بذكر أسباب توحيد القضاء كما جاءت في القانون الصادر بها من قبل السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم :

(أنه في الزمن القديم عندما يقترب أحد القرويين ذنباً ما ويفصل في أمره، تبرا ذمته تماماً ولكن الكشاف كانوا يعيدون ويقبضون على هؤلاء مرة أخرى ويعتدون عليهم بأنواع الإيذاء المختلفة... وعندما كانت تحدث بعض المخاصمات بين بعض الرعايا من العوام، كانوا يتوجهون لحل منازعاتهم عند والي المدينة بدون أن يرجعوا إلى مجلس حاكم الشرع " القاضي " في شيء

من ذلك، حيث كان الوالى يقوم بالفصل فى مثل هذه الخصومات بنفسه بدون وجه حق، كما كان بعض القضاة فى مصر يقومون ببيع محاكمهم ووظيفة العمل بها لبعض النواب كمقاطعة^(٨٨).

خلاصة الأسباب التى لأجلها تم توحيد القضاء إما ضعف القضاة أمام الكشاف والولاة أو فسادهم، وبالتالي فإن النظام القضائى الذى وضعه السلطان سليمان بمصر، حتى وإن ترتب عليه تمثيل عدد نواب القضاء وفقدان بعضهم لوظائفهم إلا أننا إذا نظرنا إلى الصالح العام سنرى أنها إصلاحات عظيمة، فكان يجب أن تكون تلك الإصلاحات محل تقدير من ابن إياس، لكنك تجد العكس من ذلك فإنه قد اعترض على توحيد القضاء، وسب القاضى العثمانى ونمه لا لمسب ظاهر ولكن بسبب بغضه للعثمانيين بصفة عامة كما يبدو، فهو لا يرى لهم حسنات أبداً وإن كانت واضحة مثل فلق الصباح، فقد قال ابن إياس تعليقاً على ذهاب القاضى العثمانى إلى مكة : (خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لأهل مصر خير، فعزلت القضاة الأربعة بسببه وأخرج عنهم الأنظار، ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس قاطبة وأسمر نكاكينهم، ومنع نواب القضاة الأربعة من الأحكام الشرعية، ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه، وضيق على الناس بسبب عقود الأتكة وقرر عليهم ما تقدم نكره من المبلغ، وصار لا يعقد عقداً إلا فى المدرسة الصالحة)^(٨٩).

نلاحظ هنا أن كل ما نقره ابن إياس على القاضى العثمانى أنه قام بعملية تنظيم صارمة وضيق على طرق الفساد وهذا أمر عجيب جداً من ابن إياس، ولكن الأعجب منه ما قاله هو نفسه بعد ذلك ببضعة أسطر عن ذلك القاضى العثمانى نفسه مناقضاً ما قاله أولاً، قال : (فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثمانى نائباً عنه، يحكم فى المدرسة الصالحة إلى أن يحضر من الحجاز، وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاة الأربعة، وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة، وفى جامع ابن طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الأماكن، وجعل فى كل مجلس من مجالس القضاة أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق)^(٩٠).

قلت : إن كان ابن إياس نفسه يقر بأن القاضى العثمانى لم يبطل عمل القضاة الأربعة ونوابهم بالكلية بل عين منهم ستة وعشرين نائباً، وأنهم فى كل مجلس يحكمون بين الناس بالحق، وأن الأمر لم يتعد سوى وضع تلك المؤسسة القضائية الفاسدة تحت الرقابة المباشرة للدولة، فقيم الغضب والضيق والحق على القاضى العثمانى...؟ فربما أن ابن إياس أبت نفسه عليه أن يرى العثمانيين يحكمون على أبناء جنسه من الجراكسة، فراح يطعن فيهم بغير حق.

سابعاً : ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين، هو ما نقره على قاضى العسكر العثمانى بدون حق عندما أمر بمنع النساء من الخروج إلا للضرورات، ولعل كثيراً من الناس ليطعمون أن عدداً ليس بالقليل من نساء مصر فى الزمن المملوكى كن قد افتقدن الحشمة والوقار، فانتشر الفساد فى البلاد فلما جاء القاضى العثمانى ورأى ذلك، وضع ضوابط لخروج

النساء وركوبهن للحمير والبغال لإعادة الحشمة والوقار إلى الشارع، وكان الذي حمل القاضي على اتخاذ ذلك القرار أنه رأى جماعة من النساء يتحدثن مع جماعة من الفرسان الأتراك في وسط السوق، فغضب لأجل ذلك غضباً شديداً، قال ابن عباس : (اتفق أن قاضي العسكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصبهانية^(١١) في وسط السوق فعز ذلك عليه، فلما طلع إلى القلعة قال لملك الأمراء^(١٢) : " إن نساء أهل مصر أقسدت عسكر الخوندكار^(١٣) ولا بقي ينفع للقتال قط. وقص عليه قصة النسوة مع الاصبهانية، فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء قاطبة ورسم للوالي بأن ينادى بأن امرأة لا تخرج من بيتها مطلقاً، ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً، وكل مكارى ركب امرأة شئق من يومه من غير معاودة في ذلك ثم خلف القاضي بعد أيام من غلواء ذلك الحكم. قال ابن عباس : (ثم تكلم الناس مع قاضي العسكر في أمر النساء، وأن لا يمنعا من طلوع التراب ويخول الحمام وزيارة الأتارب، فأذن لهن في ذلك، وأن المرأة لا تخرج الطريق إلا مع زوجها، وأن لا يدخل الأسواق إلا العجائز فقط، فسمح لهن قاضي العسكر بذلك، وأنهن لا يركبن إلا الخيل أو البغال دالماً)^(١٤).... ثم قال ابن عباس : (باعت المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكاديش وشدوها بنصف رحل، وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارى قائد لجام الأكديش، واستمروا على ذلك، وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة)^(١٥).

قلت : الأكديش هو البرنون^(١٦)، وقال الشيخ الفيومي المقرئ : (قال المطرزي : البرنون هو التركي من الخيل وهو خلاف العرب)^(١٧). الشاهد أن القاضي استاء من مظاهر الخلاعة مثل ركوب النساء على الحمير بصحبة المكارية، وخروج النساء إلى الأسواق واختلاطهن بالرجال لغیر حاجة، فأمر بمنع ذلك وألزم النساء بركوب الخيل بعد شدة بنصف رحل، لكي يكون اختلاطها بالمكارى في أضيق الحدود فلا شك أن هذا عمل جليل من أعمال القاضي، فهو بذلك حسم مادة الفساد، وضيق على اختلاط الرجال بالنساء، وأحیی سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء : ﴿ اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ ﴾^(١٨).

هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهم أظهر الناس قلوباً وأعطهم عن المنكرات وقد قالت أمنا عائشة رضي الله عنها : ﴿ لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى مَا أُحْدِثَ النِّسَاءُ لَمَتَّعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كَمَا مَتَّعَتْ نِسَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ : فَقُلْتُ لِعَمْرَةٍ : أُنْسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَتَّعْنَ الْمَسْجِدَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ﴾^(١٩).

قلت : وما عسى أن يكون قد أحدثه النساء في زمن عائشة رضي الله عنها؟! التطبيب؟! إظهار الحلى؟! فكيف الحال بمجتمع ظهر فيه الفساد على النحو الذي ذكره المؤرخون في أواخر العصر المملوكي، فقد حدثنا المقرئ في يوم وفاء النيل عند فتح الخليج،

فقال عن (بركة الرطلى) : (وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصرى فتدور بها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس، فتمر هناك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات، واختلاطهن بالرجال من غير إنكار) (١٠٠) ... وفى الخليج الناصرى كان يحدث مثل ذلك، إلى أن تم منع دخول مراكب التزهة فيه فى زمن السلطان الأشرف شعبان، ثم عاد الفساد إلى ما كان عليه. قال المقرئى : (ولم تزل مراكب الفرجة ممتعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الظاهر برفوق فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فأذن فى دخولها وهى مستمرة إلى وقتنا هذا) (١٠١) ... كما يحدثنا المقرئى فى أحداث سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أن شاطئ النيل كان يجتمع عنده الرجال والنساء ويحدثون المنكرات. قال المقرئى : (ركب الأمير سون قرا صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس ومنعهم من الاجتماع فإتهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمر ونحوها من المسكرات واختلاط النساء بالرجال من غير استتار، فعندما طرقتهم الحاجب اضطربوا وتهب بعضهم بعضاً فذهبت أموال عديدة) (١٠٢) كما يحدثنا المقرئى أنه فى عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م لما تفشى الطاعون فى مصر، أن السلطان استفتى العلماء فى ذلك، قال المقرئى : (فسال من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلاً ونهاراً فى الأسواق، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى فى الأسواق، ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها، وجروا فى ذلك على عادتهم فى معارضة بعضهم بعضاً فمال السلطان إلى منعهم من الخروج إلى الطرقات مطلقاً) (١٠٣).

وقد ذكر ابن تغرى بردى أنه لما وقع بسبب ذلك ضرر كبير لكثير من النساء اللاتى ليس لهن من يقوم على شئونهن فسمح السلطان بخروج الإماء لقضاء حاجات مواليهن (١٠٤) ... وفى عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م فى أيام السلطان الظاهر جقمق وقع مثل ذلك أيضاً، قال المقرئى : (نودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى فامتنعن. ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة) (١٠٥).

الشاهد من ذلك أن الأحوال فى مصر فى أواخر العصر المملوكى كانت فاسدة من حيث تبرج النساء وخروجهن ليلاً ونهاراً واختلاطهن بالرجال فى الأسواق وفى المنتزهات دون إنكار إلا عند المصائب فعندئذ ينتبه الطعام والسلطين ويتخذون إجراءات صارمة للتصدي له، وابن إياس نفسه لم يكن غافلاً عن ذلك، فقد ذكر فى تاريخه أن الفساد إذا خرج عن حده كانت تتخذ إجراءات صارمة مشددة، فقال فى أيام الظاهر برفوق فى عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م : (نادى الأمير كمشيفاً نائب الغيبة بأن امرأة لا تخرج من بيتها، وأن أحداً لا يخرج إلى المفترجات قاطبة، وأن لا امرأة تلبس قميص بأكمام كبار، وكانوا قد أفحشوا فى ذلك حتى خرجوا عن الحد) (١٠٦). قلت: فهذا هو ابن إياس نفسه يذكر أن الأمور لما خرجت عن الحد فى عهد السلطان برفوق تم اتخاذ

إجراءات مشددة لمواجهتها، ولم يعارضها ابن إياس بل إن لحن قوله يظهر منه الرضا والإقرار. فلم أترك على القاضي العثماني ما اتخذ من إجراءات ١٢. فإن دل ذلك على شيء، فإتباعاً يدل على مبلغ تحامله على القاضي وعلى العثمانيين بصفة عامة. بل والأكثر من ذلك قوله عن القاضي العثماني : (وضيق على النساء في ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمير. فلما خرج من مصر " إلى مكة " صنفت النساء رقصة فقالوا : قوموا بنا نقحب ونسكر فقد خرج عنا قاضي العسكر) (١٠٧).

قلت : لا ريب أن تلك الرقصة كانت من تصنيف البغايا و أسافل النساء، ويتعجب من ابن إياس أن يحتج بقول هؤلاء وينحاز لهن ويتنقص من قدر قاضي العسكر إلى هذا الحد، بالرغم من أنه نفسه قد ذكر في تاريخه ما يفيد أن الفساد إذا خرج عن الحد كانت تتخذ إجراءات مشددة لمنعه.

لعل فيما قدمناه دليلاً على تحامل ابن إياس الشديد على العثمانيين مما يحتم على ذوي الألباب من الباحثين أن يتحرروا الدقة ويحذروا عند نقل الوقائع التي ذكرها عن العثمانيين، وانفرد بها دون سائر المؤرخين المعاصرين وكذلك عند نقل رأيه الشخصي في السلطان سليم أو في العثمانيين بصفة عامة. وبالرغم من أن سبب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أمر متعلق بالنواب، لا اطلاع لأحد عليه، إلا أنه يمكن أن نظن أن أسباب تحيزه تكمن في أمرين :

الأول : أنه كان من نفس جنس المماليك، فجدّه هو الأمير إياس الفخري، كما تقدم ذكره، أما أبوه فكان من الوجهاء وكان كثير الاختلاط برجال الدولة، وهم من الأمراء المماليك أيضاً، بل إن ابن إياس نفسه كان من أصحاب الإقطاعات كما ذكر هو عن نفسه (١٠٨) لعله قد ورثه عن أبيه. فبالقطع قد آلمه أن يشهد تصدع وزوال الدولة التي كان يعد من وجهائها، كما أنه شهد مصرع أصحابه وأصحاب أبيه ورأى الأرامل والتكالي واليتامي من أبنائهم، الأمر الذي حجب عنه رؤية الصورة كاملة، فلم يدرك أن الأمر أكبر من أي اعتبارات شخصية أو انتماءات قبلية، فمستقبل الإسلام كله كان في خطر كبير، وما كانت أعمال السلطان سليم إلا لإتقاده من ذلك الخطر ، وقد قال السلطان سليم في ربايعاته ما ترجمته :

إن خشيتي من الاختلاف والفرقة ستظل تقلقتي حتى وأنا في القبر

إن تحمينا فصوله للدولة تستطيع نفع الأعداء فإن لم تتحد الأمة فلا راحة لي (١٠٩)

الثاني : أنه يقرب على ظني أن أحد أهم أسباب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أن الحكم العثماني في الخمس سنوات الأولى التي شهد بها ابن إياس قبل وفاته - المرحلة الانتقالية - لم يختلف كثيراً عن الحكم المملوكي باستثناء تنظيم القضاء وتأمين الحج، فقد بقيت الإدارة في يد

المماليك، إذ أن السلطان سليماً قد عهد إلى الأمير المملوكي خاير بك الذي كان نائب حلب في عهد السلطان الغوري بأن يكون نائبه في مصر، وأمره أن يقبل كل من جاءه طائعاً من أمراء المماليك ويكرمه^(١١٠) فبقيت المناصب في يد المماليك كما كانت، مثل الأمير جاتم الحمزوي الذي أصبح فيما بعد من أرباب الحل والعقد، والأمير جاتم السيفي كاشف الفيوم وأمير الحج، والأمير قابتباي الدوادر، والأمير برسباي الخازندار، وقاصوه العادلي كاشف الشرقية، حتى وظيفة المحتسب تولّاها الزيني بركات بن موسى^(١١١) وهو الذي كان يتولاها في زمن السلطان الغوري، ثم عزله خاير بك في عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وولّاها للقاضي عبد العظيم^(١١٢). حتى القضاة الأربعة قد أبقاهم السلطان سليم في مناصبهم^(١١٣) إلى أن تم تنظيم القضاء بعد بضع سنوات في عهد السلطان سليمان بن سليم كما تقدم، لذلك فإتاك ترى أن تلك السنوات الخمس كان يحدث فيها من المظالم مثل ما كان يحدث في زمن المماليك، من مصادرات الناس والتعدي على الرزق الأحباسية والأوقاف وغير ذلك.

وقد يتساءل البعض لماذا لم يول السلطان سليم ولاية من عنده إن كان حقاً يريد إشاعة العدل؟! بهب بعض أساتذة التاريخ ليقولوا أن السلطان سليماً ولى خاير بك على مصر مكافأة له على خيائته للمماليك وتعاونه مع السلطان سليم وهذا الكلام فيه نظر لأن السلطان سليماً عهد أول الأمر بولاية مصر إلى صدره الأعظم يونس باشا، ثم عزله بعد مدة وولى عليها خاير بك^(١١٤) وذلك بعد أن فشل يونس باشا في إدارة البلاد، فمصر بلد كبير ولها نظام إداري ونظام مالي خاص، لا يعرفه إلا أمراء المماليك وأعوانهم من الكتبة، قال د. سيد محمد السيد : (عندما أراد الحكام الجدد من العثمانيين أن يتعرفوا على كيفية إدارة المماليك للبلاد، فكان هؤلاء الكتبة يخفون دفاترهم ويطلعون العثمانيين على دفاتر ذات شفرة مالية خاصة، فيعطونهم بذلك معلومات غير صحيحة عن الإدارة في البلاد. مما أوقع الإدارة العثمانية في مصر في حالة من الاضطراب الشديد)^(١١٥).

فالحقيقة أن السلطان سليماً لم يجد بداً من أن يعهد بإدارة البلاد إلى حكامها القدامى مؤقتاً إلى أن يتعرف العثمانيون على أسرار حكمها المالية والإدارية، فوقع اختياره على خاير بك، لأجل درايته بتلك الأمور، ولأجل أن يكون واسطة بين السلطان سليم وبين الأمراء المماليك الفارين لاستمالتهم للدخول في الطاعة، لأن بقاءهم مشردين قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه، قال ابن زنبيل الرمال : (السلطان أمر خاير بك بأن كل من جاءه من الجراكسة الهاربين وطلب منه الأمان أن يقبله ويبقيه على منصبه، وأوصاه وأكد عليه في ضبط البلاد والإنصاف بين العباد)^(١١٦).... وقد ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً أرسل إلى خاير بك من اصطنبول يوصيه بالمماليك الجراكسة خيراً^(١١٧). فبقاء الإدارة المملوكية في مصر كان أمراً حتمته الظروف في الخمس سنوات الأولى من الحكم العثماني، وربما كان قد وقع فيها من المظالم مثل ما كان يقع في العهد المملوكي، ومن جهة أخرى كان الجنود العثمانيون لا يوقرون خاير بك، ولم تكن له مهابة في نفوسهم، فكان بعضهم يتعدى على الناس بغير وجه حق، قال ابن إياس : (وكانت

العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى في حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة) ... وكان قاضي العسكر العثماني يحاول منع ذلك قدر الإمكان ففي المحرم عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ذهب إلى خاير بك في القلعة وقال له: (انظر في أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها، فقد فسدت الأحوال جداً ومتى بلغ الخنكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا، ويقول لنا كيف كتمتوا عن أخبار مصر، وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى) (١١٨).

ولا أظن أن الجنود العثمانيين كانوا سيوفرون أي أمير مملوكي أو بهابونه، فقد كانوا بالأمس القريب يقاتلونهم ويطاردونهم ويأسرون منهم، فهذه طبائع النفوس وتجريد الإنسان من طبائعه ممتنع، ولم يكن ذلك غائباً عن السلطان سليم إلا أنه كان مضطراً لذلك كما تقدم بيانه، وكان يبذل قصارى جهده لإقرار العدل فكان يتابع الأخبار من مقره في اصطنبول بصفة دائمة، فقد أرسل إلى خاير بك يأمره بأن يعاقب الجنود بشدة، قال ابن إياس: (ثم أشهروا المناداة في القاهرة على لسان الخنكار حسبما رسم، بأن لا أحد من الانكشارية) (١١٩) ولا من الإصبهانية يشوش على الرعية وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عند خير الدين نائب القلعة أو قرا موسى). ثم إن السلطان سليماً أرسل في طلب كمشباغا وإلى القاهرة بعدما وصلته شكاوى من ظلمه وتعبه على أموال الناس فسافر إلى اصطنبول، ولم يذكر ابن إياس ما حل به هناك (١٢٠).

هكذا اضطر السلطان سليم لأن يحصل سوء الإدارة المملوكية في مصر مؤقتاً، حتى يتعرف رجاله على أسرارها ومن ثم يتولونها بأنفسهم، فابن إياس لم ير من الحكم العثماني إلا هذه السنوات الخمس فهو لم يعش ليرى تنظيم أحوال مصر على يد إبراهيم باشا في عصر السلطان سليمان القانوني، وهو لم يعش ليرى صلاح أحوال القضاء بعد توحيدده، وهو لم يعش ليرى أمن الفلاح بعد رفع المظالم عنه، وهو لم يعش ليرى أمن البلاد من الفتن الداخلية والصراعات على السلطة التي كانت سمة لعهد المماليك الجراكسة. لكن إن كنا نستطيع أن نلتمس العذر لابن إياس للأسباب التي تقدم ذكرها، فأي عذر عسانا نلتسمه لأساتذة التاريخ الذين نقلوا عنه هذا الكلام وأذاعوا به دون أن يقيموا وزناً لسائر المصادر المعاصرة للأحداث.؟!.

وبناء على ما تقدم فليس لنا أن نعتمد على تاريخ ابن إياس كمصدر وحيد بحجة أنه مصدر معاصر مع التغافل عن سائر المصادر المعاصرة، ولا ينبغي لأحد أن يفهم من كلامي هذا أنني أدعو على هجر كتاب ابن إياس !! كلا، فليس هذا من فعل العقلاء، فابن إياس مؤرخ له مكانة رفيعة وآثار بيعة، وهو ممن أفنوا أعمارهم في تدوين التاريخ وكتابه كما ذكرت آنفاً أهم مصادر تاريخ السلطنة المملوكية في الفترة التي عاشها، ولكنني أدعو إلى تناول بعض الروايات التي وردت في الجزء الخامس من كتابه بحذر وتدقيق نظر، لاسيما في الوقائع التي تفرد بذكرها دون سائر المؤرخين المعاصرين له، أو في آرائه الشخصية. كما ينبغي دراسة المصادر المتأخرة نسبياً والتي شهدت الحكم العثماني على حقيقته كتواريخ ابن أبي السرور البكري، ومرعي بن

يوسف الكرمي، وإبراهيم بن عامر العبيدي وكذلك المصادر التركية التي عاش مؤلفوها في مصر مثل (توادر التواريخ) لعبد الصمد بن سيدى على بن داود الديار بكرى الذي تولى قضاء دمياط عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم أصبح مشيراً لداود باشا أمير أمراء مصر و (تاريخ مصر) لرضوان باشا زاده، و (تاريخ مصر القاهرة) لمحمد بن يوسف الحلاق، عسى الله أن يمن علينا باستاذ في اللغة التركية ليقترجم لنا هذه المصادر لينير لنا بها البصائر، فإن أكبر معضلة تواجه الباحث في التاريخ العثماني هي أن مصادر التاريخ سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة فهي باللغة التركية العثمانية، التي كانت تكتب بالأحرف العربية وكان آخر جيل من المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية عن التاريخ العثماني من واقع المصادر التركية هم محمد فريد بك والميرالاي إسماعيل سرهنك، وإبراهيم بك حليم في الربع الأول من القرن العشرين، لأن اللغة التركية كانت شائعة بين الباحثين في البلاد العربية آنذاك شيوع اللغة الإنجليزية في العصر الحالي، وكذلك فإن اللغة العربية كانت شائعة بين الباحثين الأتراك آنذاك، ثم بعد ذلك وقع الانقسام التام، فلم يعد العرب يعرفون التركية ولا الأتراك يعرفون العربية إلا قليلاً منهم، ثم إن الأمر ازداد سوءاً في ثلاثينيات القرن العشرين عندما أمر كمال أتاتورك بأن تكتب اللغة التركية بالأحرف اللاتينية، كما أمر بأن تحذف منها الكلمات العربية والفارسية، مما بعد أكبر عملية هدم ثقافي شهدتها التاريخ فقد ترتب على ذلك أن الأتراك أنفسهم الآن لا يستطيعون قراءة مصادرهم التاريخية إلا بعد تعلم مخارج الحروف وكيفية نطقها والكلمات العربية والفارسية التي حذفت منها.

وقد أهمل في مصر وسائر البلاد العربية تدريس التاريخ العثماني في المؤسسات التعليمية لعمود طويلة ومازال هذا الإهمال قائماً حتى الآن، فالتاريخ العثماني لا يدرس إلا في بضع جامعات فحسب، وهو لا يدرس في المدارس على الإطلاق، فإن قيل أنه يتم تدريس التاريخ العثماني من خلال دراسة تاريخ العالم العربي الحديث أو تاريخ مصر في العصر الحديث، أقول هذا منهج سقيم جداً في التدريس، فمصر كانت إقليماً من أقاليم الخلافة العثمانية، صحيح أنها كانت إقليماً مميزاً، ودرّة السلطنة كما اصطلاحوا على تسميتها إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة كونها إقليماً، لا يمكن الاستغناء بدراسة تاريخه عن دراسة تاريخ الدولة المركزية، فدراسة تاريخ مصر في العصر العثماني لا تعدو عن كونها دراسة للأحوال الداخلية لأحد أقاليم الدولة، ولا يمكن أن نبينها أبداً عن حال الدولة المركزية وعلاقاتها الدولية فهل يصح مثلاً أن يستغنى بتدريس تاريخ الإسكندرية مثلاً أو أسيوط أو أي محافظة من محافظات مصر عن دراسة تاريخ الدولة المصرية نفسها؟! ولا يخفى على كل ذي لب أن التاريخ العثماني ليس مما يمكن تجنبه أو إهمال دراسته وإلا فلن يتسنى لنا فهم تاريخ العصر الحديث فهماً صحيحاً، لأن السلطنة العثمانية كانت قلب العالم وأهم محور للأحداث العالمية في ذلك العصر، ولكن للأسف الشديد يحصل أغلب أساتذة التاريخ على جل معلوماتهم من خلال المراجع الأوروبية التي لا تخلو من دسائس وأكاذيب، وشبهات وأباطيل، ولعل أبرز مثل على ذلك هو أقوال أكابر أساتذة التاريخ عن أسباب الفتح العثماني لمصر والشام، وعن دوافع حروب السلطان سليم ضد الصفويين والمماليك،

فكل ما كتبوه في هذا الشأن لا يعدو عن كونه نقلاً لرؤية المؤرخين الأوروبيين من أمثال (بيتر هولت)، (فيليب برايس) (كارل بروكلمان) (أرنولد توينبي) وجل ما كتبوه إما باطل أو قاصر، لأن المؤرخ الأوروبي حتى وإن كان من المنصفين مثل (أرنولد توينبي) فلن يتمكن من فهم أهداف مثل تلك الحروب وواقعها فهماً كاملاً، لأنها ترتبط بثقافة غريبة عليه، مهما اجتهد في دراستها فلن يمسك مقاليدها، ولن يملك ناصيتها، وقد فصلت الكلام عن تلك المسألة وفندت أقوالهم في كتابي (منهل الظمان لإنصاف دولة آل عثمان) (٢٠٢٢/٢). وجدير بالذكر أن اللوم والتثريب هنا ليس على المؤرخين الأوروبيين، بل على كل أستاذ في التاريخ سمح لنفسه بالنقل عن كتبهم وكأنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتغافل عن مصادرنا التاريخية وزهد في أقوال مؤرخينا الأقدمين كأننا أمة أمية ما كان عندنا علماء ولا مؤرخون !! كما يقع اللوم والتثريب على كل أستاذ في اللغة تقاعس عن أداء المهمة الحضارية المنوطة به من ترجمة المصادر التاريخية التركية والفارسية، بل واللاتينية والبيزنطية أيضاً إلى اللغة العربية، كل في تخصصه.







حواشي البحث

- (1) حجي خليفة : كشف الطوبى عن أسامي الكتب والعون. نسخة إلكترونية (الموسوعة الشاملة) الإصدار الثاني، ج ١ ص ٢٢٩.
- (2) حجي خليفة : كشف الطوبى عن أسامي الكتب والعون ج ٢ ص ١٩٤١، ١٩٥٣، إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجلية اصطنبول ١٩٥١م. ج ٢ ص ٢٣١.
- (3) لقد نقلت نص كلام ابن إياس على ما فيه من أخطاء نحوية، حرصا على عدم التبديل.
- (4) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ج ٤ ص ٤٧.
- (5) رسالة كرسنوفر كولومبس إلى فرديناند وإبراهيم لش حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١. ترجمة حاتم الطحاوى. ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٢٧٦، ٢٨١.
- (6) بجاية، بجزر الباء وفتح الجيم، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا والمغرب. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٩ وتقع حاليا في شمال الجمهورية الجزائرية شرق العاصمة الجزائر.
- (7) وفزان، بفتح الواو وسكون الهمزة وهي مدينة على النهر الأعظم من المغرب، بينها وبين تلمسان مائة ليلة. انظر ياقوت الحموى . معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٥ وتقع حاليا في شمال غرب الجمهورية الجزائرية
- (8) أصلها : أطرابلس. بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح التاء وضمة اللام. وهي مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. ج ١ ص ٢١٧ وهي حاليا عاصمة الجماهيرية الليبية، وتقع في شمال غربها على ساحل البحر المتوسط.
- (9) قسطل فرسا في طرابلس عام ١٨٧٨م، وصاحب كتاب : الحوليات الليبية.
- (10) شارل فيرو : الحوليات الليبية. ترجمة محمد عبد الكريم الوافي. جامعة قاريونس، بني غازي ١٩٩٤م. ص ٧٤، ٧٦، ٧٧. وأصل الخطب موجود في دار محفوظات بلدة سيماكس الإسبانية.
- (11) زين الدين المصري : تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت رعاية الحكيم السيد شمس الله القادري، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م. ص ٢٨.
- (12) سقطري، بصم المين والقاف وسكون الطاء، جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تتراوح عن جنوبها عنها انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. دار صانر بيروت. ١٩٩٥م. ج ٣ ص ٢٢٧.
- (13) قلهاة، بفتح القاف وسكون اللام. مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترافا أكثر من الهند. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٣.
- (14) مسقط، بفتح الميم وسكون المين وفتح القاف ((مدينة بواحي عمان)) انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان. ج ٥ ص ١٢٧. وهي عاصمة سلطنة عمان حاليا.

- (15) هَزْمَر : يضم الهاء وسكون الراء وضم الميم ((مدينة في البحر.. على بر فارس وهي فرضة كرمس إليها ترفأ المراكب وسها تنقل أمانة الهند إلى كرماس وسجستان وخرمس)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٥ ص ٤٠٢. قلت : هرمز جزيرة في مصيق هرمز تتبع إيران حالياً.
- (16) عبد القادر العيدروس : النور السافر في أحبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص ٥٨، ج. ج. لوريير : دليل الخليج. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. بدون تاريخ. ج ١ ص ١٢، ١٣.
- (17) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.
- (18) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٣١. وكرمان، بفتح الكاف والميم والراء وهي جزيرة قبالة ريد باليمن. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٢ ص ١٣٩. وتقع في جنوب البحر الأحمر.
- (19) هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح، وقد تسلط من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م وحتى عام ٩١٨هـ/١٥١٢م.
- (20) هي إحدى فرق الشيعة ولا يعترفون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنهما وأغلب الصحابة صلوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال أنهم سموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما حصر بالكوفة في أصحابه الذين تابعوه وسمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك علي من سمعه منه، ففرق عنه الذين تابعوه فقال بهم رفضتموني ٩، قالوا : نعم. فيقال : إنهم سموا رافضة لعزل زيد بن علي لهم رفضتموني انظر . ابن تيمية : مساح السنة النبوية في الرد على الشيعة والقرية ج ٣ ص ٢٥٤
- (21) إسماعيل بن حيدر بن جليل، وسمى بالصوفي نسبة إلى جده الأكبر الشيخ صفي الدين الأربيلي صاحب زاوية صوفية في أربيل، وبالرغم من أنهم كانوا جميعاً من أهل السنة إلا أن الشاه إسماعيل هو أول من تشييع اعتنق الرفض، واجتمع حوله كثير من الناس فخرج من كيلان بجموعه سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م واستطاع أن يستولي على كثير من بلاد العجم حتى سقطت في يده تبريز مقر سلطنة ((آق قويونلي)) انظر أخباره عند حسين حوجه بن علي : بشارت أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط في دار الكتب والوثائق القومية رقم ٢١١٦ تاريخ طلعت. ورقه ١٢١.
- (22) تبريز، بكسر التاء وسكون الباء وكسر الراء. قال ياقوت : ((هي أشهر مدن أذربيجان)) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٢ ص ١٣، وتقع حالياً في شمال غرب الجمهورية الإيرانية، وتنطق بفتح التاء.
- (23) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٤٣.
- (24) النهرواني : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبرج، ألمانيا ١٨٥٧م. ص ٢٧٥.
- (25) حسين حوجه بن علي : بشارت أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ورقة ١٠٥، ١٠٧، يلماز أورتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفصيل للتمويل. أنطليبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١١.
- (26) ج.ج. لوريير : دليل الخليج. القسم التاريخي. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. ج ١ ص ١٤.
- (27) كانت البصائع تنقل إلى الإسكندرية عبر خليج بريط فرع رشيد بالإسكندرية أو كانت تنقل برا.

- (28) أنزنجان، بمد الهمة وفتح الذال وسكون الراء وفتح الباء وسكون الواء، في أحد الأقوال. قال ياقوت : (حد أنزنجان من بردعة مشرقا إلى أرزنجان معربا... ومن مشهور مدائنها تبريز). انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ١ ص ١٢٨ فليس المقصود جمهورية أنزنجان الحالية، بل هي الأراضي الواقع حاليا شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا.
- (29) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية. بولاق. القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. ج ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠، يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٢٤١ - ٢٥٤. عبد العزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية معتزلة عليها، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م. ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥. أحمد آق كوتدر وسعيد أوزتورك : الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية. انصطبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ص ٢٣٠.
- (30) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١١٩.
- (31) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٠١.
- (32) يلماز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٤.
- (33) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٨٥.
- (34) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٦٥، ٣٦٦.
- (35) إمارة صغيرة في جنوب الأناضول تابعة للسلطنة المملوكية ومن مراكزها ملطية وأبلستين. انظر القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول تحقيق أحمد حطيط، دهمى سعد عالم الكتب، بيروت. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ج ٢ ص ٩٨.
- (36) ابن رنبل : واقعة السلطان بقرى مع سيم العثماني تحقيق عبد المصنم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٢.
- (37) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٤٥٨، ابن الحمصي : حوادث الرمان ووفيات الشيوخ والأقوال. تحقيق عبد العزيز هياض حروفش. دار البعاس. بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ٥١٣، العبيدي : قلائد العقيان في مفاحر آل عثمان. مخطوط بمكتبة الإسكندرية ميكروفيلم رقم (٤٦٧٨). ص ٤٥.
- (38) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٥.
- (39) النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٧٧)، الكرمي : برهة الناظرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولي مصر من سالف العصر من الخلفاء والملاطين العادليين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم ٥٢٩٨. ورقة ٦٥، البكري : المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر. بدون تاريخ. ص ٧٣.
- (40) ابن طولون : مفاكهة الحلال في حوادث الرمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ص ٣٢٣.
- (41) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحصارة. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٢٥.

- (42) وهو لقب أطلقه العثمانيون على الصفويين، لأنهم كانوا يلبسون غطاء رأس أحمر. (انظر : البكرى : المصحح الرحمانية في الدولة العثمانية. ص ٧٣، حسين خوجه بن على : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٢٠. وتنطق ((كزلُ باش)) بكسر الكاف والزاي وسكون اللام وفتح الباء، مع تقحيم جميع الحروف، وهي كلمة تركية من مقطعين ((قزل)) : أحمر، ((باش)) : رأس. والمعنى ذو الرأس الحمراء.
- (43) أحمد آق كوندز وسعيد أورتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦.
- (44) وتكتب أيضا ((عَن تاب)) بفتح العين وسكون الياء. وهي قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. انظر ياقوت الحموي . معجم البلدان. ج ٤ ص ١٧٦. كانت آنذاك من أعمال حلب تابعة للمماليك، وهي الآن في جنوب تركيا.
- (45) محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة. ص ١٤٠، أحمد فؤاد متولي : الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الرضاء للإعلام العربي. القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م. ص ١٣٤.
- (46) المعبري : نخعة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. ص ٣١.
- (47) ابن لباس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.
- (48) الرسالة محفوظة برقم ٦٤٥٦ بمتحف طوب قبو باسطنبول، وقد نشرها عبد الجليل التميمي في بحث بعنوان ((أول رسالة من أهالي مدينة الحرير إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩)) . المجلة التاريخية المغربية تونس، العدد السادس، يوليو تموز ١٩٧٦. نقلته من عبد العزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. ج ٢ ص ١٨٤.
- (49) أحمد آق كوندز وسعيد أورتورك . الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٦، ٢٣٠.
- (50) يلامز أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٥.
- (51) المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ج ٦ ص ٣٦٨، ابن حجر : إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديح الطوى الحسنى الحصرمي، وساعده فيه سلطان محيي الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد المعيد حان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهد دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ج ٧ ص ١٥٢.
- (52) رواه أحمد (٤٨٥/٣٦)، أبو بكر بن الحلال في السنة (١٢٧/٤)، ابن حبان في صحيحه (١١١/١٥)، الطبراني في الكبير (٩٨/٨)، البيهقي في الشعب (٢٧/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٠٥/٢).
- (53) العبيدي : فليد العقيان في معاصر آل عثمان. ورقة ٤٤.
- (54) ابن لباس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٢.
- (55) ابن لباس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٢٩.

- (56) هو أحد أمراء المماليك وكان نائب حماء في عهد السلطان قانصوه الغوري، ثم حل في طاعة السلطان سليم بعد فتحه مصر.
- (57) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١٦٨.
- (58) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٢١٩.
- (59) محمد بن إياس الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٣١٧، ٣١٨.
- (60) شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان، ص ٢٢٣، ٢٧٦.
- (61) وقائع تلك الفس بطول ذكرها فمن شاء التفصيل فليرجع إلى ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨.
- (62) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٤٣١.
- (63) سلاح البنادق أحله السلطان سليم في مصر ولم يكن المماليك يستحسنونه. انظر ابن زبيل : واقعة السلطان العوري مع سليم العثماني، ص ٧١.
- (64) ابن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان، ص ٣٨٧.
- (65) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٢٠٨.
- (66) ليوناردو الحيومي : تقرير لبلبا روما عن سقوط القسطنطينية، كرسووفورو ريشيرو : الاستيلاء على القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية ترجمه حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م ص ١٦١، ٣١٥ و انظر أيضا بيجولو باربارو : يوميات الحصار العثماني، ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م. ص ١٦٣.
- (67) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة بيه مور فارس، مدير البعديكي، بيروت ٢٠٠٥م، ص ٤٦٨.
- (68) بيلار أورتوبا : تاريخ الدولة العثمانية، ج ٢ ص ٤٣٦، انظر أيضا برنارد لويس : الإسلام والعرب، دار الرشيد دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٦٨.
- (69) برنارد لويس : الإسلام والعرب، ص ٦٨.
- (70) كلمة مطمومة بالأصل، أظنها : مركبين.
- (71) نخر في الساحل الغربي للهند.
- (72) المعبري : تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، ص ٣١.
- (73) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٢٠٣.
- (74) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٧٧.
- (75) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١٥٧.
- (76) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التكمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج ٤٨ ص ٣٦.

- (77) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق علي شبري، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ١٣ ص ٢٣٥.
- (78) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٩ ص ٢١، الدين الفطندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ج ٤ ص ٣٦، المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ٢٨.
- (79) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ٢ ص ١٦٢.
- (80) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ١٠٧.
- (81) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ٣١.
- (82) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٨٦.
- (83) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٩١، ٤٧٧.
- (84) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٤٧١.
- (85) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١١٧.
- (86) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٣٤١ - ٣٤٥.
- (87) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١٦٥، ١٨٤، ٤٥٣.
- (88) سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني، القرن ١٦ مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٣٨٧.
- (89) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦٩.
- (90) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦٩.
- (91) المقصود الفرساني، وهي تحريف للكلمة العربية ((سباني)) وتكتب بحرف الباء المثناة، وتطلق ((P)) بسكون السين وفتح الباء وكسر الهاء، مع تلخيم جميع الحروف، وتعني فارس.
- (92) خاير بك، الذي ولاه السلطان سليم الأول واليا على مصر.
- (93) من ألقاب السلطان العثماني.
- (94) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧.
- (95) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦٢.
- (96) ابن شاهين: الإشارات في علم العبارات، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج ١ ص ٨٠٤.
- (97) الفيومي المقرئ: المصباح المبهر في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت، ج ١ ص ٤١.
- (98) رواه أبو داود (٣٦٩/٤)، الطبراني في الكبير (٢٦١/١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٢١/١).
- (99) رواه مسلم (٣٢٨/١)، أبو داود (١٥٥/١)، أحمد (١٢٥/٤٣)، أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه (١٥٦/٢)، البيهقي في السنن الكبرى (١٩٠/٣)، عبد الرزاق في مصنفه (١٤٩/٣)، الطبراني في المعجم الأوسط (٤٨/٧)، أبو عوانة في المستخرج (٣٩٧/١)، ابن حزيمة في الصحيح (٩٨/٣).

- (100) المقريري : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ج ٣ ص ٢٨٧
- (101) المقريري : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ج ٣ ص ٢٦٧، ٢٦٨.
- (102) المقريري : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٦ ص ٤١٣.
- (103) تقي الدين المقريري : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٢ ص ٣٥٠.
- (104) بن تيمزي بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م ج ١٥ ص ٩٤.
- (105) المقريري : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٧ ص ٤٦٣.
- (106) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ١ ص ٤٤٨.
- (107) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (108) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٣٦.
- (109) أحمد أقي كوندل وسعيد أورتورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٨.
- (110) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧ ابن رنيل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ص ١٨٤.
- (111) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٣٤، ٢٩٤، ٢٩٥.
- (112) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٢.
- (113) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٢٥.
- (114) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٢، حسين حوجه بن علي : بشارات أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٣٩.
- (115) سيد محمد السيد : مصر في العصر العثماني في القرن ١٦. ص ٣٦.
- (116) ابن رنيل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. ص ١٨٤.
- (117) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧.
- (118) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٣٣.
- (119) هو تحريف للفظ التركية ((يكي جري)) بحرف الجيم المثناة، وحرف الكاف المثناة فينبطق عندئذ نونا فينبطق اللفظ كاملاً ((يني تشرى))، يفتح ابياء وكسر الميم، وسكون الناء وكسر الشين والراء، وهي كلمة من مقطعين، وتعني العسكر الجديد وهي إحدى أشهر وحدات الجيش العثماني. انظر محمد أسامة ريد : منهل الطمان لإنصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ج ٢/ ص ٤١٤.
- (120) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٢٩، ٢٣٨.

قائمة المصادر

- ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكرة (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)
- ١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ
- ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس الحنفى (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م).
- ٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ابن تغري بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ / ١٣٧٢م).
- ٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
- ٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعوب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر المصقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)
- ٥- إنباء الغر بأبناء العصر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديح الطوى الحسنى الحضرمي وساعده فيه سلطان محيي الدين كامل تحت إشراف محمد عبد المعود خان مدير دائرة المعارف العثمانية بالهند. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
- ابن الحمصي : أحمد بن محمد بن عمر (ت ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م).
- ٦- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حروفش. دار النفائس، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م)
- ٧- صحيح ابن خزيمة. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
- ابن زبيل : أحمد بن زبيل الرمال (ت بعد ٩٦٠هـ / ١٥٥٢م).
- ٨- واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م.
- ابن شاهين الظاهري : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م).
- ٩- الإشارات في علم العبارات. دار الفكر، بيروت.
- ابن طوئون : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م).
- ١٠- مفاكهة الخللان في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوم بن كثير القيسى الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
- ١١- الهداية والنهاية. تحقيق علي شبري. دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م)
- ١٢- سنن أبي داود. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩ م)
- ١٣- مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق د. محمد عبد المجيد التركي. دار حجر، مصر. ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.
- أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني (ت ٣١٦هـ / ٩٢٨ م)
- ١٤- مستخرج أبي عوانة. تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي. دار المعرفة، بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م
- أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلی (ت ٣٠٧هـ / ٩١٩ م)
- ١٥- مسند أبي يعلى الموصلی. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥ م).
- ١٦- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م.
- إسماعيل باشا مرهوك (ت بعد ١٣١٤هـ / ١٨٩٦ م).
- ١٧- حقائق الأخبار عن دول البحار المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤ م.
- إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي (ت ١٢٩٩هـ / ١٨٨١ م)
- ١٨- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجنبلة، اسطنبول ١٩٥١ م.
- البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩ م).
- ١٩- الجامع الصحيح. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م.
- البكري : محمد بن أبي السرور البكري (ت ٨٧هـ / ٦٧٦ م).
- ٢٠- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر
- البیهقي : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردی الخراساني البیهقي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م)
- ٢١- شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار المنفردة. ببومباي بالهند. ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م
- الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م).
- ٢٢- سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م.
- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦ م).
- ٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشاملة الإصدار الثاني.
- حسين خوجه بن علي (ت بعد ١١٣٦هـ / ١٧٢٣ م).
- ٢٤- بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة. رقم (٢١١٦)
- (تاريخ طلعت، ميكروفيلم رقم (١٣٤٨٦)).
- الحميدي : عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي (ت ٢١٩هـ / ٨٣٤ م).
- ٢٥- مسند الحميدي. تحقيق حسين سليم أسد الداراني. دار السقا، دمشق ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م.

- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧ م).
- ٢٦ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التكمري. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م.
- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠ م).
- ٢٧ - المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تومرة، القاهرة. ونسخة إلكترونية ضمن المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ٢٨ - المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.
- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعائي (ت ٢١١هـ / ٨٢٦ م)
- ٢٩ - المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م.
- عبد القادر العبدوس : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨ م).
- ٣٠ - انوار السافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.
- الفيومي المقرئ : أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨ م).
- ٣١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت
- القلقشندي : شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الغزالي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م).
- ٣٢ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨ م.
- كرستوفر كولومبس.
- ٣٣ - رسالة إلى فرديناند وإيزابيلا لثمن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١ م، ترجمة حاتم الطحاوي ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣ م.
- الكرمي : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣ م).
- ٣٤ - نزهة الناظرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلطين العاديين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم (٥٢٩٨).
- ليوناردو الخيوسى.
- ٣٥ - تقرير لبابا روما عن سقوط القسطنطينية. ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية، ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (٢٠٠٣ م).
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤ م).
- ٣٦ - صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فواز عبد الباقي. دار التراث العربي، بيروت.
- المعبري : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي (ت بعد ٩٢٣هـ / ١٥١٧ م).

- ٣٧- تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت رعاية الحكيم السيد شمس الله القادري، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م.
- المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت ٨٤٥/١٤٤١ م).
- ٣٨- السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٣٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- النسائي : أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي (ت ٣٠٣/٩١٥ م).
- ٤٠- المسنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شلبي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- النهر والي : قطب الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠ م).
- ٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. لبيزج، ألمانيا ١٨٥٧م.
- نيقولو باريارو.
- ٤٢- يوميات الحصار العثماني ترجمة حاتم الطحاوي، ضمن كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ٢٠٠٢م.
- ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩ م).
- ٤٣- معجم البلدان. دار صادر، بيروت. ١٩٩٥م.

ARCHIVE

قائمة المراجع

أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك

١- الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية، اسطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

أحمد قواد متولى.

٢- الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.

برنارد لويين.

٣- الإسلام والغرب. دار الرشيد، دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

بشرى خير بك.

٤- الدخول العثماني لشمال إفريقيا، ضمن الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية. المجلد الخامس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

ج.ج. لوديمر.

٥- دليل الخليج. القسم التاريخى مكتب صاحب السمو امير دولة قطر

سيد محمد السيد.

٦- مصر فى العصر العثمانى فى القرن السادس عشر مكتبة مدبولى، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

شارل فيرو.

٧- الحواشي النبوية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. بنى غازى ١٩٩٤م.

د. عبد العزيز محمد الشناوى.

٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مغترب عليها. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤م.

كارل بروكلمان.

٩- تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥م.

محمد أسامة زيد.

١٠- منهل الظمان لإتصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب. القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

محمد حرب.

١١- العثمانيون فى التاريخ والحضارة. المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتى بن آدم الأشقودرى الألبانى (ت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامى، بيروت.

يلماز أوزتونا.

١٣- تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتمويل اسطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.



نتائج الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني(*)

أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق المواصلات البحرية في العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب، في العصور السابقة والحالية، وأصبح الآن من أهم الممرات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما تحول أيضاً من مجرد بحر داخلي، إلى أهم شريان مائي، ينقل البترول من مناطق استخراجه - في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا - إلى أوروبا الصناعية، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين وآسيا، وبقية دول العالم. ويفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، ويسبب الاحتياج النفطي المتزايد في أوروبا وأمريكا وآسيا، أصبح البحر الأحمر، بمميزاته وخصائصه الجيولوجية، أخطر محاور الصراع والتنافس الدولي، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقاً حيوياً لنقل البترول، ومعبراً للتجارة العالمية، وطريقاً مختصراً لتدفق القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه الميزات، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوباً، كما ارتبط بقناة السويس، شمالاً، ارتباطاً عضوياً وأمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام واضعي القرار السياسي، ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتنافسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصارعة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر - من مدخله الشمالي عند السويس إلى مدخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الإفريقي - ظل ولا زال يلعب دوراً مركزياً ومحورياً في الصراع في منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الإفريقي، ممراً وبوابة للبحر الأحمر وخليج عدن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

١) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن ١٧ بدأ الاهتمام البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة .

في عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها في ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة دول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البن.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج في الهبوط على مدى فترة ستين عاماً. بحيث انحصرت، في الأخير، بين الإنجليز في الجنوب العربي واليمن، والفرنسيين في اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية - الفرنسية من ميدان التجارة إلى ميدان السياسة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية :

- ١- إرسال قوة بحرية بريطانية إلى الساحل الشرقي لمصر؛ لمواجهة التوسع الفرنسي.
- ٢- التواجد العسكري في مدينة عدن والجنوب العربي، كموقع استراتيجي هام في البحر الأحمر على باب المندب وخليج عدن، لمراقبة السفن الفرنسية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

في عام 1802 عقلت بريطانيا أول معاهدة تجارية مع السلطان العبدلي، سلطان لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، وسيطر على مينائها الاستراتيجي، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تم تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمنت الاتفاقية توفير الحماية للرعايا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر - أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة لتزويد السفن بالفحم، خاصة وأن ميناء عدن يقع في منتصف الطريق بين مدينة بومباي في الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينس يرى بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية

هامة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلا: " إن المرفأ العظيم لمدينة عدن يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر في الجزيرة العربية. إن ازدهاره لا شك وأن يقضى على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجارياً ممتازاً لا شك أنه أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر و تموينها في كل فصول السنة".

ومن العوامل التي سرعت بالاستيلاء البريطاني على مدينة عدن، ودول الجنوب العربي، وجود جيش محمد علي باشا، حينها، في تهامة وأوساط اليمن، والذي دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان بطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية في الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وخاصة إذا ما استولى على مدينة عدن الواقعة وسط الطريق البحرية إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباي البريطاني إلى حكومته قائلاً: " إن مطامع محمد علي باشا للتوسعة في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها".

إن تجارة بريطانيا الخارجية في حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية بحسن اختيارها، ويقوم بحراستها الأسطول الملكي البريطاني الكبير. وفي 19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية، بقيادة القبطان هينس مدينة عدن عن طريق جزيرة صيرة، وكان ذلك بداية التواجد العسكري والسياسي البريطاني المباشر في مدينة عدن ودول الجنوب العربي، حيث تم بعد ذلك في 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلطنة لحج، وتوالت بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، والواقعين في كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالي لهم وللمناطقهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، يتعاظم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية على المنطقة، فاستولى البريطانيون على جزيرة ميون عام 1856، خوفاً من وقوعها بيد الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبوك على الساحل الصومالي المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بيد البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مرتبطة بمشروع حفر قناة السويس في مصر، في الأعوام 1867-1868. تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأثيوبيين، مما زادها ازدهاراً وشهرة. في عام 1869 تم افتتاح قناة السويس في مصر وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزايد مرور السفن في ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالغم والمون المختلفة، وازدهرت السياحة. وعقد الاتفاقيات التجارية والإنشائية، وتسهيل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات وسلطنات

ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وخاصةً سلطنات يافع، وكذلك الين الآتى من اليمن. وكان ثلث موارد خزانة السلطنة العبدلية، فى لحج يأتى من معاملة سلطنة العبدلى فى لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدلى فى لحج، حينها، المتعاقد والمحتكر الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالخضراوات والفواكه ومياه الشرب، والحشائش، وأغلاف المواشى، والملح والأيدى العاملة. كما لعب السلطان العبدلى فى لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعمرة فى عدن، ممثلة بالمعتمد السياسى البريطانى وبقية سلاطين وأمراء ومشايخ الجنوب العربى؛ الذين كانوا بمثابة دويلات صغيرة مستقلة، فكانت تمر عبره إليهم المرتبات والمساعدات البريطانية.

كما كان لدى البريطانيين جهازان مختصين بشؤون الإمارات والسلطنات والمشيخات، فى دويلات الجنوب العربى؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهازان هما :

١- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخيالة المجرد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة إلى إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربى، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.

٢- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرة للمعتمد السياسى البريطانى فى عدن، وهذه الدائرة كانت المخططة والمنفذة للسياسة البريطانية؛ للتعامل مع القبائل داخل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربى. وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة الملحقة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكرى المباشر فيها، أو فى بعضها؛ إلا لتقديم الحماية والدعم. إلا أن هذه السياسة اختلفت بعد انحياز الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك فى ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشكلون خطراً مباشراً على النفوذ البريطانى فى المنطقة، وعلى دويلات الجنوب العربى.

٢) الصراع البريطانى العثمانى فى الجنوب :

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تمد الخطوط الحديدية إلى كل من العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح لتركيا وجود فعلى على ساحل تهامة باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالى حالياً (فى عام 1872 بشكل كامل). وهذا هو الاحتلال التركى الثانى لليمن الذى دام خلال الأعوام 1872-1918، كما كان الاحتلال الأول التركى لليمن خلال الأعوام 1538-1635، ويرغم وجود الأتراك باليمن حتى عام 1870، وعلى التماس المباشر مع البريطانيين الموجودين فى الجنوب العربى وعدن، إلا أن

البريطانيين لم يكن يثقهم الوجود التركي باليمن حينها، كون الوضع في اليمن والجنوب العربي لا يشكل خطراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، بالرغم من تواجد الأتراك في اليمن؛ فالجنوب العربي كان تحت الحكم البريطاني، وكان مقسماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطنات والمشايخات الصغيرة المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مقسماً حينها هو الآخر بين الأئمة في صنعاء، وأمرأ آل عريش في المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواسط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأ إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها واخضاعها للحكم العثماني للأعوام 1872-1918، إلا أن الأوضاع الدولية والمحلية، في السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم، والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربي، وعاصمته مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تم فتح قناة السويس عام 1869، وبذلك زادت أهمية عدن الإستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، في البداية حينها، مرنة مع العثمانيين في اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمرأ وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتنص تلك السياسة أن تدفع بريطانيا مرتبات شهرية وسنوية؛ لسلاطين وأمرأ ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتوفير المتطلبات الضرورية لدولهم، مقابل الإشراف البريطاني الغير المباشر عليها، وإبقاء الطرق إلى مستعمرة عدن آمنة ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطنات والإمارات والمشايخات بيد أطراف خارجية.

أما بعد أن أصبح الأتراك، المحتلين لليمن، على مقربة من حدود الإمارات والسلطنات والمشايخات المكونة للجنوب العربي، وبدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطنات ومشايخات الجنوب العربي إلى المناطق التي يحكمها الأتراك في اليمن، في كل من قطبة والحجرية وماوية، فقد اتبع البريطانيون سياسة جديدة ونظاماً جديداً - هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه. ويعني نظام الحماية هذا - أن سلاطين وأمرأ ومشايخ دويلات الجنوب العربي عليهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين نيابة عن أنفسهم وعن ورثتهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه في الثمانينات من القرن التاسع عشر كل سلطنات وإمارات ومشايخات ودويلات الجنوب العربي، من باب المنذب غرباً إلى المهرة. ومنذ عام 1869 ظلت حضرموت سلطنتين مستقلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة

الكثيرة، إلى جانب سلطنة المهرة، وسلطنة الواحدي، في شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في الـ 30 من نوفمبر 1967م.

أما في الجزء الغربي منه، فقد كانت للأتراك محاولات عديدة لغرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطنات، ومشيخات، دويلات الجنوب العربي في تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالزحف لاحتلال مناطق السلطنات والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربي والنفوذ البريطاني، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام العثمانيين، وتعرض المصالح والنفوذ البريطاني وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات في الجنوب العربي، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندها شعر الإنجليز بجدية خطر الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة العثمانية المركزية، في الباب العالي، في القسطنطينية، وتقديم إنذار شديد اللهجة، وبإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتسحب من جميع المناطق التي احتلتها داخل الجنوب العربي. لكن في 24 أكتوبر 1873م قام المقيم السياسي البريطاني في مستعمرة عدن بقيادة الهجوم البريطاني، وقاموا فوراً بالانسحاب من كل مناطق الجنوب العربي التي احتلوها في إمارات الضالع وسلطنة أحوأ شب ومشيخة الطوي، ثم بعد ذلك تم في أواخر عام 1873، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على ترسيم الحدود بين الجنوب العربي واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التي يسيطر عليها الأتراك والبريطانيين في كل من اليمن والجنوب العربي في عام 1873 هي الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربي واليمن، واعترف البريطانيون بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وأن على الأتراك المسيطرين على اليمن ومنذ عام 1873 عدم التدخل في شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة بذاتها، وتقع تحت النفوذ البريطاني.

وفي عام 1905م اقترحت تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربي الواقع تحت النفوذ البريطاني، واليمن الواقع تحت النفوذ التركي، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأتراك بسحب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التي احتلوها، وتم انسحابهم منها في نفس العام. وفي 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربي واليمن، وإعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.

خلال الحرب العالمية الأولى 1918 - 1914م : احتدم الصراع بين الأتراك والإنجليز، لانحياز كل منهما إلى الطرف النقيض والمعادى في الحرب، وكانا في خط التماس المباشر لتواجد الإنجليز في الجنوب العربي، وتواجد الأتراك في اليمن. في منتصف عام 1916 استخضمت لأول مرة الطائرات البريطانية في قصف مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة لحج المحتلة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنجليز نوعاً من الهدوء.

انسحب الأتراك من اليمن عام 1918م، وكانت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية الذي دام حكمها خمسمئة عام، وأخذ اليمن الشمالي حالها استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحيى بن حميد الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حالياً وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعين نفسه ملكاً لها. ودخل اليمن، بعد عام 1918م، مرحلة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مرحلة الأنمة الزيدية، الممتدة خلال الفترة ما بين ١٩٦٢ - ١٩١٨م.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهزم الأتراك في الحرب، وانسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أن الإنجليز خرجوا من الحرب منتصرين، وأعادوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنات و مشيخات دويلات الجنوب العربي، لا بل وخرجوا من الحرب وهم يسيطرون على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة النحية، والحديدة الميناء الرئيسي لليمن، والذي سوف يكون السبب في توتر العلاقات بين دولة اليمن الجديدة ممثلة بإمامها، والإنجليز الموجودين في الحديدة باليمن، والحاكمين للجنوب العربي.

أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني :

بانتهاى الحرب العالمية الأولى انسحب الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحيى كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودويلات الجنوب العربي، بحيث مرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين، نتيجة لسيطرة الإنجليز على مدينة النحية ومدينة الحديدة الميناء الرئيسي لليمن، التي سيطرت عليهما بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحيى، ومطالبته بتسليمها إليه، إلا أنه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإيريسى، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة النحية من مناطق الإيريسى فقد سلمت بريطانيا مدينة النحية إلى الإيريسى، وأبقت مدينة وميناء الحديدة تحت سيطرتها. طيلة

سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها "قاعدة إمبراطورية"، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، والتزود بالوقود .

في عام 1929 عقد أمراء وسلاطين، ومشايخ دويلات الجنوب العربي، مؤتمراً عاماً لهم، برئاسة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغ تحالفية تمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفكروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوفقوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإتشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير 1934م التوقيع، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحيى إمام اليمن باتفاقية ترسيم الحدود الدولية، الموقعة في 1905م و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجنوب العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهند، عام 1937م وقسمت إلى قسمين من المحميات . المحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتم استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تقضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ، مستشار بريطاني ينصحه في كل المسائل التي تخص إدارة سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتنفيذها.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1943-1939م، كانت الحالة والموقف العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1943-1944م كادت أن تتأزم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة ميون، بالقرب من حدود البلدين، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إنذار شديد اللهجة. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل لليمن، لانتصار الحلف البريطاني وهزيمة الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأمامي باليمن، خلال الأعوام 1959-1962 منهاراً تماماً ولم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشعبية وأخذت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم تتوسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتوزع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة نعم المدن وكانت القبائل تنضم إلى الانتفاضة ضد نظام الإمام. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن، بين الجمهوريين في الحكم والملكيين خارج الحكم.

في بداية الستينات من القرن العشرين أصبح لمدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وقتذاك، إلى نية بريطانيا في أن تبقى قواتها العسكرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:

الأول : يتعلق بالاستراتيجية الدولية : فقد أصبح لمدينة عدن أهمية استراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمصبر الغربي بأسره.

الثاني : يتعلق باستراتيجية البترول: فميناء عدن أصبح هو الذي يحمي آبار البترول في الخليج.

الثالث : بالاستراتيجية المحلية : لأن القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحليين في المنطقة.

آثار الاستعمار البريطاني الدينية:

في الوقت الحالي تنص المادة الثانية من دستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، و تكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطنين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويحدد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعليه فإن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات يخضع لتفسيرات الشريعة، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن يكون مؤبدا للفرائض الدينية، بينما شرط الإسلام واصح في شروط مرشح رئاسة الجمهورية. وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99% ، اي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشيعة الزيدية. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي ٦٠-٧٠% ، مقابل زيدية ٣٠-٤٠% وتوجد أقلية إسماعيلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليحية والملكة أروى بنت أحمد.

الأقليات : هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وهم الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلد الأصليين. ولليهود في اليمن شهرة بأنهم من أمهر الصاغة وصناع الخناجر التي تعد أبرز معالم الهوية اليمنية. وكانت الأعراف والتقاليد تمنع اليهودي، والمسلم غير القبلي من ارتداء الجنابي.

ووجدت أقلية هندوسية صغيرة جدا في عدن. ويوجد أربعة كنائس في عدن تمثل الوجود المسيحي والذين أغلبهم من الأجانب. وتعتبر الجزيرة العربية القلب النابض لمينار ومالتي مسلم، يمتدون عبر الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم.

هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً، وبين ساكنيه من جهة أخرى، أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وحديثاً قالوا : « لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة.١ » من أجل هذا كله ركز منصروا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يحيط بها، وقد وجدوا بغيرهم في جنوبها وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصاري وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

- ١ - اندثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.
- ٢ - الجهل والامية؛ حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة والكتابة من البالغين 38% ، وهي من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي 50% من السكان.
- ٣ - التردّي في الجانب الاقتصادي ، وضغوط البنك الدولي حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من 19% من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.
- ٤ - النظام الديمقراطي المفتوح، والدعم المعنوي التي تتلقاها المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.
- ٥ - عدم وجود أهداف ثابتة واستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي.
- ٦ - الأوضاع الصحية التي تعد من أشد الأوضاع تدهوراً في العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعي الصحي، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد حيث وصلت إلى 15، 9% لعام 1996 م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الفيروس الكبدي يزيد على 3 ، 5 مليون مواطن.
- ٧ - ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراء، لدى فئات كثيرة في المجتمع.
- ٨ - حسن معاملة النصاري للبسطاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.
- ٩ - إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصاري، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصاري لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين : معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، وانشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام 1972 م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام 1969 م إلى أوائل عام 1981 م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى : فريق البحر الأحمر الدولي (الذي أسسه المنصر) ليونل قرني في عام 1951 م ، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو : الخيامون (وهم النصارى القائمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتمريض . إلخ). وشعار هذه المنظمة : (الإسلام يجب أن يسمعا، وهذا نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية، ذات خلفية نصرانية، مركزها الرئيس في إنجلترا. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتتنزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة، على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي.

واستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلزم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

أشكال التنصير وأماكنه وصوره داخل بنية المجتمع اليمني:

أولاً : الكنائس ودور العبادة:

١- الكنيسة الكاثوليكية بالتواهي : تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية

الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكي في مدينة لارنكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينه دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام 1995 م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها، وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها، والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات، الذين يعملون في العبادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

٢- الكنيسة المعمدانية بكريت - مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريت بعدن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قبل الكنيسة الأنجليكانية المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

٣- دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قداس يوم الأحد في المعهد الكندي - في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

٤- دور العبادة النصرانية باب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتبشير، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد بالكنيسة المعمدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إنساني - على حد زعمهم - وتنصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، وخلال سنوات عملها الطويل، إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 يمني.

ثانياً : النشاط الصحي:

- المركز السويدي بمدينة تعز في شارع الدائري : له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يتستر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.
- جمعية من طفل إلى طفل : مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئة لدخولهم في النصرانية، من دون أن يشعروا بذلك.
- منظمة أدرا في منطقته حيس تهامة : « وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل: سنغافورة والفلبين وباكوك: باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مديرتي العدين والقر؛ حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!
- المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بدور رهيب في الاختلاط بالبسطاء، وتقديم العون والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة، وخاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.
- جمعية رسالات المحبة « بعثة الإحسان : « يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأربعمائة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات.
- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز، وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.
- جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة، ولها نشاط تنصيري.
- معسكر اللاجئين الصوماليين بالبحرين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث نسيهم إخوانهم المسلمون.
- منظمة ماري ستويس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً : المنظمات ألمانية:

منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.
 منظمة اليونيسكو: وتدعم مشاريع البنية التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والنصارى.
 منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً : النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة -كمثال- في عددها رقم 12542 ، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر 3/1999م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجوالهم داخل اليمن ومنها:

١- توزيع الإنجيل في المدن المختلفة ومنها الحديدة، حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS ، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية؛ في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث في منطقة الحسينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفي ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والتراتيم النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

خامساً : النشاط التعليمي الثقافي:

واتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال : " التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزيالة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الآلام ".

المعهد الكندي بصنعاء:

يتستر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة متجهيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دورة، ولا تريد إغارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم. ومن مناهجهم :

التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافية مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشارك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا، حيث قدمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، في عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، ويعدّها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يقعون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

أما دور المؤسسات تجاه عمليات التنصير، فهو نشاط خجول يحتاج إلى إنكاء كالجمهر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، في مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما موقف الحكومة اليمنية: فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن، للعام 1998م، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي، بدائرة الشرق الأوسط في 30 مايو 1998م. * لكن نتيجة الفموض الذي يكتنف الدستور في اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة؛ كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن *.

وسائل التنصير:

- الأولى : الخدمات الإنسانية : هم يقولون التبشير، السلام، الديمقراطية، الإنسانية. فالخدمات الإنسانية مثل :الإغاثة، والطب، والمساعدات من أهم ما يتوصلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمم المتحدة بمنظوماتها، والبنك الدولي، مثلاً منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعماله المغروسين في أنحاء العالم.

الوسيلة الثانية : التخريب الأخلاقي، فالكنسية تدار فيها الخمر، وتقام فيها الحفلات الماجنة للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى النصرانية. وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين . ويسر لهم أسباب الفساد. يقولون : حاولنا أن نقف دونه، لكن عبثاً نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملاهي، ولو بجوار المساجد، فقد يبنون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فافتشفوا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم مبادئ المسيحية ولكن بطريقة غير مباشرة.

الوسيلة الثالثة : توزيع الكتب والكتيبات والمجلات، والدوريات، والصحف التي تخدم التنصير -المخصصة لهذا الغرض بشتى اللغات، وبشتى الأساليب، وفي شتى الموضوعات، مع تعمّد دس التشويه والكذب؛ في مثل هذه الدراسات والكتب والمقالات، هذا فضلاً عن التقاويم (الزنانمات) وفي كل يوم تجد التقويم مرصعاً بأية من الإنجيل مكتوبة بخط جميل وملونة وزهراء، وأشياء حقيقة تلفت الانتباه وتشدّ الذهن، وكذلك تطبع كروت التهاني مثلاً بالأعياد: أعياد الميلاد، الكرسمس، عيد رأس السنة، عيد القيامة، إلى غير ذلك من أعيادهم، ويخطوط جميلة وألوان، وصور يزعمون أنها لمريم أو لعيسى، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصلبان في كل مجال وفي كل ميدان، في الملابس، في السيارات، في الأواني، في الذهب، في كل شيء لو تأملت تكاد تجد صليباً موضوعاً على عمد، وأحياناً الملايين منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد لمن يريد، ويعملون عن طريق الإذاعات. وتبث هذه الإذاعات بأكثر من ثمانين لغة، ولها صنابير بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعيها .

سادساً: الرياضة : هناك خطة أن يتولى النصارى العرب الاتصال والتنصير فردياً هناك، وتوزيع النشرات والأقلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية في العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها. سابعاً: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع :

فمن تلك - مثلاً - منظمة فيليبينية تنصيرية اسمها "منظمة شادي"، وكلمة شادي عندهم بلغةهم معناها : الرب، هذه المنظمة تهتم بشكل خاص بالمرضى والمهوقين وأصحاب المشكلات النفسية والذين يواجهون صعوبات في حياتهم، والغريب في الأمر: أن هذه المنظمة لها نشرة اسمها " شادي" ومجلس الكنائس العالمي - وهو ربما أعلى سلطة مسؤولة عن التنصير - حشد الآلاف من المربيين - كما يقول رئيس إرسالية التنصير في الشرق الأوسط : إن مجلس الكنائس العالمي أرسل الآلاف من المربيين والخدمات والمرضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين - هم مصررون على أن يتحول المسلمون عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيين، والخدمات، والمرضات، والأطباء، والمهندسين. ويقول هذا المسؤول: إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي تمهد لهم التوغل في جزيرة العرب!

ثامناً : المراسلات: وهي من أخطر ما يكون، وأنجح الوسائل لسهولة وصولها في الغالب وإمكانية تداولها، وهي تعقد الصداقات، وترسل الكتب، والأشرطة، والمجلات، مجاناً إلى من يريد.

أثار الاستعمار البريطاني السياسية والاجتماعية:

أولاً : الآثار السياسية :

تتعدد المحددات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن بينها تبرز المحددات والأدوار التالية:

أولاً دور القبيلة:

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق الساحلية وتهامة، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعة من القبائل الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضوياً. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى منظمة ومتطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الأمطار التي وفرت مصادر حدت من الصراعات والتمسك بالعصبية القبلية. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق والسلطة علاقة جهاية عن طريق المشايخ، وما رافق ذلك من تعسف المشايخ بالرعية، والذي أدى بدوره إلى علاقة عدائية بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكك العلاقات القبلية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق

الوسط هم من كبار حلاك الأرض والذي تحولوا في ما بعد إلى طبقة برجوازية، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطبقة الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمتهم بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة السلطة المركزية. وتطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زادت من تفكك العامل القبلي، وعند ظهور التعددية الحزبية كانت تلك المناطق أكثر المناطق ميولا للحزب، كنظام بديل عن التنظيمات القبلية. وتتسم هذه القبائل بالحفاظ على العصبية القبلية والتي لعبت دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإتباع المذهب الزيدي الذي يبيح الخروج على الوالي فقد ساعدت تلك العوامل على أن تظل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الرؤساء الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبا: حاشد ويكيل.

ويتضح أن المناطق المتعصبة قُبليا تمكنت من الاستئثار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تمثل دولة داخل دولة ولهذا فإن النظام السياسي القائم على الجهورية، ومركزية الحكم في مناطق قبلية محدودة، بعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتعاسك القومي، ومن مظاهر إخلال القبيلة بالاستقرار السياسي في اليمن:

1. النار القبلي: فكثيراً ما تقوم الحروب، والثارات القبلية في اليمن بحيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (407) حروب، وثارا قبليا، وغالبا ما تكون تلك الحروب والثارات نتيجة انتشار ثقافة العنف المسلح، والمشروط بتوافر الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقوع 1979 حالة قتل في إطار النار القبلي خلال عام 2001 م في محافظات صنعاء، وعمران، وذمار والبيضاء .
2. التفجرات الاجتماعية والتآكل المطرد للمعايير العرفية، وضعف الحكومة وانتشار السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتدام التنافس بين الزعامات الدينية، غدت الصراعات القبلية.
3. الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الثارات القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.

٤. الاختطافات القبلية: حيث تلجأ القبائل إلى عملية الاختطافات، كوسيلة متعارف عليها قديماً وكانت هذه الظاهرة محصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يمثل اختطاف أحد أفراد القبيلة وسيله ضغط على القبيلة الأخرى، في قضية النزاع، وعند تطور دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختطاف في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختطاف الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات؛ كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت، لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالبا ما تقدم القبائل على الاختطاف لعدة أسباب منها : الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وقيام بعض النافذين بالاستيلاء على أرض تعود ملكياتها لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على نمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع معروض أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تقطن المناطق النفطية، أن يكون لهم نصيب في النفط المستخرج من مناطقهم. وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التعددية الحزبية قد أعلنت عام 1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انبثق عنه مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني

ثانياً: التقسيم الطبقي:

بعد التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقة تؤدي إلى حتمية الصراع الاجتماعي، وتأتي المنافسة بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء تركيبة المجتمع الاقتصادي والسياسي، والصراع الطبقي نتيجة حتمية لانعدام العدالة الاجتماعية، ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب :

الأولى : تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالباً على أساس وراثية المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية : تشمل فئة السادة والقضاة والفقهاء.

والثالثة : وتحتوي ثلاث فئات متقاربة ومتداخلة هي: الاعيان العقال، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

والرابعة : تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفاً ومهنها وضبعة قبلها تحرم الأعراف القبلية على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزارون، الحلاقون، الدواشين. والخامسة : وتضم فئة الخدام واليهود.

والتقسيم الطبقي في اليمن يقوم على أساس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها وداخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

إلا أن التقسيم الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه اتخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأغلبية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والحرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقة؛ إلا إن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التقسيم الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحلت فئة مشايخ القبائل محل السادة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتقسيم الطبقي في اليمن بطراً عالية بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويلعب التقسيم الطبقي دوراً في حالة عدم الاستقرار السياسي، فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلالية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية لعبت دور في خفض وطأة التقسيم الاجتماعي، عن طريق منح العضوية، والمناصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالباً استرضاء مشايخ القبائل، واستمالتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تدرج في الطبقات الدنيا في سلم التقسيم الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقة، والتقسيم الاجتماعي تنخر في جسد المجتمع اليمني، فوفقاً للتقسيم الطبقي القائم على أساس قبلي، مثلاً يحرم التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لغرد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أعلى منها وإن أقدم على ذلك فإنه يتعرض للقتل أو النفي. وقد كشفت عن وجود حالات رقي، وعبودية في محافظات يمنية ويقف وراء استمرار حالة الرقي والعبودية: محاربة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتأييد في الانتخابات العامة، وتقدر بعض المصادر عدد المهتمين من طبقة الاخدام في اليمن بما يقارب 800 ألف نسمة وأسست هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع فإنها تمثل قنبلة موقوتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليمن أمام الدول، والمنظمات الأخرى. إن التغييرات التي طرأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية

والخصخصة، كان لها تأثير في التركيب الطبقي في الجمهورية اليمنية، حيث اتجهت بعض الطبقات مثل طبقة المشايخ، والقادة العسكريين إلى مزاوله النشاط التجاري، والذي كان محصورا في طبقة التجار، ونتيجة سيطرة هذه الطبقة على الثروة، إلى جانب السلطة السياسية، حدث فرز جديد في المجتمع اليمني على أساس طبقي اقتصادي، ونتيجة لاحتكام تلك الطبقة للمجالات التي كانت مقصورة على الطبقة الوسطى، تلاشت الطبقة الوسطى التي كانت تعزل بين الطبقتين الدنيا والعليا، فانتسعت شريحة الطبقة الدنيا مدعومة بتلاشي الطبقة الوسطى حيث أصبح 50% من عدد السكان تحت خط الفقر.

الخاتمة:

وهكذا رأينا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة وباب المنذب، اذن بجانب التنافس السياسي الذي شهدته هذه المنطقة، شهدت ايضا تنافسا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلية من جهة أخرى. ورأينا كيف كانت الغلبة البريطانية أولا ثم اعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق، لكن لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التي استهدفت تدمير المدن وإراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وهيئات الإغاثة، والجمعيات الخيرية - جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود يذكر بأي وسيلة.

المراجع

- بشرى الغيلي، حجة محافظته الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، موقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- التغيرات القبلية وتحرير الاقتصاد أضعفا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ 26/3/2011م).
- جابر بن يحيى اليواب، اليمن وظاهرة الإرهاب الدولي 2007-1990م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م
- جاد طه، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969 م .
- جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العبيكان، 1421 هـ.
- حسن خضير أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مديولي ط 11996
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقلا ، بيروت ، ط 1987 م.
- خديجة الهيصمي، سياسية اليمن في البحر الأحمر ، القاهرة ، مكتبة مديولي ط 2002 م
- دستور الجمهورية اليمنية/المواد 64/107 ، نت <http://Archivebeta.com>
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية، 15 Feb 2004 /
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة. مكتبة مديولي ط 2008 1.
- عبد العزيز قائد المسعودي - اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006 م.
- عبداللطيف الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط 1، الرياض، 1415هـ.
- عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط 2، 1366هـ.
- عبدالواسع اليمني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1402هـ.

- علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار للوحدة، ط1، لندن، 1992م.
- فاروق أباطة، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2، 1979م.
- مجلة الأسرة، العدد (83)، العدد (155) رجب 1421 ، أكتوبر ٢٠٠٠.
- محاضرة تسجيلية للشيخ سلمان بن فهد العودة .مما شاهد وسمع وقرا.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، الرياض، 1402.
- محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ عام 1937م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت، 1970م.
- محمد محسن الظاهري، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية الجمهورية اليمنية نموذجا القاهرة ، مكتبة مدبولي ط2004م
- محمد محسن الظاهري، الدور السياسي للقبلية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط1996م.
- المركز الوطني للمعلومات .نبذة تعريفية عن محافظة الضالع 2011.
- المركز الوطني للمعلومات .نبذة تعريفية عن محافظة عدن 2011 .
- مسح آثارى لمدينة عدن الكبرى، مديرية صيرة -كربتر -الموسم الأول 2004 م -اعداد الهيئة العامة للآثار عدن. منشور في :صحيفة/ 26 سبتمبر/ رقم العدد 1230 : السنت 09 مارس - آذار 2013 ناصر محمد الطويل - الحركات الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التفافس، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله ووزير خارجية واشنطن وتقسيم الحكومة الطائفي بلغت انتباه دبلوماسي أمريكي
- http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article=section=12&news_id=9943
- مدرسة الصراع الطبقي <http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/06.html>
- مجلة البيان، قضية عربية : الاختطاف في اليمن. المشكلة الآثار الحلول <http://www.albayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731>

• عمر العمري، النظام يتغاضى عن مشكلة العبودية خوفاً من خسارة حلفاءه، المصدر أون لاين
6/2/2010 [http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-](http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303)
[section=1&news_id=9303](http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303)

• عبده عايش، حروب الثارات في اليمن تؤدي بحياة المئات وتقلق الأمن والمسلم، مقال مستل من مجلة
العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 ابريل 2011 م

<http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867> •

<http://ar.wikipedia.org/wiki> •

<http://forums.ibb7.com/ibb28072.html> - •

<http://h-almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049> •

<http://sh.rewayat2.com/public/Web/6417/003.htm> •

<http://wikimapia.or> •

<http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024> •

<http://www.oxfam.org/en/> •

<http://www.sudanile.com> •

<http://Archivebeta.Sakhri>

Muslim Population by Country". The Future of the Global Muslim •
Population. Pew Research Center. Library of Congress – Federal
Research Division

U.S state Department •

<http://www.al-tagheer.com/news28099.html> •

2001 [http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-](http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-Arabic.pdf) •
Arabic.pdf